سلسلة نصوص تراثية للباحثين (١٨١)

على غير قياس

ورودها في كتب التفاسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها

وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

.١

٣- مرو الشاهجان:

هذه مرو العظمى «٤٨» أشهر مدن خراسان والنسبة إليها مروزي **على غير قياس**. وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخا.

ومن مرو إلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا.

وقد أخرجت مرو من الأعيان وعلماء الدين أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم.

وقد زارها ياقوت «فرآها مدينة عظيمة بها كتب كثيرة وعشر خزائن لكتب الوقف» .

وبها قبور أربعة من الصحابة «٤٩» وقد تحول مقاتل من بلخ إلى مرو فأقام بها وتزوج منها «٥٠» .

وقد نسب مقاتل إلى بلخ ومرو وخراسان، فذكرته كتب التراجم بقولها: مقاتل ابن سليمان البلخي «٥١» المروزي «٥٢» الخراساني «٥٣» .

ومقاتل رجل طلعة نابغة صاحب ذكاء وفراسة ومعرفة، وقد تأثر بما دار حوله.

فقد ولد مقاتل فى بلخ ونشأ بها، ورأينا أن بلخ كانت مدينة الديانات. فقد كان فيها الزرادشتية والبوذية والمانوية والمسيحية، وظلت هذه الديانات متجاورة إلى الفتح العربي، وأن كانت الغلبة للبوذيين (الهندوكش) .

---

(٤٦) دائرة المعارف الاسلامية: مادة بلخ: ٤/ ٨١.

(٤٧) ياقوت: ١/ ٧١٣، ٤/ ٨١٧، ومن العجيب أن هذا المزار لم ينشأ الا فى القرن السادس الهجري ظلت بلخ مدينة المعابد والمزارات المقدسة.

(٤٨) تمييزا لها عن مرو الروز، وبينهما خمسة أيام. ولفظ مرو معناه الحجارة البيض التي يقتدح بها.

(٤٩) ياقوت: ٤/ ٥٠٧، وقد ذكر أسماء ثلاثة من الصحابة رأى قبورهم بمرو وهم: بريدة بن الحصيب، والحكم بن عمر الغفاري، وسليمان بريدة.

(٥٠) تهذيب الكمال المجلد العاشر، ترجمة مقاتل، مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٥١) تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٩- الجرح والتعديل للرازي: ٤/ ٣٥٥- تهذيب الكمال: المجلد العاشر- الأعلام: ٨/ ٢٠٦.

(٥٢) معجم المؤلفين: ١٢/ ٣١٧.

(٥٣) تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٩- تهذيب الكمال: المجلد العاشر، معجم المؤلفين: ١٢/ ٢١٧.."

(١)

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل ٥/٣٢

٢. "الجزيل، فإنكم مهما تفعلوا من ذلك وغيره من خير وعمل صالح ابتغاء مرضاتي وطلب ثوابي، فأنا به عالم، ولجميعه محص، حتى أوفيكم أجره، وأجازيكم عليه، فإني لا تخفى علي خافية، ولا ينكتم عني ما أردتم بأعمالكم، لأني مطلع على سرائركم، وعالم بضمائر نفوسكم.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾

قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يحجون بغير زاد، وكان بعضهم إذا أحرم رمى بما معه من الزاد واستأنف غيره من الأزودة، (١) فأمر الله جل ثناؤه من لم يكن يتزود منهم بالتزود لسفره، ومن كان منهم ذا زاد أن يحتفظ بزاده فلا يرمي به.

* ذكر الأخبار التي رويت في ذلك:

٣٧٢٩ - حدثني الحسين بن علي الصدائي، قال: حدثنا عمرو بن عبد الغفار، قال: حدثنا محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كانوا إذا أحرموا ومعهم أزودة رموا بها واستأنفوا زادا آخر، فأنزل الله:" وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتزودوا الكعك والدقيق والسويق.

٣٧٣٠ - حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا ورقاء، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كانوا يحجون ولا يتزودون، فنزلت:" وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" (٢)

---

(١) الأزودة: جمع زاد على غير قياس، وقياسه: أزواد.

(٢) الأثر: ٣٧٣٠ -محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي المخرمي (بضم الميم وفتح الخاء، وراء مشددة مكسورة) أبو جعفر البغدادي المدائني الحافظ، قاضي حلوان. مات سنة ٢٥٤ ببغداد، كان أحد الثقات جليل القدر. وكان في المطبوعة: "المخزومي" هو خطأ كما ترى.." (١)

٣. "١٧٧١٥- حدثنا بحر بن نصر الخولاني قال، حدثنا يحيى بن حسان قال، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال، حدثنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل، (١) قوم لم تصل بينهم أرحام متقاربة، (٢) تحابوا في الله، وتصافوا في الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، يفزع الناس فلا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. (٣)

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: "الولي" = أعني

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ١٥٦/٤

(١) "أفناء الناس" أخلاطهم، ومن لا يدري من أي قبيلة هو. و"نوازع القبائل" جمع "نازع" **على غير قياس**، وهم الغرباء الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم. وإنما قلت: "جمع **على غير قياس** " لأن المشهور "نزاع القبائل" كما ورد في حديث آخر. و"فاعل" الصفة للمذكر، لا يجمع عندهم على "فواعل" إلا سماعا، نحو "فوارس" و"هوالك".

(٢) في المطبوعة: "لم يتصل "، والصواب من المخطوطة ومسند أحمد

(٣) الأثر: ١٧٧١٥- " بحر بن نصر بن سابق الخولاني المصري " شيخ الطبري، ثقة مضى برقم: ٣٨٤١، ١٠٥٨٨، ١٠٦٤٧، وكان في المطبوعة هنا " الحسن بن نصر الخولاني " لا أدري من أين جاء به هكذا، فأصاب بعض الصواب؟ وهذا عجب. أما المخطوطة، ففيها ا"لحسن بن الخولاني "، والصواب ما أثبت. وروايته عن "يحي بن حسان" مضت برقم: ٢٦٤٣، إلا أنه وقع هناك خطأ أيضا في اسمه، فكتب " يحي بن نصر"، وقد خبطنا في تصحيفه خبط عشواء، والصواب " بحر بن نصر " فليصحح هناك. و"يحي بن حسان التنيسي المصري "، ثقة، مضى برقم: ٢٦٤٣، والراوي عنه هناك " بحر بن نصر" أيضا، كما سلف. و"عبد الحميد بن بهرام الفزاري "، ثقة، وثقه أحمد وغيره، مضى مرارا، آخرها رقم: ١٧٤١٧. و"شهر بن حوشب" مضى مرارا كثيرة، ومضى توثيقه، وثقه أخي أحمد السيد، رحمه الله وغفر له. و" عبد الرحمن بن غنم الأشعري "، مختلف في صحبته، ويعد من الطبقة الأولى من التابعين، بعثه عمر بن الخطاب يفقه الناس، ولازم معاذ بن جبل، وكان أفقه أهل الشام، وهو الذي فقه عامة التابعين بالشام، وكان له جلالة وقدر. وأبو مالك الأشعري " هو المشهور بكنيته، والمختلف في اسمه، صحابي، مترجم في الإصابة والتهذيب وسائر الكتب. وهذا خبر صحيح الإسناد. رواه أحمد في مسنده مطولا ٥: ٣٤٣، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ٣١٠، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي.." [١]

٤. "الذي يتعرض لك ولا يسألك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن، في هذه الآية: (وأطعموا القانع والمعتر) قال: القانع: الذي يقنع، والمعتر: الذي يعتريك. قال: وقال الكلبي: القانع: الذي يسألك؛ والمعتر: الذي يعتريك، يتعرض ولا يسألك.

حدثني نصر عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا المحاربي، عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، في قوله: (وأطعموا القانع والمعتر) قال: القانع: الذي يسألك، والمعتر: الذي يتعرض لك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، قال: قال سعيد بن جبير: القانع: السائل.

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ١٢٢/١٥

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثني غالب، قال: ثني شريك، عن فرات القزاز، عن سعيد بن جبير، في قوله: (القانع) قال هو السائل، ثم قال. أما سمعت قول الشماخ.

لمال المرء يصلحه فيغني ... مفاقره أعف من القنوع (١)

قال: من السؤال.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، أنه قال في قوله: (وأطعموا القانع والمعتر) قال: القانع: الذي يقنع إليك يسألك، والمعتر: الذي يريك نفسه ويتعرض لك ولا يسألك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشام، قال: أخبرنا منصور

---

(١) البيت للشماخ بن ضرار (لسان العرب: قنع) قال: وفي التنزيل: وأطعموا القانع والمعتر، فالقانع الذي يسأل والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل. قال الشماخ: " لمال المرء. . . . البيت " يعني من مسألة الناس. وقال ابن السكيت ومن العرب: من يجيز القنوع: بمعنى القناعة، وكلام العرب الجيد: هو الأول. ويروى: " من الكنوع " والكنوع: التقبض والتصاغر. وقيل القانع: السائل، وقيل: المتعفف وكل يصلح، والرجل: قانع وقنيع. وقال الفراء: هو الذي يسألك فما أعطيته قبله. وقيل: القنوع: الطمع. والفعل: قنع بالفتح يقنع قنوعا: ذل السؤال. وقيل: سأل. ومفاقرة: وجوه فقره، وقيل: جمع فقر **على غير قياس** كالمشابه والملامح. ويجوز أن تكون جمع مفقرة مصدر أفقره، أو جمع مفقر (اسم فاعل) .." [١]

٥. "اسم من أسماء الله.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: (حم) : قسم أقسمه الله، وهو اسم من أسماء الله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله (حم) : من حروف أسماء الله.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (حم) قال: اسم من أسماء القرآن. وقال آخرون: هو حروف هجاء.

وقال آخرون: بل هو اسم، واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حم قبل التقدم (١)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ٦٣٨/١٨

ويقول الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا تقي ومعرب (٢)

وحدثت عن معمر بن المثنى أنه قال: قال يونس، يعني الجرمي: ومن قال هذا القول فهو منكر عليه، لأن السورة (حم) ساكنة الحروف، فخرجت مخرج التهجي، وهذه أسماء سور خرجت متحركات، وإذا سميت سورة بشيء

---

(١) البيت لشريح بن أوفى العبسي، كما قال أبو عبيد في مجاز القرآن (٢١٧ ب) وكما في (اللسان: حمم) وقال: وأنشده غير أبي عبيد للأشتر النخعي. وقال: قال ابن مسعود:" آل حاميم" ديباج القرآن. قال الفراء: هو كقولك آل فلان وآل فلان. وقال الجوهري: أما قول العامة" الحواميم" فليس من كلام العرب. قال أبو عبيد:" الحواميم": سور في القرآن، **على غير قياس**، وأنشد: وبالطواسين التي قد ثلثت ... وبالحواميم التي قد سبعت

قال: والأولى أن تجمع" بذوات حاميم". وأنشد أبو عبيد في" حاميم" لشريح بن أوفى العبسي:" يذكرني حاميم ... البيت" قال: وأنشده غيره للأشتر النخعي. والضمير في" يذكرني": هو لمحمد بن طلحة، وقتله الأشتر أو شريح. (أي في يوم الجمل) اهـ.

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي" مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨ - ١) وديوانه طبعه الموسوعات بالقاهرة ١٨. وآل حاميم وذوات حاميم: السور التي أولها" حم" نص الحريري في درة الغواص، على أنه يقال: آل حاميم، وذوات حاميم، وآل طسم، ولا يقال: حواميم ولا طواسيم. اهـ. والآية هي هي قوله تعالى في سورة الشورى:" قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى". وفي سورة الأحزاب من آل حاميم:" إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا". والتقي: الساكت عن التفضيل، والمعرب: الناطق به، رواية البيت في مجاز القرآن: وجدنا لكم في حم آية ... وفي غيرها آي، وأي يعرب

ثنا قال: قال يونس: من قال بهذا القول، فهو منكر عليه، لأن السورة" حم" ساكنة الحروف، فخرجت مخرج حروف التهجي وهذه أسماء سور خرجن متحركات؛ وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف (كذا) ، دخلها الإعراب. اهـ. وقول المؤلف: يعني الجرمي: نبهنا عليه فيما مضى، لأن الجرمي اسمه صالح بن إسحاق أبو عمر.." [١]

٦. "(وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) .

أي ليس للرؤية المختلطة عندنا تأويل.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ٣٤٨/٢١

* * *

(وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون (٤٥)

أي بعد حين، وقرأ ابن عباس: واذكر بعد أمه، والأمه النسيان، يقال

أمه يأمه أمها. هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة: أمه

بسكون الميم، وليس ذلك بصحيح عنه، لأن المصدر أنه يأمه أمه لا غير.

وقرأ الحسن: أنا آتيكم بتأويله، وأكرهها، لخلاف المصحف.

(وادكر) أصله واذتكر، ولكن التاء أبدل منها الذال وأدغمت الذال في

الدال.

ويجوز واذكر بالذال، والأجود الدال (١) .

وقوله - عز وجل -: (يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع

سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون (٤٦)

أراد يا يوسف، والنداء يجوز في المعرفة حذف يا منه، فتقول: يا زيد.

أقبل، وزيد أقبل.

قال الشاعر:

محمد تفد نفسك كل نفس. . . إذا ما خفت من أمر تبالا

أراد يا محمد.

والصذيق المبالغ في الصدقة، والتصديق.

وقوله: (لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) .

أي لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك، ويجوز أن يكون: لعلهم يعلمون

---

(١) قال السمين:

قوله تعالى: ﴿وادكر﴾ : فيه وجهان، أظهرهما: أنها جملة حالية: إما من الموصول، وإما من عائده وهو فاعل «نجا» . والثاني: أنها عطف على «نجا» فلا محل لها لنسقها على ما لا محل له.

والعامة على «ادكر» بدال مهملة مشددة وأصلها: اذتكر افتعل من الذكر، فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فأبدلت دالا فاجتمع متقاربان فأبدل الأول من جنس الثاني وأدغم. وقرأ الحسن البصري بذال معجمة. ووجهوها بأنه أبدل التاء ذالا من جنس الأولى وأدغم، وكذا الحكم في ﴿مدكر﴾ [القمر: ١٥] كما سيأتي في سورته إن شاء الله تعالى.

والعامة على «أمة» بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة، وهي المدة الطويلة. وقرأ الأشهب العقيلي

بكسر الهمزة، وفسروها بالنعمة، أي: بعد نعمة أنعم بها عليه وهي خلاصه من السجن ونجاته من القتل، وأنشد الزمخشري لعدي:

٢٧٩٨ ثم بعد الفلاح والملك والإم. . . مة وارتهم هناك القبور

وأنشد غيره:

٢٧٩٩ ألا لا أرى ذا إمة أصبحت به. . . فتتركه الأيام وهي كما هيا

وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وقتادة والضحاك وأبو رجاء «أمه» بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهاء منونة من الأمه، وهو النسيان، يقال: أمه يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها، والسكون غير مقيس.

وقرأ مجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة: «بعد أمه» بسكون الميم، وقد تقدم أنه مصدر لأمه **على غير قياس**. قال الزمخشري: «ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ» . قال الشيخ: «وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء» قلت: لم ينسب هو إليهم خطأ؛ وإنما حكى أن بعضهم خطأ هذا القارئ فإنه قال: «خطئ» بلفظ ما لم يسم فاعله، ولم يقل فقد أخطأ، على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى الخطأ إليه ألبتة. و «بعد» منصوب ب «ادكر» .

اهـ (الدر المصون) .." (١)

٧. "سورة قريش

(مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: (لإيلاف قريش (١)

فيه ثلاثة أوجه: (لإلاف قريش) ، و (لإيلاف قريش) ، ووجه ثالث " لإلف قريش) .

وقد قرئ بالوجهين الأولين (١) .

* * *

وقوله: (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف (٢)

يجوز فيه ما جاز في " لايلاف " إلا أنه قد قرئ في هذها إلفهم "

و" إيلافهم " ويجوز إلافهم. وهذه اللام قال النحويون فيها ثلاثة أوجه، قيل هي موصولة بما قبلها، المعنى فجعلهم كعصف مأكول لإلف قريش.

أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف.

وقال قوم: هذه لام التعجب فكان المعنى اعجبوا لإيلاف قريش.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، الزجاج ٣/١١٣

وقال النحويون الذين ترتضى عربيتهم: هذه اللام معناها متصل بما بعد فليعبدوا، والمعنى فليعبد هؤلاء رب هذا البيت لإلفهم رحلة الشتاء والصيف.

والتأويل أن قريشا كانوا يرحلون في الشتاء إلى الشام وفي الصيف إلى

---

(١) قال السمين:

قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ : في متعلق هذه اللام، أوجه، أحدها: أنه ما في السورة قبلها من قوله ﴿فجعلهم كعصف﴾ [قريش: ٥] . قال الزمخشري: «وهذا بمنزلة التضمين في الشعر» وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به، وهما في مصحف أبي سورة واحد بلا فصل. وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وفي الأولى بسورة «والتين» انتهى. وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش إلا أن الحوفي قال: «ورد هذا القول جماعة: بأنه لو كان كذا لكان» لإيلاف «بعض سورة» ألم تر «وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على عدم ذلك»

الثاني: أنه مضمر تقديره: فعلنا ذلك، أي: إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش. وقيل: تقديره اعجبوا.

الثالث: أنه قوله «فليعبدوا» .

وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط، أي: فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فإنها أظهر نعمه عليهم، قاله الزمخشري وهو قول الخليل قبله.

وقرأ ابن عامر «لإلاف» دون ياء قبل اللام الثانية، والباقون «لإيلاف» بياء قبلها، وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني، وهو «إيلافهم» ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول، مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطا، واتفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا، فهو أدل دليل على أن القراء متبعون الأثر والرواية لا مجرد الخط.

فأما قراءة ابن عامر ففيها وجهان، أحدهما: أنه مصدر ل ألف ثلاثيا يقال: ألفته إلافا، نحو: كتبته كتابا، يقال: ألفته إلفا وإلافا. وقد جمع الشاعر بينهما في قوله:

٤٦٤٧ زعمتم أن إخوتكم قريش. . . لهم إلف وليس لكم إلاف

والثاني: أنه مصدر آلف رباعيا نحو: قاتل قتالا. وقال الزمخشري: «أي: لمؤالفة قريش» .

وأما قراءة الباقين فمصدر آلف رباعيا بزنة أكرم يقال: آلفته أولفه إيلافا. قال الشاعر:

٤٦٤٨ من المؤلفات الرمل أدماء حرة. . . شعاع الضحى في متنها يتوضح

وقرأ عاصم في رواية «إإلافهم» بهزتين: الأولى مسكورة والثانية ساكنة، وهي شاذة، لأنه يجب في مثله

إبدال الثانية حرفا مجانسا كإيمان. وروي عنه أيضا بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة. وخرجت على أنه أشبع كسرة الهمزة الثانية فتولد منها ياء، وهذه أشذ من الأولى ونقل أبو البقاء أشذ منها فقال: «بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة، بعدها همزة مسكورة، وهو بعيد. ووجهها أنه أشبع الكسرة فنشأت الياء، وقصد بذلك الفصل بين الهمزتين كالألف في ﴿أأنذرتهم﴾ [البقرة: ٦] .

وقرأ أبو جعفر «لإلف قريش» بزنة قرد. وقد تقدم أنه مصدر لألف كقوله:

٤٦٤٩. . . . . لهم إلف وليس لكم إلاف

وعنه أيضا وعن ابن كثير «إلفهم» وعنه أيضا وعن ابن عامر «إلا فهم» مثل: كتابهم. وعنه أيضا «ليلاف» بياء ساكنة بعد اللام؛ وذلك أنه لما أبدل الثانية حذف الأولى **على غير قياس**. وقرأ عكرمة «لتألف قريش» فعلا مضارعا وعنه «ليألف على الأمر، واللام مكسورة، وعنه فتحها مع الأمر وهي لغية.

وقريش اسم لقبيلة. قيل: هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي دون كنانة، وهو الصحيح وقيل: هم ولد فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة. فمن لم يلده فهر فليس بقرشي، فوقع الوفاق على أن بني فهر قرشيون. وعلى أن كنانة ليسوا بقرشيين. ووقع الخلاف في النضر ومالك.

واختلف في اشتقاقه على أوجه، أحدها: أنه من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم. قال الشاعر:

٤٦٥٠ أبونا قصي كان يدعى مجمعا. . . به جمع الله القبائل من فهر

والثاني: أنه من القرش وهو الكسب. وكانت قريش تجارا. يقال: قرش يقرش أي: اكتسب. والثالث: أنه من التفتيش. يقال قرش يقرش عني، أي: فتش. وكانت قريش يفتشون على ذوي الخلان ليسدوا خلتهم. قال الشاعر:

٤٦٥١ أيها الشامت المقرش عنا. . . عند عمرو فهل له إبقاء

وقد سأل معاوية ابن عباس. فقال: سميت بدابة في البحر يقال لها: القرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى وأنشد قول تبع:

٤٦٥٢ وقريش هي التي تسكن البح. . . ر سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تت. . . رك فيها لذي جناحين ريشا

هكذا في البلاد حي قريش. . . يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي. . . يكثر القتل فيهم والخموشا

ثم قريش: إما أن يكون مصغرا من مزيد على الثلاثة، فيكون تصغيره تصغير ترخيم. فقيل: الأصل: مقرش. وقيل: قارش، وإما أن يكون مصغرا من ثلاثي نحو القرش. وأجمعوا على صرفه هنا مرادا به الحي

ولو أريد به القبيلة لا متنعت من الصرف كقول الشاعر:

٤٦٥٣- غلب المساميح الوليد سماحة. . . وكفى قريش المعضلات وسادها

قال سيبويه في معد وقريش وثقيف وكنانة:» هذه للأحياء «وإن جعلتها اسما للقبائل فهو جائز حسن»

.

اهـ (الدر المصون) .." (١)

٨. "البصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

ثم قال تعالى: ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ ، أي: له مفاتيح خزائن السماوات والأرض. وواحد المقاليد إقليد وجمع على مقاليد **على غير قياس** كمحاسن، والواحد حسن. وقيل: واحدها مقليد. فهذا على لفظ الجمع.

فتحقيق المعنى: بيده خزائن الخير والبشر. فما يفتح من رحمته فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده /.

قال مجاهد: مقاليد: مفاتيح بالفارسية.

وقوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر﴾ ، أي: يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيق على من يشاء، يفعل ما يريد، ويعلم مصالح خلقه فيوسع على من لا تصلح حاله إلا (بالتوسيع) (ويضيق على من لا تصلح حاله إلا بالتضييق) .

﴿إنه بكل شيء عليم﴾ ، أي عالم بأحوال خلقه وما يصلحهم.

ثم قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ (أي: بين الله لكم أيها." (٢)

٩. "والأصل (السين) .

- ثم قال تعالى: ﴿مآ أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ .

" ما " ما جواب القسم. وهي نفي للجنون عن النبي A، لأن المشركين ر (موه) بالجنون مرة، وبالسحر مرة، وبالكهانة (مرة) . والجنون ستر العقل. ومنه قيل: جن عليه الليل وأجنة إذا ستره. ومنه: الجنين، لأنه كان مستورا في البطن، ومنه قيل للقبر: جنن منه سمي الجن حنا لاستتارهم عن أعين الناس. وسمع من العرب **على غير قياس**: أجن فهو مجنون. والقياس: مجن.

ثم قال تعالى: ﴿وإن لك لأجرا غير ممنون﴾ .

أي: إن لك، يا محمد، على صبرك على أذاهم لك ثوابا عظيما ﴿غير ممنون﴾ ، أي: غير منقوص ولا مقطوع، ومنه قيل حبل منين، أي: ضعيف.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، الزجاج ٥/٣٦٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ١٠/٦٥٦٦

وقيل: غير منقوص ولا مقطوع، ومنه قيل حبل منين، أي: ضعيف.

وقيل: ﴿غير ممنون﴾ أي: لا يمن به عليك.." [١]

١٠. "ورب الأرض ذات الصدع، أي: ذات الصدع بالنبات.

قال ابن عباس: ﴿ذات الرجع﴾ : " السحاب في المطر ".

وقال الحسن: " ترجع بأرزاق الناس كل عام ". وقاله قتادة.

وقال مجاهد: ﴿ذات الرجع﴾ : " السحاب يمطر ثم يرجع بالمطر ".

وقال ابن زيد: ﴿ذات الرجع﴾ : شمسها وقمرها ونجومها، يأتين من هاهنا. والرجع: تجمع على " رجعان " سماعا **على غير قياس**، وقياسه [أرجع] (ورجوع) .

قال ابن عباس: ﴿ذات الصدع﴾ أي: " ذات النبات ".

وقال قتادة: تنصدع عن النبات.

وقال ابن زيد: ﴿ذات الصدع﴾ أي: ذات الانشقاق للنبات.." [٢]

١١. "﴿كلا هدينا﴾ : وقف حسن، ﴿وإلياس﴾ : أيضا وقف عند أبي حاتم، ولا يحسن عند غيره، لأن بعده ﴿وإسماعيل﴾ معطوف عليه.

واختلف " الناس " في ﴿إلياس﴾ : فقيل: " هو " من ذرية هارون أخي موسى، بينهما ثلاثة آباء.

وقال ابن مسعود: إلياس هو إدريس.

وإدريس جد نوح، بينهما أربعة آباء. فمحال أن ينسب إلى نوح وهو جده الأعلى، والذي عليه " أهل " الأنساب: أن إلياس غير إدريس.

و ﴿اليسع﴾ : اسم أعجمي، جرى **على غير قياس**. وقد قال أبو عمرو:." [٣]

١٢. "والوافي ما أشرف على الشيء، ومنه وفاء العهد، وأوفى على كذا، أي أشرف عليه، والوافر: ما لم ينقص منه شيء، ومنه الوفر، وسقاء أوفر لم ينقص من أديمه شيء والذرية: الأولاد الصغار والكبار، وقيل هي للصغار، وقيل أصله من الذر، وقالت الفراء: أصله من ذريت وذروت، وقال أبو عبيدة: أصله الهمز من ذرأ الله الخلق، فترك همزة **على غير قياس**، والإمام في الأصل: الختم به محقا كان أو مبطلا، منه قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ ، وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ ، وفي إطلاق الشرع اسم للمقتدي به، المقتدي بالشرع، وهو أعم من النبي والخليفة إذ كل نبي وخليفة: إمام، وليس كل إمام ونبي خليفة، والكلمات قد تقع على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تحتلها، فقوله:

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٧٦١٨/١٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٨١٩٩/١٢

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٢٠٩١/٣

﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته﴾ أي: قضيته وحكمه وقال: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي﴾ أي؟ للمعاني التي تبرز بالكلمات ولم يرد اللفظ، فإن ما يحصره اللفظ يحصره الخط، والكلمات التي ابتلى بها مبهمة محتملة، وذكر المفسرون لها وجوها يصح أن تكون كلها مراده، فقيل: هي عشر سنن، همس في الرأس المضمضة، والاستنشاق، والفرق، وقص الشارب، والسواك، وخمس في الجسد تقليم الأظافر، ونتف الأبط، والختان، وحلق العانة، والاستنجاء، وقيل: هي خصال محمودة ذكر بعضهما في سورة/ التوبة، وبعضها في سورة/ المؤمنون، وبعضهما في سورة/ سأل سائل، وقد تقدم ذكرها في قوله: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ وقيل: هي مناسك الحج المذكورة في قوله: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ الآية، وكل ذلك عن ابن عباس، وقيل: في ابتلاؤه بالكوكب وبالقمر والشمس، وقيل: امتحانه بإنفاق ماله، وهجر أوطانه، وذبح ولده، وإلقائه في النار فلما لم يؤثر على اختبار الله في شيء من ذلك قال فيه: (فأتمهن)." (١)

١٣. ""إبد"، أي تلد كل عام.

وقال بعضهم بسم - بضم بين كسرتين -.

والضم فيه لغة، وأنشد البيت بالوجهين، ثم سكن السين، إذ ليس في كلامهم خروج من كسر إلى ضم بناء لازما. وهذان القولان أشد موافقة للإمام، لأنه فيه بغير ألف.

وفي الاسم لغات، اسم، واسم - بالضم -، وسم - بالكسر -.

وسم - بالضم -، وسمى مثل هدى، واشتقاقه من السمو، لأن الاسم يسمو مسماه، ويعلوه، وأصله سمو كقنو وحنو، نقل الإعراب من اللام إلى العين، وحذف اللام، ونقل سكون العين إلى الفاء **على غير قياس.**

فتعذر الابتداء به، لسكونه، فزيد في أوله ألف الوصل توصلا إلى النطق به.

وليكون جبرا له من حذف لامه، وإذا جمع رد إلى الأصل، وكذلك في التصغير، تقول في الجمع: أسماء كأقناء وأحناء، وفي التصغير، سمي كقني وحني.

وذهب الكوفيون إلى: أن اشتقاقه من السمة، وأصله وسم،." (٢)

١٤. "والغريب: ما قيل: الفوم كل لقمة كبيرة، وقطعة من اللحم عظيمة. (أدنى)

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني ٣٠٩/١

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، برهان الدين ٩٠/١

أقرب قيمة وأقل ثمنا، من قوله: "هذا شيء مقارب".

وقيل: أصله، أدناء - بالهمز - من الدناءة، وهي الخسة، وقرىء في الشواذ - بالهمز - فحذف همزه **على غير قياس**، وقيل: هو مقلوب أدون من الدون.

قوله: (والنصارى والصابئين) .

وقال في الحج: (والصابئين والنصارى) .

وقال في المائدة: (والصابئون والنصارى) .

لأن النصارى مقدم على الصابئين في الرتبة، لأنهم أهل كتاب.

فقدمهم في البقرة. والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان، لأنهم كانوا

قبلهم، فقدمهم في الحج. وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ

وأخرهم في التقدير، لأن تقديره عند البصريين، وأكثر الكوفيين التأخير على

معنى والصابئون كذلك، وأنشدوا:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله. . . فإني وقيار بها لغريب

أي فإني لغريب وقيار كذلك -

قوله: (قردة خاسئين) .

الجمهور على أنهم صاروا قردة، وكل شيء مسخ لم يأكل ولم يشرب

حتى مات. وقيل: عاشوا حتى صار لهم نسل وأولاد.

الغريب: قول مجاهد: مسخت قلوبهم، وإن هذا مثل." [(١)]

١٥. "بـ (ينفقون) ، ويراعى في جواب (ماذا) المطابقة في الرفع رفعا وفي النصب نصبا.

قوله (في الدنيا) .

يجوز أن يتعلق ب "يتفكرون " ويجوز أن يتعلق بـ (يبين) .

قوله: (عن اليتامى)

جمع يتيم **على غير قياس**، والفعل منه يتم

- بالكسر - يتما ويتما، وحكى الفراء: يتم - بالضم -.

والغريب: أنه جمع يتمان، ويتمان كندمان ونديم.

قوله: (فإخوانكم) أي فهم إخوانكم.

قوله: (ولأمة مؤمنة خير) .

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، برهان الدين ١/١٤٥

أي خير نكاحا من مشركة، أي في حرة مشركة، و (أمة) من بنات
الواو، تقول: أمة بينة الأموة، ووزنها فعلة، ك "أكمة".
وجمعها إماء ك "إكام"، حذف لامه فوزنه على اللفظ فعة.
قوله: (عن المحيض) .
أي عن الحيض، تقول: حاضت تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا.
ومثله: كال يكيل كيلا ومكيلا ومكالا.
والحيض صالح للمصدر ولزمان الحيض ولمحل الحيض.
قوله: (حتى يطهرن) – بالتخفيف. ينقين بانقطاع الدم، – وبالتشديد – يغتسلن.
والغريب: أن يجعل المشدد بمعنى المخفف، ك تقطع وانقطع
وتكسر وانكسر، ويحمل على ما دون العشرة.
قوله: (من حيث أمركم الله)
أي أمركم باجتنابه، وقيل: أي في الطهر لا في الحيض.." (١)

١٦. "﴿إنها عليهم مؤصدة (٨) في عمد ممددة (٩) ﴾

﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ مطبقة مغلقة. ﴿في عمد ممددة﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿في عمد﴾ بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما، كقوله تعالى: "رفع السموات بغير عمد ترونها" (الرعد -٢) وهما جميعا جمع عمود، مثل: أديم وأدم [وأدم] (١) ، قاله الفراء (٢) .
وقال أبو عبيدة: جمع عماد، مثل: إهاب وأهب وأهب (٣) .
قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد.
[وقيل: "في عمد ممددة] : (٤) في أعناقهم الأغلال السلاسل.
[وقيل: "هي عمد ممددة": على باب جهنم] (٥) ، سدت عليهم بها الأبواب [لا يمكنهم الخروج] (٦)
.
وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار.
وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة، وهي في قراءة عبد الله "بعمد" بالباء.
قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، برهان الدين ٢١٣/١

(١) ساقط من "ب".

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٩١.

(٣) قال الفيومي في "المصباح المنير" ١ / ٢٨: "الإهاب: الجلد. . والجمع: أهب" بضمتين على القياس مثل: كتاب وكتب، وبفتحتين **على غير قياس**. قال بعضهم: وليس في كلام العرب فعال يجمع على فعل بفتحتين إلا إهاب وأهب، وعماد وعمد.

(٤) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٥) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٦) ما بين القوسين ساقط من "ب".." [1]

١٧. "- وذكر خبرا مطولا عند الآية أو كالذي مر على قرية ... [البقرة: ٢٥٩] .

- وذكر خبرا عند قوله تعالى: فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله ... [آل عمران: ٥٢] .

- وذكر خبر نزول المائدة وما فيها وما عليها عند قوله تعالى: قال الله إني منزلها عليكم ... [المائدة: ١١٥] .

ترجمة الإمام البغوي (٤٣٦- ٥١٦)

١- التعريف به:

هو الإمام الجليل العلامة الحافظ المسند الفقيه المفسر المقرئ، صاحب المصنفات التي اشتهرت في الآفاق، أحد من قام في عصره بنشر علوم الإسلام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

٢- نسبته:

اشتهرت نسبته بالبغوي، وينسب أحيانا بالفراء أو ابن الفراء، نسبة لعمل أو بيع الفراء.

- أما نسبته البغوي، فهي إلى «بغ» أو «بغشور» والنسبة إلى بغشور **على غير قياس.**

- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ١/ ٤٦٧:

بغشور بليدة بين هراة ومرو الروذ، شهر بهم من آبار عذبة، وهم في برية ليس عندهم شجرة واحدة، ويقال لها بغ أيضا، رأيتها في شهور سنة ٦١٦ والخراب فيها ظاهر، وقد نسب إليها خلق كثير من الأعيان.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة، البغوي ، أبو محمد ٨/٥٣١

- وقال الفيروزآبادى: بغشور ... وهو معرب كوشور، أي الحفرة المالحة.
- وقال الزبيدي في «تاج العروس» ٢/ ٥٤:
وهذا تعريف غريب فإن- بغ- بالفارسية البستان، ولا ذكر للحفرة في الأصل، إلا أن يقال: إن أرض البستان دائما تكون محفورة.

٣

- ولادته ونشأته وحياته العلمية:
- ولد رحمه الله سنة ٤٣٣ بذلك جزم ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٤٦٧.
- نشأ في بلدته بغشور، وبها طلب العلم أولا، فما زال يجد ويجتهد في تحصيل علوم الشريعة، وبخاصة تفقهه بمذهب الشافعي حتى كان يميل فيه إلى الترجيح والتحقيق، من غير تعصب لمذهبه بل كان يطلع على أقوال باقي الأئمة، ويتعرف على أدلتهم.
- ومع ذلك كان يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة.
- ولم يكتف بما حصله من علوم في بلدته بل رحل في طلب المزيد، فرحل إلى مرو الروذ فالتقى هناك بالإمام الفقيه القاضي الحسين بن محمد المروروذي الشافعي فأخذ عنه، وتفقه عليه، ولازمه زمنا، وروى عنه.
- ثم رحل وطاف بلاد خراسان كطوس وسرخس وغير ذلك، وسمع خلقا كثيرا من الحفاظ الأثبات، وروى عنهم كتب الصحاح والسنن والمسانيد والأجزاء، وجالس علماء اللغة وحمل عنهم الكثير.." (١)

١٨. "[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٧٤ الى ٧٩]

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين (٧٤) وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين (٧٥) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (٧٧) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (٧٨)
إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (٧٩)
آزر اسم أبى إبراهيم عليه السلام. وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح. والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم، وهو عطف بيان لأبيه. وقرئ

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث، البغوي ، أبو محمد ١/٢٧

«آزر» بالضم على النداء. وقيل «آزر» اسم صنم، فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته، كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن، فقيل ابن قيس الرقيات. وفي شعر بعض المحدثين:

أدعى بأسماء نبزا في قبائلها ... كأن أسماء أضحت بعد أسمائى «١»

أو أريد عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقرئ ءأزر تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة، وهو اسم صنم. ومعناه: أتعبد آزرا على الإنكار؟ ثم قال: تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا، وهو داخل في حكم الإنكار، لأنه كالبيان له

فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه «٢»

---

(١) . يقول: ينادونني بلفظ «أسماء» شتما لي بين قبائلها: أى قبائل المحبوبة. ففيه استخدام. كأن أسماء، أى هذا اللفظ، أضحت: أى صارت بعض أسمائى. وأصل أسماء عند سيبويه: وسماء، من الوسامة وهي الحسن والجمال. قلبت واوه همزة **على غير قياس**. كما في أحد. وعند المبرد جمع اسم. وبين أسماء وأسمائى الجناس التام.

وعلى اعتبار ياء المتكلم فهو من الناقص.

(٢) . قال محمود: «قوله فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه ... الخ» قال أحمد: وفي الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتى من استدلال إبراهيم عليه السلام وأنه تبصير له من الله تعالى وتسديد. [.....]."[١]

١٩. "ومعناه: خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين، أحدهما: أن نبين قدرتنا. والثاني: أن نقر في الأرحام من نقر، حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم. ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس. ويحتمل: نخرج كل واحد منكم طفلا. الأشد: كمال القوة والعقل والتمييز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة «١» والقتود والأباطيل وغير ذلك، وكأنها شدة في غير شيء واحد، فبنيت لذلك على لفظ الجمع. وقرئ: ومنكم من يتوفى، أى يتوفاه الله أرذل العمر الهرم والخرف، حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته: ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم. بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام، فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهى به إلى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أى: ليصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك: من هذا؟ فتقول:

فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه. وقرأ أبو عمرو: العمر، بسكون الميم. الهامدة: الميتة اليابسة.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٣٩/٢

وهذه دلالة ثانية على البعث، ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة، كررها الله في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت، وقرئ: ربأت، أى ارتفعت. البهيج:
الحسن السار للناظر إليه.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٦ الى ٧]
ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧)
أى: ذلك الذي ذكرنا من خلق بنى آدم وإحياء الأرض، مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف، حاصل بهذا وهو السبب في حصوله، ولولاه لم يتصور كونه، وهو بأن الله هو الحق أى الثابت الموجود، وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور، وأنه حكيم لا يخلف ميعاده، وقد وعد الساعة والبعث، فلا بد أن يفي بما وعد.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٨ الى ١٠]
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩) ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠)

---

(١) . قوله «من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل» الذي في الصحاح «السد» بالفتح: واحد الأسدة وهي العيوب اه وهي مثل العمى والصمم والبكم على غير قياس، وكان قياسه: سدود.
والقتد: خشب الرحل، وجمعه: قتود وأقتاد. والباطل: ضد الحق، والجمع أباطيل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطيلا. وفيه أيضا قوله تعالى حتى يبلغ أشده أى قوته وهو واحد جاء على بناء الجمع، مثل «آنك» وهو الأسرب، ولا نظير لهما، ويقال له: جمع لا واحد له من لفظه، مثل: أبابيل، وعباديد، ومذاكير. (ع)." [١]

٢٠. "فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم. وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته. وقوله على ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للمفصل. والمعنى: على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه. وفيه إيذان باقتدار المذهب، وأنه لا يتعايى

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ١٤٥/٣

عليه شيء إذا أراده، وهو أبلغ في الإيعاد، من قوله: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم، ويخافوا نفارها إذا لم تشكر.

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ١٩ الى ٢٠]

فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (٢٠)

خص هذه الأنواع الثلاثة، لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع. ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين: بأنه فاكهة يتفكه بها، وطعام يؤكل رطبا ويابسا، رطبا وعنبا، وتمرا وزبيبا. والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا. ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم: يأكل فلان من حرفة يحترفها، ومن ضيعة يغتلها، ومن تجارة يتربح بها: يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه، كأنه قال: وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم، منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات. وقرئت مرفوعة على الابتداء، أى: ومما أنشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف إليه، كامرئ القيس، وكبعلبك، فيمن أضاف. فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث، لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء.

ومن فتح فلم يصرف، لأن الألف للتأنيث كصحراء. وقيل: هو جبل فلسطين. وقيل: بين مصر وأيلة. ومنه نودي موسى عليه السلام. وقرأ الأعمش: سينا على القصر بالدهن في موضع الحال، أى: تنبت وفيها الدهن. وقرئ: تنبت. وفيه وجهان، أحدهما: أن أنبت بمعنى نبت. وأنشد لزهير:

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتي إذا أنبت البقل «١»

---

(١).

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ... ونال كرام الناس في الجحرة الأكل

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ... قطينا بها حتى إذا أنبت البقل

هنالك إن يستخولوا المال يخولوا ... وإن سئلوا يعطوا وإن يسروا يغلوا

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

لزهير بن أبى سلمي يمدح سنان بن أبى حارثة، والشهباء: الفرس يخالط سوادها بياض، شبه بها السنة المجدبة لكثرة بياض أرضها وخلوها عن سواد النبات والأمطار. أو لاختلاط نور الغنى فيها بظلمة الفقر. أجحفت بالناس:

أى ذهبت بهم ومحقت عنهم آثار الغنى، والاسناد مجاز عقلى. والجحرة- بتقديم الجيم المفتوحة-: السنة المجدبة وروى: في الحجرة. وأصلها بالتحريك، فسكونها لغة أو ضرورة وهي شدة الشقاء. ويجوز أن تقرأ بالضم بمعنى البيت، أى: ونال الأكل كرام الناس. ووصلهم داخل بيوتهم لبخلهم تلك السنة. ويروى: كرام المال. والمعنى أن كرائم الأموال نالها التأكل والتنقص في تلك السنة لجديها. ورأيت: جواب إذا. وذوى الحاجات: كناية عن الفقراء. حول بيوتهم: أى سنان وقومه. قطينا: أى مقيمين، فهو يطلق على الواحد والمتعدد. وقيل أنه جمع. ويروى قطينا لهم: أى مساكنين لهم عند البيوت، وذلك كناية عن كرمهم، حتى إذا أنبت البقل: أى نبت النبات الرطب وظهر الخصب، فهنالك: أى في ذلك الزمان إن يسألهم أحد أن يخولوه مالا كثيرا يخولوه: أى يولوه عليه. وإن سئلوا مالا قليلا يعطوا السائل. ويروى: إن يستخبلوا المال يخبلوا، بالموحدة، يستعر: أى منهم أحد إبلهم للانتفاع بألبانها وأوبارها زمن الجدب ثم يردها: أعاروه، وإن سألهم الإعطاء من غير رد أعطوه فلا يردون سائلا. وإن يسروا: أى لعبوا الميسر، يغلوا: أى يجعلوا الخطر غاليا كثيرا لعدم خوفهم على الفقراء لأن المال كثير بخلاف زمن الجدب. ويجوز أن يقرأ: وإن يسروا أى أعطوا بلا سؤال، يفلوا بالفاء. أى يتفقدوا الفقراء ويعطوهم، يقال: يسر كوعد: لعب الميسر، ويسر كترب وتعب: لأن ورق ورفق. وروى:

يسألوا وييسروا بالمضارع. والمقامات: المجامع من الناس. وروى: وجوهها. وعلى كل فالضمير للمقامات. والأندية- جمع الندى- بمعنى الكرم، **على غير قياس**، ينتابها: أى يجرى عليها نوبة بعد نوبة قولهم وفعلهم.

أو يتداولها قول الناس وفعلهم. ويحتمل أنها جمع ناد بمعنى متحدث القوم. أو ندى على فعيل كذلك، ينتابها:

أى يجيئها نوبة بعد نوبة القول والفعل، أى: الصالحات.." (١)

٢١. "غضب الله في حرمته، وكيف بالغ في نفى التهمة عن حجابه. فإن قلت: إن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات «١» ؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يخصص بأن من قذفهن فهذا الوعيد لا حق به، وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت المرادة أولا.

والثاني: أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان، كما قال:

قدنى من نصر الخبيبين قدى «٢»

أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه، وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه، وكان مضعوفا «٣» ، وكنيته المشهورة

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ١٨٠/٣

أبو بكر، إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة. فإن قلت: ما معنى قوله هو الحق المبين؟ قلت: معناه ذو الحق البين، أى: العادل الظاهر العدل، الذي لا ظلم في حكمه، والمحق الذي لا يوصف بباطل. ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن، فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه.

---

(١) . قال محمود: «إن كانت عائشة هي المرادة، فلم جمع؟ قلت: المراد إما أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن، وإما عائشة وجمعت إرادة لها ولبناتها، كما قال:

قدنى من نصر الخبيبين قدى

يعنى عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان يكنى أبا خبيب» قال أحمد: والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه، لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات، فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم، على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت وأرادت يوسف، تهويلا عليه وإرجافا، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

(٢) .

قدنى من نصر الخبيبين قد ... ليس الامام بالشحيح الملحد

ولا يوتن بالحجاز مفرد ... إن ير يوما بالقضاء يصطد

أو ينجحر فالجحر شر محكد

لحميد الأرقط. وقيل: لأبى بحدلة يخاطب عبد الملك بن مروان. وقدنى: بمعنى حسبي. وكرر للتوكيد. والخبيبين يروى بصيغة التثنية، يعنى عبد الله بن الزبير وابنه خبيب، وكانوا إذا ذموه كنوه بأبى خبيب بالتصغير. ويروى بصيغة الجمع، يعنى: عبد الله وشيعته، كان ادعى الخلافة فقال الشاعر: لا يكون الامام شحيحا أى بخيلا، ولا ملحدا أى محتكرا أو محاربا في الحرم. والإلحاد: الميل. والوتن بالسكون، والواتن بالمثناة، وبالمثلثة: الثابت الدائم، يوصف به الماء ونحوه. ويروى: يوبر، والوبر حيوان صغير ذليل لا ذنب له يحبس ويعلف، ومفرد: يروى بالفاء وبالقاف. وقرد الرجل: سكت من عي. وأفرد: سكن وتماوت. وأقردت الشيء: جمعته وصممته وهو منه. ويصطد: مبنى للمجهول، وهو يناسب رواية وبر. والانجحار: دخول الجحر. والمحكد. الملجأ والمهرب. وحاشا لابن الزبير أن يكون ملحدا.

(٣) . قوله «وكان مضعوفا» في الصحاح: أضعفت الشيء فهو مضعوف، **على غير قياس**. (ع)."

(١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٣/٢٢٤

٢٢. "ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين، وإذا ظن موسى عليه السلام كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا، فقد ظن أن في الوجود إلها غيره، ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين، بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم، ولما تعب في بنائه ما تعب، لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام، وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته، حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان، وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته، وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض. ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم: من أنهم راموا نيل أسباب السماوات بصرح يبنونه، وليت شعري، أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك سن عقولهم، حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك؟ أم كان في نفسه بتلك الصفة؟ وإن صح ما حكى من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم، فنهكم به بالفعل، كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة. ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين، كقوله:
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج «١»
ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين، وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم.
أو لم تخف عليهم، ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه، وإنما قال فأوقد لي يا هامان

---

(١).
وكل تباريح المحب لقيتها ... سوى أنني لم ألق حتفي بمرصدى
نصحت لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهدى
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارس المسرد
لدريد بن الصمة، ينذر قومه بهجوم العدو. ودريد: هو معاوية بن الحرث بن بكر بن علقمة الجثمي: قتل مشركا يوم حنين، أى: كل الشدائد التي يلقاها المحب من محبوبه لقيتها. والحتف: الهلاك. والمرصد، والمرصاد:
الطريق، وفي إضافته لنفسه معنى لطيف، أى: لم أسلك طريقا فيه حتف لي، بل أسلك غيره فطر بقي لا ضرر فيه. ونصحه ونصح له: خلص وصفا. والشهد- بالتشديد: جمع شاهد. ودججه تدجيجا: غطاه تغطية. والدجة- بالتشديد-: الظلمة. والدج: المشي بتؤدة. والمدجج: التام السلاح. وقيل: هو بالفتح: الفرس، وبالكسر:
الفارس. والسراة: السادة الأشراف بفتح السين، وهي في الأصل: أعلى ظهر الحيوان، فاستعيرت لهم، وقد تضم، فوزنها «فعلة» جمع سرى وزن فعيل **على غير قياس**، إذ قياسه أفعلاء، وهو في الأصل: النهر

الصغير:

استعير للخير الرئيس، والفارس: الدروع المعمولة بفارس. والسرد والتسريد: متابعة النسج، يقول: أيقنوا بهجوم جيش عظيم. والألفان: كناية عن الكثرة، أى: جيش كثير مغطى بالسلاح، أشرافه في الدروع الفارسية المتتابعة النسج. والظرفية دالة على سبوغ الدروع لهم. ويروى المسود بالواو وليس بذاك.." [1]

٢٣. "يريد: ونفيت عنه الذئب. فإن قلت: لم قال جنتان؟ قلت: الخطاب للثقلين، فكأنه قيل: لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الإنسى، وجنة للخائف الجنى. ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي، لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل، كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة خص الأفنان بالذكر: وهي الغصنة «١» التي تتشعب من فروع الشجرة، لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتنى الثمار. وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قال:

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا ... لهوت به والعيش أخضر ناضر «٢»

عينان تجريان حيث شاءوا في الأعالي والأسافل. وقيل: تجريان من جبل من مسك.

وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال: إحداهما التسنيم، والأخرى: السلسبيل زوجان صنفان: قيل: صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب على المدح الخائفين. أو حال منهم، لأن من خاف في معنى الجمع بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين، وإذا كانت البطائن من الإستبرق، فما ظنك بالظهائر؟ وقيل: ظهائرها من سندس. وقيل: من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم. وقرئ: وجنى، بكسر الجيم.

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٥٦ الى ٦١]

فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٥٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٧) كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الإحسان إلا الإحسان (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١)

---

(١) . قوله «وهي الغصنة» جمع غصن، كقرطة جمع قرط. أفاده الصحاح. (ع) [.....]

(٢) . الأفنان: جمع فنن، وهو الغصن كثير الورق، فيكون شبه اللذات والصبا: بروضة أو شجرة ذات أفنان على طريق المكنية. وإثبات الأفنان: تخييل. ويجوز أنه جمع فن، أى: نوع وصف **على غير قياس**، كصحب وأصحاب. واللذاذات: جمع لذاذة، وهي اللذة. ويروى: اللذاذة بالافراد. والصبا: الشباب أو

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٤١٤/٣

هوى النفس.

ومن بمعنى بعض على طريقة الزمخشري، أى: وبعض الأفنان لهوت، أى: تمتعت به. والجمهور يجعلون نحو هذا مما حذف فيه الموصوف، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، لتقدم مجرور يدل عليه، فمن كل: خبر مقدم، ولهوت:

صفة لمحذوف مبتدأ مؤخر، أى: صنف لهوت به، لكن المعنى على الاخبار باللهو، فلا بد من المصير إلى رأى الزمخشري. أو جعل الجار والمجرور صفة للمبتدإ، ولهوت خبرا وإن لم يتقدم المجرور على الصفة. ويجوز أن «من كل» معمول لمحذوف يفسره المذكور، أى: تمتعت من كل الأفنان لهوت به، والواو للحال، أى: والحال أن العيش أخضر، أى رطب لين ناضر حسن، نشبه العش بروض يافع. والخضرة تخييل.." (١)

٢٤. "ويطلع على أحواله من هداه وضلاله، فيجازيه على حسب ذلك. وهذا وعيد. فإن قلت: ما متعلق أرأيت؟ قلت: الذي ينهى مع الجملة الشرطية، وهما في موضع المفعولين. فإن قلت:

فأين جواب الشرط؟ قلت: هو محذوف، تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى. وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني. فإن قلت: فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط؟ قلت: كما صح في قولك: إن أكرمتك أتكرمني؟ وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟ فإن قلت: فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعول أرأيت؟

قلت: هي زائدة مكررة للتوكيد. وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع لأبى جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات، ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار.

والسفع: القبض على الشيء وجذبه بشدة. قال عمرو بن معديكرب:

قوم إذا يقع الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره أو سافع «١»

وقرئ: لنسفعن، بالنون المشددة. وقرأ ابن مسعود، لأسفعا. وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف، ولما علم أنها ناصية المذكور: اكتفى بلام العهد عن الإضافة ناصية بدل من الناصية، وجاز بدلها عن المعرفة، وهي نكرة، لأنها وصفت فاستقلت بفائدة. وقرئ: ناصية، على: هي ناصية. وناصية بالنصب. وكلاهما على الشتم.

ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازى. وهما في الحقيقة لصاحبها. وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ. والنادي: المجلس الذي ينتدى فيه القوم. أى يجتمعون. والمراد: أهل النادي. كما قال جرير:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٤/٤٥٢

لهم مجلس صهب السبال أذلة «٢»

---

(١) . لحميد بن ثور الهلالي الصحابي، أى: هم قوم إذا نفع الصريخ، أى: ارتفع الصياح للحرب أسرعوا إليها فتراهم دائرين بين ملجم مهره وسافع، أى: قابض بناصية مهره، ويجذبه إليه بسرعة. ومن زائدة، ولو كانت في الإثبات. وأو بمعنى الواو. ويروى: إذا يقع بالياء، أى: يحصل. ويروى: إذا هتف، أى: صاح، فيكون كجد جده. ويجوز أن الصريخ بمعنى الصارخ. ويروى: إذا سمعوا الصريخ فهو مفعول. ويروى: ما بين ملجم.

وهذا مما يؤيد أن «من» في تلك الرواية زائدة.

(٢) .

لهم مجلس صهب السبال أذلة ... على من يعاديهم أشداء فاعلم

يقول: لهم مجلس يجتمعون فيه. أو لهم قوم مجتمعون جالسون، ولا ترى ذلك إلا في الرؤساء الأشراف. وصهب للسبال: صفة لمرجع الضمير في لهم على الأول، وصفة لمجلس على الثاني، لأنه بمعنى الجالسين. والصهبة: حمرة ترهق السواد. والصهب: جمع أصهب. والسال: طرف الشارب جانب الفم، وتلك الصهبة من خواص الروم، وهو كناية عن الغلظة والشدة، وأذلة: أى فيما بينهم أشداء على من يعاديهم. وقدم المعمول للحصر، فاعلم ذلك وتيقنه فهو حق. ويروى بدل الشطر الثاني:

سواسية أحرارها وعبيدها

وسواسية كطواعية جمع سواء **على غير قياس**. وقيل: اسم جمع بمعنى مستوين. يعنى: أنهم مستوون في الشرف وكمال الأخلاق، ولولا مقام المدح لكان من قبيل التوجيه، لاحتماله لوجه الذم أيضا. وأما إن قرئ بالكسر والتشديد، فهو منسوب السواس وهو التمرين على حسن السير، يعنى أن جميعهم رؤساء، ولكن الأول أوجه. ومنه الحديث: «الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمى إلا بالتقوى» كما في ترجمة شرح القاموس.." (١)

٢٥. "لا يكون إلا في الأسماء، أو ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما نحو الكاف في قول الأعشى:

[البسيط] .

أتنتهون ولا ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وحذفت الألف من بسم الله في الخط اختصارا وتخفيفا لكثرة الاستعمال. واختلف النحاة إذا كتب «باسم الرحمن وباسم القاهر» فقال الكسائي وسعيد الأخفش: «يحذف الألف» . وقال يحيى بن زياد:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٤/٧٧٨

«لا تحذف إلا مع بسم الله فقط، لأن الاستعمال إنما كثر فيه» .
قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: فأما في غير اسم الله تعالى فلا خلاف في ثبوت الألف. واسم أصله سمو بكسر السين أو سمو بضمها، وهو عند البصريين مشتق من السمو. يقال: سما يسمو، فعلى هذا تضم السين في قولك سمو ويقال: سمي يسمى فعلى هذا تكسر، وحذفت الواو من سمو، وكسرت السين من سم، كما قال الشاعر: [الرجز] .
باسم الذي في كل سورة سمه وسكنت السين من بسم اعتلالا **على غير قياس**، وإنما استدل على هذا الأصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير سمي، وفي الجمع أسماء، وفي جمع الجمع أسامي.
وقال الكوفيون: أصل اسم وسم من السمة، وهي العلامة. لأن الاسم علامة لمن وضع له، وحذفت فاؤه اعتلالا **على غير قياس**، والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي. وأما المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال في التصغير وسيم، وفي الجمع أوسام، لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها. وقد ذكر بعض المفسرين في هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد؟
وقال الطبري رحمه الله: إنه ليس بموضع للمسألة، وأنحى في خطبته على المتكلمين في هذه المسألة ونحوها، ولكن بحسب ما قد تدوول القول فيها، فلنقل إن الاسم كزيد وأسد وفرس قد يرد في الكلام ويراد به الذات، كقولك زيد قائم والأسد شجاع، وقد يراد به التسمية ذاتها، كقولك أسد ثلاثة أحرف، ففي الأول يقال الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى وفي الثاني لا يراد به المسمى. ومن الورود الأول قولك يا رحمن اغفر لي، وقوله تعالى: الرحمن علم القرآن [الرحمن: ١] ومن الورود الثاني قولك: الرحمن وصف لله تعالى. وأما اسم الذي هو ألف وسين وميم، فقد يجري في لغة العرب مجرى الذات. يقال: ذات، ونفس، واسم، وعين، بمعنى. وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى:
سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى: ١] وقوله تعالى: تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام [الرحمن: ٧٨] . وقوله تعالى: ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم [يوسف: ٤٠] .
وعضدوا ذلك بقول لبيد: [الطويل] .
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر." (١)

٢٦. "وقالوا: إن لبيدا أراد التحية، وقد يجري «اسم» في اللغة مجرى ذات العبارة، وهو الأكثر من استعمالها، فمنه قوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها [البقرة: ٣١] على أشهر التأويلات فيه. ومنه قول النبي عليه السلام: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة» ، وعلى هذا النحو استعمل النحويون الاسم في تصريف أقوالهم فالذي يتنخل من هذا: أن الأسماء قد تجيء يراد بها ذوات المسميات، وفي هذا يقال الاسم هو المسمى، وقد تجيء يراد بها ذواتها نفسها لا مسمياتها. ومر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٦٢/١

بي أن مالكا رحمه الله سئل عن الاسم أهو المسمى؟ فقال: «ليس به ولا هو غيره» ، يريد دائما في كل موضع، وهذا موافق لما قلناه، والمكتوبة التي لفظها الله أبهر أسماء الله تعالى وأكثرها استعمالا، وهو المتقدم لسائرها في الأغلب، وإنما تجيء الأخر أوصافا، واختلف الناس في اشتقاقه، فقالت فرقة من أهل العلم: «هو اسم مرتجل، لا اشتقاق له من فعل، وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى، والألف واللام لازمة له لا لتعريف ولا لغيره، بل هكذا وضع الاسم» . وذهب كثير من أهل العلم إلى أنه مشتق من أله الرجل إذا عبد، وتأله إذا تنسك. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

لله در الغانيات المده ... سبحن واسترجعن من تألهي

ومن ذلك قول الله تعالى: ويذرك وآلهتك [الأعراف: ١٢٧] على هذه القراءة فإن ابن عباس وغيره قال: وعبادتك، قالوا: فاسم الله مشتق من هذا الفعل، لأنه الذي يألهه كل خلق ويعبده، حكاه النقاش في صدر سورة آل عمران فإلاه فعال من هذا.

واختلف كيف تعلل إله حتى جاء الله، فقيل: حذفت الهمزة حذفا **على غير قياس** ودخلت الألف واللام للتعظيم على لاه، وقيل بل دخلتا على اله ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فجاء اللاه ثم أدغمت اللام في اللام. وقيل إن أصل الكلمة لاه، وعليه دخلت الألف واللام، والأول أقوى.

وروي عن الخليل أن أصل إله ولاه وأن الهمزة مبدلة من واو كما هي في إشاح ووشاح وإسادة ووسادة، وقيل إن أصل الكلمة ولاه كما قال الخليل إلا أنها مأخوذة من وله الرجل إذا تحير، لأنه- تعالى- تتحير الألباب في حقائق صفاته، والفكر في المعرفة به، وحذفت الألف الأخيرة من «الله» لئلا يشكل بخط اللات، وقيل طرحت تخفيفا، وقيل هي لغة فاستعملت في الخط ومنها قول الشاعر ابن الأعرابي: [الرجز]

أقبل سيل جاء من أمر الله ... يحرد حرد الجنة المغلة

والرحمن صفة مبالغة من الرحمة، ومعناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل على الانتهاء سكران وغضبان، وهي صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، وفعيل أبلغ من فاعل، لأن راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيما يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن النهاية في الرحمة. وقال بعض الناس: «الرحمن الرحيم» بمعنى واحد، كالندمان والنديم، وزعم أنهما من فعل واحد، ولكن أحدهما أبلغ من الآخر. وأما المفسرون فعبروا عن «الرحمن الرحيم» بعبارات، فمنها أن العرزمي قال: «معناه: الرحمن بجميع خلقه في الأمطار، ونعم الحواس، والنعم العامة، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم» ومنها أن أبا سعيد الخدري وابن مسعود رويا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٦٣/١

٢٧. "صلى الله عليه وسلم خطاب أمته، و «الولي» فعيل من ولي إذا جاور ولحق، فالناصر والمعين والقائم بالأمر والحافظ كلهم مجاور بوجه ما، و «النصير» فعيل من النصر، وهو أشد مبالغة من ناصر.
وقوله تعالى: أم تريدون: قالت فرقة: أم رد على الاستفهام الأول، فهي معادلته.
وقالت فرقة أم استفهام مقطوع من الأول، كأنه قال: أتريدون، وهذا موجود في كلام العرب.
وقالت فرقة: أم هنا بمعنى بل وألف الاستفهام، قال مكي وغيره: وهذا يضعف لأن «أم» لا تقع بمعنى بل إلا إذا اعترض المتكلم شك فيما يورده.
قال القاضي أبو محمد: وليس كما قال مكي رحمه الله، لأن «بل» قد تكون للإضراب عن اللفظ الأول لا عن معناه، وإنما يلزم ما قال على أحد معنيي «بل» وهو الإضراب عن اللفظ والمعنى، ونعم ما قال سيبويه: بل هي لترك كلام وأخذ في غيره.
وقال أبو العالية: إن هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني إسرائيل بتعجيل العقوبة في الدنيا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بني إسرائيل. وتلا: ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
. [النساء: ١١٠] .
قال القاضي أبو محمد: فتجيء إضافة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأمة على هذا حسب الأمر في نفسه وحسب إقرارهم.
وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن رافع بن حريملة اليهودي سأل النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك، وقيل: إن كفار قريش سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالله جهرة، وقيل: سألوه أن يأتي بالله والملائكة قبيلا، وقال مجاهد: سألوه أن يرد الصفا ذهبا، فقال لهم: خذوا ذلك كالمائدة لبني إسرائيل، فأبوا ونكصوا.
قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: فتجيء على هذه الأقوال إضافة الرسول إليهم حسب الأمر في نفسه، لا على إقرارهم، وكما سئل موسى عليه السلام هو أن يرى الله جهرة. وقرأ الحسن بن أبي الحسن وغيره «سيل» بكسر السين وياء وهي لغة، يقال: سلت أسال، ويحتمل أن يكون من همز أبدل الهمزة ياء **على غير قياس** ثم كسر السين من أجل الياء، وقرأ بعض القراء بتسهيل الهمزة بين الهمزة والياء مع ضم السين، وكني عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر بالتبدل، وقال أبو العالية: «الكفر هنا الشدة، والإيمان الرخاء» .
قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، إلا أن يريدهما مستعارتين، أي الشدة على نفسه والرخاء لها عبارة عن العذاب والتنعيم، وأما المتعارف من شدة أمور الدنيا ورخائها فلا تفسر الآية به، وضل أخطأ

الطريق، و «السواء» من كل شيء الوسط والمعظم، ومنه قوله تعالى في سواء الجحيم [الصافات: ٥٥] .." (١)

٢٨. "قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وهذا على من يجعل الأمر المنتظر أوامر الشرع أو قتل قريظة وإجلاء النضير، وأمر من يجعله آجال بني آدم فيترتب النسخ في هذه الآية بعينها، لأنه لا يختلف أن آيات الموادعة المطلقة قد نسخت كلها، والنسخ هو مجيء الأمر في هذه المقيدة، وقيل: مجيء الأمر هو فرض القتال، وقيل: قتل قريظة وإجلاء النضير، وقال أبو عبيدة في هذه الآية: إنها منسوخة بالقتال، لأن كل آية فيها ترك القتال فهي مكية منسوخة.

قال القاضي أبو محمد: وحكمه بأن هذه الآية مكية ضعيف، لأن معاندات اليهود إنما كانت بالمدينة، وقوله تعالى: إن الله على كل شيء قدير مقتضاه في هذا الموضوع وعد للمؤمنين.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١١٠ الى ١١٣]

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير (١١٠) وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١١١) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١١٢) وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١١٣)

قالت فرقة من الفقهاء: إن قوله تعالى: وأقيموا الصلاة عموم، وقالت فرقة: هو من مجمل القرآن، والمرجح أن ذلك عموم من وجه ومجمل من وجه، فعموم من حيث الصلاة الدعاء، فحمله على مقتضاه ممكن، وخصصه الشرع بهيئات وأفعال وأقوال، ومجمل من حيث الأوقات، وعدد الركعات والسجدات لا يفهم من اللفظ، بل السامع فيه مفتقر إلى التفسير، وهذا كله في أقيموا الصلاة، وأما الزكاة فمجملة لا غير.

قال الطبري: إنما أمر الله هنا بالصلاة والزكاة لتحط ما تقدم من ميلهم إلى أقوال اليهود راعنا [البقرة: ١٠٤] ، لأن ذلك نهي عن نوعه، ثم أمر المؤمنين بما يحطه، والخير المقدم منقض لأنه فعل، فمعنى تجدوه تجدوا ثوابه وجزاءه، وذلك بمنزلة وجوده.

وقوله تعالى: إن الله بما تعملون بصير خبر في اللفظ معناه الوعد والوعيد.

وقوله تعالى: وقالوا لن يدخل الجنة معناه قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقال النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فجمع قولهم، ودل تفريق نوعيهم على تفرق قوليهم، وهذا هو

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٩٥/١

الإيجاز واللف، وهود جمع هائد، مثل عائد وعود، ومعناه التائب الراجع، ومثله في الجمع بازل وبزل وحائل وحول وبائر وبور، وقيل هو مصدر يوصف به الواحد والجمع كفطر وعدل ورضا، وقال الفراء: أصله يهودي حذفت ياءاه **على غير قياس**." (١)

٢٩. "فكأنها إشارة إلى العدالة: وقوله تعالى: من رجالكم نص في رفض الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم. واختلف العلماء فيهم فقال شريح وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل: شهادة العبد جائزة إذا كان عدلا، وغلبوا لفظ الآية. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وجمهور العلماء: لا تجوز شهادة العبد، وغلبوا نقص الرق، واسم كان الضمير الذي في قوله يكونا.

والمعنى في قول الجمهور، فإن لم يكن المستشهد رجلين أي إن أغفل ذلك صاحب الحق أو قصده لعذر ما، وقال قوم: بل المعنى فإن لم يوجد رجلان، ولا يجوز استشهاد المرأتين إلا مع عدم الرجال، وهذا قول ضعيف، ولفظ الآية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور، وقوله: فرجل وامرأتان مرتفع بأحد ثلاثة أشياء، إما أن تقدر فليستشهد رجل وامرأتان، وإما فليكن رجل وامرأتان ويصح أن تكون يكونا هذه التامة والناقصة، ولكن التامة أشبه، لأنه يقل الإضمار، وإما فرجل وامرأتان يشهدون، وعلى كل وجه فالمقدر هو العامل في قوله: أن تضل إحداهما وروى حميد بن عبد الرحمن عن بعض أهل مكة أنهم قرؤوا «وامرأتان» بهمز الألف ساكنة.

قال ابن جني: لا نظير لتسكين الهمزة المتحركة **على غير قياس** وإنما خففوا الهمزة فقربت من الساكن، ثم بالغوا في ذلك فصارت الهمزة ألفا ساكنة كما قال الشاعر: [الطويل] .

يقولون جهلا ليس للشيخ عيل ... لعمري لقد أعيلت وأن رقوب

يريد «وأنا» ، ثم بعد ذلك يدخلون الهمزة على هذه الألف كما هي. وهي ساكنة وفي هذا نظر، ومنه قراءة ابن كثير «عن ساقيها» وقولهم يا ذو خاتم قال أبو الفتح: فإن قيل شبهت الهمزة بالألف في أنها ساوتها في الجهر والزيادة والبدل والحذف وقرب المخرج وفي الخفاء فقول مخشوب لا صنعة فيه، ولا يكاد يقنع بمثله، وقوله تعالى: ممن ترضون من الشهداء رفع في موضع الصفة لقوله عز وجل: فرجل وامرأتان.

قال أبو علي: ولا يدخل في هذه الصفة قوله: شهيدين اختلاف الإعراب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا حكم لفظي، وأما المعنى فالرضى شرط في الشهيدين كما هو في الرجل والمرأتين.

قال ابن بكير وغيره: قوله ممن ترضون مخاطبة للحكام.

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير نبيل، إنما الخطاب لجميع الناس، لكن المتلبس بهذه القضية إنما هم الحكام، وهذا كثير في كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض، وفي قوله: ممن ترضون دليل على

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٩٧/١

أن في الشهود من لا يرضى، فيجيء من ذلك أن الناس ليسوا بمحمولين على العدالة حتى تثبت لهم. وقرأ حمزة وحده: «إن تضل» بكسر الألف وفتح التاء وكسر الضاد «فتذكر» بفتح الذال ورفع الراء وهي قراءة الأعمش. وقرأها الباقون «أن تضل» بفتح الألف «فتذكر» بنصب الراء. غير أن ابن كثير وأبا عمرو خففا الذال والكاف، وشددها الباقون، وقد تقدم القول فيما هو العامل في قوله: أن تضل، وأن مفعول من أجله والشهادة لم تقع لأن تضل إحداهما. وإنما وقع إشهاد امرأتين لأن تذكر." (١)

٣٠. "فإن أبا المرء أحمى له ... ومولى الكلالة لا يغضب

فالأب والابن هما عمودا النسب، وسائر القرابة يكللون، وقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وسليم بن عبيد وقتادة والحكم وابن زيد والزهري وأبو إسحاق السبيعي: «الكلالة» خلو الميت عن الولد والوالد، وهذا هو الصحيح، وقالت طائفة: هي خلو الميت من الولد فقط، وروي ذلك عن أبي بكر الصديق وعن عمر، ثم رجعا عنه، وروي عن ابن عباس، وذلك مستقرا من قوله في الإخوة مع الوالدين: إنهم يحطون الأم ويأخذون ما يحطونها.

قال القاضي أبو محمد: هكذا حكى الطبري. ويلزم على قول ابن عباس إذ ورثهم بأن الفريضة «كلالة» أن يعطيهم الثلث بالنص، وقالت طائفة منهم الحكم بن عتيبة: «الكلالة» الخلو من الوالد، وهذان القولان ضعيفان، لأن من بقي والده أو ولده، فهو موروث بجزم نسب لا بتكلل، وأجمعت الآن الأمة على أن الإخوة لا يرثون مع ابن ولا مع أب، وعلى هذا مضت الأمصار والأعصار، وقرأ جمهور الناس- «يورث» بفتح الراء، وقرأ الأعمش وأبو رجاء- «يورث» - بكسر الراء وتشديدها، قال أبو الفتح بن جني: قرأ الحسن «يورث» من أورث، وعيسى «يورث» بشد الراء من ورث، والمفعولان على كلتا القراءتين محذوفان، التقدير: يورث وارثه ماله كلالة، ونصب كلالة على الحال، واختلفوا في «الكلالة» فيما وقعت عليه في هذه الآية، فقال عمر وابن عباس: «الكلالة» الميت الموروث إذا لم يكن له أب، ونصبها على خبر كان، وقال ابن زيد: «الكلالة» الوارثة بجملتها، الميت والأحياء كلهم «كلالة» ، ونصبها على الحال أو على النعت لمصدر محذوف تقديره وراثة «كلالة» ، ويصح على هذا أن تكون كان تامة بمعنى وقع، ويصح أن تكون ناقصة وخبرها يورث وقال عطاء: «الكلالة» المال، ونصب على المفعول الثاني.

قال القاضي أبو محمد: والاشتقاق في معنى الكلالة يفسد تسمية المال بها، وقالت طائفة: الكلالة الورثة، وهذا يستقيم على قراءة «يورث» بكسر الراء، فينصب كلالة على المفعول، واحتج هؤلاء بحديث جابر بن عبد الله، إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنما يرثني «كلالة» أفأوصي بمالي كله؟ وحكى بعضهم: أن تكون «الكلالة» الورثة، ونصبها على خبر كان، وذلك بحذف

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٣٨١/١

مضاف، تقديره ذا كلالة، ويستقيم سائر التأويلات على كسر الراء، وقوله أو امرأة عطف على الرجل، وقوله تعالى: وله أخ أو أخت الآية، الضمير في له عائد على الرجل، واكتفى بإعادته عليه دون المرأة، إذ المعنى فيهما واحد، والحكم قد ضبطه العطف الأول، وأصل أخت: أخوة، كما أصل بنت: بنية، فضم أول أخت إذ المحذوف منها واو، وكسر أول بنت إذ المحذوف ياء، وهذا الحذف والتعليل **على غير قياس**، وأجمع العلماء على أن الإخوة في هذه الآية الإخوة لأم، لأن حكمهم منصوص في هذه الآية على صفة، وحكم سائر الإخوة مخالف له، وهو الذي في كلالة آخر السورة، وقرأ سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت لأمه» والأنثى والذكر في هذه النازلة سواء، وشركتهم في الثلث متساوية وإن كثروا، هذا إجماع، فإن ماتت امرأة وتركت زوجا وأما وإخوة أشقاء، فللزوج النصف، وللأم السدس وما بقي فللإخوة، فإن كانوا لأم فقط، فلهم الثلث، فإن تركت الميتة زوجا وأما وأخوين لأم وإخوة لأب وأم، فهذه الحمارية، قال قوم: فيها للإخوة للأم الثلث، ولا شيء للإخوة الأشقاء، كما لو مات رجل وخلف أخوين لأم، وخلف مائة أخ لأب." (١)

٣١. "قرأها بألف ساكنة وحذف الهمزة، وهذا تخفيف **على غير قياس**، والكاف في أرأيتك زيدا و «أرأيتكم» ليست باسم وإنما هي مجردة للخطاب كما هي في ذلك، وأبصرك زيدا ونحوه، ويدل على ذلك أن رأيت بمعنى العلم، إنما تدخل على الابتداء والخبر، فالأول من مفعوليها هو الثاني بعينه، والكاف في أرأيتك زيدا ليست المفعول الثاني كقوله تعالى: أرأيتك هذا الذي كرمت علي [الإسراء: ٦٢] فإذا لم تكن اسما صح أنها مجردة للخطاب وإذا تجردت للخطاب صح أن التاء ليست للخطاب كما هي في أنت لأن علامتي خطاب لا تجتمعان على كلمة كما لا تجتمع علامتا تأنيث ولا علامتا استفهام فلما تجردت التاء من الخطاب وبقيت علامة الفاعل فقط استغني عن إظهار تغيير الجمع فيها والتأنيث لظهور ذلك في الكاف وبقيت التاء على حد واحد في الإفراد والتثنية والجمع والتأنيث وروي عن بعض بني كلاب أنه قال: أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة، فهذه الكاف صلة في الخطاب وأتاكم عذاب الله معناه أتاكم خوفه وأماراته وأوائله مثل الجدب والبأساء والأمراض ونحوها التي يخاف منها الهلاك، ويدعو إلى هذا التأويل أنا لو قدرنا إتيان العذاب وحلوله لم يترتب أن يقول بعد ذلك فيكشف ما تدعون لأن ما قد صح حلوله ومضى على البشر لا يصح كشفه، ويحتمل أن يراد ب الساعة في هذه الآية موت الإنسان، وقوله تعالى: بل إياه تدعون الآية، المعنى بل لا ملجأ لكم إلا الله، وأصنامكم مطرحة منسية، وما بمعنى الذي تدعون إليه من أجله، ويصح أن تكون ما ظرفية، ويصح أن تكون مصدرية على حذف في الكلام، قال الزجاج هو مثل وسئل القرية [يوسف: ٨٢] والضمير في إليه

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٩/٢

يحتمل أن يعود إلى الله تعالى بتقدير فيكشف ما تدعون إليه، وإن شاء استثناء لأن المحنة إذا أظلت عليهم فدعوا إليه في كشفها وصرفها فهو لا إله إلا هو كاشف إن شاء ومصيب إن شاء لا يجب عليه شيء، وتقدم معنى تنسون وإياه اسم مضمر أجري مجرى المظهرات في أنه يضاف أبدا، وقيل هو مبهم وليس بالقوي لأن الأسماء المبهمة مضمنة الإشارة إلى حاضر نحو ذاك وتلك وهؤلاء، و «ايا» ليس فيه معنى الإشارة.

قوله عز وجل:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٤٢ الى ٤٥]

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤٣) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥)

في الكلام حذف يدل عليه الظاهر تقديره فكذبوا فأخذناهم، ومعناه لازمناهم وتابعناهم الشيء بعد الشيء، «البأساء» المصائب في الأموال، والضراء في الأبدان، هذا قول الأكثر، وقيل قد يوضع كل واحد بدل الآخر، ويؤدب الله تعالى عباده بالبأساء والضراء، ومن هنالك أدب العباد نفوسهم بالبأساء في تفريق المال، والضراء في الحمل على البدن في جوع وعري، والترجي في «لعل» في هذا الموضع إنما هو على معتقد البشر أي لو رأى أحد ذلك لرجا تضرعهم بسببه، والتضرع التذلل والاستكانة، وفي المثل." (١)

٣٢. "كحرف من الفعل فقبح العطف عليه لشبهه بالحرف، وكذلك كقولك: قمت وزيد، لأن تأكيده فيه يبين معنى الاسمية، ويذهب عنه شبه الحرف، وحسن عند سيبويه العطف في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لما طال الكلام، ب لا، فكان معنى الاسمية اتضح واقتضت- لا ما يعطف بعدها وقوله تعالى: قل هل عندكم من علم الآية: المعنى قل يا محمد للكفرة: هل عندكم من علم من قبل الله تعالى فتبينوه حتى تقوم به الحجة، ومن في قوله من علم زائدة مؤكدة وجاءت زيادتها لأن الاستفهام داخل في غير الواجب، إن تتبعون إلا الظن أي لا شيء عندكم إلا الظن وهو أكذب الحديث.

وقرأ جمهور الناس: «تتبعون» على المخاطبة، وقرأ النخعي وإبراهيم وابن وثاب: «إن يتبعوا» بالياء حكاية عنهم.

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وهذه قراءة شاذة يضعفها قوله وإن أنتم وتخرصون معناه: تقدرون

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢٩١/٢

وتظنون وترجمون.
قوله عز وجل:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٤٩ الى ١٥٠]
قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩) قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠)
ثم أعقب تعالى أمره نبيه صلى الله عليه وسلم بتوقيف المشركين على موضع عجزهم بأمره إياه بأن يقول مبينا مفصحا فلله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد في الأمر الذي يحتج فيه، ثم أعلم بأنه لو شاء لهدى العالم بأسره.
قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وهذه الآية ترد على المعتزلة في قولهم إن الهداية والإيمان إنما هي من العبد لا من الله، فإن قالوا معنى لهداكم لاضطركم إلى الهدى فسد ذلك بمعتقدهم أن الإيمان الذي يريد الله من عباده ويثيب عليه ليس الذي يضطر إليه العبد، وإنما هو عندهم الذي يقع من العبد وحده، وهلم معناها هات، وهي حينئذ متعدية، وقد تكون بمعنى أقبل، فهي حينئذ لا تتعدى، وبعض العرب يجعلها اسما للفعل كرويدك، فيخاطب بها الواحد والجميع والمذكر والمؤنث على حد واحد، وبعض العرب يجعلها فعلا فيركب عليها الضمائر فيقول هلم يا زيد وهلموا أيها الناس وهلمي يا هند ونحو هذا، وذكر اللغتين أبو علي في الإغفال، وقال أبو عبيدة اللغة الأولى لأهل العالية واللغة الثانية لأهل نجد، وقال سيبويه والخليل: أصلها هالم، وقال بعضهم: أصلها هالمم، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين فجاء هلمم فحذف من قال أصلها هالم وأدغم من قال أصلها هلمم **على غير قياس**، ومعنى هذه الآية قل هاتوا شهداءكم على تحريم الله ما زعمتم أنه حرمه، ثم قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فإن شهدوا أي فإن افترى لهم أحدا وزور شهادة أو خبرا عن نبوة ونحو ذلك فتجنب أنت ذلك ولا تشهد معهم.." [1]
٣٣. "قال القاضي أبو محمد: ويحتمل عندي أنه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول ما اطلع ولم يعن به التوبة من شيء معين ولكنه لفظ يصلح لذلك المقام.
قال القاضي أبو محمد: والذي يتحرز منه أهل السنة أن تكون توبة من سؤال المحال كما زعمت المعتزلة، وقرأ نافع وأنا بإثبات الألف في الإدراج، قال الزهراوي والأولى حذفها في الإدراج وإثباتها لغة شاذة خارجة عن القياس، وقوله أول إما أن يريد من قومه بني إسرائيل، وهو قول ابن عباس ومجاهد أو من أهل زمانه ان كان الكفر قد طبق الآفاق وإما أن يريد أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا، قاله أبو

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢/٣٦٠

العالية.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٤٤ الى ١٤٥]

قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (١٤٤) وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين (١٤٥)

ثم ان الله تعالى قرر موسى على آلائه عنده على جهة الإخبار وقنعه بها وأمره بالشكر عليها وكأنه قال ولا تتعدها إلى غيرها، و «اصطفى» أصله اصتفى وهو افتعل من صفا يصفو انقلبت التاء طاء لمكان الصاد، ومعناه تخيرتك وخصصتك، ولا تستعمل إلا في الخير والمنن، لا يقال اصطفاه لشر، وقوله على الناس عام والمراد الخصوص فيمن شارك موسى في الإرسال، فإن الأنبياء كلهم المرسلين مشاركون له بما هم رسل، والظاهر من الشريعة أن موسى مخصص بالكلام وإن كان قد روي في تكليم الله غيره أشياء بما يشاء من أعظمها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن آدم فقال هو نبي مكلم.

قال القاضي أبو محمد: إلا أن ذلك قد تأول بأنه كان في الجنة فيتحفظ على هذا تخصيص موسى، ويصح أن يكون قوله على الناس عموما مطلقا في مجموع الدرجتين الرسالة والكلام. وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وابن عامر «برسالاتي» على الجمع إذ الذي أرسل به ضروب، وقرأ ابن كثير ونافع «برسالتي» على الإفراد الذي يراد به الجمع وتحل الرسالة هاهنا محل المصدر الذي هو الإرسال، وقرأ جمهور الناس و «بكلامي» ، وقرأ أبو رجاء «برسالتي وبكلمتي» ، وقرأ الأعمش «برسالاتي وبكلمي» ، وحكى عنه المهدوي «وتكليمي» على وزن تفعيلي، وقوله فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين تأديب وتقنيع وحمل على جادة السلامة ومثال لكل أحد في حاله، فإن جميع النعم من عنده بمقدار وكل الأمور بمرأى من الله ومسمع.

وقوله تعالى: وكتبنا له في الألواح الآية، الضمير في له عائد على موسى عليه السلام، والألف واللام في الألواح عوض من الضمير الذي يقدر وصله بين الألواح وموسى عليه السلام، تقديره في ألواحه، وهذا كقوله تعالى: فإن الجنة هي المأوى [النازعات: ٤١] مأواه وقيل: كانت الألواح اثنين، وقيل سبعة، وقال مجاهد وابن عباس: كانت الألواح من زمرد، وقال ابن جبير من ياقوت أحمر، وقال أبو العالية أيضا من برد، وقال الحسن من خشب، وقوله من كل شيء لفظه عموم والمراد به كل شيء ينفع في معنى الشرع ويحتاج إليه في المصلحة، وقوله لكل شيء مثله، قال ابن جبير: ما أمروا به ونهوا عنه، وقاله مجاهد: وقال السدي: الحلال والحرام. وقوله بقوة معناه بجد وصبر عليها واحتمال لمؤنها قاله ابن عباس والسدي،

وقال الربيع بن أنس بقوة هنا بطاعة، وقال ابن عباس أمر موسى أن يأخذه بأشد مما أمر به قومه، و «خذ» أصله أؤخذ حذفت الهمزة التي هي فاء الفعل **على غير قياس** فاستغني عن الأول، وقوله." [١]

٣٤. "ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره النساء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحمه» . وقرأ جمهور الناس والسبعة «النسيء» كما تقدم، وقرأ ابن كثير فيما روي عنه وقوم معه في الشاذ «النسي» بشد الياء، وقرأ فيما روى عنه جعفر بن محمد والزهري «النسيء» ، وقرأ أيضا فيما روي عنه «النسء» على وزن النسع وقرأت فرقة «النسي» . فأما «النسيء» بالمد والهمز فقال أبو علي هو مصدر مثل النذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول لأنه يكون المعنى إنما المؤخر زيادة والمؤخر الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر.

قال القاضي أبو محمد: وقال أبو حاتم هو فعيل بمعنى مفعول، وينفصل عن إلزام أبي علي بأن يقدر مضاف كان المعنى إنما إنساء النسيء، وقال الطبري هو من معنى الزيادة أي زيادتهم في الأشهر، وقال أبو وائل كان النسيء رجلا من بني كنانة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وأما «النسي» فهو الأول بعينه خففت الهمزة وقيل قلبت الهمزة ياء وأدغمت الياء في الياء، وأما «النسء» هو مصدر من نسأ إذا أخر، وأما «النسي» فقيل تخفيف همزة النسيء وذلك **على غير قياس**، وقال الطبري هو مصدر من نسي ينسى إذا ترك.

قال القاضي أبو محمد: والنسيء هو فعل العرب في تأخيرهم الحرمة، وقوله زيادة في الكفر أي جار في كفرهم بالله وخلاف منهم للحق فالكفر متكثر بهذا الفعل الذي هو باطل في نفسه.

قال القاضي أبو محمد: ومما وجد في أشعارها من هذا المعنى قول بعضهم: [الوافر] ومنا منسىء الشهر القلمس وقال الآخر: [الكامل]

نسؤوا الشهور بها وكانوا أهلها ... من قبلكم والعز لم يتحول

ومنه قول جذل الطعان: [الوافر]

وقد علمت معد أن قومي ... كرام الناس أن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوتر ... وأي الناس لم تعلك لجاما

ألسنا الناسئين على معد ... شهور الحل نجعلها حراما

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر «يضل» بفتح الياء وكسر الضاد، وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون «يضل» بضم الياء وكسر الضاد فإما على معنى يضل الله وإما على معنى يضل به الذين كفروا أتباعهم، ف الذين في التأويل الأول في موضع نصب، وفي الثاني في موضع رفع، وقرأ عاصم أيضا وحمزة والكسائي وابن مسعود فيما روي عنه «يضل» بضم الياء وفتح

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢/٤٥٢

الضاد على المفعول الذي لم يسم فاعله، ويؤيد ذلك قوله تعالى: زين للتناسب في اللفظ، وقرأ أبو رجاء «يضل» من ضل يضل على وزن فعل بكسر العين يفعل بفتحها وهي لغتان يقال ضل يضل وضل يضل والوزن الذي ذكرناه يفرق بينهما، وكذلك يروى قول النبي صلى الله عليه وسلم، «حتى يضل الرجل إن." (١)

٣٥. "أفرد الجنة من حيث الوجود كذلك، إذ لا يدخلهما معا في وقت واحد، و «ظلمه لنفسه» : كفره وعقائده الفاسدة في الشك في البعث، فقد نص على ذلك قتادة وابن زيد، وفي شكه في حديث العالم إن كانت إشارته ب هذه إلى الهيئة من السماوات والأرض وأنواع المخلوقات، وإن كانت إشارته إلى جنته فقط، فإنما في الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل، وكأنه من شدة العجب بل والسرور أفرط في وصفها بهذا القول ثم قاس أيضا الآخرة على الدنيا، وظن أنه لم يمل له في دنياه إلا لكرامة يستوجبها في نفسه، قال: فإن كان ثم رجوع كما يزعم فستكون حالي كذا وكذا، وليست مقالة العاصي بن وائل لخباب على حد هذه، بل قصد العاصي الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابن الزبير، وثبت في مصاحف المدينة «منهما» يريد الجنتين المذكورتين أولا، وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والعامة، وكذلك هو مصحف أهل البصرة «منها» يريد الجنة المدخولة، وقوله قال له صاحبه حكاية أن المؤمن من الرجلين لما سمع كلام الكافر وقفه على جهة التوبيخ على كفر بالله تعالى، وقرأ أبي بن كعب: «وهو يخاصمه» ، وقرأ ثابت البناني، «ويلك أكفرت» ، ثم جعل يعظم الله تعالى عنده بأوصاف تضمنت النعم والدلائل على جواز البعث من القبور، وقوله من تراب إشارة إلى آدم عليه السلام، وقوله سواك رجلا كما تقول سواك شخصا أو حيا، أو نحو هذا من التأكيدات، وقد يحتمل أن قصد تخصيص الرجولة، على وجه تعديد النعمة، في أن لم يكن أنثى ولا خنثى، وذكر الطبري نحو هذا، واختلفت القراءة في قوله لكنا فقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيبي «لكنا» في الوصل والوقف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي «لكن» في الوصل و «لكنا» في الوقف، ورجحها الطبري، وهي رواية ورش وقالون عن نافع، وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب والحسن «لكن أنا هو الله ربي» ، وقرأ عيسى الثقفي والأعمش بخلاف «لكن هو الله ربي» فأما هذه الأخيرة فبين على الأمر والشأن، وأما الذي قبلها فعلى معنى لكن أنا أقول ومن هذه الفرقة، من قرأ «لكننا» ، على حذف الهمزة وتخفيف النونين، وفي هذا نظر، وأما من قرأ «لكننا» ، فأصله عنده لكن أنا: حذفت الهمزة على غير قياس، وأدغمت النون في النون، وقد قال بعض النحويين: نقلت حركة الهمزة إلى النون فجاء لكننا، ثم أدغمت بعد ذلك فجاء «لكنا» ، فرأى بعض القراء أن بالإدغام استغني عن الألف الأخيرة، فمنهم من حذفها في الوصل، ومنهم من أثبتها في الوصل والوقف، ليدل

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٣/٣٢

على أصل الكلمة، ويتوجه في لكنا أن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا وضربنا» ، ووقع الإدغام لاجتماع المثلين، ثم وجد في ربي على المعنى، ولو اتبع اللفظ لقال ربنا ذكره أبو علي، ويترجح بهذا التعليل قول من أثبت الألف في حال الوصل، والوقف، ويتوجه في لكنا أن تكون المشهورة من أخوات إن، المعنى: لكن قولي: هو الله ربي، أما أني لا أعرف من يقرأ بها وصلا ووقفا، وذلك يلزم من يوجه هذا الوجه، وروى هارون عن أبي." (١)

٣٦. "[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١٨ الى ٢٢]

ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩) يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢)

ألم تر تنبيه من رؤية القلب، وهذه آية إعلام بتسليم المخلوقات جمع لله وخضوعها، وذكر في الآية كل ما عبد الناس إذ في المخلوقات أعظم مما قد ذكر كالرياح والهواء ف من في السماوات الملائكة، ومن في الأرض من عبد من البشر، والشمس كانت تعبدها حمير وهم قوم بلقيس، والقمر كانت كنانة تعبده قاله ابن عباس، وكانت تميم تعبد الدبران، وكانت لخم تعبد المشتري، وكانت طيىء تعبد الثريا وكانت قريش تعبد الشعرى، وكانت أسد تعبد عطارد، وكانت ربيعة تعبد المرزم، والجبال والشجر منها النار وأصنام الحجارة والخشب، والدواب فيها البقر وغير ذلك مما عبد من الحيوان كالديك ونحوه، و «السجود» في هذه الآية هو بالخضوع والانقياد للأمر كما قال الشاعر «ترى الأكم فيه سجدا للحوافر» . وهذا مما يتعذر فيه السجود المتعارف، وقال مجاهد: سجود هذه الأشياء هو بظلالها، وقال بعضهم سجودها هو بظهور الصنعة فيها. ع: وهذا وهم وإنما خلط هذه الآية بآية التسبيح وهناك يحتمل أن يقال هي بآثار الصنعة، وقوله تعالى: وكثير حق عليه العذاب يحتمل أن يكون معطوفا على ما تقدم، أي وكثير حق عليه العذاب يسجد، أي كراهية وعلى رغمه إما بظله وإما بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك، قاله مجاهد، وقال: سجوده بظله ويحتمل أن يكون رفعا بالابتداء مقطوعا مما قبله وكأن الجملة معادلة لقوله وكثير من الناس لأن المعنى أنهم مرحومون بسجودهم ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك ومن يهن الله الآية وقرأ جمهور الناس «من مكرم» بكسر الراء، وقرأ ابن أبي عبلة بفتح الراء على معنى من موضع كرامة أو على أنه مصدر كمدخل، وقرأ الجمهور «والدواب» مشددة الباء، وقرأ الزهري وحده بتخفيف الباء وهي قليلة ضعيفة وهي تخفيف **على غير قياس** كما قالوا ظلت وأحست وكما قال

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٥١٧/٣

علقمة: [البسيط]

كأن إبريقهم ظبي على شرف ... مفدم بسبا الكتان ملثوم

أراد بسبائب الكتان وأنشد أبو علي في مثله: [الكامل]

حتى إذا ما لم أجد غير الشر ... كنت امرأ من مالك بن جعفر

وهذا باب إنما يستعمل في الشعر فلذلك ضعفت هذه القراءة وقوله تعالى: هذان خصمان الآية، اختلف الناس في المشار إليه بقوله هذان فقال قيس بن عباد وهلال بن يساف: نزلت هذه الآية في المتبارزين يوم بدر وهم ستة: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، برزوا لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى، وأقسم أبو ذر على هذا القول ع ووقع أن الآية فيهم في صحيح البخاري، وقال ابن عباس: الإشارة." (١)

٣٧. "والمخبتين المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وقرأ الجمهور «الصلاة» بالخفض، وقرأ ابن أبي إسحاق «الصلاة» بالنصب على توهم النون وأن حذفها للتخفيف، ورويت عن أبي عمرو، وقرأ الأعمش «والمقيمين الصلاة» بالنون والنصب في «الصلاة» ، وقرأ الضحاك «والمقيم الصلاة» ، وروي أن هذه الآية، قوله وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

قوله عز وجل:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧) البدن جمع بدنة وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة، قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن، وقيل بل هذا الاسم خاص بالإبل، وقالت فرقة البدن جمع بدن بفتح الدال والباء ثم اختلفت، فقال

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١١٣/٤

بعضها البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الإبل والبقر، ويقال للمسلمين من الرجال بدن، وقال بعضها البدن جمع بدنة كثمرة وثمر، وقرأ الجمهور «والبدن» ساكنة الدال، وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وابن أبي إسحاق «البدن» بضم الدال، فيحتمل أن يكون جمع بدنة كثمر، وعدد الله تعالى في هذه الآية نعمته على الناس في هذه البدن، وقد تقدم القول في «الشعائر» ، و «الخير» قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة، وقوله، عليها يريد عند نحرها، وقرأ جمهور الناس «صواف» بفتح الفاء وشدها جمع صافة أي مصطفة في قيامها، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري وشقيق وسليمان التيمي والأعرج «صوافي» جمع صافية أي خالصة لوجه الله تعالى لا شركة فيها لشيء كما كانت الجاهلية تشرك، وقرأ الحسن أيضا «صواف» بكسر الفاء وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حدفت الياء تخفيفا على غير قياس وفي هذا نظر، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، والصافن من الخيل الرافع لفراهيته إحدى يديه وقيل إحدى رجنيه ومنه قوله تعالى: الصافنات الجياد [ص: ٣١] .

وقال عمرو بن كلثوم:

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا." (١)

٣٨. "قوله عز وجل:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٠ الى ٤٤]

قال عما قليل ليصبحن نادمين (٤٠) فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين (٤١) ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (٤٢) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٤٣) ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون (٤٤)

المعنى قال الله لهذا النبي الداعي عما قليل يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم، ومن ذكر الصيحة ذهب الطبري إلى أنهم قوم ثمود، وقوله بالحق معناه بما استحقوا من أفعالهم وبما حق منا في عقوبتهم، و «الغثاء» ما يحمله السيل من زبده ومعتاده الذي لا ينتفع به فيشبه كل هامد وتالف بذلك و «بعدا» منصوب بفعل مضمر متروك إظهاره ثم أخبر تعالى عن أنه «أنشأ» بعد هؤلاء أمما كثيرة كل أمة بأجل في كتاب لا تتعداه في وجودها وعند موتها وتترا مصدر بمنزلة فعلى مثل الدعوى والعدوى ونحوها، وليس تترى بفعل وإنما هو مصدر من تواتر الشيء، وقرأ الجمهور «تترا» كما تقدم ووقفهم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٢٢/٤

بالألف، وحمزة والكسائي يميلانها، قال أبو حاتم هي ألف تأنيث، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «تترا» بالتنوين ووقفهما بالألف وهي ألف إلحاق قال ابن سيده يقال جاءو «تترا وتترا» أي متواترين التاء مبدلة من الواو **على غير قياس** لأن قياس إبدال الواو تاء إنما هو في افتعل وذلك نحو اتزر واتجه، وقوله أتبعنا بعضهم بعضا أي في الإهلاك، وقوله وجعلناهم أحاديث يريد أحاديث مثل، وقلما يستعمل الجعل حديثا إلا في الشر.

قوله عز وجل:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٥ الى ٤٨]

ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين (٤٥) إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين (٤٦) فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٤٧) فكذبوهما فكانوا من المهلكين (٤٨)

ثم هنا على بابها لترتيب الأمور واقتضاء المهلة، و «الآيات» التي جاء بها موسى وهارون هي اليد والعصا اللتان اقترن بهما التحدي وهما «السلطان المبين» ، ويدخل في عموم اللفظ سائر آياتهما كالبحر والمرسلات الست، وأما غير ذلك مما جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني إسرائيل. و «الملأ» هنا الجمع يعم الأشراف وغيرهم، و «استكبروا» ، معناه عن الإيمان بموسى وأخيه لأنهم أنفوا من ذلك، وعالين، معناه قاصدين للعلو بالظلم والكبرياء، وقوله عابدون معناه خامدون متذللون، ومن هنا قيل لعرب الحيرة العباد لأنهم دخلوا من بين العرب في طاعة كسرى، هذا أحد القولين في تسميتهم والطريق المعبد المذلل وعلو هؤلاء هو الذي ذكر الله تعالى في قوله تلك." (١)

٣٩. "يتحدثون بغزو العرب المدينة وبأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيغلب، ونحو هذا مما يرجفون به نفوس المؤمنين، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف مفترقة بعضها من بعض، ويحتمل أن تكون داخلة في جملة المنافقين، لكنه نص على هاتين الطائفتين وهو قد ضمهم عموم لفظة النفاق تنبيها عليهم وتشريدا بهم وغضا منهم، و «نغرينك» معناه نحضك عليهم بعد تعيينهم لك، قال ابن عباس المعنى لنسلطنك عليهم، وقال قتادة لنحرشنك بهم، وقوله تعالى: ثم لا يجاورونك فيها أي بعد الإغراء لأنك تنفيهم بالإخافة والقتل، وقوله إلا قليلا يحتمل أن يريد إلا جوارا قليلا أو وقتا قليلا، ويحتمل أن يريد إلا عددا قليلا، كأنه قال إلا أقلاء، وقوله تعالى: ملعونين يجوز أن ينتصب على الذم قاله الطبري، ويجوز أن يكون بدلا من أقلاء الذي قدرناه قبل في أحد التأويلات، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يجاورونك كأنه قال ينتفون ملعونين، فلما تقدر لا يجاورونك تقدير ينتفون، حسن هذا، واللعنة الإبعاد، وثقفوا معناه حصروا وقدر عليهم، وأخذوا معناه أسروا، والأخيذ الأسير ومنه قول العرب

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٤/١٤٤

أكذب من الأخيذ الصيحان، وقرأ جمهور الناس «وقتلوا» بشد التاء، ويؤيد هذا المصدر بعدها، وقرأت فرقة بتخفيف التاء والمصدر على هذه القراءة **على غير قياس**، قال الأعمش كل ما في القرآن غير هذا الموضع فهو «قتلوا» بالتخفيف، وقوله تعالى: سنة الله نصب على المصدر، ويجوز فيه الإغراء على بعد، والذين خلوا هم منافقو الأمم وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا أي من مغالب يستقر تبديله فيخرج على هذا تبديل العصاة والكفرة، ويخرج عنه أيضا ما يبدله الله من سنة بسنة بالنسخ.

قوله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٣ الى ٦٨]

يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤) خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧)

ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨)

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة متى هي فلم يجب في ذلك بشيء، ونزلت الآية آمرة بأن يرد العلم فيها إلى الله تعالى إذ هي من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، ثم توعد العالم بقربها في قوله وما يدريك الآية، أي فينبغي أن تحذر، وقريبا ظرف لفظه واحد جمعا، وإفرادا، ومذكرا ومؤنثا، ولو كان صفة للساعة لكان قريبة، ثم توعد تعالى الكافرين بعذاب لا ولي لهم منه ولا ناصر، وقوله تعالى: يوم يجوز أن يكون متعلقا بما قبله والعامل يجدون، وهذا تقدير الطبري، ويجوز أن يكون العامل فيه يقولون ويكون ظرفا للقول.

وقرأ الجمهور «تقلب وجوههم» على المفعول الذي لم يسم فاعله بضم التاء وشد اللام المفتوحة، وقرأ أبو حيوة «تقلب» بفتح التاء بمعنى تتقلب، وقرأ ابن أبي عبلة «تتقلب» بتاءين، وقرأ خارجة وأبو حيوة «نقلب» بالنون، وقرأ عيسى بن عمر الكوفي «تقلب» بكسر اللام وضم التاء أي تقلب السعير. وبنصب الوجوه في." (١)

٤٠. "كأن السحاب دوين السما ... نعام تعلق بالأرجل

وقرأ أبو عمرو بخلاف وعيسى «الإبل» بشد اللام وهي السحاب فيما ذكر قوم من اللغويين والنقاش، وقرأ الجمهور «خلقت» بفتح القاف وضم الخاء، وقرأ علي بن أبي طالب «خلقت» بفتح الخاء وسكون القاف على فعل التكلم، وكذلك رفعت ونصبت «وسطحت» ، وقرأ أبو حيوة «رفعت» و «نصبت»

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٤/٤٠٠

و «سطحت» بالتشديد فيها، ونصبت معناه: أثبتت قائمة في الهواء لا تنتطح، وقرأ الجمهور «سطحت» ، وقرأ هارون الرشيد «سطحت» بشد الطاء على المبالغة، وهي قراءة الحسن، وظاهر هذه الآية أن الأرض سطح لا كرة، وهو الذي عليه أهل العلم، والقول بكريتها وإن كان لا ينقص ركنا من أركان الشرع، فهو قول لا يثبته علماء الشرع، ثم أمر تعالى نبيه بالتذكير بهذه الآية ونحوها، ثم نفى أن يكون مصيطرا على الناس، أي قاهرا جاهدا لهم مع تكبر تسلطا عليهم، يقال تسيطر علينا فلان، وقرأ بعض الناس «بمسيطر» بالسين وبعضهم بالصاد، وقد تقدم وقرأ هارون «بمصيطر» بفتح الطاء وهي لغة تميم وليس في كلام العرب على هذا البناء غير مسيطر ومبيطر ومبيقر ومهيمن. وقوله تعالى: إلا من تولى وكفر قال بعض المتأولين الاستثناء متصل والمعنى إلا من تولى فإنك مصيطر عليه فالآية على هذا لا نسخ فيها وقال آخرون منهم:

الاستثناء منفصل، والمعنى لست عليهم بمصيطر وتم الكلام. وهي آية موادعة منسوخة بالسيف ثم قال إلا من تولى وكفر فيعذبه الله، وهذا هو القول الصحيح لأن السورة مكية، والقتال إنما نزل بالمدينة، ومن بمعنى الذي. وقرأ ابن عباس وزيد بن أسلم وقتادة وزيد بن علي «ألا من تولى» بفتح الهمزة على معنى: استفتاح الكلام، ومن على هذه القراءة شرطية، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة لأنهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقتل وغيره، وقرأ ابن مسعود «فإنه يعذبه الله» وقرأ الجمهور «إيابهم» مصدر من آب يؤوب إذا رجع، وهو الحشر، والمراد إلى الله، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «إيابهم» بشد الياء على وزن فعال بكسر الفاء أصله فيعال من أيب فعل أصله فيعل، ويصح أن يكون أوب فيجيء إيوابا، وسهلت الهمزة وكان اللازم في الإدغام يردها أوابا، لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس**. (انتهى) .." (١)

٤١. "الذي لا يكون إلا في الأسماء. الثالث: ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما، نحو الكاف في قول الشاعر «١» :

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا

أي بمثل ابن الماء أو ما كان مثله. الخامسة عشر ايم، وزنه افع، والذاهب منه الواو لأنه من سموت، وجمعه أسماء، وتصغيره سمي. واختلف في تقدير أصله، فقيل: فعل، وقيل: فعل. قال الجوهري: وأسماء يكون جمعا لهذا الوزن، وهو مثل جذع وأجذع، وقفل وأقفال، وهذا لا تدرك صيغته إلا بالسماع. وفيه أربع لغات: إسم بالكسر، وأسم بالضم. قال أحمد بن يحيى: من ضم الألف أخذه من سموت أسمو، ومن كسر أخذ من سمت أسمي. ويقال: سم وسم، وينشد:

والله أسماك سما مباركا ... آثرك الله به إيثاركا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٤٧٥/٥

وقال آخر:

وعامنا أعجبنا مقدمه ... يدعى أبا السمح وقرضاب سمه

مبتركا «٢» لكل عظم يلحمه

قرصب الرجل: إذا أكل شيئا يابسا، فهو قرضاب." سمه" بالضم والكسر جميعا. ومنه قول الآخر:

باسم الذي في كل سورة سمه

وسكنت السين من" باسم" اعتلالا «٣» **على غير قياس**، وألفه ألف وصل، وربما جعلها الشاعر ألف قطع للضرورة، كقول الأحوص:

وما أنا بالمخسوس في جذم مالك ... ولا من تسمى ثم يلتزم الاسما «٤»

---

(١) . هو امر القيس. وتمام البيت وشرحه يأتي في ص ٢١١ من هذا الجزء.

(٢) . رجل مبترك: معتمد على الشيء ملح. ويلحمه: ينزع عنه اللحم.

(٣) . كان الأصل اسم نقاب حركة الهمزة إلى السين ثم حذفت الهمزة ولما وصلت الباء به سكنت السين تخفيفا.

(٤) . المخسوس: المرذول. وجذم كل شي: أصله. ومالك: جد أعلى للشاعر. [.....]."[1]

٤٢. "وسيئت. وكذلك روى هشام عن ابن عباس «١» ، ورويس «٢» عن يعقوب. وأشم منها نافع سيئ وسيئت خاصة. وزاد ابن ذكوان: حيل وسيق، وكسر الباقون في الجميع. فأما هذيل وبنو دبير من أسد وبني فقعس فيقولون:" قول" بواو ساكنة. قوله: (لا تفسدوا) " لا" نهي. والفساد ضد الصلاح، وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها. فسد الشيء يفسد فسادا وفسودا وهو فاسد وفسيد. والمعنى في الآية: لا تفسدوا في الأرض بالكفر وموالاة أهله، وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. وقيل: كانت الأرض قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيها الفساد، ويفعل فيها بالمعاصي، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع الفساد وصلحت الأرض. فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، كما قال في آية أخرى:" ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها «٣» " [الأعراف: ٥٦] . قوله:" في الأرض" الأرض مؤنثة، وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال أرضة، ولكنهم لم يقولوا. والجمع أرضات، لأنهم قد يجمعون المؤنث الذي ليست

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١/١٠٠

فيه هاء التأنيث بالتاء كقولهم: عرسات. ثم قالوا أرضون فجمعوا بالواو والنون، والمؤنث لا يجمع بالواو والنون إلا أن يكون منقوصا كثبة وظبة، ولكنهم جعلوا الواو والنون عوضا من حذفهم الألف والتاء وتركوا فتحة الراء على حالها، وربما سكنت. وقد تجمع على أروض. وزعم أبو الخطاب أنهم يقولون: أرض وآراض، كما قالوا: أهل وآهال. والأراضي أيضا **على غير قياس**، كأنهم جمعوا آرضا. وكل ما سفل فهو أرض. وأرض أريضة، أي زكية بينة الأراضة. وقد أرضت بالضم، أي زكت. قال أبو عمرو: نزلنا أرضا أريضة، أي معجبة للعين، ويقال: لا أرض لك، كما يقال: لا أم لك. والأرض: أسفل قوائم الدابة، قال حميد يصف فرسا:

ولم يقلب أرضها البيطار ... ولا لحبليه بها حبار

---

(١) . في نسخة: (ابن عامر) . [.....]

(٢) . رويس (كزبير) محمد بن المتوكل القارئ، راوي يعقوب ابن إسحاق.

(٣) . راجع ج ٧ ص ٢٢٦." (١)

٤٣. "[سورة النحل (١٦) : آية ١١]

ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١)

قوله تعالى: (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) قرأ أبو بكر عن عاصم" ننبت" بالنون على التعظيم. العامة بالياء على معنى ينبت الله لكم، يقال: ينبت الأرض وأنبتت بمعنى، ونبت البقل وأنبت بمعنى. وأنشد الفراء:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا بها حتى إذا أنبت البقل

أي نبت. وأنبته الله فهو منبوت، **على غير قياس**. وأنبت الغلام نبتت عانته. ونبت الشجر غرسه «١» ، يقال: نبت أجلك بين عينيك. ونبت الصبي تنبيتا ربيته. والمنبت موضع النبات، يقال: ما أحسن نابتة بني فلان، أي ما ينبت عليه أموالهم وأولادهم. ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار. وإن بني فلان لنابتة شر. والنوابت من الاحداث الأغمار. والنبيت حي «٢» من اليمن. والينبوت «٣» شجر، كله عن الجوهري. (والزيتون) جمع زيتونة. ويقال للشجرة نفسها: زيتونة، وللثمرة زيتونة. وقد مضى في سورة" الأنعام" «٤» حكم زكاة هذه الثمار فلا معنى للإعادة. (إن في ذلك) الإنزال والإنبات. (لآية) أي دلالة (لقوم يتفكرون) .

[سورة النحل (١٦) : آية ١٢]

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢٠٢/١

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢)

قوله تعالى: (وسخر لكم الليل والنهار) أي للسكون والأعمال، كما قال:" ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله «٥» ". (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار والزرع والاهتداء بالنجوم في الظلمات. وقرا (ابن عباس «٦» و) ابن عامر وأهل الشام" والشمس والقمر والنجوم مسخرات"

---

(١) . في ج: بنبت الشجر غرسته. [.....]

(٢) . أبو حي من اليمن واسمه عمرو بن مالك.

(٣) . الذي في القاموس: الينبوت شجر الخشخاش أو شجر آخر الخروب.

(٤) . راجع ج ٧ ص ٩٩ فما بعدها.

(٥) . راجع ج ١٣ ص ٣٠٨.

(٦) . في ج.." [١]

٤٤. "حديثها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار". ففي هذا الحديث ما يدل على أن البنات بلية، ثم أخبر أن في الصبر عليهن والإحسان إليهن ما يقي من النار. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" إن الله عز وجل قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار". وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو" وضم أصابعه، خرجهما أيضا مسلم رحمه الله! وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من كانت له بنت فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له سترا أو حجابا من النار".

وخطب إلى عقيل بن علفة ابنته الجرباء فقال:

إني وإن سيق إلي المهر ... ألف وعبدان وخور «١» عشر

أحب أصهاري إلي القبر

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٨٣/١٠

وقال عبد الله بن طاهر:

لكل أبي بنت يراعى شئونها ... ثلاثة أصهار إذا حمد الصهر

فبعل يراعيها وخدر يكنها ... وقبر يواريها وخيرهم القبر

(ألا ساء ما يحكمون) أي في إضافة البنات إلى خالقهم وإضافة البنين إليهم. نظيره" ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذا قسمة ضيزى " أي جائرة، وسيأتي «٢» .

---

(١) . الخور: جمع خوارة **على غير قياس**. هي الناقة الغزيرة اللبن.

(٢) . راجع ج ١٧ ص ١٠٢.." [1]

٤٥. "وجدنا أبانا كان حل ببلدة

البيت. وقيل:" مكانا سوى ٢٠: ٥٨" أي قصدا، وأنشد صاحب هذا القول:

لو تمنت حبيبتي ما عدتني ... أو تمنيت ما عدوت سواها

وتقول: مررت برجل سواك وسواك وسوائك أي غيرك. وهما في هذا الأمر سواء وإن شئت سواءان. وهم سواء للجميع وهم أسواء، وهم سواسية مثل ثمانية **على غير قياس**. وانتصب" مكانا" على المفعول الثاني ل"- جعل". ولا يحسن انتصابه بالموعد على أنه مفعول أو ظرف له، لأن الموعد قد وصف، والأسماء التي تعمل عمل الأفعال إذا وصفت أو صغرت لم ينبغ «١» أن تعمل لخروجها عن شبه الفعل، ولم يحسن حمله على أنه ظرف وقع موقع المفعول الثاني، لأن الموعد إذا وقع بعده ظرف لم تجره العرب مجرى المصادر مع الظروف، لكنهم يتسعون فيه كقوله تعالى:" إن موعدهم الصبح" «٢» [هود: ٨١] و" موعدكم يوم الزينة ٢٠: ٥٩". واختلف في يوم الزينة، فقيل هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه، قاله قتادة والسدي وغيرهما. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: كان يوم عاشوراء. وقال سعيد بن المسيب: يوم سوق كان لهم يتزينون فيها، وقاله قتادة أيضا. وقال الضحاك: يوم السبت. وقيل: يوم النيروز، ذكره الثعلبي. وقيل: يوم يكسر فيه الخليج، وذلك أنهم كانوا يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون، وعند ذلك تأمن الديار المصرية من قبل النيل. وقرأ الحسن والأعمش وعيسى الثقفي والسلمي وهبيرة عن حفص" يوم الزينة" بالنصب. ورويت عن أبي عمرو، أي في يوم الزينة إنجاز موعدنا. والباقون بالرفع على أنه خبر الابتداء. (وأن يحشر الناس ضحى) ٢٠: ٥٩ أي وجمع الناس، ف"- أن" في موضع رفع على قراءة من قرأ:" يوم" بالرفع. وعطف" وأن يحشر ٢٠: ٥٩" يقوي قراءة الرفع، لأن" أن" لا تكون ظرفا، وإن كان المصدر الصريح يكون ظرفا كمقدم الحاج، لأن من قال: آتيك مقدم الحاج لم يقل آتيك

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١١٨/١٠

أن يقدم الحاج. النحاس: وأولى من هذا أن يكون في موضع خفض عطفا على الزينة. والضحى مؤنثة تصغرها العرب بغير هاء لئلا يشبه تصغيرها ضحوة، قاله النحاس. وقال الجوهري:

---

(١) . كذا في جميع الأصول.

(٢) . راجع ج ٩ ص ٢٨١.." [1]

٤٦. "الثانية- اختلف العلماء في البدن هل تطلق على غير الإبل من البقر أم لا، فقال ابن مسعود وعطاء والشافعي: لا. وقال مالك وأبو حنيفة: نعم. وفائدة الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد البدنة أو لم يقدر عليها وقدر على البقرة، فهل تجزيه أم لا، فعلى مذهب الشافعي وعطاء لا تجزيه. وعلى مذهب مالك تجزيه. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء، لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة: (من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة) الحديث. فتفريقه عليه السلام بين البقرة والبدنة يدل على أن البقرة لا يقال عليها بدنة، والله أعلم. وأيضا قوله تعالى:" فإذا وجبت جنوبها" يدل على ذلك، فإن الوصف خاص بالإبل. والبقر يضجع ويذبح كالغنم، على ما يأتي. ودليلنا أن البدنة مأخوذة من البدانة وهو الضخامة، والضخامة توجد فيهما جميعا. وأيضا فإن البقرة في التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم بمنزلة الإبل، حتى تجوز البقرة في الضحايا على سبعة كالإبل. وهذا حجة لأبي حنيفة حيث وافقه الشافعي على ذلك، وليس ذلك في مذهبنا. وحكى ابن شجرة أنه يقال في الغنم بدنة، وهو قول شاذ. والبدن هي الإبل التي تهدى إلى الكعبة. والهدي عام في الإبل والبقر والغنم. الثالثة- قوله تعالى: (من شعائر الله) نص في أنها بعض الشعائر. وقوله: (لكم فيها خير) يريد به المنافع التي تقدم ذكرها. والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة. الرابعة- قوله تعالى: (فاذكروا اسم الله عليها صواف) أي انحروها على اسم الله. و" صواف" أي قد صفت قوائمها. والإبل تنحر قياما معقولة. وأصل هذا الوصف في الخيل، يقال: صفن الفرس فهو صافن إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبك الرابعة، والسنبك طرف الحافر. والبعير إذا أرادوا نحره تعقل إحدى يديه فيقوم على ثلاث قوائم. وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري:" صوافي" أي خوالص لله عز وجل لا يشركون به في التسمية على نحرها أحدا. وعن الحسن أيضا" صواف" بكسر الفاء وتنوينها مخففة، وهي بمعنى التي قبلها، لكن حذفت الياء تخفيفا **على غير قياس**." [2]

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢١٣/١١

(٢) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٦١/١٢

٤٧. "الركن فأمر بها فدسمت بالقباطي «١» والمطارف حتى نزحوها، فلما نزحوها انفجرت عليهم. وأخرجه عن أبي الطفيل أن غلاما وقع في بئر زمزم فنزحت. وهذا يحتمل أن يكون الماء تغير، والله أعلم. وروى. شعبة عن مغيرة عن إبراهيم أنه كان يقول: كل نفس سائلة لا يتوضأ منها، ولكن رخص في الخنفساء والعقرب والجراد والجدجد «٢» إذا وقعن في الركاء «٣» فلا بأس به. قال شعبة: وأظنه قد ذكر الوزغة. أخرجه الدارقطني، حدثنا الحسين بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة ... ، فذكره. الثامنة- ذهب الجمهور من الصحابة وفقهاء الأمصار وسائر التابعين بالحجاز والعراق أن ما ولغ فيه الهر من الماء طاهر، وأنه لا بأس بالوضوء بسؤره، لحديث أبي قتادة، أخرجه مالك وغيره. وقد روي عن أبي هريرة فيه خلاف. وروي عن عطاء بن أبي رباح وسعيد ابن المسيب ومحمد بن سيرين أنهم أمروا بإراقة ماء ولغ فيه الهر وغسل الإناء منه. واختلف في ذلك عن الحسن. ويحتمل أن كون الحسن رأى في فمه نجاسة ليصح مخرج الروايتين عنه. قال الترمذي لما ذكر حديث مالك:" وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة، هذا حديث حسن صحيح، وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم، مثل الشافعي وأحمد وإسحاق، لم يروا بسؤر الهرة بأسا. وهذا أحسن شي في الباب، وقد جود مالك هذا الحديث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، ولم يأت به أحد أتم من مالك" قال الحافظ أبو عمر: الحجة عند التنازع والاختلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صح من حديث أبي قتادة أنه أصغى لها الإناء حتى شربت. الحديث. وعليه اعتماد الفقهاء في كل مصر إلا أبا حنيفة ومن قال بقوله، فإنه كان يكره سؤره. وقال: إن توضأ به أحد أجزاه، ولا أعلم حجة لمن كره الوضوء بسؤر الهرة أحسن من أنه لم يبلغه حديث أبي قتادة، وبلغه حديث أبي هريرة في الكلب فقاس الهر عليه، وقد فرقت

السنة بينهما في باب

---

(١) . دسم الشيء يدسمه دسما: سده. والقباطي (بالضم) : ثياب من كتان رقيق يعمل بمصر، نسبة إلى القبط **على غير قياس**. والمطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام.

(٢) . الجدجد كهدهد طوير شبه الجرادة.

(٣) . الركاء (جمع ركوة) : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.." [1]

٤٨. "وقال القرظي: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه. وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: الطاء طور سيناء والسين إسكندرية والميم مكة. وقال جعفر بن محمد بن علي: الطاء شجرة طوبى، والسين سدرة المنتهى، والميم محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: الطاء من الطاهر والسين من القدوس- وقيل: من

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٤٧/١٣

السميع وقيل: من السلام- والميم من المجيد. وقيل: من الرحيم. وقيل: من الملك. وقد مضى هذا المعنى في أول سورة" البقرة" «١» . والطواسيم والطواسين سور في القرآن جمعت **على غير قياس**. وأنشد أبو عبيدة:

وبالطواسيم التي قد ثلثت ... وبالحواميم التي قد سبعت

قال الجوهري: والصواب أن تجمع بذوات وتضاف إلى واحد، فيقال: ذوات طسم وذوات حم. قوله تعالى: (تلك آيات الكتاب المبين) رفع على إضمار مبتدأ أي هذه" تلك آيات الكتاب المبين" التي كنتم وعدتم بها، لأنهم قد وعدوا في التوراة والإنجيل بإنزال القرآن. وقيل:" تلك" بمعنى هذه. (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك ومهلكها. وقد مضى في" الكهف" «٢» بيانه. (ألا يكونوا مؤمنين) أي لتركهم الإيمان. قال الفراء:" أن" في موضع نصب، لأنها جزاء. قال النحاس: وإنما يقال: بإن مكسورة لأنها جزاء، كذا المتعارف. والقول في هذا ما قاله أبو إسحاق في كتابه في القرآن، قال:" أن" في موضع نصب مفعول من أجله، والمعنى لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان. (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية) أس معجزة ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية، ولكن سبق القضاء بأن تكون المعارف نظرية وقال أبو حمزة الثمالي في هذه الآية: صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان، تخرج به العواتق من البيوت وتضج له الأرض. وهذا فيه بعد، لأن المراد قريش لا غيرهم. (فظلت أعناقهم) أي فتظل أعناقهم (لها خاضعين) قال مجاهد: أعناقهم كبراؤهم، وقال النحاس: ومعروف في اللغة، يقال: جاءني عنق من الناس أي رؤساء منهم. أبو زيد والأخفش:" أعناقهم" جماعاتهم،

---

(١) . راجع ج ١ ص ١٥٤.

(٢) . راجع ج ١٠ ص ٣٤٨.." [1]

٤٩. "وأصلها من: نسأت الغنم أي زجرتها وسقتها، فسميت العصا بذلك لأنه يزجر بها الشيء ويساق. وقال طرفة:

أمون كألواح الإران نسأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد «١»

فسكن همزها. قال النحاس: واشتقاقها يدل على أنها مهموزة، لأنها مشتقة من نسأته أي أخرته ودفعته فقيل لها منسأة لأنها يدفع بها الشيء ويؤخر. وقال مجاهد وعكرمة

: هي العصا، ثم قرأ" منساته" أبدل من الهمزة ألفا، فإن قيل: البدل من الهمزة قبيح جدا وإنما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ، وأبو عمرو بن العلاء لا يغيب عنه مثل هذا لا سيما وأهل المدينة على هذه

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٨٩/١٣

القراءة. فالجواب على هذا أن العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها هكذا كما يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه حتى قال أبو عمور: ولست أدري ممن هو إلا أنها غير مهموزة لأن ما كان مهموزا فقد يترك همزه وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه. المهدوي: ومن قرأ بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد، لأن هاء التأنيث لا يكون ما قبلها إلا متحركا أو ألفا، لكنه يجوز أن يكون ما سكن من المفتوح استخفافا، ويجوز أن يكون لما أبدل الهمزة ألفا **على غير قياس** قلب الألف همزة كما قلبوها في قولهم العألم والخأتم، وروي عن صعيد بن جبير" من" مفصولة" سأته" مهموزة مكسورة التاء، فقيل: إنه من سئة القوس في لغة من همزها، وقد روي همزسية القوس عن رؤبة. قال الجوهري: سية القوس ما عطف من طرفيها، والجمع سيات، والهاء عوض من الواو، والنسبة إليها سيوي. قال أبو عبيدة: كان رؤبة يهمز" سية القوس" وسائر العرب لا يهمزونها. وفي دابة الأرض قولان: أحدهما- أنها أرضة، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وقد قرئ" دابة الأرض" بفتح الراء، وهو «٢» جمع الأرضة، ذكره الماوردي. الثاني- أنها دابة تأكل العيدان. قال الجوهري: والأرضة (بالتحريك) : دويبة تأكل الخشب، يقال: أرضت الخشبة تؤرض أرضا (بالتسكين) فهي مأروضة إذا أكلتها.

---

(١) . الأمون: التي يؤمن عثارها. والاران: تابوت الموتى. واللاحب: الطريق الواضح والبرجد: كساء مخطط

(٢) . في نسخ الأصل: (وهو واحد) .." [1]

٥٠. "السلام له ستمائة جناح. وعن الزهري أن جبريل عليه السلام قال له: (يا محمد، لو رأيت إسرافيل إن له لاثني عشر ألف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش لعلى كاهله وإنه في الأحايين ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع والوصع عصفور صغير حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته (. و" أولو" اسم جمع لذو، كما أن هؤلاء اسم جمع لذا، ونظيرهما في المتمكنة: المخاض «١» والخلفة. وقد مضى الكلام في" مثنى وثلاث ورباع" في" النساء" «٢» وأنه غير منصرف. (يزيد في الخلق ما يشاء) أي في خلق الملائكة، في قول أكثر المفسرين، ذكره المهدوي. وقال الحسن:" يزيد في الخلق" أي في أجنحة الملائكة ما يشاء. وقال الزهري وابن جريج: يعني حسن الصوت. وقد مضى القول فيه في مقدمة الكتاب «٣» . وقال الهيثم الفارسي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي، فقال: (أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك جزاك الله خيرا) . وقال قتادة:" يزيد في الخلق ما يشاء" الملاحة في العينين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم. وقيل: الخط الحسن. وقال مهاجر الكلاعي قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا) . وقيل: الوجه الحسن. وقيل في الخبر

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٤/ ٢٨٠

في هذه الآية: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن، ذكره القشيري. النقاش: هو الشعر الجعد «٤» . وقيل: العقل والتمييز. وقيل: العلوم والصنائع. (إن الله على كل شيء قدير) من النقصان والزيادة. الزمخشري: والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأت «٥» في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف.

---

(١) . المخاض: الحوامل من النوق واحدتها خلقة **على غير قياس** ولا واحد لها من لفظها كما قالوا لواحدة النساء: امرأة ولواحدة الإبل: ناقة أو بعير.

(٢) . راجع ج ٥ ص ١٥ فما بعد.

(٣) . راجع (باب كيفية التلاوة ولكتاب الله تعالى) .

(٤) . ما فيه التواء وتقبض. أو القصير منه.

(٥) . تأتي فلان لحاجته: إذا ترفق لها وأتاها من وجهها.." (١)

٥١. "وقد قال الله عز وجل:" فهي إلى الأذقان" فقد علم أنه يراد به الأيدي." فهم مقمحون" أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق، لأن من علت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه. روى عبد الله بن يحيى: أن علي بن أبي طالب عليه السلام أراهم الإقماح، فجعل يديه تحت لحيته وألصقهما ورفع رأسه. قال النحاس، وهذا أجل ما روي فيه وهو مأخوذ مما حكاه الأصمعي. قال: يقال أقمحت الدابة إذا جذبت لجامها لترفع رأسها. قال النحاس: والقاف مبدلة من الكاف لقربها منها. كما يقال: قهرته وكهرته. قال الأصمعي: يقال أكمحت الدابة إذا جذبت عنانها حتى ينتصب رأسها. ومنه قول الشاعر:

... والرأس مكمح «١»

ويقال: أكمحتها وأكفحتها وكبحتها، هذه وحدها بلا ألف عن الأصمعي. وقمح البعير قموحا إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب، فهو بعير قامح وقمح، يقال: شرب فتقمح وانقمح بمعنى إذا رفع رأسه وترك الشرب ريا. وقد قامحت إبلك: إذا وردت ولم تشرب، ورفعت رأسها من داء يكون بها أو برد. وهي إبل مقامحة، وبعير مقامح، وناقة مقامح أيضا، والجمع قماح **على غير قياس**، قال بشر يصف سفينة:

ونحن على جوانبها قعود ... ونغض الطرف كالإبل القماح

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٤/٣٢٠

والإقماح: رفع الرأس وغض البصر، يقال: أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعا من ضيقه. وشهرا قماح: أشد ما يكون من البرد، وهما الكانونان

سميا بذلك، لأن الإبل إذا وردت آذاها برد الماء فقامحت رءوسها، ومنه قمحت «٢» السويق. وقيل: هو مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعكم من الهدى كامتناع المغلول، قال يحيى بن سلام وأبو عبيدة. وكما يقال: فلان حمار، أي لا يبصر الهدى. وكما قال:

لهم عن الرشد أغلال وأقياد

---

(١) . للبيت الذي الرمة وتمامه:

تمور بضبعيها وترمى بجوزها ... وحذارا من الإيعاد والرأس مكمح

(٢) . قمح السويق (بكسر الميم) إذا استفه.." [1]

٥٢. "وهي السويق وليس من قبيل القوة، قاله الترمذي الحكيم" فأقبلوا إليه يزفون" قرأ حمزة" يزفون" بضم الياء. الباقون بفتحها. أي يسرعون، قاله ابن زيد. قتادة والسدي: يمشون. وقيل: المعنى يمشون بجمعهم على مهل آمنين أن يصيب أحد آلهتهم بسوء. وقيل: المعنى يتسللون تسللا بين المشي والعدو، ومنه زفيف النعامة. وقال الضحاك: يسعون وحكى يحيى بن سلام: يرعدون غضبا. وقيل: يختالون وهو مشي الخيلاء، قاله مجاهد. ومنه أ، خذ زفاف العروس إلى زوجها. وقال الفرزدق:

وجاء قريع الشول قبل إفالها ... ويزف وجاءت خلفه وهي زفف «١»

ومن قرأ" يزفون" فمعناه يزفون غيرهم أي يحملونهم على التزفيف. وعلى هذا فالمفعول محذوف. قال الأصمعي: أزففت الإبل أي حملتها على أن تزف. وقيل: هما لغتان يقال: زف القوم وأزفوا، وزففت العروس وأزففتها وازدففتها بمعنى، والمزفة: المحفة التي تزف فيها العروس، حكى ذلك عن الخليل. النحاس:" ويزفون" بضم الياء. زعم أبو حاتم أنه لا يعرف هذه اللغة، وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم: أطردت الرجل أي صيرته إلى ذلك. وطردته نحيته، وأنشد هو وغيره:

تمنى حصين أن يسود جذاعة ... وفأمسى حصين قد أذل وأقهرا «٢»

أي صير إلى ذلك، فكذلك" يزفون" يصيرون إلى الزفيف. قال محمد بن زيد: الزفيف الإسراع. وقال أبو إسحاق: الزفيف أول عدو النعام. وقال أبو حاتم: وزعم الكسائي أن قوما قرءوا" فأقبلوا إليه يزفون" خفيفة، من وزف يزف، مثل وزن يزن. قال النحاس: فهذه حكاية أبي حاتم وأبو حاتم لم يسمع من الكسائي شيئا. وروى الفراء وهو صاحب الكسائي عن الكسائي أنه لا يعرف" يزفون" مخففة. قال

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٥/٨

الفراء: وأنا لا أعرفها. قال

---

(١) . القريع: الفحل المختار للضراب. الشول من النوق جمع شائلة **على غير قياس**. وهى الناقة التي أتى عليها، حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها. وإفالها: صغارها. ويزف: يعدو. يريد أن القريع يفر من شدة البرد وكذا الافال.

(٢) . البيت للمخبل السعدي يهجو الزبرقان وقومه، وهم المعروفون بالجذاع. والأصمعي يرويه كما في اللسان مادة قهر، قد أذل وأقهرا بالبناء للمعلوم، أي صار أمره الى الذل والقمر.." (١)

٥٣. "[تفسير سورة غافر]

تفسير سورة غافر وهي سورة المؤمن، وتسمى سورة الطول وهي مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. وعن الحسن إلا قوله:" وسبح بحمد ربك" [غافر: ٥٥] لأن الصلوات نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما" إن الذين يجادلون في آيات الله" [غافر: ٥٦] والتي بعدها. وهي خمس وثمانون آية. وفي مسند الدارمي قال: حدثنا جعفر بن عون عن مسعر عن سعد بن إبراهيم قال: كن الحواميم يسمين العرائس. وروي من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الحواميم ديباج القرآن" وروي عن ابن مسعود مثله. وقال الجوهري وأبو عبيدة: وآل حم سور في القرآن. قال ابن مسعود: آل حم ديباج القرآن. قال الفراء: إنما هو كقولك آل فلان وآل فلان كأنه نسب السورة كلها إلى حم، قال الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية ... - تأولها منا تقي ومعزب «١»

قال أبو عبيدة: هكذا رواها الأموي بالزاي، وكان أبو عمرو يرويها بالراء. فأما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب. وقال أبو عبيدة: الحواميم سور في القرآن **على غير قياس**، وأنشد

وبالحواميم التي قد سبغت «٢»

قال: والأولى أن تجمع بذوات حم. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لكل شي ثمرة وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضا ت حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم". وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب" ذكرها الثعلبي. وقال أبو عبيد: وحدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال: رأى رجل سبع جوار حسان مزينات في النوم فقال لمن أنتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن قرأنا نحن الحواميم.

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٩٥/١٥

(١) . الآية التي ذكرها هي قوله تعالى" قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " يقول الشاعر:
من تأول هذه الآية لم يسعه الا التشيع لال النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم، وإبداء. المودة.
وتقى: ساكت عنه للتقية. ويروى: تقى معرب، كمكلم أي مبين لما في نفسه.
(٢) . صدره:
وبالطواسين التي قد ثلثت.." [١]

٥٤. "أسماء الله الحسنى (، وكفى في هذا قوله الحق:" ليس كمثله شيء". وقد قال بعض العلماء المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات. وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة. وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة. رضي الله عنهم!

[سورة الشورى (٤٢) : آية ١٢]
له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)
قوله تعالى:" له مقاليد السماوات والأرض" تقدم في" الزمر" «١» بيانه. النحاس: والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن، يقال للمفتاح: إقليد، وجمعه **على غير قياس**، كمحاسن والواحد حسن." يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم" تقدم أيضا في غير موضع «٢» .

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ١٣ الى ١٤]
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)

---

(١) . راجع ج ١٥ ص ٢٧٤.
(٢) . راجع ج ١ ص ٦٢ ١ طبعه ثانية أو ثالثة. وج ٩ ص ٣١٤." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٥/٢٨٨
(٢) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٦/٩

٥٥. "الناس. وأبو مالك عمرو بن كركرة رجل من علماء اللغة. قال أبو عبيد: وأما الأفلاذ فإن واحدها فلذ، وهي القطعة من الكبد. قال أعشى باهلة:

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويروي شربه الغمر «١»

وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر رضي الله عنه قال: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي للآخرة. ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير! فقال خالد ابن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال: لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام، وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا. وفي صحيح مسلم وغيره أن عمر رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربته «٢» حين هجر نساءه قال: فالتفت فلم أر شيئا يرد البصر إلا أهبا «٣» جلودا معطونة قد سطع ريحها، فقلت: يا رسول الله، أنت رسول الله وخيرته، وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير؟ قال: فاستوى جالسا وقال: (أفي شك أنت يا بن الخطاب. أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا) فقلت: استغفر لي! فقال: (اللهم اغفر له) . وقال حفص بن أبي العاص: كنت أتغدى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت، والخبز والخل، والخبز واللبن، والخبز والقديد، وأقل ذلك اللحم الغريض «٤» . وكان يقول: لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله، فجيء بخبز متفلع «٥» غليظ، فجعل يأكل ويقول: كلوا، فجعلنا لا نأكل، فقال: ما لكم لا تأكلون؟ فقلنا: والله يا أمير المؤمنين نرجع إلى طعام ألين من طعامك هذا، فقال: يا بن أبي العاص أما ترى بأني عالم أن لو أمرت بعناق «٦» سمينة فيلقى عنها شعرها ثم تخرج مصلية «٧» كأنها كذا وكذا،

---

(١) . الغمر (بضم الأول وفتح الثاني) : القدح الصغير.

(٢) . المشربة (بفتح الميم والراء) : الموضع الذي يشرب منه الناس. (بضم الراء وفتحها) : الغرفة.

(٣) . بضم الهمزة والهاء، وبفتحهما **على غير قياس**، جمع إهاب، وهو الجلد.

(٤) . الغريض: الطري.

(٥) . في نسخة من الأصل:" متقلع" بالقاف. والمتفلع: المشقق. [.....]

(٦) . العناق: الأنثى من ولد المعز، والجمع أعنق وعنوق.

(٧) . الصلاء (بالكسر) : الشواء.." [١]

٥٦. "قوله تعالى: (ذواتا أفنان) قال ابن عباس وغيره: أي ذواتا ألوان من الفاكهة الواحد فن. وقال مجاهد: الأفنان الأغصان واحدها فنن، قال النابغة:

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢٠١/١٦

بكاء حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني «١»

وقال آخر يصف طائرين:

باتا على غصن بان في ذرى فنن ... يرددان لحونا ذات ألوان

أراد باللحون اللغات. وقال آخر:

ما هاج شوقك من هديل حمامة ... تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف ضاريا ... ذا مخلبين من الصقور قطاما

والفنن جمعه أفنان ثم الأفانين، وقال يصف رحى:

لها زمام من أفانين الشجر

وشجرة فناء أي ذات أفنان وفنواء أيضا **على غير قياس**. وفي الحديث: (إن أهل الجنة مرد مكحلون أولو أفانين) يريد أولو فنن وهو جمع أفنان، وأفنان جمع فنن [وهو الخصلة «٢»] من الشعر شبه بالغصن. ذكره الهروي. وقيل: (ذواتا أفنان) أي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما، قاله قتادة. وعن مجاهد أيضا وعكرمة: إن الأفنان ظل الأغصان على الحيطان. قوله تعالى: (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية. قال ابن عباس: تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة. وعن ابن عباس أيضا والحسن: تجريان بالماء الزلال، إحدى العينين التسنيم والأخرى السلسبيل. وعنه أيضا:

---

(١) . قبل هذا البيت:

أسائلها وقد سفحت دموعي ... كأن مفيضهن غروب شن

(٢) . الزيادة من النهاية لابن الأثير.." (١)

٥٧. "سائل، وهو قول زيد بن ثابت. قال الثعلبي: والأول أحسن، كقول الأعشى «١» في تخفيف الهمزة:

سالتاني الطلاق إذ رأتاني ... قل مالي قد جئتماني بنكر

وفي الصحاح: قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. وقد تخفف همزته فيقال: سال يسال. وقال:

ومرهق سال إمتاعا بأصدته ... لم يستعن وحوامي الموت تغشاه «٢»

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٧/١٧٨

المرهق: الذي أدرك ليقتل. والأصدة بالضم: قميص صغير يلبس تحت الثوب. المهدوي: من قرأ" سال" جاز أن يكون خفف الهمزة بإبدالها ألفا، وهو البدل **على غير قياس**. وجاز أن تكون الألف منقلبة عن واو على لغة من قال: سلت أسال، كخفت أخاف. النحاس: حكى سيبويه سلت أسال، مثل خفت أخاف، بمعنى سألت. وأنشد:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب «٣»

ويقال: هما يتساولان. المهدوي: وجاز أن تكون مبدلة من ياء، من سال يسيل. ويكون سائل واديا في جهنم، فهمزه سائل على القول الأول أصلية، وعلى الثاني بدل من واو، وعلى الثالث بدل من ياء. القشيري: وسائل مهموز، لأنه إن كان من سأل بالهمز فهو مهموز، وإن كان من غير الهمز كان مهموزا أيضا، نحو قائل وخائف، لأن العين اعتل في الفعل واعتل في اسم الفاعل أيضا. ولم يكن الاعتلال بالحذف لخوف الالتباس، فكان بالقلب إلى الهمزة، ولك تخفيف الهمزة حتى تكون بين بين. واقع أي يقع بالكفار بين

---

(١) . لم تجد البيت في شعر الاعشين. وفى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٢٩١، ج ٢ ص ١٧٠) أنه لزيد بن عمرو ابن نفيل القرشي. وعلق عليه الأعلم الشنتمرى أنه يروى لنبيه بن الحجاج.

(٢) . لم يستعن، أي لم يحلق عانته. وحوامي الموت وحوائمه: أسبابه. قال ابن برى: أنشده أبو على الباهلي غيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف رجلا شريفا، ارتث في بعض المعارك فسألهم أن يمتعوه بقميصه، أي لا يسلب. [.....]

(٣) . البيت لحسان بن ثابت.." [١]

٥٨. "نصب نعت لمصدر، أي سؤالا كما. و" موسى " في موضع رفع على ما لم يسم فاعله." من قبل": سؤالهم إياه أن يريهم الله جهرة، وسألوا محمدا أن يأتي بالله والملائكة قبيلا. عن ابن عباس ومجاهد: سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبا. وقرأ الحسن" كما سيل"، وهذا على لغة من قال: سلت أسأل، ويجوز أن يكون على بدل الهمزة ياء ساكنة **على غير قياس** فانكسرت السين قبلها. قال النحاس: بدل الهمزة بعيد. والسواء من كل شي: الوسط. قاله أبو عبيدة معمر بن المثنى، ومنه قوله:" في سواء الجحيم". وحكى عيسى بن عمر قال: ما زلت أكتب حتى انقطع سوائي، وأنشد قول حسان يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا ويح أصحاب النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد

وقيل: السواء القصد، عن الفراء، أي ذهب عن قصد الطريق وسمته، أي طريق طاعة الله عز وجل. وعن

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٨/٢٨٠

ابن عباس أيضا أن سبب نزول هذه الآية أن رافع بن خزيمة ووهب بن زيد قالا للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بكتاب من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارا نتبعك.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٠٩ الى ١١٠]

ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير (١٠٩) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير (١١٠)

قوله تعالى:" ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق". فيه مسألتان: الأولى- " ود" تمنى، وقد تقدم «١» ." كفارا" مفعول ثان ب" يردونكم"." من عند أنفسهم" قيل: هو متعلق ب" ود". وقيل: ب" حسدا"، فالوقف على قوله:" كفارا". و" حسدا" مفعول له، أي ود. ذلك للحسد، أو مصدر دل على ما قبله على الفعل. ومعنى" من عند أنفسهم" أي من

---

(١) . راجع ص ٣٤ من هذا الجزء.." [1]

٥٩. "مكة، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شي «١» ، أما ما زاد في طوله فأقره، وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه، فنقضه وأعاده إلى بنائه. في رواية: قال عبد الملك: ما كنت أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها، قال الحارث بن عبد الله: بلى، أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه «٢» فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأربك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع (. في أخرى: قال عبد الملك: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير. فهذا ما جاء في بناء الكعبة من الآثار. وروي أن الرشيد ذكر لمالك بن أنس أنه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة، وأن يرده على بناء ابن الزبير لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وامتثله ابن الزبير، فقال له مالك: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك، لا يشاء أحد منهم إلا نقض البيت وبناه، فتذهب هيبته من صدور الناس. وذكر الواقدي: حدثنا معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة يقول،: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد الحميري، وهو تبع، وهو أول من كسا البيت، وهو تبع الآخر. قال ابن إسحاق: كانت تكسى القباطي «٣» ثم كسيت البرد،

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٧٠/٢

وأول من كساها الديباج الحجاج. قال العلماء: ولا ينبغي أن يؤخذ من كسوة الكعبة شي، فإنه مهدي إليها، ولا ينقص منها شي. روي عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى به، وكان إذا رأى الخادم يأخذ منه قفدها قفدة «٤» لا يألو أن يوجعها. وقال عطاء: كان أحدنا إذا أراد أن يستشفي به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم أخذه.

---

(١) . قوله: إنا لسنا ... إلخ، قال النووي:" يريد بذلك سبه وعيب فعله، يقال: لطخته أي رميته بأمر قبيح".

(٢) . كان في صحيح مسلم. وفى نسخ الأصل:" تمامه".

(٣) . القباطي (جمع القبطية القاف) : ثياب كتاب بيض رقاق تعمل بمصر، وهى منسوبة إلى القبط **على غير قياس.**

(٤) . القفد (بفتح فسكون) : صفع الرأس ببسط الكف من قبل القفا.." [1]

٦٠. "يكتب كله. وقيل: معنى" لن يضروا الله شيئا" أي لن يضروا أولياء الله حين تركوا نصرهم إذ كان الله عز وجل ناصرهم. قوله تعالى: (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم) أي نصيبا. والحظ النصيب والجد. يقال: فلان أحظ من فلان، وهو محظوظ. وجمع الحظ أحاظ **على غير قياس** «١» . قال أبو زيد: يقال رجل حظيظ، أي جديد إذا كان ذا حظ من الرزق. وحظظت في الأمر أحظ. وربما جمع الحظ أحظا. أي لا يجعل لهم نصيبا في الجنة. وهو نص في أن الخير والشر بإرادة الله تعالى.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٧٧]

إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم (١٧٧)

قوله تعالى: (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) تقدم في البقرة «٢» . (لن يضروا الله شيئا) كرر للتأكيد. وقيل: أي من سوء تدبيره استبدال الإيمان بالكفر وبيعه به، فلا يخاف جانبه ولا تدبيره. وانتصب" شيئا" في الموضعين لوقوعه موقع المصدر، كأنه قال: لن يضروا الله ضررا قليلا ولا كثيرا. ويجوز انتصابه على تقدير حذف الباء، كأنه قال: لن يضروا الله بشيء.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٧٨]

ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين (١٧٨)

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٢٥/٢

قوله تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم) الإملاء طول العمر ورغد العيش. والمعنى: لا يحسبن هؤلاء الذين يخوفون المسلمين، فإن الله قادر

---

(١) . قال الجوهري: كأنه جمع أحظ. قال ابن برى: وقوله" أحاظ على غير قياس" وهم منه، بل أحاظ جمع أحظ، وأصله أحظظ فقلبت الظاء الثانية ياء فصارت أحظ، ثم جمعت على أحاظ. (عن اللسان) .

(٢) . راجع ج ١ ص ٢١٠.." [١]

٦١. "الثامنة والعشرون- ذكر الله عز وجل في كتابه الكلالة في موضعين آخر السورة وهنا، ولم يذكر في الموضعين وارثا غير الإخوة. فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عنى بها الإخوة للأم، لقوله تعالى: (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) . وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ (وله أخ أو أخت من أمه) . ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة للأب والأم أو الأب ليس ميراثهم كهذا، فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في آخر السورة هم إخوة المتوفى لأبيه وأمه أو لأبيه، لقوله عز وجل (وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين «١») . ولم يختلفوا أن ميراث الإخوة للأم ليس هكذا، فدلت الآيتان أن الإخوة كلهم جميعا كلالة. وقال الشعبي: (الكلالة ما كان سوى الولد والوالد من الورثة إخوة أو غيرهم من العصبة) . كذلك قال علي وابن مسعود وزيد وابن عباس، وهو القول الأول الذي بدأنا به. قال الطبري: والصواب أن الكلالة هم الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده، لصحة خبر جابر: فقلت يا رسول الله إنما يرثني كلالة، أفأوصي بمالي كله؟ قال: (لا) . التاسعة والعشرون- قال أهل اللغة: يقال رجل كلالة وامرأة كلالة. ولا يثنى ولا يجمع، لأنه مصدر كالوكالة والدلالة والسماحة والشجاعة. وأعاد ضمير مفرد في قوله: (وله أخ) ولم يقل لهما. ومضى ذكر الرجل والمرأة على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما وربما أضافت إليهما جميعا، تقول: من كان عنده غلام وجارية فليحسن إليه وإليها وإليهما وإليهم، قال الله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة «٢») . وقال تعالى: (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما «٣») ويجوز أولى بهم، عن الفراء وغيره. ويقال في امرأة: مرأة، وهو الأصل. وأخ أصله أخو، يدل عليه أخوان، فحذف منه وغير على غير قياس. قال الفراء ضم أول أخت، لأن المحذوف منها واو، وكسر أول بنت، لأن المحذوف منها ياء. وهذا الحذف والتعليل على غير قياس أيضا.

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٤/٢٨٦

(١) . راجع ج ٦ ص ٢٨.

(٢) . راجع ج ١ ص ٣٧١. [.....]

(٣) . راجع ص ٤١٠ من هذا الجزء.." [(١)]

٦٢. "وأخراهم. وأما القول الثالث فخاص، وأخص منه القول الرابع. وأما الخامس فيأباه ظاهر اللفظ وإن كان المعنى صحيحا، فإن العقل لكل فضيلة أس، ولكل أدب ينبوع، وهو الذي جعله الله للدين أصلا وللدنيا عمادا، فأوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، والعاقل أقرب إلى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل. وروى هذا المعنى عن ابن عباس. وزعم قوم أن المراد بأولي الأمر علي والأئمة المعصومون. ولو كان كذلك ما كان لقوله: (فردوه إلى الله والرسول) معنى، بل كان يقول فردوه إلى الإمام وأولي الأمر، فإن قوله عند هؤلاء هو المحكم على الكتاب والسنة. وهذا قول مهجور مخالف لما عليه الجمهور. وحقيقة الطاعة امتثال الأمر، كما أن المعصية ضدها وهي مخالفة الأمر. والطاعة مأخوذة من أطاع إذا انقاد، والمعصية مأخوذة من عصى إذا اشتد. و (أولو) واحدهم (ذو) **على غير قياس** كالنساء والإبل والخيل، كل واحد اسم الجمع ولا واحد له من لفظه. وقد قيل في واحد الخيل: خائل وقد تقدم «١» . الثانية- قوله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء) أي تجادلتم واختلفتم، فكأن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها. والنزع الجذب. والمنازعة مجاذبة الحجج، ومنه الحديث (وأنا أقول ما لي ينازعني القرآن «٢») . وقال الأعشى:

نازعتم قضب الريحان متكئا ... وقهوة مزة راووقها «٣» خضل

[الخضل النبات الناعم والخضيلة الروضة «٤»] (في شيء) أي من أمر دينكم. (فردوه إلى الله والرسول) أي ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى رسوله بالسؤال في حياته، أو بالنظر في سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة، وهو الصحيح. ومن لم ير هذا اختل إيمانه، لقوله تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) . وقيل: المعنى قولوا الله ورسوله أعلم، فهذا هو الرد. وهذا

(١) . راجع ج ٤ ص ٢٢.

(٢) . في نهاية ابن الأثير ولسان العرب: (مالى أنازع القرآن) . وينازعني: يجاذبني في القراءة، ذلك أن بعض المأمومين جهر خلفه فنازعه قراءته فشغله، فنهاه عن الجهر بالقراءة في الصلاة خلفه.

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٥/٧٨

(٣) . الراووق: المصفاة.

(٤) . الزيادة في ج.." [(١)]

٦٣. "وامرأة خمصانة. وقد تقدم «١» . (في سبيل الله) أي في طاعته. (ولا يطؤن موطئا) أي أرضا. (يغيظ الكفار) أي بوطئهم أيا ها، وهو في موضع نصب لأنه نعت للموطئ، أي غائظا. (ولا ينالون من عدو نيلا) أي قتلا وهزيمة. وأصله من نلت الشيء أنال أي أصبت. قال الكسائي: هو من قولهم أمر منيل منه، وليس هو من التناول، إنما التناول من نلته العطية «٢» . قال غيره: نلت أنول من العطية، من الواو والنيل من الياء، تقول: نلته فأنا نائل، أي أدركته. (ولا يقطعون واديا) العرب تقول: واد وأودية **على غير قياس**. قال النحاس: ولا يعرف فيما علمت فاعل وأفعلة سواه والقياس أن يجمع ووادي فاستثقلوا الجمع بين واوين وهم قد يستثقلون واحدة حتى قالوا: أقتت في وقتت. وحكى الخليل وسيبويه في تصغير واصل اسم رجل أو يصل فلا يقولون غيره. وحكى الفراء في جمع واد أو داء. قلت: وقد جمع أوداه قال جرير:

عرفت ببرقة الأوداه رسما ... محيلا طال عهدك من رسوم «٣»

(إلا كتب لهم به عمل صالح) قال ابن عباس: بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعون ألف حسنة. وفي الصحيح: (الخيل ثلاثة ... - وفيه- وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج «٤» أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ...) . الحديث. هذا وهي في مواضعها فكيف إذا أدرب بها «٥» . الرابعة- استدل بعض «٦» العلماء بهذه الآية على أن الغنيمة تستحق بالإدراب والكون في بلاد العدو فإن مات بعد ذلك فله سهمه وهو قول أشهب وعبد الملك وأحد قولي الشافعي. وقال مالك وابن القاسم: لا شي له لأن الله عز وجل إنما ذكر في هذه الآية الأجر ولم يذكر السهم.

---

(١) . راجع ج ٦ ص ٦٤.

(٢) . في ب وع وك وه: بالعطية. هما لغتان.

(٣) . في ديوانه ومعجم البلدان لياقوت: (ببرقة الوداء) والوداء: واد أعلاه لبني العدوية والتيم وأسفله لبني كليب وضبة.

(٤) . المرج: مرعى الدواب.

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٥/٢٦١

(٥) . أدرب القوم: دخلوا أرض العدو.

(٦) . سقط بعض من ب وع وك وه.." (١)

٦٤. "يحزنون

الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول، وما مزيدة أكدت به إن ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب، والمعنى: إن يأتينكم مني هدى بإنزال أو إرسال، فمن تبعه منكم نجا وفاز، وإنما جيء بحرف الشك، وإتيان الهدى كائن لا محالة لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا، وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني أعم من الأول، وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل، أي: فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن أن يحل بهم مكروه، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه، فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه. وقرئ «هدى» على لغة هذيل و «لا خوف» بالفتح.

[سورة البقرة (٢) : آية ٣٩]

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع إلى آخره قسيم له كأنه قال: ومن لم يتبع بل كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أو كفروا بالآيات جنانا، وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور. والآية في الاصل العلامة الظاهرة، ويقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل، واشتقاقها من آي لأنها تبين آيا من أي أو من أوى إليه، وأصلها أية أو أوية كتمرة، فأبدلت عينها ألفا **على غير قياس**. أو أيية. أو أوية كرمكة فأعلت. أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا. والمراد بآياتنا الآيات المنزلة، أو ما يعمها والمعقولة. وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه:

الأول: أن آدم صلوات الله عليه كان نبيا، وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص.

والثاني: أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى: ألا لعنة الله على الظالمين.

والثالث: أنه تعالى أسند إليه العصيان، فقال وعصى آدم ربه فغوى.

والرابع: أنه تعالى لقنه التوبة، وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه.

والخامس: اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله تعالى إياه بقوله: وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة.

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٨/٢٩١

والسادس: أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى. والجواب من وجوه.
الأول: أنه لم يكن نبيا حينئذ، والمدعي مطالب بالبيان.
والثاني: أن النهي للتنزيه، وإنما سمي ظالما وخاسرا لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له. وأما إسناد الغي والعصيان إليه، فسيأتي الجواب عنه في موضعه إن شاء الله تعالى. وإنما أمر بالتوبة تلافيا لما فات عنه، وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الأولى، ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه.
والثالث: أنه فعله ناسيا لقوله سبحانه وتعالى: فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان، ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم كما
قال عليه الصلاة والسلام «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل»
. أو أدى فعله إلى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله، كتناول السم على الجاهل بشأنه. لا يقال إنه باطل لقوله تعالى: ما نهاكما ربكما، وقاسمهما الآيتين، لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ما قال له إبليس، فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا، ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أن نسي ذلك، وزال المانع فحمله الطبع عليه.." (١)

٦٥. "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين أي إذا داين بعضكم بعضا، تقول: داينته إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا. وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال، وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه إلى أجل مسمى معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج.
فاكتبوه لأنه أوثق وادفع للنزاع، والجمهور على أنه استحباب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم) . وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب السوية لا يزيد ولا ينقص، وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع.
ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب. أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق، أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله: وأحسن كما أحسن الله إليك. فليكتب تلك الكتابة المعلمة. أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيدا، ويجوز أن تتعلق الكاف بالأمر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الأمر بها مقيدة. وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لأنه المقر المشهود عليه، والإملال والإملاء واحد. وليتق الله ربه أي المملي. أو الكاتب. ولا يبخس ولا ينقص. منه شيئا أي من الحق، أو مما أملى عليه. فإن كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا. أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا. أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملال بنفسه لخرس أو

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٧٤/١

جهل باللغة. فليملل وليه بالعدل أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم إن كان صبيا أو مختل العقل، أو وكيل أو مترجم إن كان غير مستطيع. وهو دليل جريان النيابة في الإقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل. واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان. من رجالكم من رجال المسلمين، وهو دليل اشتراط إسلام الشهود وإليه ذهب عامة العلماء وقال أبو حنيفة: تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض. فإن لم يكونا رجلين فإن لم يكن الشاهدان رجلين. فرجل وامرأتان فليشهد أو فليستشهد رجل وامرأتان، وهذا مخصوص بالأموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة. ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم. أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى علة اعتبار العدد أي لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى، والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم: أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه، وكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن. وقرأ حمزة أن تضل على الشرط «فتذكر» بالرفع. وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتذكر من الإذكار. ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة أو التحمل.

وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة. ولا تسئموا أن تكتبوه ولا تملوا من كثرة مدايناتكم أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب. وقيل كنى بالسأم عن الكسل لأنه صفة المنافق، ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام «لا يقول المؤمن كسلت»

صغيرا أو كبيرا صغيرا كان الحق أو كبيرا، أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا. إلى أجله إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون. ذلكم إشارة إلى أن تكتبوه. أقسط عند الله أكثر قسطا. وأقوم للشهادة وأثبت لها وأعون على إقامتها، وهما مبنيان من أقسط وأقام **على غير قياس**، أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم، وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده. وأدنى ألا ترتابوا وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك. إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها استثناء من الأمر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين، وإدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد أي: إلا أن تتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا، لبعده عن التنازع والنسيان. ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله:

بني أسد هل تعلمون بلاءنا ... إذا كان يوماذا كواكب أشنعا." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ١٦٤/١

٦٦. "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلوا كما خلوا بالموت أو القتل. أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم إنكارا لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به. وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته.

روي (أنه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه، فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل، فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو إلي عباد الله فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون، وقال بعضهم: ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما: يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه، ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ إليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل) فنزلت

. ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه. وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الإسلام بالثبات عليه كأنس وأضرابه.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٤٥]

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين (١٤٥)

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله إلا بمشيئة الله تعالى أو بإذنه لملك الموت عليه الصلاة والسلام في قبض روحه، والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالإحجام عن القتال والإقدام عليه. وفيه تحريض وتشجيع على القتال، ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الأجل. كتابا مصدر مؤكد إذ المعنى كتب الموت كتابا. مؤجلا صفة له أي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر. ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد، فإن المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون، فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم. ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي من ثوابها. وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٤٦]

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦)

وكأين أصله أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت في الخط **على غير قياس**. وقرأ ابن كثير «وكائن» ككاعن ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري، فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى ألفا كما أبدلت من طائي من نبي بيان له.

قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء أتقياء، أو عابدون لربهم. وقيل جماعات والربى منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب «قتل» ، وإسناده إلى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الأول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الأصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر. فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم. وما ضعفوا عن العدو أو في الدين. وما استكانوا وما خضعوا للعدو، وأصله استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده، والألف من إشباع الفتحة أو استكون من." (١)

٦٧. "ولعل أصله المحل بمعنى القحط. وقيل فعال من المحل بمعنى القوة. وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل **على غير قياس** ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال، ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم: فساعد الله أشد وموساه أحد.

[سورة الرعد (١٣) : آية ١٤]

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٤)

له دعوة الحق الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه، ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة ال دعوة لما بينهما من الملابسة، أو على تأويل دعوة المدعو الحق. وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء إليه دعوة الحق، والمراد بالجملتين إن كانت الآية في أربد وعامر أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله إجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم أو دلالة على أنه على الحق، وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم، أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم. والذين يدعون أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون،

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٢/ ٤١

فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه. لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات. إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه. إلى الماء ليبلغ فاه يطلب منه أن يبلغه. وما هو ببالغه لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم. وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه. وقرئ «تدعون» بالتاء وباسط بالتنوين. وما دعاء الكافرين إلا في ضلال في ضياع وخسار وباطل.

[سورة الرعد (١٣) : آية ١٥]
ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال (١٥)
ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين، طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة.
وظلالهم بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده منهم شاؤوا أو كرهوا، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله: بالغدو والآصال ظرف ل يسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال، وتخصيص الوقتين لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما، والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة، والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قد قرئ و «الإيصال» وهو الدخول في الأصيل.

[سورة الرعد (١٣) : آية ١٦]
قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار (١٦)
قل من رب السماوات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما. قل الله أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه، ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به. قل أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل. أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه، وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم. قل هل يستوي الأعمى والبصير المشرك." (١)

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ١٨٤/٣

٦٨. "عبادي الشكور

المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه، لأن توفيقه الشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا إلى نهايته، ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ١٤ الى ١٥]

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (١٤) لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (١٥)

فلما قضينا عليه الموت أي على سليمان. ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله. إلا دابة الأرض أي الأرضة أضيفت إلى فعلها، وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال: أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا. تأكل منسأته عصاه من نسأت البعير إذا طردته لأنها يطرد بها، وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا **على غير قياس** إذ القياس إخراجها بين بين، و «منساءته» على مفعالة كميضاءة في ميضأة و «من سأته» أي طرف عصاه مستعار من سأت القوس، وفيه لغتان كما في قحة وقحة، وقرأ نافع وأبو عمرو منسأته بألف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة إذا وقف جعلها بين بين. فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم.

أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره إلى أن خر، أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب. وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه، فوصى به إلى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله وأعلم به، فأراد أن يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب، فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة، وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة، وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه. لقد كان لسبإ لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة، وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب. في مساكنهم في مواضع سكناهم، وهي باليمن يقال لها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث، وقرأ حمزة وحفص

بالإفراد والفتح، والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع. آية علامة دالة على وجود الصانع المختار، وأنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام. جنتان بدل من آية أو خبر محذوف تقديره الآية جنتان، وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين.

عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامهما كأنها جنة واحدة، أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله. كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم، أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك. بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة على موجب الشكر، أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره. وقرئ الكل بالنصب على المدح. قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ١٦ الى ١٧]

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (١٧)." (١)

٦٩. "وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب، ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق، ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب، أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس، وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف.

يقول الإنسان يومئذ أين المفر أي القرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني، وقرئ بالكسر وهو المكان.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١١ الى ١٣]

كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣)

كلا ردع عن طلب المفر. لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل.

إلى ربك يومئذ المستقر

إليه وحده استقرار العباد، أو إلى حكمه استقرار أمرهم، أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٤/٢٤٤

ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده، أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه، أو بأول عمله وآخره.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٤ الى ١٩]

بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)

ثم إن علينا بيانه (١٩)

بل الإنسان على نفسه بصيرة

حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها، وصفها بالبصارة على المجاز، أو عين بصيرة فلا يحتاج إلى الإنباء.

ولو ألقى معاذيره

ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر، أو جمع معذرة **على غير قياس** كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر.

لا تحرك

يا محمد، به

بالقرآن. لسانك

قبل أن يتم وحيه. لتعجل به

لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك.

إن علينا جمعه

في صدرك. وقرآنه

وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي.

فإذا قرأناه

بلسان جبريل عليك. فاتبع قرآنه

قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك.

ثم إن علينا بيانه بيان ما أشكل عليك من معانيه، وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره، أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات. وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا، فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل

به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته، فإذا قرأناه فاتبع قراءته بالإقرار أو التأمل فيه، ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ٢٠ الى ٢٣]
كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)
كلا ردع للرسول عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل. بل تحبون العاجلة.
وتذرون الآخرة تعميم للخطاب إشعارا بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب." [١]

٧٠. "(٩٧) سورة القدر
مختلف فيها، وآيها خمس آيات

[سورة القدر (٩٧) : الآيات ١ الى ٣]
بسم الله الرحمن الرحيم
إنا أنزلناه في ليلة القدر (١) وما أدراك ما ليلة القدر (٢) ليلة القدر خير من ألف شهر (٣)
إنا أنزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند نزله إليه، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله:
وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها، أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة، ثم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة. وقيل المعنى أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان، ولعلها السابعة منها. والداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها ليالي كثيرة، وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله سبحانه وتعالى: فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الألف إما للتكثير، أو لما
روي أنه عليه الصلاة والسلام ذكر إسرائيليا يلبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة القدر هي خير من مدة ذلك الغازي.

[سورة القدر (٩٧) : الآيات ٤ الى ٥]
تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر (٤) سلام هي حتى مطلع الفجر (٥)
تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض، أو إلى السماء

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٥/٢٦٦

الدنيا أو تقربهم إلى المؤمنين. من كل أمر من أجل كل أمر قدر في تلك السنة، وقرئ «من كل امرئ» أي من أجل كل إنسان.

سلام هي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة، ويقضي في غيرها السلامة والبلاء، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين. حتى مطلع الفجر أي وقت مطلعه أي طلوعه.

وقرأ الكسائي بالكسر على أنه كالمرجع أو اسم زمان **على غير قياس** كالمشرق.

عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر» .." [1]

٧١. "ولم يدغم (١) ، وعثراً وهو كثير ولا ينبغي أن يُحمل على الأقل ما قدّرا على الأكثر.

وقول من قال: إنّه وصْفٌ بالمصدر (٢) فيه بُعْدٌ، إذّ لو كان كذلك لم يُثَنّ ولم يُجْمع، ومَنْ ثنّى مثل هذا في المصادر ثنّاه على القياس، والقياسُ في فَعْل أفْعُلُ نحو كفِّ وأكُفٌّ، فكونه قد جمع على أرْبابٍ يدل على بُعدِ هذا القول. (٧) .

الإعلال في "نَسْتَعِين "

قال في توجيه الإعلال في كلمة "نستعين" من الآية: (إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نستعين)

ونَسْتَعين اعتْلّ، لأنَّ ماضِيهُ اعتْلّ بالحمل على الثلاث وأصلهُ نَسْتَعْوِن ثم اعتُل بنقل حركة العين إلى الفاء، وتقلبُ الواو ياء للكسرَة التي قبلها، وهذا الإعلالُ مُطِّرِدٌ وقياسيٌ في هذا النوع وما جرى مجراه. فإن جاء صحيحاً **فعلى غير قياس**، نحو: اسْتَنْوَقَ الجملُ، واستَتْيَسَت الشاة، فهذا يحفظ ولا يقاس عليه. (٤) .

الإعلال في " بالغيب "

وقال في بيان الإعلال في كلمة "الغيب لما من الآية الكريمة: (الَّذينَ يؤمون بالغيب) (٣) :

الغيب يُمكنُ أن يكون وزْنُهُ فَعْلاً، ويكونُ مَصدراً لِغابَ يغيبُ غيباً، ولذلك يقال للمُطْئِنُّ مِن الأرض غيباً لانخفاضه، ويمكن أن يكون الغيبُ وَزْنَةُ فَيعَلٌ بمنزلة سَيّدٌ وميتٌ فحذفت الياءُ المتحركة طلباً للتخفيف وإن كانت أصلاً، لأنك لوْ حَذفْتَ الساكنة

---

(١) لأنه لا وجه للإدغام.

(٢) القول هنا للزمخشرى كما في الكشاف ٥٣/١.

(٣) سورة البقرة آية:٣.." [2]

---

[1] تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٣٢٧/٥

[2] تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، ابن أبي الرَّبيع ص/٣٣٤

٧٢. "وفي "إياك" قراءات، منها:

هيّاك أبدَلَ من الهمزة هاءٌ ١.

ومنها: أيَاك بفتح الهمزة ٢.

ومنها: إيَاك، بكسر الهمزة والتّخفيف ٣؛ وهذه كلُّها لم يُقرَأ بها في السّبع.

ومعنى نَعْبُدُ: نَتَذَلّلُ، يُقالُ طَرِيْقُ مُعَبَّدة إذا كان يسار عَلَيْها كثيراً، والمعنى: مُذَلّلٌ ثم قالَ جلَّ ذكْرُهُ: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ) .

معنى نستعين نَطْلُبُ العَوْنَ على عبادَتِك، وقُدِّمت العبادةُ على الاسْتِعَانة، لأنّ الاسْتِعَانَةَ يُتَوَسَّلُ بها إلى العبادة فَهِيَ أَوْلَى بالتّقديم، وَكُلَّ فِعْلٍ مُضارِعٍ أَوَّلَ ماضِيه أَلفِ وَصْلٍ لَك أَنْ تكْسِرَ حرفَ المضارع منه عَدَى الياء فإنها لا تُكسرُ، فتقولُ: أنا إنطَلِق، وأَنْتَ تِنْطَلِق، وَنحنُ نِنْطَلِق، وَلاَ تَقولُ هذا في الياء، وكذلِكَ كلّ فعلُ مُضَارِعٍ ماضيه على فَعل لك أن تكسر أَوّلَ المضارع منه عدا الياء، وبيان علة ذلك في العربية ٤.

(ونَسْتَعِين) : اعتل لِأن ماضيه قد اعتل بالحمل على الثلاثي، وأصله، "نَسْتَعْوِن" ثم أعل بنقل حركة العين إلى الفاء وانقلبت الواو للكسرة التي قبلها، وهذا الاعتلال مُطّرِدٌ قياسيٌّ في هذا النّوع وما جرى مجراه، فإنْ جاء صحيحاً فعلى غير قياس، نحو: اسْتنوقْ الجمل، واسْتَسْيَسَت الشّاة، فهذا يحفظ ولا يقاس عليه، وسيأتي الكلام في مصدر نستعين وفي اعتِلاله وفي المحذوف بعد إن شاء الله.

١القراءة لأبي الثوار الغنوى كما في المحتسب ١/٣٩، ومختصر شواذ القراءات: ا، والمحرر الوجيز ١/١١٧.

٢قرأ بها الفضل بن زياد الرقاشي. المصادر السابقة.

٣هذه القراءة تعزى لعمرو بن فائد في المحتسب ١/ ٤٠، ومختصر شواذ القراءات: ا.

٤ العلة في ذلك هي ثقل الابتداء بالياء مكسورة في الفعل المضارع، ومع هذا فقد أورده سيبويه على أنّها لغة، قالوا في حبّ: يحبُّ، حق علم يعلمُ وأكثر ما جاء هذا في المثال الواوي الذي ماضيه على فعِل بكسر العين، نحو: وجع يجع، ووجع يجع، ومنه قول متم بن نويره:

قعيدك ألا تسمعيني ملامة ... ولا تنكىء جرح الفوءاد فَيِيجعا

ينظر الكتاب ٤/ ١٠٩-١٢٠، والمصنف ١/ ٢٠٥ ط ٢٠، وشرح عيون سيبويه ٢٦٢.." (١)

٧٣. "العقول في شأنه، وقيل: أصله إله من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وقيل: أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها

(١) تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، ابن أَبي الرَّبيع ص/٣٩٠

إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى، وفخم للتعظيم إلا إذا كان قبله كسرة الثامنة: الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل وقيل: إرادة الإحسان، فهي صفة ذات التاسعة:

الرحمن الرحيم على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة، وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين لقوله: وكان بالمؤمنين رحيما فالرحمن أعم وأبلغ، وقيل: الرحمن أبلغ لوقوعه بعده، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى العاشرة إنما قدم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات. انتهى والله أعلم.." (١)

٧٤. "والأول أظهر وأرجح من عند أنفسهم يتعلق بحسدا وقيل: بيود فاعفوا منسوخ بالسيف بأمره يعني إباحة قتالهم أو وصول آجالهم وقالوا لن يدخل الجنة الآية: أي قالت اليهود:

لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا هودا يعني اليهود، وهذه الكلمة جمع هائد أو مصدر وصف به، وقال الفراء: حذفت منه يا هودا **على غير قياس** أمانيهم أكاذيبهم أو ما يتمنونه هاتوا أمر على وجه التعجيز، والرد عليهم، وهو من: هاتي، يهاتي، ولم ينطق به، وقيل: أصله آتوا، وأبدل من الهمزة هاء بلى إيجاب لما نفوا أي يدخلها من ليس يهوديا، ولا نصرانيا من أسلم وجهه لله أي دخل في الإسلام وأخلص، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان وقالت اليهود الآية: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة فذمت كل طائفة الأخرى وهم يتلون تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب الذين لا يعلمون المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم منع مساجد الله لفظه الاستفهام ومعناه: لا أحد أظلم منه حيث وقع قريش منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم خائفين في حق قريش لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يحج بعد هذا العام مشرك «١» في حق النصارى حربهم عند بيت المقدس أو الجزية خزي في حق قريش غلبتهم وفتح مكة، وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس أو الجزية فأينما تولوا في الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت، وقيل: هي في نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته، وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها: أي إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم، وقيل: إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة، فهي كقوله بعد هذا: قل لله المشرق والمغرب الآية والقول الأول هو الصحيح، ويؤخذ منه أن من أخطأ القبلة، فلا تجب عليه الإعادة، وهو مذهب مالك وجه الله المراد به هنا رضاه كقوله: ابتغاء وجه الله أي رضاه، وقيل: معناه الجهة التي وجهه إليها، وأما قوله:

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٤٩/١

(١) . رواه أحمد في مسنده عن أبي بكر الصديق ص ٤ رقم ٤.." (١)

٧٥. "وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين: الأول: أن: كنت بمعنى أنت، والثاني: قيل: إن النبي صلى الله عليه واله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب التي كنت عليها مفعول بجعلنا، أو صفة للقبلة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة، وأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب، لأنهم كانوا يعظمون الكعبة، أو فتنة لمن أنكر تحويلها، وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة، أما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة لنعلم أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله ينقلب على عقبيه عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء وإن كانت إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهي التحول عن القبلة إيمانكم قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان، وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة

تقلب وجهك كان النبي صلى الله عليه واله وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة شطر المسجد جهة وما أنت بتابع قبلتهم خبر يتضمن النهي ووحدت قبلتهم، وإن كانت جهتين لاتحادهم في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض لأن اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق يعرفونه أي يعرفون القرآن أو النبي صلى الله عليه واله وسلم أو أمر القبلة كما يعرفون أبناءهم مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام معرفتي بالنبي صلى الله عليه واله وسلم أشد من معرفتي بابني لأن ابني قد يمكن فيه الشك لكل

أي لكل أحد أو لكل طائفةجهة

أي جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل: إنه مصدر، وثبت فيه الواو **على غير قياس** ومولیها

أي موليها وجهه وقرئ مولاها أي ولاه الله إليها والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلةاستبقوا الخيرات

أي بادروا إلى الأعمال الصالحات أت بكم الله

أي." (٢)

٧٦. "تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة، الثاني الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة، الثالث العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٩٤/١

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ١٠٠/١

يقم ناشئة، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها هي أشد وطئا يحتمل معنيين أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اشدد وطأتك على مضر «١» ، والأثقل أعظم أجرا، فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر. الثاني أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة. أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن

إن لك في النهار سبحا طويلا السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال، والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك، وقيل: المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك واذكر اسم ربك قيل: معناه قل: بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك.

واللفظ أعم من ذلك وتبتل إليه تبتيلا أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده. وقيل:

التبتل رفض الدنيا. وتبتيلا مصدر **على غير قياس** فاتخذه وكيلا الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء، فهو أمر بالتوكل على الله.

واصبر على ما يقولون أي على ما يقول الكفار. والآية منسوخة بالسيف وقيل:

إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله: اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به في كل وقت وذرني والمكذبين هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف أولي النعمة أي التنعم في الدنيا، وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا أنكالا جمع نكل وهو القيد من الحديد. روي أنها قيود سود من نار وطعاما ذا غصة شجرة الزقوم ومعنى ذا غصة: أي يغص به آكلوه وقيل: هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج، وروي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق يوم ترجف الأرض أي تهتز وتتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو «إن لدينا أنكالا» وكانت الجبال كثيبا مهيلا الكثيب كدس الرمل، والمهيل اللين الرخو، الذي تهيله الريح أي تنشره وزنه مفعول، والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب إنا أرسلنا إليكم رسولا خطاب لجميع الناس، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة، وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة

---

(١) . رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير ج ٣ ص ٢٣٤ عن أبي هريرة.." (١)

٧٧. "الأرض، ولا يسيل في كل الأودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد. فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير. وقال ابن عباس: أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٢/٤٢٤

فسالت أودية بقدرها يريد بالأودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور، والبيان بنزول المطر لأن المطر إذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالأودية، لأن الأودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الإيمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها، وهذا خاص بالمؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء نفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم، وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله، وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فباغمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش، وأما قوله وكان منها أجادب فالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين، وهي الأرض التي لا تنبت الكلأ جمع جدب **على غير قياس** وقياسه أجدب، والجدب ضد الخصب. وقال الخطابي: هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي أخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع أخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء، وقوله: ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي، ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الأرض، وقوله: فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه فهم الأحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى، والعلم بالأرض التي أصابها المطر. قال العلماء: والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لأنهم منها خلقوا، فالنوع الأول من أنواع الأرض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه الهدى من غير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره. قال مسروق: صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالأخاذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم. النوع الثاني من أنواع الأرض: أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها، وهي إمساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة، لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيء المحتاج إليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره، النوع الثالث: من أنواع الأرض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة، ولا أفهام ثاقبة فإذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم. وقوله تعالى فاحتمل السيل زبدا الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة، كالحبب

وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث

من ذلك الماء زبدا رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه، وها هنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى ومما يوقدون عليه في النار الإيقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء ليذوب ابتغاء حلية يعني لطلب زينة، والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة، وإن لم يكونا مذكورين لأن الحلية لا تطلب إلا منهما أو متاع يعني أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الأواني وغيرها مما ينتفع له، والمتاع كل ما ويتمتع به. ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الأواني: متاع زبد مثله يعني أن ذلك الذي يوقد عليه في النار إذا أذيب، فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق. والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو." (١)

٧٨. "[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٣٤ الى ٤٣]

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون (٣٤) كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٣٥) وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون (٣٦) خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون (٣٧) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٣٨)

لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون (٣٩) بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون (٤٠) ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن (٤١) قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون (٤٢) أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون (٤٣)

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقاء في الدنيا أفإن مت فهم الخالدون نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته، فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشرا لا أنت ولا هم فإن مت أنت أفيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

كل نفس ذائقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعالى: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فإن الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت. والذوق ها هنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله ونبلوكم أي نختبركم بالشر والخير أي بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر، وقيل مما تحبون وما تكرهون فتنة أي ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون وإلينا ترجعون

---

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ١٣/٣

أي للحساب والجزاء. قوله عز وجل وإذا رآك الذين كفروا إن أي ما يتخذونك إلا هزوا أي سخريا قيل نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف أهذا الذي يذكر آلهتكم أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يعيب ألهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب قوله تعالى خلق الإنسان من عجل، قيل معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع، وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلا إلى ثمار الجنة، فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه، لأن خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس، وقيل خلق بسرعة وتعجيل **على غير قياس** خلق بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا طورا بعد طور وقيل خلق الإنسان من عجل أي من طين قال الشاعر:

والنخل ينبت بين الماء والعجل

أي بين الماء والطين. وقيل أراد بالإنسان النوع الإنساني يدل عليه قوله سأريكم آياتي فلا تستعجلون وذلك أن المشركين كانوا يستعجلون العذاب، وقيل نزلت في النضر بن الحرث، ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر، وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ويقولون يعني المشركين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على." (١)

(١)

٧٩. "[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٥٩ الى ٦٦]

بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠) وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون (٦١) الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل (٦٢) له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون (٦٣)

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (٦٤) ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (٦٥) بل الله فاعبد وكن من الشاكرين (٦٦)

بلى قد جاءتك آياتي يعني القرآن فكذبت بها أي قلت ليست من الله واستكبرت أي تكبرت عن الإيمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله أي زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد

---

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٣/٢٢٥

مخالف لسائر أنواع السواد أليس في جهنم مثوى للمتكبرين أي عن الإيمان.
قوله تعالى: وينجي الله الذين اتقوا أي الشرك بمفازتهم أي الطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أن ينجيهم بفوزهم بالأعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء أي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء أي مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة وهو على كل شيء وكيل أي إن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها له مقاليد السماوات والأرض أي مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل إقليد **على غير قياس** قيل هو فارسي معرب قال الراجز:
لم يؤذها الديك بصوت تغريد ... ولم يعالج غلقها بإقليد
والمعنى أن الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذي يملك مقاليدها، وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الأرض النبات والذين كفروا بآيات الله أي جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة أولئك هم الخاسرون قوله عز وجل: قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه فوصفهم بالجهل لأن الدليل القاطع قد قام بأنه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك أي الذي عملته قبل الشرك، وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأن الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين أي لإنعامه عليك.
قوله تعالى.

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٦٧ الى ٦٨]
وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (٦٧) ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (٦٨)
وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع." [١]

٨٠. "الإعراب، وزعم أن قراءة أبي عمرو لحن، وما ذهب إليه ليس بشيء، لأن أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولغة العرب توافقه على ذلك، فإنكار المبرد لذلك منكر، وقال

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٤/٦٣

الشاعر:

فاليوم أشرب غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

وقال آخر:

رحت وفي رجليك ما فيهما ... وقد بدا هنك من المئزر

وقال آخر:

أو نهر تيرى فما تعرفكم العرب وقد خلط المفسرون هنا في الرد على أبي العباس، فأنشدوا ما يدل على التسكين مما ليست حركته حركة إعراب. قال الفارسي: أما حركة البناء فلم يختلف النحاة في جواز تسكينها، ومما يدل على صحة قراءة أبي عمرو ما حكاه أبو زيد من قوله تعالى: ورسلنا لديهم يكتبون «١» . وقراءة مسلمة بن محارب: وبعولتهن أحق بردهن في ذلك «٢» .

وذكر أبو عمرو: أن لغة تميم تسكين المرفوع من يعلمه ونحوه، ومثل تسكين بارئكم، قراءة حمزة، ومكر السيىء «٣» . وقرأ الزهري: باريكم، بكسر الياء من غير همز، وروي ذلك عن نافع. ولهذه القراءة تخريجان أحدهما: أن الأصل الهمز، وأنه من برأ، فخففت الهمزة بالإبدال المحض **على غير قياس**، إذ قياس هذا التخفيف جعلها بين بين. والثاني:

أن يكون الأصل باريكم، بالياء من غير همز، ويكون مأخوذا من قولهم: بريت القلم، إذا أصلحته، أو من البري: وهو التراب، ثم حرك حرف العلة، وإن كان قياسه تقديرا لحركة في مثل هذا رفعا وجرا، وقال الشاعر:

ويوما توافينا الهوى غير ماضي وقال آخر:

ولم تختضب سمر العوالي بالدم وقال آخر:

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣/ ٨٠.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٢٨.

(٣) سورة فاطر: ٣٥/ ٤٣.." (١)

٨١. "القياس فيه أن يفتح، لأن وسطه حرف حلق، كما جاء الكسر في ينزع وقياسه أيضا الفتح.

القرية: المدينة، من قريت: أي جمعت. سميت بذلك لأنها مجتمع الناس على طريق المساكنة. وقيل: إن قلوا قيل لها قرية، وإن كثروا قيل لها مدينة. وقيل: أقل العدد الذي تسمى به قرية ثلاثة فما فوقها، ومنه، قريت الماء في الحوض، والمقراة: الحوض، ومنه القرى: وهو الضيافة، والقري: المجرى، والقرى: الظهر. ولغة أهل اليمن: القرية، بكسر القاف، ويجمعونها على قرى بكسر القاف نحو: رشوة ورشا. وأما قرية

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٣٤/١

بالفتح فجمعت على قرى بضم القاف، وهو جمع **على غير قياس**. قيل: لم يسمع من فعله المعتل اللام إلا قرية وقرى، وتروة وترى، وشهوة وشهى. الباب: معروف، وهو المكان الذي يدخل منه، وجمعه أبواب، وهو قياس مطرد، وجاء جمعه على أبوبة في قوله:

هتاك أخبية ولاج أبوبة لتشاكل أخبية، كما قالوا: لا دريت ولا تليت، وأصله تلوت، فقلبت الواو ياء لتشاكل دريت. سجدا: جمع ساجد، وهو قياس مطرد في فاعل وفاعلة الوصفين الصحيحي اللام. وقولوا: كل أمر من ثلاثي اعتلت عينه فانقلبت ألفا في الماضي، تسقط تلك العين منه إذا أسند لمفرد مذكر نحو: قل وبع، أو لضمير مؤنث نحو: قلن وبعن، فإن اتصل به ضمير الواحدة نحو: قولي، أو ضمير الاثنين نحو: قولا، أو ضمير الذكور نحو: قولوا، ثبتت تلك العين، وعلة الحذف والإثبات مذكورة في النحو. وقد جاء حذفها في الشعر، فجاء قوله: قلي وعشا. حطة: على وزن فعلة من الحط، وهو مصدر كالحط، وقيل: هو هيئة وحال: كالجلسة والقعدة، والحط: الإزالة، حططت عنه الخراج: أزلته عنه.

والنزول: حططت. وحكي: بفناء زيد نزلت به، والنقل من علو إلى أسفل، ومنه انحطاط القدر. وقال أحمد بن يحيى، وأبان بن تغلب، الحطة: التوبة. وأنشدوا:

فاز بالحطة التي جعل الله ... بها ذنب عبده مغفورا

أي فاز بالتوبة، وتفسيرهما الحطة بالتوبة إنما هو تفسير باللازم لا بالمرادف، لأن من حط عنه الذنب فقد تيب عليه. الغفر والغفران: الستر، وفعله غفر يغفر، بفتح الغين في الماضي وكسرها في المضارع. والغيرة: المغفرة، والغفارة: السحاب وما يلبس به سية القوس، وخرقة تلبس تحت الخمار، ومثله المغفر والجماء، الغفير: أي جماعة يستر بعضهم بعضا من الكثرة. وقوله عمر لمن قال له: لم حصبت المسجد؟ هو أغفر للنخامة، كل هذا راجع لمعنى الستر والتغطية. الخطيئة: فعيلة من الخطأ، والخطأ: العدول عن." (١)

٨٢. "وتنقاس إضافته إلى اسم جنس، وفي إضافته إلى مضمر خلاف، وقد يضاف إلى العلم وجوبا، إذا اقترنا وضعا، كقولهم: ذو جدن، وذو يزن، وذو رعين، وذو الكلاع، وإن لم يقترنا وضعا، فقد يجوز، كقولهم: في عمرو، وقطري: ذو عمرو، وذو قطري، ويعنون به صاحب هذا الاسم. وإضافته إلى العلم في وجهته مسموع، وكذلك: أنا ذو بكة، واللهم صل على محمد وعلى ذويه. ومما أضيف إلى العلم، وأريد به معنى: ذي مال، ومما أضيف إلى ضمير العلم، وأضيف أيضا إلى ضمير المخاطب، قال الشاعر:

وإنا لنرجو عاجلا منك مثل ما ... رجونا قدما من ذويك الأفاضل

وقد أتت ذو في لغة طي موصولة، ولها أحكام في النحو. القربى: مصدر كالرجعى، والألف فيه للتأنيث،

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٥١/١

وهي قرابة الرحم والصلب، قال طرفة:

وقربت بالقربى وجدك أنه ... متى يك أمر للنكيثة أشهد

وقال أيضا:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على الحر من وقع الحسام المهند

اليتامى: فعالى، وهو جمع لا ينصرف، لأن الألف فيه للتأنيث، ومفرده: يتيم، كنديم، وهو جمع **على غير قياس**، وكذا جمعه على أيتام. وقال الأصمعي: اليتم في بني آدم من قبل الأب، وفي غيرهم من قبل الأم. وحكى الماوردي: أن اليتم في بني آدم يقال: من فقد الأم، والأول هو المعروف، وأصله الانفراد. فمعنى صبي يتيم: أي منفرد عن أبيه، وسميت الدرة التي لا مثيل لها: يتيمة لانفرادها، قاله ثعلب. وقيل: أصل اليتم:

الغفلة، وسمي الصبي يتيما، لأنه يتغافل عن بره. وقيل: أصل اليتم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم، لأن البر يبطيء عنه، قاله أبو عمرو. المساكين: جمع مسكين، وهو مشتق من السكون، فالميم زائدة، كمحضير من الحضر. وقد روي: تمسكن فلان، والأصح في اللغة تسكن، أي صار مسكينا، وهو مرادف للفقير، وهو الذي لا شيء له. وقيل: هو الذي له أدنى شيء. الحسن والحسن، قيل: هما لغتان: كالبخل والبخل. والحسن: مصدر حسن، كالقبح مصدر قبح، مقابل حسن. القليل: اسم فاعل من قل، كما أن كثيرا مقابله اسم فاعل من كثر. يقال: قل يقل قلة وقلا وقلا، الإعراض: التولي، وقيل: التولي بالجسم، والإعراض بالقلب. والعرض: الناحية، فيمكن أن يكون قولك: أعرض زيد عن." (١)

٨٣. "وفعولة من الذر: ذرورة، وكذلك فعلولة، أبدلت الراء الآخرة في ذلك ياء كراهة التضعيف، كما قالوا في تسررت تسريت. وأما من كسر ذال ذرية، فيحتمل أن تكون فعيلة من ذرأ الله الخلق، كبطيخة، فأبدلت الهمزة ياء، وأدغمت في ياء المد، أو فعلية من الذر منسوبة **على غير قياس**، أو فعيلة من الذر أصله ذريرة، أو فعليل، كحلتيت. ويحتمل أن تكون ذريوة من ذروت، أو فعيلة ذريئة من ذريت. وأما من فتح ذال ذرية، فيحتمل أن تكون فعيلة من ذرأ، مثل سكينة، أو فعولة من هذا أيضا، كخروبة. فالأصل ذروءة، فأبدلت الهمزة ياء بدلا مسموعا، وقلبت الواو ياء وأدغمت. ويحتمل أن تكون فعلية من الذر غير منسوبة، كبرنية، أو منسوبة إلى الذر، أو فعولة، كخروبة من الذر أصلها ذرورة، ففعل بها ما تقدم، أو فعلولة، كبكولة، فالأصل ذرورة أيضا، أو فعيلة، كسكينة ذريرة، فقلبت الراء ياء في ذلك كله، ويحتمل أن يكون من ذروت فعيلة، كسكينة، فالأصل ذريوة، أو من ذريت ذريية، أو فعولة من ذروت أو ذريت. وأما من بناها على فعلة، كجفنة، وقال ذرية، فإنها من ذريت. النيل:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٥٣/١

الإدراك. نلت الشيء أناله نيلا، والنيل: العطاء. البيت:

معروف، وصار علما بالغلبة على الكعبة، كالنجم للثريا. الأمن: مصدر أمن يأمن، إذا لم يخف واطمأنت نفسه. المقام: مفعل من القيام، يحتمل المصدر والزمان والمكان.

إسماعيل: اسم أعجمي علم، ويقال إسماعيل باللام وإسماعين بالنون، قال:

قال جواري الحي لما جينا ... هذا ورب البيت إسماعينا

ومن غريب ما قيل في التسمية به أن إبراهيم كان يدعو أن يرزقه الله ولدا ويقول:

اسمع إيل، وإيل هو الله تعالى. التطهير: مصدر طهر، والتضعيف فيه للتعدية. يقال: طهر الشيء طهارة: نظف. الطائف: اسم فاعل من طاف به إذا دار به، ويقال أطاف: بمعنى طاف، قال:

أطافت به جيلان عند قطامه والعاكف: اسم فاعل من عكف بالشيء: أقام به ولازمه، قال:

عليه الطير ترقبه عكوفا وقال يعكفون على أصنام لهم: أي يقيمون على عبادتها. البلد: معروف، والبلد الصدر، وبه سمي البلد لأنه صدر القرى. يقال: وضعت الناقة بلدتها إذا بركت. وقيل:." [١]

٨٤. "الرسول صلى الله عليه وسلم. فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا صدق ما جاءهم به.

وقرأ الجمهور: سأل بالهمز: أي دعا داع، من قولهم: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، فالباء على أصلها.

وقيل: المعنى بحث باحث واستفهم. قيل: فالباء بمعنى عن.

وقرأ نافع وابن عامر: سال بألف، فيجوز أن يكون قد أبدلت همزته ألفا، وهو بدل **على غير قياس**، وإنما قياس هذا بين بين، ويجوز أن يكون على لغة من قال: سلت أسال، حكاها سيبويه. وقال الزمخشري: هي لغة قريش، يقولون: سلت تسال وهما يتسايلان. انتهى.

وينبغي أن يتثبت في قوله إنها لغة قريش. لأن ما جاء في القرآن من باب السؤال هو مهموز أو أصله الهمز، كقراءة من قرأ: وسلوا الله من فضله، إذ لا يجوز أن يكون من سال التي عينها واو، إذ كان يكون ذلك وسلوا الله مثل خافوا الأمر، فيبعد أن يجيء ذلك كله على لغة غير قريش، وهم الذين نزل القرآن بلغتهم إلا يسيرا فيه لغة غيرهم. ثم جاء في كلام الزمخشري: وهما يتسايلان بالياء، وأظنه من الناسخ، وإنما هو يتساولان بالواو. فإن توافقت النسخ بالياء، فيكون التحريف من الزمخشري وعلى تقدير أنه من السؤال، فسائل اسم فاعل منه، وتقدم ذكر الخلاف في السائل من هو. وقيل: سال من السيلان، ويؤيده قراءة ابن عباس: سال سايل. وقال زيد بن ثابت: في جهنم واد يسمى سايلا وأخبر هنا عنه. قال ابن عطية: ويحتمل إن لم يصح أمر الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه. وقال الزمخشري: والسيل مصدر في معنى السائل،

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٩٧/١

كالغور بمعنى الغائر، والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب، فذهب بهم وأهلكهم. انتهى. وإذا كان السائل هم الكفار، فسؤالهم إنما كان على أنه كذب عندهم، فأخبر تعالى أنه واقع وعيدا لهم. وقرأ أبي وعبد الله: سال سال مثل مال بإلقاء صورة الهمزة وهي الياء من الخط تخفيفا. قيل: والمراد سائل. انتهى. ولم يحك هل قرأ بالهمز أو بإسقاطها البتة. فإن قرأ بالهمز فظاهر، وإن قرأ بحذفها فهو مثل شاك شايك، حذفت عينه واللام جرى فيها الإعراب، والظاهر تعلق بعذاب بسال. وقال أبو عبد الله الرازي: يتعلق بمصدر دل عليه فعله، كأنه قيل: ما سؤاله؟ فقيل: سؤاله بعذاب، والظاهر اتصال الكافرين بواقع فيكون متعلقا به، واللام للعلة، أي نازل بهم لأجلهم، أي لأجل كفرهم، أو على أن اللام بمعنى على، قاله بعض النحاة، ويؤيده قراءة أبي: على الكافرين، أو على أنه في موضع، أي واقع كائن للكافرين. وقال قتادة والحسن: المعنى:." (١)

٨٥. "والأصمعي عن أبي عمرو: بإسكان الباء

وعلي وابن عباس: بشد اللام.

ورويت عن أبي عمرو وأبي جعفر والكسائي وقالوا: إنها السحاب، عن قوم من أهل اللغة. وقال الحسن: خص الإبل بالذكر لأنها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن، فقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة، وقال العرب: بعيدة العهد بالفيل، ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره. والإبل لا واحد له من لفظه وهو مؤنث، ولذلك إذا صغر دخلته التاء فقالوا:

أبيلة، وقالوا في الجمع: آبال. وقد اشتقوا من لفظه فقالوا: تأبل الرجل، وتعجبوا من هذا الفعل **على غير قياس** فقالوا: ما آبل زيدا. وإبل اسم جاء على فعل، ولم يحفظ سيبويه مما جاء على هذا الوزن غيره. وكيف خلقت: جملة استفهامية في موضع البدل من الإبل، وينظرون: تعدى إلى الإبل بواسطة إلى، وإلى كيف خلقت على سبيل التعليق، وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها كقولهم: عرفت زيدا أبو من هو على أصح الأقوال، على أن العرب قد أدخلت إلى على كيف، فحكى أنهم قالوا: انظر إلى كيف يصنع. وكيف سؤال عن حال والعامل فيها خلقت، وإذا علق الفعل عن ما فيه الاستفهام، لم يبق الاستفهام على حقيقته، وقد بينا ذلك في كتابنا المسمى بالتذكرة وفي غيره.

وقرأ الجمهور: خلقت: رفعت، نصبت سطحت بتاء التأنيث مبنيا للمفعول

وعلي وأبو حيوة وابن أبي عبلة: بتاء المتكلم مبنيا للفاعل

، والمفعول محذوف، أي خلقتها، رفعتها، نصبتها رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد، نصبت نصبا ثابتا لا تميل ولا تزول سطحت سطحا حتى صارت كالمهاد للمتقلب عليها. وقرأ الجمهور: سطحت خفيفة الطاء والحسن وهارون: بشدها. ولما حضهم على النظر، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتذكيرهم

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٧١/١٠

فقال: فذكر ولا يهمنك كونهم لا ينظرون. إنما أنت مذكر، كقوله تعالى: إن عليك إلا البلاغ «١» . لست عليهم بمصيطر: أي بمسلط، كقوله: وما أنت عليهم بجبار «٢» . وقرأ الجمهور: بالصاد وكسر الطاء، وابن عامر في رواية، ونطيق عن قنبل، وزرعان عن حفص: بالسين وحمزة في رواية: بإشمام الزاي وهارون: بفتح الطاء، وهي لغة تميم. وسيطر متعد عندهم ويدل عليه فعل المطاوعة وهو تسطر، وليس في الكلام على هذا الوزن إلا مسيطر ومهيمن ومبيطر ومبيقر، وهي أسماء فاعلين من سيطر وهيمن وبيطر. وجاء مجيمر اسم واد ومديبر، ويمكن أن يكون أصلهما مدبر ومجمر فصغرا. وقرأ الجمهور: إلا حرف استثناء فقيل متصل، أي فأنت مسيطر عليه. وقيل: متصل من فذكر،

---

(١) سورة الشورى: ٤٢/ ٤٨.

(٢) سورة ق: ٥٠/ ٤٥.." [1]

٨٦. "أي فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر، وما بينهما اعتراض. وقيل: منقطع، وهي آية موادعة نسخت بآية السيف. وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وقتادة وزيد بن أسلم: ألا حرف تنبيه واستفتاح، والعذاب الأكبر هو عذاب جهنم.

وقرأ الجمهور: إيابهم بتخفيف الياء مصدر آب وأبو جعفر وشيبة: بشدها مصدرا لفعيل من آب على وزن فيعال، أو مصدرا كفوعل كحوقل على وزن فيعال أيضا كحيقال، أو مصدر الفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار فأصله أوواب فقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمع في هذا البناء والبناءين قبله واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغم ولم يمنع الإدغام من القلب لأن الواو والياء ليستا عينين من الفعل، بل الياء في فيعل والواو في فعول زائدتان. وقال صاحب اللوامح، وتبعه الزمخشري: يكون أصله إوابا مصدر أوب، نحو كذب كذابا، ثم قيل إوابا فقلبت الواو الأولى ياء لانكسار ما قبلها. قال الزمخشري: كديوان في دوان، ثم فعل به ما فعل بسيد، يعني أنه اجتمع ياء وواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الواو، فأما كونه مصدر أوب فإنه لا يجوز، لأنهم نصوا على أن الواو الأولى إذا كانت موضوعة على الإدغام وجاء ما قبلها مكسورا فلا تقلب الواو الأولى ياء لأجل الكسرة، ومثلوا باخرواط مصدر اخروط، ومثلوا أيضا بمصدر أوب نحو أوب إوابا، فهذه وضعت على الإدغام، فحصنها من الإبدال ولم تتأثر للكسر.

وأما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لأنهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة، فلم يقولوا دوان، ولولا الجمع على دواوين لم يعلم أن أصل هذه الياء واو، وأيضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره. وقال ابن عطية: ويصح أن يكون من أأوب، فيجيء إيوابا، سهلت الهمزة، وكان اللازم في الإدغام

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٦٥/١٠

يردها إوابا، لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس**، انتهى. فقوله: وكان اللازم في الإدغام بردها إوابا ليس بصحيح، بل اللازم إذا اعتبر الإدغام أن يكون إيابا، لأنه قد اجتمعت ياء وهي المبدلة من الهمزة بالتسهيل. وواو وهي عين الكلمة وإحداهما ساكنة، فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير إيابا.

ولما كان من مذهب الزمخشري أن تقديم المعمول يفيد الحصر، قال معناه: أن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه تعالى، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير، ومعنى الوجوب: الوجوب في الحكمة، والله أعلم.." (١)

٨٧. "بالأسفار التي إنما هي طلب كسب وعرض دنيا. وقال الخليل بن أحمد: تتعلق بقوله:

يعبدوا

، والمعنى لأن فعل الله بقريش هذا ومكنهم من إلفهم هذه النعمة.

يعبدوا

: أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلة. قال الزمخشري: فإن قلت: فلم دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط، لأن المعنى: إما لا فليعبدوا لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة، انتهى. وقرأ الجمهور: لإيلاف قريش، مصدر آلف رباعيا وابن عامر: لإلاف على وزن فعال، مصدر ألف ثلاثيا. يقال: ألف الرجل الأمر إلفا وإلافا، وآلفه غيره إياه إيلافا، وقد يأتي آلف متعديا لواحد كألف، قال الشاعر:

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

ولم يختلف القراء السبعة في قراءة إيلافهم مصدرا للرباعي. وروي عن أبي بكر، عن عاصم أنه قرأ بهمزتين، فيهما الثانية ساكنة، وهذا شاذ، وإن كان الأصل أبدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين، ولم يبدلوا في نحو يؤلف على جهة اللزوم لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه، وهذا المروي عن عاصم هو من طريق الشمني عن الأعشى عن أبي بكر. وروى محمد بن داود النقار عن عاصم: إإيلافهم بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية لما أشبع كسرتها، والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية، وأنه قرأ كالجماعة. وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري: لإلف قريش وقرأ فيما حكى ابن عطية إلفهم. قال الشاعر:

زعمتم أن إخوتكم قريشا ... لهم إلف وليس لكم إلاف

جمع بين مصدري ألف الثلاثي. وعن أبي جعفر وابن عامر: إلافهم على وزن فعال. وعن أبي جعفر وابن كثير: إلفهم على وزن فعل، وبذلك قرأ عكرمة. وعن أبي جعفر أيضا: ليلاف بياء ساكنة بعد

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ١٠/٥٦٦

اللام أتبع، لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى حذفا **على غير قياس**. وعن عكرمة: ليألف قريش وعنه أيضا: لتألف قريش على الأمر، وعنه وعن هلال بن فتيان: بفتح لام الأمر، وأجمعوا هنا على صرف قريش، راعوا فيه معنى الحي، ويجوز منع صرفه ملحوظا فيه معنى القبيلة للتأنيث والعلمية. قال الشاعر: وكفى قريش المعضلات وسادها جعله اسما للقبيلة سيبويه في نحو معد وقريش وثقيف، وكينونة هذه للأحياء أكثر." (١)

٨٨. "ناكحها كما يقال باضعها، قيل: وقد جاء النكاح في أشعار العرب يراد به العقد خاصة، ومن ذلك قول الشاعر:

فلا تقربن جارة إن سرها ... عليك حرام، فانكحن أو تأبدا

أي فاعقد وتزوج، وإلا فاجتنب النساء وتوحش، لأنه قال: لا تقربن جارة على الوجه الذي يحرم. وجاء بمعنى المجامعة، كما قال:

الباركين على ظهور نسوتهم ... والناكحين بشاطي دجلة البقرا

وقال أبو علي: فرقت العرب بين العقد والوطء بفرق لطيف، فإذا قالوا: نكح فلان فلانة، أرادوا به العقد لا غير، وإذا قالوا نكح امرأته أو زوجته فلا يريدون غير المجامعة.

الأمة: المملوكة من النساء، وهي ما حذف لامه، وهو واو يدل على ذلك ظهورها في الجمع قال الكلابي:

أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنو الأموات بالعار

وفي المصدر: يقال أمة بينة الأموة، وأقرت بالأموة، أي بالعبودية. وجمعت أيضا على:

إماء، وأآم، نحو أكمة وآكام وأكم، وأصله أأمو، وجرى فيه ما يقتضيه التصريف،

وفي الحديث: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» .

وقال الشاعر:

يمشي بها ريد النعا ... م تماشي الآم الدوافر

ووزنها أموة، فحذفت لامها **على غير قياس**، إذ كان قياسها أن تنقلب ألفا لتحركها، وانفتاح ما قبلها كقناة، وزعم أبو الهيثم: أن جمع الأمة أمو، وأن وزنها فعلة بسكون العين، فتكون مثل: نخلة ونخل، وبقلة وبقل، فأصلها: أموة فحذفوا لامها إذ كانت حرف لين، فلما جمعوها على مثال نخلة ونخل لزمهم أن يقولوا: أمة وأم، فكرهوا أن يجعلوها حرفين، وكرهوا أن يردوا الواو المحذوفة لما كانت آخر الاسم، فقدموا الواو، وجعلوه ألفا ما بين الألف والميم، وما زعمه أبو الهيثم ليس بشيء، إذ لو كان على ما زعم لكان الإعراب على الميم كما كان على لام نخل، ولكنه على الياء المحذوفة التي هي لام، إذ أصله ألامو،

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٤٨/١٠

ثم عمل فيه ما عمل في قولهم: الأدلو، والأجرو، جمع: دلو، وجرو، وأبدلت الهمزة الثانية ألفا كما أبدلت في: آدم، ولذلك تقول: جاءت الآمي، ولو كان على ما زعم أبو الهيثم لكان: جاءت الآم، برفع الميم.." (١)

٨٩. "وقيل: وفي ظاهره رد على من زعم أن له الحكم بالاجتهاد، لأن ما يحكم به من السنة ينزل من الله عليه، فلا اجتهاد، وذكر: النعم، لا يراد به سردها على اللسان، وإنما المراد بالذكر الشكر عليها، لأن ذكر المسلم النعمة سبب لشكرها، فعبر بالسبب عن المسبب، فإن أريد بالنعمة المنعم به فيكون: عليكم، في موضع الحال، فيتعلق بمحذوف، أي: كائنة عليكم، ويكون في ذلك تنبيه على أن نعمته تعالى منسحبة علينا، قد استعلت وتجللت وصارت كالظلة لنا، وإن أريد بالنعمة الإنعام فيكون: عليكم، متعلقا بلفظ النعمة، ويكون إذ ذاك مصدرا من: أنعم، **على غير قياس**، كنبات من أنبت.

وعليكم، الثانية متعلقة بأنزل، و: من، في موضع الحال، أي: كائنا من الكتاب، ويكون حالا من ما أنزل أو من الضمير العائد على الموصول المحذوف، إذ تقديره: وما أنزل عليكم. ومن أثبت لمن معنى البيان للجنس جوز ذلك هنا، كأنه قيل: وما أنزله عليكم الذي هو الكتاب والسنة.

يعظكم به يذكركم به، والضمير عائد على: ما، من قوله: وما أنزل، وهي جملة حالية من الفاعل المستكن في: أنزل، والعامل فيها: أنزل، وجوزوا في: ما، من قوله:

وما أنزل، أن يكون مبتدأ. و: يعظكم، جملة في موضع الخبر، كأنه قيل: والمنزل الله من الكتاب والحكمة يعظكم به، وعطفه على النعمة أظهر.

واتقوا الله لما كان تعالى قد ذكر أوامر ونواهي، وذلك بسبب النساء اللاتي هن مظنة الإهمال وعدم الرعاية، أمر الله تعالى بالتقوى، وهي التي بحصولها يحصل الفلاح في الدنيا والآخرة، ثم عطف عليها ما يؤكد طلبها وهي قوله: واعلموا أن الله بكل شيء عليم والمعنى: بطلب العلم الديمومة عليه، إذ هم عالمون بذلك، وفي ذلك تنبيه على أنه يعلم نياتكم في المضارة والاعتداء، فلا تلبسوا على أنفسكم. وكرر اسم الله في قوله تعالى: واتقوا الله، واعلموا أن الله لكونه من جملتين، فتكريره أفخم، وترديده في النفوس أعظم.

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن قال ابن عباس، والزهري، والضحاك نزلت في كل من منع امرأة من نسائه عن النكاح بغيره إذا طلقها، وقيل: نزلت في ابنة عم جابر بن عبد الله، طلقها زوجها، وانقضت عدتها فأراد رجعتها، فأتى جابر وقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها؟ وكانت المرأة تريد زوجها، فنزلت. وقيل: في." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٠١/٢

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٩٢/٢

٩٠. "لا يجيزون حذف خبر كان لا اقتصارا ولا اختصارا. وقرىء شاذا: وامرأتان، بهمزة ساكنة، وهو **على غير قياس**، ويمكن أن سكنها تخفيفا لكثرة توالي الحركات وجاء نظير تخفيف هذه الهمزة في قول الشاعر:

يقولون جهلا ليس للشيخ عيل ... لعمري لقد أعيلت وأن رقوب

يريد: وأنا رقوب، قيل: خفف الهمزة بإبدالها ألفا ثم همزة بعد ذلك، قالوا: الخأتم، والعألم.

وظاهر الآية يقتضي جواز شهادة المرأتين مع الرجل في سائر عقود المداينات، وهي كل عقد وقع على دين سواء كان بدلا أم بضعا، أم منافع أم دم عمد، فمن ادعى خروج شيء من العقود من الظاهر لم يسلم له ذلك إلا بدليل.

وقال الشافعي: لا تجوز شهادة النساء مع الرجال في غير الأموال، ولا يجوز في الوصية إلا الرجل، ويجوز في الوصية بالمال.

وقال الليث: تجوز شهادة النساء في الوصية والعتق، ولا تجوز في النكاح ولا الطلاق ولا قتل العمد الذي يقاد منه.

وقال الأوزاعي: لا تجوز شهادة رجل وامرأتين في نكاح. وقال الحسن بن حيي:

لا تجوز شهادتهن في الحدود. وقال الثوري: تجوز في كل شيء إلا الحدود.

وقال مالك لا تجوز في الحدود ولا القصاص، ولا الطلاق ولا النكاح، ولا الأنساب ولا الولاء ولا الإحصان، وتجوز في الوكالة والوصية إذا لم يكن فيها عتق. وقال الحسن، والضحاك: لا تجوز شهادتهن إلا في الدين. وقال عمر، وعطاء، والشعبي: تجوز في الطلاق. وقال شريح: تجوز في العتق، وقال عمر، وابنه عبد الله: تجوز شهادة الرجل والمرأتين في النكاح.

وقال علي: تجوز في العقد

. وقال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، وزفر، وعثمان البتي: لا تقبل شهادة النساء مع الرجال في الحدود والقصاص، وتقبل فيما سوى ذلك من سائر الحقوق. وأدلة هذه الأقوال مذكورة في كتب الفقه.

وأما قبول شهادتهن مفردات فلا خلاف في قبولها في: الولادة، والبكارة، والاستهلال، وفي عيوب النساء الإماء وما يجري مجرى ذلك مما هو مخصوص بالنساء.

وأجاز أبو حنيفة شهادة الواحدة العادلة في رؤية الهلال إذ هو عنده من باب الإخبار، وكذلك شهادة القابلة مفردة.." (١)

٩١. "بالإصر الذي حمله على من قبلهم، وهنا سألوا أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، وهو أعم من الإصر السابق لتخصيصه بالتشبيه. وعموم هذا، والتشديد في: ولا تحملنا، للتعدية.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢/٧٢٩

وفي قراءة أبي في قوله: ولا تحمل علينا إصرا للتكثير في حمل: كجرحت زيدا وجرحته، وقيل: ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا أولا أن يعفيهم من التكاليف الشاقة بقوله: ولا تحمل علينا إصرا ثم ثانيا طلبوا أن يعفيهم عما نزل على أولئك من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها. انتهى.

والطاقة القدرة على الشيء، وهي مصدر جاء **على غير قياس** المصادر، والقياس طاقة، فهو نحو: جابة، من أجاب، و: غارة، من أغار. في ألفاظ سمعت لا يقاس عليها.

فلا يقال: أطال طالة، وهذا يحتمل وجهين.

أحدهما: أن يعني بما لا طاقة، ما لا قدرة لهم عليه ألبتة، وليس في وسعهم، وهو المعنى الذي وقع فيه الخلاف.

والثاني: أن يعني بالطاقة ما فيه المشقة الفادحة، وإن كان مستطاعا حملها.

فبالمعنى الأول يرجع إلى العقوبات وما أشبهها. وبالمعنى الثاني يرجع إلى التكاليف. قال ابن الأنباري: المعنى لا تحملنا حملا يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروه. خاطب العرب على حسب ما يعقل فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغضه: ما أطيق النظر إليه، وهو مطيق للنظر إليه لكنه يثقل عليه، ومثله ما كانوا يستطيعون السمع «١» .

واعف عنا واغفر لنا وارحمنا تقدم تفسير العفو والغفران والرحمة، طلبوا العفو وهو الصفح عن الذنب: وإسقاط العقاب، ثم ستره عليهم صونا لهم من عذاب التخجيل، لأن العفو عن الشيء لا يقتضي ستره فيقال: عفا عنه إذا وقفه على الذنب ثم أسقط عنه عقوبة ذلك الذنب، فسألوا الإسقاط للعقوبة أولا لأنه الأهم، إذ فيه التعذيب الجسماني والنعيم الروحاني بتجلي البارئ تعالى لهم. وقال الراغب: العفو إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنب وإظهار الإحسان بدله، فكأنه جمع بين تغطية ذنبه، وكشف الإحسان الذي غطى به. والرحمة إفاضة الإحسان إليه، فالثاني أبلغ من الأول، والثالث أبلغ من

---

(١) سورة هود: ١١/ ٢٠.." (١)

٩٢. "الدائرة: واحدة الدوائر، وهي صروف الدهر، ودوله، ونوازله. وقال الشاعر:

ويعلم أن الدائرات تدور اللعب معروف وهو مصدر **على غير قياس**، وفعله لعب يلعب. الإطفاء: الإخماد حتى لا يبقى أثر. الأفك: بفتح الهمزة مصدر أفكه يأفكه، أي قلبه وصرفه. ومنه: أجئتنا لتأفكنا «١» يؤفك عنه من أفك. قال عروة بن أذينة:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢/٧٦٦

(١) سورة الأحقاف: ٤٦/ ٢٢.." (١)

٩٣. "وكسر فتحة همزتها لغة سليم وهي عندي حرف بسيط لا مركب وجامد لا مشتق وذكر صاحب كتاب اللوامح أن أيان في الأصل كان أي أوان فلما كثر دوره حذفت الهمزة **على غير قياس** ولا عوض وقلبت الواو ياء فاجتمعت ثلاث ياءات فحذفت إحداها فصارت على ما رأيت انتهى، وزعم أبو الفتح أنه فعلان وفعلال مشتق من أي ومعناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه وامتنع أن يكون فعالا وفعالا من أين لأن أيان ظرف زمان وأين ظرف مكان فأوجب ذلك أن يكون من لفظ أي لزيادة النون ولأن أيان استفهام كما أن أيا كذلك والأصل عدم التركيب وفي أسماء الاستفهام والشرط الجمود كمتى وحيثما وأنى وإذا، رسا يرسو ثبت. الحفي المستقصي للشيء المحتفل به المعتني، وفلان حفي بي بار معتن. وقال الشاعر:

فلما التقينا بين السيف بيننا ... لسائلة عنا حفي سؤالها

وقال آخر:

سؤال حفي عن أخيه كأنه ... بذكرته وسنان أو متواسن

والإحفاء الاستقصاء ومنه إحفاء الشارب والحافي أي حفيت قدميه للاستقصاء في السير والحفاوة البر واللطف.

وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم أي جذبنا الجبل بشدة وفوقهم حال مقدرة والعامل فيها محذوف تقديره كائنا فوقهم إذ كانت حالة النتق لم تقارن الفوقية لكنه صار فوقهم، وقال الحوفي وأبو البقاء: فوقهم ظرف لنتقنا ولا يمكن ذلك إلا إن ضمن نتقنا معنى فعل يمكن أن يعمل في فوقهم أي رفعنا بالنتق الجبل فوقهم فيكون كقوله ورفعنا فوقهم الطور «١» والجملة من قوله كأنه ظلة في موضع الحال والمعنى كأنه عليهم ظلة والظلة ما أضلل من سقيفة أو سحاب وينبغي أن يحمل التشبيه على أنه بظلة مخصوصة لأنه إذا كان كل ما أظل يسمى ظلة فالجبل فوقهم صار ظلة وإذا صار ظلة فكيف يشبه بظلة فالمعنى والله أعلم كأنه حالة ارتفاعه عليهم ظلة من الغمام وهي الظلة التي ليست تحتها عمد بل إمساكها بالقدرة الإلهية وإن كانت أجراما بخلاف الظلة الأرضية فإنها لا تكون إلا على عمد فلما دانت هذه الظلمة الأرضية فوقهم بلا عمد شبهت بظلة الغمام التي ليست بلا عمد، وقيل: اعتاد البشر هذه الأجرام الأرضية ظللا إذ

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤/ ٢٩٠

(١) سورة النساء: ٤/ ١٥٤.." (١)

٩٤. "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون إحدى الطائفتين غير معينة والطائفتان هما كطائفة غير قريش وكانت فيهما تجارة عظيمة لهم ومعها أربعون راكبا فيها أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام وطائفة الذين استنفرهم أبو جهل وكانوا في العدد الذي ذكرناه وغير ذات الشوكة هي العير لأنها ليست ذات قتال وإنما هي غنيمة باردة ومعنى إثبات الحق تثبيته وإعلاؤه وبكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وبما ظهر ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال والمعنى أنكم ترغبون في إبقاء العاجلة وسلامة الأحوال وسفساف الأمور وإعلاء الحق والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم ذات الشوكة وأراكهم عيانا خذلهم ونصركم وأذلهم وأعزكم وحصل لكم ما أربى على دائرة العير وما أدناه خير منهما، وقرأ مسلمة بن محارب يعدكم بسكون الدال لتوالي الحركات وابن محيصن الله إحدى بإسقاط همزة إحدى **على غير قياس**، وعنه أيضا أحد على التذكير إذ تأنيث الطائفة مجاز، وأدغم أبو عمرو الشوكة تكون، وقرأ مسلم بن محارب بكلمته على التوحيد وحكاها ابن عطية عن شيبة وأبي جعفر ونافع بخلاف عنهم وأطلق المفرد مرادا به الجمع للعلم به أو أريد به كلمة تكوين الأشياء وهو كن قيل وكلماته هي ما وعد نبيه في سورة الدخان فقال: يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون «١» أي من أبي جهل وأصحابه، وقيل أوامره ونواهيه، وقيل مواعيده النصر والظفر والاستيلاء على إحدى الطائفتين، وقيل كلماته التي سبقت في الأزل.

ومعنى ليحق الحق ليظهر ما يجب إظهاره وهو الإسلام ويبطل الباطل فعل ذلك وقيل الحق القرآن والباطل إبليس وتتعلق هذه اللام بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك أي ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحوه وليس هذا بتكرير لاختلاف المعنيين الأول تبيين بين الإرادتين والثاني بيان لما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك على كثرتهم إلا لهذا المقصد الذي هو أسنى المقاصد وتقدير ما تعلق به متأخرا أحسن. قال الزمخشري ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه

(١) سورة الدخان: ٤٤/ ١٦.." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥/٢١٧

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥/٢٧٧

٩٥. "جمع تكسير لحديث **على غير قياس**، كما قالوا: أباطل وأباطيل، ولم يأت اسم جمع على هذا الوزن. وإذا كانوا يقولون في عباديد وبناذير أنهما جمعا تكسير ولم يلفظ لهما بمفرد، فكيف لا يكون أحاديث وأباطيل جمعي تكسير؟.

ويتم نعمته عليك، وإتمامها بأنه تعالى وصل لهم نعمة الدنيا بأن جعلهم أنبياء وملوكا، بنعمة الآخرة بأن نقلهم إلى أعلى الدرجات في الجنة. وقال مقاتل: بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك، وقال الحسن: هذا شيء أعلمه الله يعقوب من أنه سيعطي يوسف النبوة. وقيل: بأن يحوج إخوتك إليك، فتقابل الذنب بالغفران، والإساءة بالإحسان.

وقيل: بإنجائك من كل مكروه. وآل يعقوب الظاهر أنهم أولاده ونسلهم أي: نجعل النبوة فيهم. وقال الزمخشري: هم نسلهم وغيرهم. وقيل: أهل دينه وأتباعهم، كما جاء

في الحديث: من آلك؟ فقال: «كل تقي»

وقيل: امرأته وأولاده الأحد عشر. وقيل: المراد يعقوب نفسه خاصة. وإتمام النعمة على إبراهيم بالخلة، والإنجاء من النار، وإهلاك عدوه نمروذ. وعلى إسحاق بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه. وسمي الجد وأبا الجد أبوين، لأنهما في عمود النسب كما قال: وإله آبائك «١» ولهذا يقولون: ابن فلان، وإن كان بينهما عدة في عمود النسب. إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء، حكيم يضع الأشياء مواضعها. وهذان الوصفان مناسبان لهذا الوعد الذي وعده يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام في قوله: وكذلك يجتبيك ربك قيل: وعلم يعقوب عليه السلام ذلك من دعوة إسحاق عليه السلام حين تشبه له بعيصو.

لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين: آيات أي: علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عنهم وعرف قصتهم. وقيل: آيات على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد، ولا قراءة كتاب.

والذي يظهر أن الآيات الدلالات على صدق الرسول وعلى ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه، وصدق رؤياه، وصحة تأويله، وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الأمانة، وحدوث السرور بعد اليأس. وقيل: المعنى لمن سأل ولمن لم يسأل لقوله:

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٣٣.." [1]

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٦/٢٤٠

٩٦. "المسك. وقال الكسائي أيضا: فيه اللغات الثلاث، وقد يكون بالفتح المجمر عند قضاعة.
وقال أيضا: قد يكون في اللغات الثلاث الفالوذ المعقد. وقال الفضل: في اللغات الثلاث هو البزماورد، وكل ملفوف بلحم ورقاق. وقال أيضا: المتك بالضم المائدة، أو الخمر في لغة كندة. السكين: تذكر وتؤنث، قاله الفراء والكسائي. ولم يعرف الأصمعي فيه إلا التذكير. حاش: قال الفراء من العرب من يتمها، وفي لغة الحجاز: حاش لك، وبعض العرب: حشى زيد كأنه أراد حشى لزيد، وهي في أهل الحجاز انتهى. وقال الزمخشري:

حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشى زيد. قال:

حاشى أبي ثوبان أن لنا ... ضنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى حاش الله: براءة الله، وتنزيه الله انتهى. وما ذكر أنها تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء غير معروف عند النحويين، لا فرق بين قولك: قام القوم إلا زيدا، وقام القوم حاشى زيد. ولما مثل بقوله أساء القوم حاشى زيد، وفهم من هذا التمثيل براءة زيد من الإساءة، جعل ذلك مستفادا منها في كل موضع. وأما ما أنشده من قوله: حاشى أبي ثوبان، فكذا ينشده ابن عطية، وأكثر النحاة. وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر، وهما من بيتين وهما:

حاشى أبي ثوبان أن أبا ... ثوبان ليس ببكمة فدم

عمرو بن عبد الله إن به ... ضنا عن الملحاة والشتم

عصر العنب وغيره أخرج ما فيه من المائع بقوة. الخبز: معروف، وجمعه أخباز، ومعانيه خباز. البضع: ما بين الثلاث إلى التسع قاله قتادة. وقال مجاهد: من الثلاثة إلى السبعة، وقال أبو عبيدة: البضع لا يبلغ العقد ولا نصف العقد، وإنما هو من الواحد إلى العشرة. وقال الفراء: ولا يذكر البضع إلا مع العشرات، ولا يذكر مع مائة ولا ألف.

السمن: معروف وهو مصدر سمن يسمن، واسم الفاعل سمين، والمصدر واسم الفاعل **على غير قياس**.

العجفاء: المهذولة جدا قال:

ورجال مكة مستنون عجاف الضغث أقل من الحزمة وأكثر من القبضة من النبات والعشب من جنس واحد أو، من أخلاط النبات والعشب فمن جنس واحد ما

روي في قوله: وخذ بيدك ضغثا فاضرب." (١)

٩٧. "فيقول: على هذا نعم البعير، الجمل لعمومه، ويمتنع على الأشهر لترادفه. وفي لغة تكسر باؤه، ويجمع في القلة على أبعرة، وفي الكثرة على بعران.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٦/٢٦٥

وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون: لما استثنى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها، تذكر الناجي من القتل وهو ساقي الملك يوسف، وتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه، وطلبه إليه ليذكره عند الملك. وادكر أي تذكر ما سبق له مع يوسف بعد أمة أي: مدة طويلة. والجملة من قوله وادكر حالية، وأصله: واذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت الذال فيها فصار ادكر، وهي قراءة الجمهور. وقرأ الحسن: واذكر بإبدال التاء ذالا، وإدغام الذال فيها. وقرأ الأشهب العقيلي: بعد إمة بكسر الهمزة أي: بعد نعمة أنعم عليه بالنجاة من القتل. وقال ابن عطية: بعد نعمة أنعم الله بها على يوسف في تقريب إطلاقه، والأمة النعمة قال:

ألا لا أرى ذا إمة أصبحت به ... فتتركه الأيام وهي كما هيا

قال الأعلم: الأمة النعمة، والحال الحسنة. وقرأ ابن عباس، وزيد بن علي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وشبيل بن عزرة الضبعي، وربيعة بن عمرو: بعد أمه بفتح الهمزة، والميم مخففة، وهاء، وكذلك قرأ ابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، واختلف عنهم. وقرأ عكرمة وأيضا مجاهد، وشبيل بن عزرة: بعد أمه بسكون الميم، مصدر أمه **على غير قياس**، وقال الزمخشري: ومن قرأ بسكون الميم فقد أخطأ انتهى. وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء. أنا أنبئكم بتأويله أي أخبركم به عمن عنده علمه لا من جهتي.

وقرأ الحسن أنا أتيكم مضارع أتى من الإتيان، وكذا في الإمام. وفي مصحف أبي:

فأرسلون، أي ابعثوني إليه لأسأله، ومروني باستعباره، استأذن في المضي إلى يوسف.

فقال ابن عباس: كان في السجن في غير مدينة الملك، وقيل: كان فيها، ويرسم الناس اليوم سجن يوسف في موضع على النيل بينه وبين الفسطاط ثمانية أميال. وفي الكلام حذف التقدير: فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال: والصديق بناء مبالغة كالشريب والسكير، وكان." (١)

٩٨. "وقال الزمخشري: ومن الأول للابتداء والثانية للتبيين، وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن انتهى. ويحتمل أن تكون من في قوله من ذهب للتبعيض لا للتبيين. وقرأ أبان عن عاصم من أسورة من غير ألف وبزيادة هاء وهو جمع سوار. وقرأ أيضا أبان عن عاصم وابن أبي حماد عن أبي بكر: ويلبسون بكسر الباء. وقرأ ابن محيصن وإستبرق بوصل الألف وفتح القاف حيث وقع جعله فعلا ماضيا على وزن استفعل من البريق، ويكون استفعل فيه موافقا للمجرد الذي هو برق كما تقول: قر واستقر بفتح القاف ذكره الأهوازي في الإقناع عن ابن محيصن. قال ابن محيصن. وحده: وإستبرق بالوصل وفتح

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٨٤/٦

القاف حيث كان لا يصرفه انتهى. فظاهره أنه ليس فعلا ماضيا بل هو اسم ممنوع الصرف. وقال ابن خالويه: جعله استفعل من البريق ابن محيصن فظاهره أنه فعل ماض وخالفهما صاحب اللوامح. قال ابن محيصن: وإستبرق بوصل الهمزة في جميع القرآن فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس**، ويجوز أنه جعله عربية من برق يبرق بريقا. وذلك إذا تلألأ الثوب لجدته ونضارته، فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما تسمى به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة، ومعاملة المتمكنة من الأسماء في الصرف والتنوين، وأكثر التفاسير على أنه عربية وليس بمستعرب دخل في كلامهم فأعربوه انتهى.

ويمكن أن يكون القولان روايتين عنه فتح القاف وصرفه التنوين، وذكر أبو الفتح بن جني قراءة فتح القاف، وقال: هذا سهو أو كالسهو انتهى. وإنما قال ذلك لأنه جعله اسما ومنعه من الصرف لا يجوز لأنه غير علم، وقد أمكن جعله فعلا ماضيا فلا تكون هذه القراءة سهوا. قال الزمخشري: وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج، وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين، وقدمت التحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب، وفي القيمة أغلى، وفي العين أحلى، وبناء فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله إشعارا بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم كما قال الشاعر:

غرائر في كن وصون ونعمة ... تحلين ياقوتا وشذرا مفقرا

وأسند اللباس إليهم لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا لو كان بادي العورة، ووصف الثياب بالخضرة لأنها أحسن الألوان والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها، وقد روي في ذلك أثر إنها تزيد في ضوء البصر وقال بعض الأدباء:

أربعة مذهبة لكل هم وحزن ... الماء والخضرة والبستان والوجه الحسن." (١)

٩٩. "وإخبار عنه به لأن معناه قد كفرت بالذي استدرك هو مخبرا عن نفسه، فقال لكنا هو الله ربي إقرار بتوحيد الله وأنه لا يشرك به غيره.

وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير ونافع في رواية ورش وقالون لكن بتشديد النون بغير ألف في الوصل وبألف في الوقف وأصله، ولكن أنا نقل حركة الهمزة إلى نون لكن وحذف الهمزة فالتقى مثلان فأدغم أحدهما في الآخر. وقيل: حذف الهمزة من أنا **على غير قياس** فالتقت نون لكن وهي ساكنة مع نون أنا فأدغمت فيها، وأما في الوقف فإنه أثبت ألف أنا وهو المشهور في الوقف على أنا، وأما في الوصل فالمشهور حذفها وقد أبدلها ألفا في الوقف أبو عمر وفي رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه. وقال ابن عطية:

وروى هارون عن أبي عمر ولكنه هو الله ربي بضمير لحق لكن. وقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيلي

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ١٧١/٧

وزيد بن علي والحسن والزهري وأبو بحرية ويعقوب في رواية وأبو عمر وفي رواية وكردم وورش في رواية وأبو جعفر بإثبات الألف وقفا ووصلا، أما في الوقف فظاهر، وأما في الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه في الكلام وغيرهم في الاضطرار فجاء على لغة بني تميم. وعن أبي جعفر حذف الألف وصلا ووقفا وذلك من رواية الهاشمي، ودل إثباتها في الوصل أيضا على أن أصل ذلك لكن أنا.
وقال الزمخشري: وحسن ذلك يعني إثبات الألف في الوصل وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة انتهى. ويدل على ذلك أيضا قراءة فرقة لكننا بحذف الهمزة وتخفيف النونين. وقال أيضا الزمخشري ونحوه يعني ونحو إدغام نون لكن في نون أما بعد حذف الهمزة قول القائل:
وترمينني بالطرف أي أنت مذنب ... وتقلينني لكن إياك لا أقلي
أي لكن أنا لا أقليك انتهى. ولا يتعين ما قاله في البيت لجواز أن يكون التقدير لكنني فحذف اسم لكن وذكروا أن حذفه فصيح إذا دل عليه الكلام، وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:
فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ... ولكن زنجي عظيم المشافر
أي ولكنك زنجي، وأجاز أبو علي أن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ووقع الإدغام لاجتماع المثلين ثم وحد في ربي على المعنى، ولو اتبع اللفظ لقال ربنا انتهى. وهو تأويل بعيد. وقال ابن عطية: ويتوجه في لكنا أن تكون المشهورة من أخوات إن المعنى لكن قولي هو الله ربي إلا أني لا أعرف من يقرأ بها وصلا ووقفا." (١)

١٠٠. "المطلق فتصلح لما هو بمعنى الإلجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت: أقمت زيدا فإنه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام. وأما قوله الإتراك لا تقول إلى آخره فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس أجاز لك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث قالوا: أجاء فيجيز ذلك، وأما تنظيره ذلك بآتي فهو تنظير غير صحيح لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية، وأن أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بني على أفعل وليس منقولا من أتى بمعنى جاء، إذ لو كان منقولا من أتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني، والفاعل هو الأول إذا عديته بالهمزة تقول: أتى المال زيدا، وآتى عمرا زيدا المال، فيختلف التركيب بالتعدية لأن زيدا عند النحويين هو المفعول الأول والمال هو المفعول الثاني. وعلى ما ذكره الزمخشري كان يكون العكس فدل على أنه ليس على ما قاله. وأيضا فآتى مرادف لأعطى فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى. وقوله: ولم تقل أتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل يقال: أتيت المكان كما تقول: جئت المكان. وقال الشاعر:
أتوا ناري فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال: أتانيه. وقرأ الجمهور فأجاءها أي ساقها. وقال الشاعر:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ١٧٨/٧

وجار سار معتمدا إليكم ... أجاءته المخافة والرجاء

وأما فتحة الجيم الأعمش وطلحة. وقرأ حماد بن سلمة عن عاصم. قال ابن عطية وشبيل بن عزرة فاجأها من المفاجأة. وقال صاحب اللوامح شبيل بن عزرة: فاجأها. فقيل:

هو من المفاجأة بوزن فاعلها فبدلت همزتها بألف تخفيف **على غير قياس**، ويحتمل أن تكون همزة بين بين غير مقلوبة. وروي عن مجاهد كقراءة حماد عن عاصم. وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بكسر الميم يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وتمخض الولد في بطنها: وإلى تتعلق بفاجأها، ومن قرأ فاجأها من المفاجأة فتتعلق بمحذوف أي مستندة أي في حال استنادها إلى النخلة، والمستفيض المشهور أن ميلاد عيسى عليه السلام كان بيت لحم، وأنها لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت به إلى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس، ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فعمدته فيه وهو اليوم الذي." [1]

١٠١. "الوني: الفتور، يقال: وني يني وهو فعل لازم، وإذا عدي فبعن وبفي وزعم بعض البغداديين أنه يأتي فعلا ناقصا من أخوات ما زال وبمعناها، واختاره ابن مالك وأنشد:

لا يني الخب شيمة الحب ... ما دام فلا تحسبنه ذا ارعواء

وقالوا: امرأة أناة أي فاترة عن النهوض، أبدلوا من واوها همزة **على غير قياس**. قال الشاعر:

فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر شت الأمر شتا وشتاتا تفرق، وأمر شت متفرق وشتى فعلى من الشت وألفه للتأنيث جمع شتيت كمريض ومرضى، ومعناه متفرقة، وشتان اسم فاعل سحت: لغة الحجاز وأسحت لغة نجد وتميم، وأصله استقصاء الحلق للشعر. وقال الفرزدق وهو تميمي:

وعض زمان يا ابن مروان لم يك ... من المال إلا مسحت أو مجلف

ثم استعمل في الإهلاك والإذهاب. الخيبة: عدم الظفر بالمطلوب. الصف: موضع المجمع قاله أبو عبيدة، وسمي المصلى الصف وعن بعض العرب الفصحاء ما استطعت أن آتي الصف أي المصلى، وقد يكون مصدرا ويقال جاؤوا صفا أي مصطفين. التخييل:

إبداء أمر لا حقيقة له، ومنه الخيال وهو الطيف الطارق في النوم. قال الشاعر:

ألا يا لقومي للخيال المشوق ... وللدار تنأى بالحبيب ونلتقي

اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٥١/٧

إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من." (١)

١٠٢. "السلالة: فعالة من سللت الشيء من الشيء إذا استخرجته منه. وقال أمية:

خلق البرية من سلالة منتن ... وإلى السلالة كلها ستعود

والولد سلالة أبيه كأنه انسل من ظهر أبيه. قال الشاعر:

فجاءت به عصب الأديم غضنفرا ... سلالة فرج كان غير حصين

وهو بناء يدل على القلة كالقلامة والنحاتة. سيناء وسينون: اسمان لبقعة، وجمهور العرب على فتح سين سيناء فالألف فيه للتأنيث كصحراء فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم، وكنانة تكسر السين فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم أيضا عند الكوفيين لأنهم يثبتون أن همزة فعلاء تكون للتأنيث، وعند البصريين يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة أو العلمية والتأنيث، لأن ألف فعلاء عندهم لا تكون للتأنيث بل للإلحاق كعلباء ودرحاء. قيل: وهو جبل فلسطين.

وقيل: بين مصر وأيلة. الدهن: عصارة الزيتون واللوز وما أشبههما مما فيه دسم، والدهن: بفتح الدال مسح الشيء بالدهن. هيهات: اسم فعل يفيد الاستبعاد فمعناها بعد، وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب التكميل لشرح التسهيل، ويأتي منها ما قرىء به إن شاء الله.

الغثاء: الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله أبو عبيد. وقال الأخفش: الغثاء والجفاء واحد، وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد. وقال الزجاج: البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل خالط زبده انتهى. وتشدد ثاؤه وتخفف، ويجمع على أغثاء شذوذا، وروى بيت امرئ القيس: من السيل والغثاء بالتخفيف والتشديد بالجمع. تترى واحدا بعد واحد. قال الأصمعي: وبينهما مهلة. وقال غيره: المواترة التتابع بغير مهلة، وتاؤه مبدلة من واو **على غير قياس**، إذ أصله الوتر كتاء تولج وتيقور الأصل وولج وو يقور لأنه من الولوج والوقار، وجمهور العرب على عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم وكنانة تنونه، وينبغي أن تكون الألف فيه للإلحاق كهي في علقى المنون، وكتبه بالياء يدل على ذلك، ومن زعم أن التنوين فيه كصبرا ونصرا فهو مخطئ لأنه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الإعراب في الراء، فتقول تتر في الرفع وتتر في الجر لكن ألف الإلحاق في المصدر نادر، ولا يلزم وجود النظير. وقيل: تترى اسم جمع كأسرى وشتى. المعين: الميم فيه زائدة." (٢)

١٠٣. "قاله قوم أو إرسال ملك، قاله قطرب وقوم، وهذا هو الظاهر لقوله: إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين. وأجمعوا على أنها لم تكن نبية، فإن كان الوحي بإرسال ملك، كما هو الظاهر، فهو

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٣٥/٧

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٤٤/٧

كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى، وكما روي من تكليم الملائكة للناس. والظاهر أن هذا الإيحاء هو بعد الولادة، فيكون ثم جملة محذوفة، أي ووضعت موسى أمه في زمن الذبح وخافت عليه. وأوحينا، وأن تفسيرية، أو مصدرية.

وقيل: كان الوحي قبل الولادة. وقرأ عمرو بن عبد الواحد، وعمر بن عبد العزيز: أن ارضعيه، بكسر النون بعد حذف الهمزة **على غير قياس**، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة، وهي الفتحة، إلى النون، كقراءة ورش.

فإذا خفت عليه من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الأولاد، فألقيه في اليم. قال الجنيد: إذا خفت حفظه بواسطة، فسلميه إلينا بإلقائه في البحر، واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك. وزمان إرضاعه ثلاثة أشهر، أو أربعة، أو ثمانية، أقوال. واليم هنا: نيل مصر. ولا تخافي: أي من غرقه وضياعه، ومن التقاطه، فيقتل، ولا تحزني لمفارقتك إياه، إنا رادوه إليك، وعد صادق يسكن قلبها ويبشرها بحياته وجعله رسولا، وقد تقدم في سورة طه طرف من حديث التابوت ورميه في اليم وكيفية التقاطه، فأغنى عن إعادته. واستفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعرا فقالت: أبعد قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى الآية، فصاحة؟ وقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

فالتقطه آل فرعون: في الكلام حذف تقديره: ففعلت ما أمرت به من إرضاعه ومن إلقائه في اليم. واللام في ليكون للتعليل المجازي، لما كان مآل التقاطه وتربيته إلى كونه عدوا لهم وحزنا، وإن كانوا لم يلتقطوه إلا للتبني، وكونه يكون حبيبا لهم، ويعبر عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة. وقرأ الجمهور: وحزنا، بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش. وقرأ ابن وثاب، وطلحة، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وابن سعدان: بضم الحاء وإسكان الزاي. والخاطئ: المتعمد الخطأ، والمخطئ: الذي لا يتعمده. واحتمل أن يكون في الكلام حذف، وهو الظاهر، أي فكان لهم عدوا وحزنا، أي لأنهم كانوا خاطئين، لم يرجعوا إلى دينه، وتعمدوا الجرائم والكفر بالله. وقال المبرد:

خاطئين على أنفسهم بالتقاطه. وقيل: بقتل أولاد بني إسرائيل. وقيل: في تربية عدوهم.

وأضيف الجند هنا وفيما قبل إلى فرعون وهامان، وإن كان هامان لا جنود له، لأن أمر الجنود لا يستقيم إلا بالملك والوزير، إذ بالوزير تحصل الأموال، وبالملك وقهره يتوصل." (١)

١٠٤. "إلى ظل جدار لا سقف له. وقيل: جعل ظهره يلي ما كان يلي وجهه من الشمس. فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، قال المفسرون: تعرض لما يطعمه، لما ناله من الجوع، ولم يصرح بالسؤال وأنزلت هنا بمعنى تنزل. وقال الزمخشري: وعدي باللام فقير، لأنه ضمن معنى سائل وطالب. ويحتمل أن يريد، أي فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين، وهو النجاة من الظالمين، لأنه

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٨٧/٨

كان عند فرعون في ملك وثروة، قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له. وقال الحسن: سأل الزيادة في العلم والحكمة..

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء: في الكلام حذف، والتقدير: فذهبتا إلى أبيهما من غير إبطاء في السقي، وقصتا عليه أمر الذي سقى لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له. فجاءته إحداهما. قرأ ابن محيصن: فجاءته احداهما، بحذف الهمزة، تخفيفا **على غير قياس**، مثل: ويل امه في ويل أمه، ويا با فلان، والقياس أن يجعل بين بين، وإحداهما مبهم. فقيل: الكبرى، وقيل: كانتا توأمتين، ولدت الأولى قبل الأخرى بنصف نهار. وعلى استحياء: في موضع الحال، أي مستحيية متحفزة. قال عمر بن الخطاب: قد سترت وجهها بكم درعها والجمهور: على أن الداعي أباهما هو شعيب عليه السلام، وهما ابنتاه. وقال الحسن: هو ابن أخي شعيب، واسمه مروان. وقال أبو عبيدة: هارون.

وقيل: هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب. وقيل: كان عمهما صاحب الغنم، وهو المزوج، عبرت عنه بالأب، إذ كان بمثابته. ليجزيك أجر ما سقيت لنا، في ذلك ما كان عليه شعيب من الإحسان والمكافأة لمن عمل له عملا، وإن لم يقصد العالم المكافأة.

فلما جاءه: أي فذهب معهما إلى أبيهما، وفي هذا دليل على اعتماد أخبار المرأة، إذ ذهب معها موسى، كما يعتمد على أخبارها في باب الرواية. وقص عليه القصص: أي ما جرى له من خروجه من مصر، وسبب ذلك. قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين: أي قبل الله دعاءك في قولك: رب نجني من القوم الظالمين، أو أخبره بنجاته منهم، فأنسه بقوله: لا تخف،

وقرب إليه طعاما، فقال له موسى: إنا أهل بيت، لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا، فقال له شعيب: ليس هذا عوض السقي، ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف وإطعام الطعام فحينئذ أكل موسى عليه السلام.

قالت إحداهما: أبهم القائلة، وهي الذاهبة والقائلة والمتزوجة، يا أبت استأجره: أي لرعي الغنم وسقيها. ووصفته بالقوة: لكونه رفع الصخرة عن البئر وحده،." (١)

١٠٥. "الإسلام فما بعده، عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين، إذ أشار الرسول بأمر وقع منهم الإباء له، فأنكر عليهم، إذ طاعته، عليه السلام، من طاعة الله، وأمره من أمره.

والخيرة: مصدر من تخير **على غير قياس**، كالطيرة من تطير. وقرئ: بسكون الياء، ذكره عيسى بن سليمان. وقرأ الحرميان، والعربيان، وأبو جعفر، وشيبة، والأعرج، وعيسى: أن تكون، بتاء التأنيث والكوفيون، والحسن، والأعمش، والسلمي: بالياء.

ولما كان قوله: لمؤمن ولا مؤمنة، يعم في سياق النفي، جاء الضمير مجموعا على المعنى في قوله: لهم،

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٩٨/٨

مغلبا فيه المذكر على المؤنث. وقال الزمخشري: كان من حق الضمير أن يوحد، كما تقول: ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا. انتهى.

ليس كما ذكر، لأن هذا عطف بالواو، فلا يجوز إفراد الضمير إلا على تأويل الحذف، أي:

ما جاءني من رجل إلا كان من شأنه كذا، وتقول: ما جاء زيد ولا عمرو إلا ضربا خالدا، ولا يجوز إلا ضرب إلا على الحذف، كما قلنا.

وإذ تقول: الخطاب للرسول، عليه السلام. للذي أنعم الله عليه، بالإسلام، وهو أجل النعم، وهو زيد بن حارثة الذي كان الرسول تبناه. وأنعمت عليه: وهو عتقه، وتقدم طرف من قصته في أوائل السورة. أمسك عليك زوجك: وهي زينب بنت جحش، وتقدم أن الرسول كان خطبها له.

وقيل: أنعم الله عليه بصحبتك ومودتك، وأنعمت عليه بتبنيه. فجاء زيد فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال:

«أرابك منها شيء؟» قال: لا والله ولكنها تعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال:

«أمسك عليك زوجك» ، أي لا تطلقها، وهو أمر ندب، «واتق الله في معاشرتها» .

فطلقها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد انقضاء عدتها.

وعلل تزويجه إياها بقوله: لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أن يتزوجوا زوجات من كانوا تبنوه إذا فارقوهن، وأن هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله: وحلائل أبنائكم «١» .

وقال علي بن الحسين: كان قد أوحى الله إليه أن زيدا سيطلقها، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها. فلما شكا زيد خلقها، وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له:

«أمسك عليك زوجك واتق الله»

، على طريق الأدب والوصية، وهو يعلم أنه سيطلقها.

وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أنه يأمره بالطلاق.

ولما علم من أنه سيطلقها،

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٢٣.." (١)

١٠٦. "لا يجاورونك، كما قال ابن عطية. قال الزمخشري: وهذا نصه ملعونين، نصب على الشتم أو الحال، أي لا يجاورونك، إلا ملعونين. دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا، كما مر في قول: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولا يصح أن ينتصب من أخذوا، لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. انتهى. وتقدم الكلام معه في مجيء الحال مما قبل إلا مذكورة بعد ما استثنى بإلا،

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٨١/٨

فيكون الاستثناء منصبا عليهما، وأن جمهور البصريين منعوا من ذلك. وأما تجويز ابن عطية أن يكون بدلا، فالبدل بالمشتق قليل. وأما قول الزمخشري: لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها، فليس هذا مجمعا عليه، لأن ما بعد كلمة الشرط شيئان: فعل الشرط والجواب. فأما فعل الشرط، فأجاز الكسائي تقديم معموله على الكلمة، أجاز زيد أن يضرب اضربه، وأما الجواب فقد أجاز أيضا تقديم معموله عليه نحو: إن يقم زيد عمرا يضرب. وقد حكي عن بعض النحويين أنه قال: المعنى: أينما ثقفوا: أخذوا ملعونين، والصحيح أن ملعونين صفة لقليل، أي إلا قليلين ملعونين، ويكون قليلا مستثنى من الواو في لا يجاورونك، والجملة الشرطية صفة أيضا، أي مقهورين مغلوبا عليهم. ومعنى ثقفوا: حصروا وظفر بهم، ومعنى أخذوا: أسروا، والأخيذ: الأسير. وقرأ الجمهور: قتلوا، بتشديد التاء وفرقة: بتخفيفها، فيكون تقتيلا مصدرا **على غير قياس** المصدر.

والظاهر أن المنافقين انتهوا عما كانوا يؤذون به الرسول والمؤمنين، وتستر جميعهم، وكفوا خوفا من أن يقع بهم ما وقع القسم عليه، وهو الإغراء والجلاء والأخذ والقتل.

وقيل: لم يمتثلوا للانتهاء جملة، ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا. ألا ترى إلى إخراجهم من المسجد، ونهيه عن الصلاة عليهم، وما نزل فيهم في سورة براءة؟ وأبعد من ذهب إلى أنه لم ينته هؤلاء الأصناف، ولم ينفذ الله الوعيد عليهم، ففيه دليل على بطلان القول بإنفاذ الوعيد في الآخرة، ويكون هذا الوعيد مفروضا ومشروطا بالمشيئة.

سنة الله: مصدر مؤكد، أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ظفر بهم. وعن مقاتل: كما قتل أهل بدر وأسروا، فالذين خلوا يشمل أتباع الأنبياء الذين نافقوا، ومن قتل يوم بدر. يسئلك الناس: أي المشركون، عن وقت قيام الساعة، استعجالا على سبيل الهزء، واليهود على سبيل الامتحان، إذ كانت معمى وقتها في التوراة، فنزلت الآية بأن يرد العلم إلى الله، إذ لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا. ولما ذكر حالهم في الدنيا أنهم ملعونون مهانون مقتولون، بين حالهم في الآخرة. وما يدريك:." (١)

١٠٧. "يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم، وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور.

الظاهر أن وقال ماض لفظا ومعنى، أي وقال الذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا، ويحتمل أن يكون معنى وقال: ويقول، ويوم القيامة معمول لو يقولوا، أي ويقولوا في ذلك اليوم

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٠٦/٨

لما عاينوا ما حل بالكفار وأهليهم.

الظاهر أنهم الذين كانوا أهليهم في الدنيا، فإن كانوا معهم في النار فقد خسروهم، أي لا ينتفعون بهم وإن كانوا في الجنة لكونهم كانوا مؤمنين، كآسية امرأة فرعون، فهم لا ينتفعون بهم أيضا. وقيل: أهلوهم ما كان أعد لهم من الحور لو كانوا آمنوا، والظاهر أن قوله: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم من كلام المؤمنين وقيل:

استئناف إخبار من الله تعالى.

من قبل أن يأتي يوم، قيل: هو يوم ورود الموت، والظاهر أنه يوم القيامة. ومن الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما مر، أي لا يرد ذلك اليوم من ما حكم الله به فيه. وقال الزمخشري: من الله: من صلة للامرد. انتهى، وليس الجيد، إذ لو كان من صلته لكان معمولا له، فكان يكون معربا منونا. وقيل: من الله يتعلق بقوله: يأتي، من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده. ما لكم من ملجإ تلجأون إليه، فتتخلصون من العذاب، وما لكم من إنكار شيء من أعمالكم التي توردكم النار، والنكير مصدر أنكر على غير قياس. قيل: ويحتمل أن يكون اسم فاعل للمبالغة، وفيه بعد، لأن نكر معناه لم يميز.

فإن أعرضوا الآية: تسلية للرسول وتأنيس له، وإزالة لهمه بهم. والإنسان: يراد به الجنس، ولذلك جاء: وإن تصبهم سيئة. وجاء جواب الشرط فإن الإنسان ولم يأت فإنه، ولا فإنهم، ليدل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال: إن الإنسان لظلوم كفار «١» ، إن الإنسان لربه لكنود «٢» .

ولما ذكر أنه يكفر النعم، أتبع ذلك بأن له ملك العالم العلوي والسفلي، وأنه يفعل

---

(١) سورة إبراهيم: ١٤/ ٣٤.

(٢) سورة العاديات: ١٠٠/ ٦.." [1]

١٠٨. "البدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلى غير سنته، إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته: لكم دينكم ولنا ديننا. لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم، بل يقولون لهم هذا: براءة منهم ومن بدعتهم. وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان.

فهذا ما فتح الله العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة، والنبذة المثيرة إلى عظمة هذه السورة، وجلالتها ومقصودها، وبديع نظمها من غير استعانة بتفسير، ولا تتبع لهذه الكلمات من مظان توجد فيه، بل هي استجلاء مما علمه الله وألهمه، بفضله وكرمه، والله يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها، وبالغت في استحسانها. وعسى الله، المانّ بفضله الواسع العطاء الذي عطاؤه على غير قياس المخلوقين: أن يعين على تعليق تفسير على هذا النمط وهذا الأسلوب.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٤٧/٩

وقد كتبت على مواضع متفرقة من القرآن بحسب ما يسنح من هذا النمط وقت مقامي بمكة وبالبيت المقدس. والله المرجو إتمام نعمته.." (١)

١٠٩. "٣٩٩ – خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا

واختلف النحويون في وزنها: فمذهب سيبويه والخليل أنها فعلة، والأصل: أيية بفتح العين، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، وهذا شاذ، لأنه إذا اجتمع حرفا علة أعل الأخير، لأنه محل التغيير نحو: هوى وحوى، ومثلها في الشذوذ: غاية وطاية وراية.

ومذهب الكسائي أن وزنها آيية على وزن فاعلة، فكان القياس أن يدغم فيقال: آية كدابة إلا أنه ترك ذلك تخفيفا، فحذفوا عينها كما خففوا كينونة والأصل: كينونة بتشديد الياء، وضعفوا هذا بأن بناء كينونة أثقل فناسب التخفيف بخلاف هذه.

ومذهب الفراء أنها فعلة بسكون العين، واختاره أبو البقاء قال: «لأنها من تأيا القوم أي اجتمعوا، وقالوا في الجمع: آياء، فظهرت الياء [الأولى] ، والهمزة الأخيرة بدل من ياء، ووزنه أفعال، والألف الثانية بدل من همزة هي فاء الكلمة، ولو كانت عينها واوا لقالوا في الجمع، آواء، ثم إنهم قلبوا الياء الساكنة ألفا **على غير قياس**» انتهى. يعني أن حرف العلة لا يقلب حتى يتحرك وينفتح ما قبله.." (٢)

١١٠. "مهموزا فوزنها فعيلة والأصل: ذريئة فخففت الهمزة بأن أبدلت ياء كهمزة خطيئة والنسيء، ثم أدغمت الياء الزائدة في الياء المبدلة من الهمزة.

وإن كانت من الذر فيجوز في وزنها أربعة أوجه، أحدها: فعلية وتحتمل هذه الياء أن تكون للنسب وغيروا الذال من الفتح إلى الضم كما قالوا في النسب إلى الدهر: دهري وإلى السهل: سهلي بضم الدال والسين، وأن تكون لغير النسب فتكون كقمرية. الثاني: أن يكون: فعيلة كمريقة، والأصل: ذريرة، فقلبت الراء الأخيرة ياء لتوالي الأمثال، كما قالوا تسريت وتظنيت في تسررت وتظننت. الثالث: أن تكون فعولة كقدوس وسبوح، والأصل: ذرورة، فقلبت الراء لما تقدم، فصار ذروية، فاجتمع واو وياء، فجاء القلب والإدغام كما تقدم. الرابع: أن تكون فعلولة والأصل: ذرورة، ففعل بها ما تقدم في الوجه الذي قبله.

وأما ذرية بكسر الذال فإن كانت من ذروت فوزنها فعيلة، والأصل: ذريوة، فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء بعدها، فإن كانت من ذريت فوزنها فعيلة أيضا، وإن كانت من ذرأ فوزنها فعيلة أيضا كبطيخة، والأصل ذريئة ففعل فيها ما تقدم في المضمومة الدال، وإن كانت من الذر فتحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون وزنها فعلية نسبة إلى الذر **على غير قياس** في المضمومة. الثاني: أن تكون فعيلة، الثالث: أن تكون فعليلة كحلتيت والأصل فيها: ذريرة ففعل فيهما ما تقدم من إبدال الراء الأخيرة ياء والإدغام

---

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم، ابن القيم ص/٥٩٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٣٠٨/١

فيها.

وأما «ذرية» بفتح الذال: فإن كانت من ذروت أو ذريت فوزنها: فعيلة كسكينة، والأصل: ذريوة أو ذريية، أو فعولة والأصل: ذرووة أو ذروية،." [1]

١١١. "امرأته أو زوجته فلا يريدون غير المجامعة وهل إطلاقه عليهما بطريق الحقيقة فيكون من باب الاشتراك أو بطريق الحقيقة والمجاز؟ الظاهر: الثاني: فإن المجاز خير من الاشتراك، وإذا قيل بالحقيقة والمجاز فإنها حقيقة: ذهب قوم إلى أنه حقيقة في الوطء وذهب قوم إلى العكس. قال الراغب:» أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع، ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد، لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباحهم تعاطيه، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه. قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النسآء﴾ [النساء: ٣] قوله: ﴿حتى يؤمن﴾ / «حتى» بمعنى «إلى» فقط، والفعل بعدها منصوب بإضمار «أن» أي: إلى أن يؤمن، وهو مبني على المشهور لاتصاله بنون الإناث، والأصل: يؤمنن، فأدغمت لام الفعل في نون الإناث.

قوله: ﴿ولأمة مؤمنة خير﴾ سوغ الابتداء ب «أمة» شيئان: لام الابتداء والوصف «وأصل» أمة «: أمو، فحذفت لامها على غير قياس، وعوض منها تاء التأنيث ك» قلة «و» ثبة «يدل على أن لامها واو رجوعها في الجمع. قال الكلابي:." [2]

١١٢. "٩٤٩ - أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنون الإموان بالعار

ولظهورها في المصدر أيضا، قالوا: أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة. وهل وزنها» فعلة «بتحريك العين أو» فعلة «بسكونها؟ قولان، أظهرهما الأول، وكان قياسها على هذا أن تقلب لأمها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها كفتاة وقناة، ولكن حذفت على غير قياس.

والثاني: قال به أبو الهيثم، فإنه زعم أن جمع الأمة أمو، وأن وزنها فعلة بسكون العين فيكون مثل نخل ونخلة فأصلها أموة، فحذفوا لامها إذ كانت حرف لين، فلما جمعوها على مثل نخلة ونخل لزمهم أن يقولوا: أمة وأم، فكرهوا أن يجعلوها حرفين، وكرهوا أن يردوا الواو المحذوفة لما كانت [آخر] الاسم، فقدموا الواو وجعلوا ألفا بين الهمزة والميم فقالوا: أام. وما زعمه ليس بشيء إذ كان يلزم أن يكون الإعراب على الميم كما كان على لام «نخل» وراء «تمر» ، ولكنه على التاء المحذوفة مقدر كما سيأتي بيانه. وجمعت على «إموان» كما تقدم، وعلى إماء، والأصل: إماؤ، نحو رقبة ورقاب، فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة ككساء. وفي الحديث: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» وعلى آم، قال الشاعر:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١٠٢/٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٤١٥/٢

٩٥٠ – تمشي بها ربد النعا ... م تماشي الآم الزوافر

والأصل «أأمو» بهمزتين، الأولى مفتوحة زائدة، والثانية ساكنة هي فاء." (١)

١١٣. "للجملة المنفية وإن صار معناها الإثبات اعتبارا باللفظ لا بالمعنى، وهذا من قسم ما اعتبر فيه جانب اللفظ دون المعنى، نحو: ﴿سوآء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ [البقرة: ٦] وقد تقدم تحقيقه.

قوله: ﴿ليطمئن﴾ اللام لام كي، فالفعل منصوب بعدها بإضمار «أن» ، وهو مبني لاتصاله بنون التوكيد، واللام متعلقة بمحذوف بعد «لكن» تقديره: ولكن سألتك كيفية الإحياء للاطمئنان، ولا بد من تقدير حذف آخر قبل «لكن» حتى يصح معه الاستدراك والتقدير: بلى آمنت وما سألت غير مؤمن، ولكن سألت ليطمئن قلبي.

والطمأنينة «السكون، وهي مصدر» اطمأن «بوزن اقشعر، وهي **على غير قياس** المصادر، إذ قياس» اطمأن «أن يكون مصدره على الاطمئنان. واختلف في» اطمأن «هل هو مقلوب أم لا؟ فمذهب سيبويه أنه مقلوب من» طأمن «، فالفاء طاء، والعين همزة، واللام ميم، فقدمت اللام على العين فوزنه: افلعل بدليل قولهم: طامنته فتطامن. ومذهب الجرمي أنه غير مقلوب، وكأنه يقول: إن اطمأن وطأمن مادتان مستقلتان، وهو ظاهر كلام أبي البقاء، فإنه قال:» والهمزة في «ليطمئن» أصل، ووزنه يفعلل، ولذلك جاء ﴿فإذا اطمأننتم﴾ [النساء: ١٠٣] مثل: اقشعررتم «. انتهى. فوزنه على الأصل دون القلب، وهذا غير بعيد، ألا ترى أنهم في جبذ وجذب قالوا: ليس أحدهما مقلوبا من الآخر لاستواء المادتين في الاستعمال. ولترجيح كل من المذهبين موضع غير هذا.." (٢)

١١٤. "قوله تعالى: ﴿واللاتي﴾ : اللاتي: جمع «التي» في المعنى لا في اللفظ؛ لأن هذه صيغ موضوعة للتثنية والجمع، وليست بتثنية ولا جمع حقيقة. وقال أبو البقاء: «اللاتي جمع» التي «**على غير قياس**، وقيل: هي صيغة موضوعة للجمع» ومثل هذا لا ينبغي أن يعده خلافا. ولها جموع كثيرة: ثلاث عشرة لفظة، وهي: اللاتي واللواتي واللائي، وبلا ياءات فهذه ست، واللاي بالياء من غير همز، واللا من غير ياء ولا همز، واللواء بالمد، واللوا بالقصر، و «الألى» كقوله:." (٣)

١١٥. "وأن يفعل ذلك، وأصيلان عنده شاذ فلا يقاس عليه، وفي عبارة مكي قال: «وأيضا فإنه يلزمهم أن يصغروا أشياء على شويات أو على شييئات وذلك لم يقله أحد» قلت: قوله «شويات» ليس بجيد، فإنه هذا ليس موضع قلب الياء واوا/، ألا ترى أنك إذا صغرت بيتا قلت: بييتا لا بويتا، إلا أن الكوفيين يجيزون ذلك فيمكن أن يرى رأيهم وقد رد مكي أيضا مذهب الفراء والأخفش بشيئين،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٤١٦/٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥٧٤/٢

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٦١٦/٣

أحدهما: أنه يلزم منه عدم النظير إذ لم يقع أفعلاء جمعا ل فيعل فيكون هذا نظيره، وهين وأهوناء شاذ لا يقاس عليه. والثاني: أن حذفه واعتلاله مجرى **على غير قياس**، فهذا القول خارج في جمعه اعتلاله عن القياس والسماع «.

المذهب الرابع – وهو قول الكسائي وأبي خاتم – أنها جمع شيء على أفعال ك» بيت «و» أبيات «و» ضيف «و» أضياف «واعترض الناس هذا القول بأنه يلزم منه منع الصرف بغير علته إذ لو كان على» أفعال «لا نصرف كأبيات. قال الزجاج:» أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ، وألزموه ألا يصرف أنباء وأسماء «قلت: والكسائي قد استشعر بهذا الرد فاعتذر عنه ولكن بما لا يقبل، قال الكسائي – رحمه الله–:» هي – أي أشياء – على وزن أفعال ولكنها كثرت في الكلام فأشبهت فعلاء فلم تصرف كما لم يصرف حمراء «قال:» وجمعوها أشاوى كما جمعوا عذراء وعذارى، وصحراء وصحارى، وأشياوات كما قيل حمراوات «، يعني أنهم عاملوا» أشياء «وإن كانت على أفعال معاملة حمراء وعذراء في جمعي التكسير والتصحيح. إلا أن." (١)

١١٦. "والفصيح فتح همزتها وهي قراءة العامة. وقرأ السلمي بكسرها وهي لغة سليم. واختلف النحويون في «أيان» : هل هي بسيطة أم مركبة؟ فذهب بعضهم إلى أن أصلها: أي أوان فحذفت الهمزة **على غير قياس** ولم يعوض منها شيء، وقلبت الواو ياء **على غير قياس**، فاجتمع ثلاث ياءات فاستثقل ذلك فحذفت إحداهن، وبنيت الكلمة على الفتح فصارت أيان. واختلفوا فيها أيضا: هل هي مشتقة أم لا؟ فذهب أبو الفتح إلى أنها مشتقة من أويت إليه، لأن البعض آو إلى الكل، والمعنى: أي وقت وأي فعل، ووزنه فعلان أو فعلان بحسب اللغتين، ومنع أن يكون وزنه فعالا مشتقة من «أين» ، لأن أين ظرف مكان وأيان ظرف زمان.

ومرساها يجوز أن يكون اسم مصدر وأن يكون اسم زمان، قال الزمخشري: «مرساها» إرساؤها أو وقت إرسائها، أي: إثباتها وإقرارها «. قال الشيخ» وتقديره: وقت إرسائها ليس بجيد، لأن «أيان» استفهام عن الزمان فلا يصح أن يكون خبرا عن الوقت إلا بمجاز لأنه يكون التقدير: في أي وقت وقت إرسائها «وهو كلام حسن، ويقال: رسا يرسو: ثبت، ولا يقال إلا في الشيء الثقيل نحو: رست السفينة ترسو، وأرسيتها.

قوله: ﴿علمها﴾ مصدر مضاف للمفعول والظرف خبره. وقوله: «في السماوات» يجوز فيها وجهان، أحدهما: أن تكون «في» بمعنى على، أي: على أهل السماوات أو هي ثقيلة على نفس السماوات

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٤/٤٣٨

والأرض لانشقاق هذه وزلزال ذي. والثاني: أنها على بابها من الظرفية، والمعنى: حصل ثقلها وهو شدتها أو المبالغة في إخفائها في هذين الظرفين.." (١)

١١٧. "قوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم﴾ : «إذ» منصوب بفعل مقدر أي: اذكر إذ. والجمهور على رفع الدال لأنه مضارع مرفوع. وقرأ/ مسلم ابن محارب بسكونها على التخفيف لتوالي الحركات. وقرأ ابن محيصن «يعدكم الله احدى» بوصل همزة «إحدى» تخفيفا **على غير قياس**، وهي نظير قراءة من قرأ: «إنها لاحدى» بإسقاط الهمزة، أجرى همزة القطع مجرى همزة الوصل. وقرأ أيضا «أحد» بالتذكير، لأن الطائفة مؤنث مجازي. وقرأ مسلم بن محارب «بكلمته» على التوحيد، والمراد به اسم الجنس، فيؤدي مؤدى الجمع.." (٢)

١١٨. "قوله تعالى: ﴿سمان﴾ : صفة لبقرات وهو جمع سمينة، ويجمع سمين أيضا عليه يقال: رجال سمان كما يقال نساء كرام ورجال كرام. و «السمن» مصدر سمن يسمن فهو سمين فالمصدر واسم [الفاعل] جاءا **على غير قياس**، إذ قياسهما «سمن» بفتح الميم، فهو سمن بكسرها، نحو فرح فرحا فهو فرح.

قال الزمخشري: «هل من فرق بين إيقاع» سمان «صفة للمميز وهو» بقرات «دون المميز وهو» سبع «، وأن يقال: سبع بقرات سمانا؟ قلت: إذا أوقعتها صفة ل» بقرات «فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهو السمان منهن لا بجنسهن، ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن. فإن قلت: هلا قيل» سبع عجاف «على الإضافة. قلت: التمييز موضوع لبيان الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده. فإن قلت فقد يقولون: ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب. قلت: الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها. ألا تراك لا تقول: عندي ثلاثة ضخام ولا أربعة غلاظ. فإن قلت: ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل» وبقرات سبع عجاف «لوقوع العلم بأن المراد البقرات. قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل، وقد وقع الاستغناء عن قولك» سبع عجاف «عما تقترحه من التمييز بالوصف» .." (٣)

١١٩. "نعمة أنعم بها عليه وهي خلاصه من السجن ونجاته من القتل، وأنشد الزمخشري لعدي:

٢٧٩٨ - ثم بعد الفلاح والملك والإم ... مة وارتهم هناك القبور

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥/٥٣٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥/٥٦٤

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٦/٥٠١

وأنشد غيره:

٢٧٩٩ - ألا لا أرى ذا إمة أصبحت به ... فتتركه الأيام وهي كما هيا

وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وقتادة والضحاك وأبو رجاء «أمه» بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهاء منونة من الأمه، وهو النسيان، يقال: أمه يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها، والسكون غير مقيس.

وقرأ مجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة: «بعد أمه» بسكون الميم، وقد تقدم أنه مصدر لأمه **على غير قياس**. قال الزمخشري: «ومن قرأ بسكون الميم فقد خطىء» . قال الشيخ: «وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء» قلت: لم ينسب هو إليهم خطأ؛ وإنما حكى أن بعضهم خطأ هذا القارىء فإنه قال: «خطىء» بلفظ ما لم يسم فاعله، ولم يقل فقد أخطأ، على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى الخطأ إليه البتة. و «بعد» منصوب ب «ادكر» .

قوله: ﴿أنا أنبئكم﴾ هذه الجملة هي المحكية بالقول. وقرأ العامة من." (١)

١٢٠. "قوله تعالى: ﴿وما لنآ ألا﴾ : كقوله: ﴿وما لنآ ألا نقاتل﴾ [البقرة: ٢٤٦] وقد تقدم و «لنصبرن» جواب قسم. وقوله: «ما آذيتمونا» يجوز أن تكون «ما» مصدرية، وهو الأرجح لعدم الحاجة إلى رابط ادعي حذفه **على غير قياس** والثاني أنها موصولة اسمية، والعائد محذوف على التدريج، إذ الأصل: آذيتمونا به، ثم حذفت الباء، فوصل الفعل إليه بنفسه.

وقرأ الحسن بكسر لام الأمر في «فليتوكل» وهو الأصل.." (٢)

١٢١. "القرآن، فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس**، ويجوز أنه جعله عربيا من برق يبرق بريقا، ووزنه استفعل، فلما سمي به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة، ومعاملة الممتكنة من الأسماء في الصرف والتنوين، وأكثر التفاسير على أنه عربية وليس بمستعرب، دخل في كلامهم فاعربوه» .

قوله: «متكئين» حال والأرائك: جمع أريكة وهي الأسرة بشرط أن تكون في الحجال فإن لم تكن لم تسم أريكة. وقيل: الأرائك: الفرش في الحجال أيضا. وقال الارغب: «الأريكة: حجلة على سرير، وتسميتها بذلك: إما لكونها في الأرض متخذة من أراك، أو من كونها مكانا للإقامة من قولهم: أرك بالمكان أروكا، وأصل الأروك الإقامة على رعي الأراك، ثم تجوز به في غيره من الإقامات» .

وقرأ ابن محيصن: «علرائك» وذلك: أنه نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف فالتقى مثلان: لام «على» - فإن ألفها حذفت لالتقاء الساكنين- ولام التعريف، واعتد بحركة النقل فأدغم اللام في اللام، فصار اللفظ كما ترى، ومثله قول الشاعر:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٦/٥٠٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٧/٧٦

٣١٥ – ٧– فما أصبحت علرض نفس بريئة ... ولا غيرها إلا سليمان نالها

يريد «على الأرض» . وقد تقدم قراءة قريبة من هذه أول البقرة: بما أنزليك «، أي: أنزل إليك.." [١]

١٢٢. "قوله: ﴿أن أرضعيه﴾ : يجوز أن تكون المفسرة والمصدرية. وقرأ عمر بن عبد العزيز وعمر بن عبد الواحد بكسر النون على التقاء الساكنين كأنه حذف همزة القطع **على غير قياس**، فالتقى ساكنان، فكسر أولهما.." [٢]

١٢٣. "قوله: ﴿فجآءته إحداهما﴾ : قرأ ابن محيصن «فجاءته حداهما» بحذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس** كقولهم: يا با فلان، وقوله:

٣٥٩٧ – يا با المغيرة رب أمر معضل ... فرجته بالمكر مني والدها

و «ويلمه» أي: ويل لأمه. قال:

٣٥٩٨ – ويلمها خلة لو أنها صدقت ... .

و «تمشي» حال، و «على استحياء» حال أخرى: إما من «جاءت» ، وإما من «تمشي» .." [٣]

١٢٤. "قوله: ﴿يروا كيف﴾ : قرأ الأخوان وأبو بكر بالخطاب، على خطاب إبراهيم لقومه بذلك. والباقون بالغيبة ردا على الأمم المكذبة.

قوله: «كيف يبدئ» العامة على ضم الياء من أبدأ. والزبيري وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنه «يبدأ» مضارع بدأ. وقد صرح بماضيه هنا حيث قال: ﴿كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت: ٢٠] وقرأ الزهري: «كيف بدا» بألف صريحة، وهو تخفيف **على غير قياس**. وقياسه بين بين، وهو في الشذوذ كقوله:

٣٦٣٦ –. . . . . فارعي فزارة لا هناك المرتع." [٤]

١٢٥. "الثور ولشوكة الديك: صيصية. والصياصي أيضا: شوك الحاكة ويتخذ من حديد قال دريد بن الصمة:

٣٦٩٠ –. . . . .كوقع الصياصي في النسيج الممدد

قوله: «فريقا تقتلون» «فريقا» منصوب بما بعده. وكذلك «فريقا» منصوب بما قبله. والجملة مبينة ومقررة لقذف الله الرعب في قلوبهم. والعامة على الخطاب في الفعلين. وابن ذكوان في رواية بالغيبة فيهما. واليماني بالغيبة في الأول فقط. وأبو حيوة «تأسرون» بضم السين.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٧/٤٨٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٨/٦٥١

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٨/٦٦٤

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٩/١٥

قوله: «لم تطؤوها» الجملة صفة ل «أرضا» . والعامة على همزة مضمومة ثم واو ساكنة مضارع وطئ. وزيد بن علي «تطوها» بواو بعد طاء مفتوحة. ووجهها: أنها أبدل الهمزة ألفا **على غير قياس** كقوله:." (١)

١٢٦. "قوله: ﴿مسكنهم﴾ : قرأ حمزة وحفص «مسكنهم» بفتح الكاف مفردا، والكسائي كذلك، إلا أنه كسر الكاف، والباقون «مساكنهم» جمعا. فأما الإفراد فلعدم اللبس؛ لأن المراد الجمع، كقوله:

٣٧٣٥ - كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... .

والفتح هو القياس؛ لأن الفعل متى ضمت عين مضارعه أو فتحت جاء المفعل منه زمانا ومكانا ومصدرا بالفتح، والكسر مسموع **على غير قياس**. وقال." (٢)

١٢٧. "قوله: ﴿ولو ألقى﴾ : هذه الجملة حالية. وقد تقدم نظيرها غير مرة. والمعاذير/: جمع معذرة **على غير قياس**، كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر. وللنحويين في مثل هذا قولان، أحدهما: أنه جمع لملفوظ به، وهو لقحة وذكر. والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر أي: ملقحة ومذكار. وقال الزمخشري: «فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن يجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليست بجمع معذرة، بل اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر» . قال الشيخ: «وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جموع التكسير» انتهى، وهو صحيح. وقيل: معاذير: جمع معذار، وهو الستر، فالمعنى: ولو أرخى ستوره. والمعاذير: الستور بلغة اليمن، قاله الضحاك والسدي وأنشد على ذلك:

٤٤١٤ - ولكنها ضنت بمنزل ساعة ... علينا وأطت فوقها بالمعاذر

وقد حذف الياء من «المعاذير» ضرورة. وقال الزمخشري: «فإن." (٣)

١٢٨. "الإدغام بردها إوابا، لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس**» انتهى. وهذا ليس بجيد لما عرفت أنه لما قلبت الهمزة ياء فالقياس أن يفعل ما تقدم من قلب الواو إلى الياء من دون عكس، وإنما ذكرت هذه الأوجه مشروحة لصعوبتها مع عدم من يمعن النظر من المعربين في مثل هذه المواضع القلقة القليلة الاستعمال. وقدم الخبر في قوله «إلينا» و «علينا» مبالغة في التشديد والوعيد.." (٤)

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١١٤/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١٦٩/٩

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥٧٢/١٠

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٧٧٥/١٠

١٢٩. "وقرأ أبو جعفر «لإلف قريش» بزنة قرد. وقد تقدم أنه مصدر لألف كقوله:

٤٦٤٩ -. . . . . لهم إلف وليس لكم إلاف

وعنه أيضا وعن ابن كثير «إلفهم» وعنه أيضا وعن ابن عامر «إلا فهم» مثل: كتابهم. وعنه أيضا «ليلاف» بياء ساكنة بعد اللام؛ وذلك أنه لما أبدل الثانية حذف الأولى **على غير قياس**. وقرأ عكرمة «لتألف قريش» فعلا مضارعا وعنه «ليألف على الأمر، واللام مكسورة، وعنه فتحها مع الأمر وهي لغية.

وقريش اسم لقبيلة. قيل: هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي دون كنانة، وهو الصحيح وقيل: هم ولد فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة. فمن لم يلده فهر فليس بقرشي، فوقع الوفاق على أن بني فهر قرشيون. وعلى أن كنانة ليسوا بقرشيين. ووقع الخلاف في النضر ومالك.

واختلف في اشتقاقه على أوجه، أحدها: أنه من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم. قال الشاعر:

٤٦٥٠ - أبونا قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر." (١)

١٣٠. "سميت بذلك؛ لأنها تجمع حروفا من القرآن، فيكون من قولهم، «خرج بنو فلان بآيتهم» أي: بجماعتهم؛ قال: [الطويل]

٤٢٣ - خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا

واختلف النحويون في وزنها: فمذهب «سيبويه والخليل» أنها «فعلة» والأصل: «أيية» - بفتح العين - تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا، وهو شاذ؛ لأنه إذا اجتمع حرفا علة أعل الأخير؛ لأنه محل التغيير نحو: هوى وحوى، ومثلها في الشذوذ: «غاية، وطاية، وراية» .

ومذهب «الكسائي» أن أصلها: «آيية» على وزن «فاعلة» ، فكان القياس أن يدغم فيقال: آية ك «دابة» ، إلا أنه ترك ذلك تخفيفا، فحذوفوا عينها، كما خففوا «كينونة» والأصل: «كينونة» بتشديد الياء، وضعفوا هذا بأن «كينونة» أثقل فناسب التخفيف بخلاف هذه.

ومذهب «الفراء» أنها فعلة «بسكون العين، واختاره أبو» البقاء «قال: لأنها من تايا القوم، إذا اجتمعوا، وقالوا في الجمع: آياء، فظهرت الياء الأولى، والهمزة الأخير بدل من ياء، ووزنه» أفعال «والألف الثانية بدل من همزة هي فاء الكلمة، ولو كانت عينها» واو «لقالوا في الجمع:» آواء «ثم إنهم قلبوا» الياء «الساكنة» ألفا «**على غير قياس**.

يعني: أن حرف العلة لا يقلب حتى يتحرك وينفتح ما قبله.

وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها» آيية «بكسر العين مثل» نبقة «فأعل، وهو في الشذوذ كمذهب»

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١١/١١٤

سيبويه والخليل «.

وقيل: وزنها» فعلة «بضم العين، وقيل: أصلها: أياة» بإعلال الثاني، فقلبت: بأن قدمت الازم، وأخرت العين، وهو ضعيف. فهذه ستة مذاهب لا يسلم واحد منها من شذوذ.

فصل في معنى «الصحبة»

الصحبة: الاقتران بالشيء في حالة ما، في زمان ما، فإن كانت الملازمة والخلطة فهي كمال الصحبة.." (١)

١٣١. "أمها بفتح الميم وسكونها، والسكون غير مقيس؛ قال الشاعر: [الوافر]

٣١١٢ - أمهت وكنت لا أنسى حديثا ... كذاك الدهر يودي بالعقول

وقرأ مجاهد، وشبل بن عزرة: بعد أمه بسكون الميم، وتقدم أنه مصدر ل «أمه» **على غير قياس**.

قال الزمخشري: «ومن قرأ بسكون الميم، فقد خطىء» .

قال أبو حيان: «وهذه على عادته في نسبة الخطأ إلى القراء» .

قال شهاب الدين رحمه الله: لم يسنب إليهم خطأ؛ وإنما حكى أن بعضهم خطأ هذا القارىء؛ فإنه قال: «خطىء» بلفظ ما لم يسم فاعله ولم يقل: فقد أخطأ، على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى نسبة الخطأ إليه ألبتة.

وبعد منصوب ب «ادكر» وقوله أنا أنبئكم هذه الجملة هي المحكية بالقول.

وقرأ العامة أنبئكم من الإنباء، وقرأ الحسن أنا آتيكم مضارع أتى من الإتيان، وهو قريب من الأول.

فصل

لما اعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب، فذكر الشرابي قول يوسف ﴿اذكرني عند ربك﴾ [يوسف: ٤٢] ، ﴿بعد أمة﴾ بعد حين، بعد سبع سنين، وذلك أن الحين أنما يحصل عند اجتماع الأيام الكثيرة، كما أن الأمة إنما تحصل عند اجتماع الجمع العظيم، فالحين كان أمة من الأيام والساعات.

فإن قيل: قوله ﴿وادكر بعد أمة﴾ يدل على أن الناسي هو الشرابي، وأنتم تقولونك إن الناسي هو يوسف عليه السلام.

فالجواب: قال ابن الأنباري: ادكر بمعنى: ذكر وأخبر، فهذا لا يدل على سبق النسيان، فلعل الساقي إنما لم يذكر يوسف عليه السلام عند الملك، خوفا عليه من أن يكون ادكارا لذنبه الذي من أجله حبس، فترك للشر، ويحتمل أن يكون حصل النسيان ليوسف صلوات الله وسلامه عليه [وحصل] أيضا لذلك

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٥٨٧/١

الشرابي.

روي أن الغلام جثا بين يدي الملك، وقال إن بالسجن رجلا يعبر الرؤيا.." [1]

١٣٢. "أحدهما: ما تقدم في نظيرتها على أن تكون هي المخففة لا الناصبة، واسمها ضمير الشأن، وشذ عدم الفصل بينها، وبين الجملة الفعلية.

والثاني: أنها ناصبة، ولكن أهلمت حملا على «ما» المصدرية كقراء: ﴿أن يتم﴾ [البقرة: ٢٣٣] . برفع «يتم» وقد تقدم القول فيه.

قوله تعالى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ الآية لما حكمة عن الكفارم طعنهم في النبوة حكى عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جابهم فقالوا: ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ سلموا أن الأمر كذكل لكنهم بينوا أن التماثل في البشرية لا يمننع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة؛ لأن هذا المنصب يمن الله به على من يشاء من عباده، وإذا كان كذلك سقطت شبهتكم.

وأما الجواب عن شبهة التقليد وهي قولهم: إطباق السلف لذلك الدين يدل على كونه حقا، فجوابه عين الجواب المذكور، وهو أنه لا يبعد أ، يظهر الرجل الواحد مالم يظهر للخلق الكثير؛ لأن التمييز بين الحق، والباطل، والصدق، والكذب عطية من الله وفضل منه؛ فلا يبعد أن يخص عبده بهذه العطية، ويحرم الجمع العظيم منها.

وأما الجواب عن الشهبة الثالثة وهي قولهم: إنا لا نرضى بهذه المعجزات التي أتيتم بها، وإنما نريد معجزات قاهرة أوقى منها، فأجابوا عنها بقولهم: ﴿وما كان لنآ أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ أي: أن المعجزة التي أتينا بها حجة قاطعة قوية ودليل تام، وأما الأشياء التي تطلبتموها، فأمور زائدة والحكم فيه لله تعالى فإن أظهرها فله الفضل، وإن لم يظهرها فله العدل، ولا يحكم بعد ظهور قدر الكفاية.

قوله: ﴿وما كان لنآ أن نأتيكم﴾ يجوز أن يكون خبر: «كان» «لنا» ، و: «إن نأيتكم» أسمها، أي: وما كان لنا إتيانكم بسورة، و ﴿إلا بإذن الله﴾ حال، ويجوز أن يكون الخبر ﴿إلا بإذن الله﴾ ، و «لنا» تبين.

والظاهر أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لما أجابوا عن شبهاتهم بهذا الجواب أخذ القوم التخويف، والوعيد فعند ذلك قال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا نخاف من تخويفكم بعد أن تولكنا على الله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ .

قوله: ﴿وما لنآ ألا نتوكل على الله﴾ كقوله سبحانه: ﴿وما لنآ ألا نقاتل في سبيل الله﴾ [البقرة: ٢٤٦] .

والمعنى: ما لنا أن لا نتوكل على الله، وقد عرفنا أنه لاينال شيء إلا بقضائه وقدره: ﴿على مآ آذيتمونا﴾

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١١/١٢٠

بين لنا الرشد وبصرنا النجاة.

قوله: «ولنصبرن، جواب قسم، وقوله: ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ يجوز أن تكون» ما «مصدرية، وهو الأرجح لعدم الحاجة إلى رابط ادعي حذفه **على غير قياس**.." (١)

١٣٣. "٣٥٢١ – تراهن يلبسن المشاعر مرة ... وإستبرق الديباج طورا لباسها

وهو صالح لما تقدم، وقال ابن حجر: «الإستبرق: ما نسج بالذهب» .

ووزن سندس: فعلل، ونونه أصلية.

وقرأ ابن محيصن «واستبرق» بوصل الهمزة وفتح القاف غير منونة، فقال ابن جني: «هذا سهو، أو كالسهو» قال شهاب الدين: كأنه زعم أنه منعه الصرف، ولا وجه لمنعه؛ لأن شرط منع الاسم الأعجمي: أن يكون علما، وهذا اسم جنس، وقد وجهها غيره على أنه جعلها فعلا ماضيا من «البريق» و «استفعل» بمعنى «فعل» المجرد؛ نحو: قر، واستقر. وقال الأهوازي في «الإقناع» : «واستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه» وظاهر هذا أنه اسم، وليس بفعل، وليس لمنعه وجه؛ كما تقدم عن ابن جني، وصاحب «اللوامح» لما ذكر وصل الهمزة، لم يزد على ذلك، بل نص على بقائه منصرفا، ولم يذكر فتح القاف أيضا، وقال ابن محيصن: «واستبرق» بوصل الهمزة في جميع القرآن، فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفا؛ **على غير قياس**، ويجوز أنه جعله عربيا من برق يبرق بريقا، ووزنه استفعل، فلما سمي به، عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة، ومعاملة التمكين من الأسماء في الصرف والتنوين، وأكثر التفاسير على أنه عربية، وليس بمستعرب، دخل في كلامهم، فأعربوه «.

قوله:» متكئين «حال، والأرائك: جمع أريكة، وهي الأسرة، بشرط أن تكون في الحجال، فإن لم تكن لم تسم أريكة، وقيل: الأرائك: الفرش في الحجال أيضا، وقال الراغب:» الأريكة: حجلة على سرير، فتسميتها بذلك: إما لكونها في الأرض متخذة من أراك، أو من كونها مكانا للإقامة؛ من قولهم: أرك بالمكان أروكا، وأصل الأروك الإقامة على رعي الأراك، ثم تجوز به في غيره من الإقامات «.

وقرأ ابن محيصن» علرائك «وذلك: أنه نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف، فالتقى مثلان: لام» على «– فإن ألفها حذفت؛ لالتقاء الساكنين – ولام التعريف، واعتد بحركة النقل، فأدغم اللام في اللام؛ فصار اللفظ كما ترى، ومثله قول الشاعر: [الطويل]

٣٥٢٢ – فما أصبحت علرض نفس بريئة ... ولا غيرها إلا سليمان نالها

يريد» على الأرض «وقد تقدم قراءة قريبة من هذه أول البقرة:» بما أنزليك «، أي:." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٥٣/١١

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤٨٢/١٢

١٣٤. "العزيز وعمر بن عبد الواحد بكسر النون على التقاء الساكنين، وكأنه حذف همزة القطع **على غير قياس** فالتقى ساكنان، فكسر أولهما.

فصل." (١)

١٣٥. "فصل

«لما أنزلت» متعلق ب «فقير» قال الزمخشري: عدي فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين، وهو النجاة من الظالمين.

يعني أن افتقر يتعدى ب «من» ، فإما أن نجعله من باب التضمين، وإما أن متعلقه محذوف و «أنزلت» قيل ماض على أصله، ويعني بالخير ما تقدم من خير الدين، وقيل: بمعنى المستقبل. قال أهل اللغة: اللام بمعنى إلى، يقال: فقير له، وفقير إليه، فإن قيل: كيف ساغ بنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه السعي بالماشية فالجواب: أن الناس اختلفوا فيه: هل هو شعيب أو غيره كما تقدم، وإن سلمنا أنه شعيب لكن لا مفسدة فيه، لأن الدين لا يأباه، وأحوال أهل البادية يغر أحوال أهل الحضر سيما إذا كانت الحال حالة ضرورة.

فصل

قال ابن عباس: سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه. قال الباقر: لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق تمرة، وقال سعيد بن جبير: قال ابن عباس: لقد قال ﴿فقال رب إني لمآ أنزلت إلي من خير فقير﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلي شق تمرة، وقيل: إنما قال ذلك في نفسه مع ربه، وهو اللائق بموسى عليه السلام فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما: ما أعجلكما: قالتا: وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي، قوله «فجاءته إحداهما» قرأ ابن محيصن: «فجاءته حداهما» بحذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس**، كقوله: يا با فلان، وقوله:."
(٢)

١٣٦. "عمرو بخلاف عنه يبدأ مضارع بدأ. وقد صرح بماضيه هنا حيث قال: ﴿كيف بدأ الخلق﴾ ، وقرأ الزهري: «كيف يبدأ» بألف (صريحة وهو تخفيف **على غير قياس**، وقياسه بين بين وهو في الشذوذ كقوله:

٤٠٢٧ - ... ... فارعي فزارة لا هناك المرتع

فصل

المعنى: أو لم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقه، ثم مضغة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢١٦/١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢٣٨/١٥

فإن قيل: متى رأى الإنسان بدء الخلق، حتى يقال: ﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق﴾ ؟

فالجواب: إن المراد بالرؤية العلم الواضح الذي كالرؤية، والعاقل يعلم أن البدء من الله لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق، وإلا لما كان الخلق الأول خلقا أول، فهو من الله، هذا غن قلنا: إن المراد إتيان نفس الخلق وغطن قلنا: إن المراد بالمبتدأ خلق الآدمي أولا، وبالإعادة خلقه ثانيا، فنقول: العاقل لا يخفى عليه أن خلق نفسه ليس إلا قادر حكيم يصور الأولاد في الأرحام، والخلقة من نظفة في غاية الإتقان والإحام فذاك الذي خلق أولا معلوم ظاهر، فأطلق على ذلك العلم لفظ الرؤية، وقال: ﴿أو لم يروا﴾ أي أو لم يعلموا علما ظاهرا واضحا كيف يبدأ الله الخلق وهو من غذاء هو من ماء وتراب يجمعه فكذلك يجمع أجزاءه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو أسهل بالنسب إليكم فإن من نحت حجارة حتى صارت أصناما ثم كسرها وفرقها فإن وضعه شيئا بجنب شيء في هذه النوبة أسهل، لأن الحجارة منحوته معلومة.

فإن قيل: علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق، ولم يقل: أو لم يروا أن الله خلق او بدأ الخلق والكيفية غير معلومة.

فالجواب: هذا القدر من الكيفية معلوم وهو أنه خلقه ولم يك شيئا مذكورا، وأنه خلقه من نطفة من غذاء هو من ماء وتراب، وهذا القدر كاف في حصول العلم بإمكان الإعادة.." (١)

١٣٧. "والفتح هو القياس لأن الفعل متى ضمت عين مضارعة أو فتحت جاء المفعل منه زمانا أو مكانا أو مصدرا بالفتح والكسر مسموع **على غير قياس**، وقال أبو الحسن: كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم والكسر لغة الحجاز وهي قليلة وقال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة.

و «مسكنهم» يحتمل أن يراد به المكان، وأن يراد به المصدر أي السكنى، ورجح بعضهم الثاني، قال: لأن المصدر يشمل الكل، فليس فيه وضع مفرد موضع جمع بخلاف الأول فإن فيه وضع المفرد موضع الجمع، كما تقرر، لكن سيبويه يأباه إلا ضرورة كقوله:

٤١٢٦ - ... ... قد عض أعناقهم جلد الجواميس

أي جلود، وأما الجمع فهو الظاهر لأن كل واحد مسكن، ورسم في المصاحف دون ألف بعد الكاف فلذلك احتمل القراءات المذكورة.

فصل

لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان وبين حال الكافرين بأنعمه، بحكاية أهل «سبأ» وقرئ سبأ بالفتح على أنه اسم بقعة، وبالجر مع التنوين على أنه." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٣٠/١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٨/١٦

١٣٨. "قوله تعالى: «ذواتا» . صفة ل «جنتان» ، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: «هما ذواتا» .

وفي تثنية «ذات» لغتان:

الرد إلى الأصل، فإن أصلها «ذوية» ، فالعين واو، واللام ياء؛ لأنها مؤنثة «ذو» .

الثانية: التثنية على اللفظ. فيقال: «ذواتا» .

و «الأفنان» : فيه وجهان.

أحدهما: أنه جمع «فنن» ك «طلل» ، وهو الغصن.

قال النابغة الذبياني: [الوافر]

٤٦٥٢ - بكاء حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني

وقال آخر: [الرمل]

٤٦٥٣ - رب ورقاء هتوف بالضحى ... ذات شجو صدحت في فنن

وقال آخر: [الطويل]

٤٦٥٤ - ... ... على كل أفنان العضاه تروق

و «الفنن» : جمعه أفنان ثم الأفانين.

قال الشاعر يصف رحى: [الرجز]

٤٦٥٥ - لها زمام من أفانين الشجر ... وشجرة فناء: أي ذات أفنان، وفنواء أيضا على غير قياس.

وفي الحديث: «أن أهل الجنة مرد مكحلون أولو أفانين» .

وهو جمع أفنان، وأفنان: جمع «فنن» من الشعر، شبه بالغصن. ذكره الهروي.

وقيل: «ذواتا أفنان» أي: ذواتا سعة وفضل على ما سواهما. قاله قتادة.." (١)

١٣٩. "قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ . هذه الجملة حالية، وقد تقدم نظيرها مرارا.

والمعاذير: جمع معذرة على غير قياس ك» ملاقيح ومذاكير «جمع لقحة وذكر.

وللنحويين في مثل هذا قولان:

أحدهما: أنه جمع لملفوظ به وهو لقحة وذكر.

والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر، أي ملقحة ومذكار.

وقال الزمخشري:» فإن قلت: أليس قياس «المعذرة» أن تجمع على معاذر لا معاذير؟ .

قلت: «المعاذير» ليست جمع «معذرة» بل اسم جمع لها، ونحوه: «المناكير» في المنكر «.

قال أبو حيان:» وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جموع التكسير «انتهى.

وقيل:» معاذير «جمع معذار، وهو الستر، والمعنى: ولو أرخى ستوره، والمعاذير: الستور بلغة» اليمن «،

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٨/٣٤٣

قاله الضحاك والسدي، وأنشد: [الطويل]

٤٩٩٣ - ولكنها ضنت بمنزل ساعة ... علينا وأطت فوقها بالمعاذر

قال الزجاج: المعاذير: الستور، والواحد: معذار.

أي وإن أرخى ستوره يريد أن يخفى عمله فنفسه شاهدة عليه، وقد حذف الياء من «المعاذر» ضرورة.

وقال الزمخشري: «فإن صح - يعني أن المعاذير: الستور - فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب» . وهذا القول منه يحتمل أن يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير: الستور والاعتذارات، وأن يكون بيانا للعلاقة المسوغة في التجويز.

فصل في معنى الآية

قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء والسدي: المعنى: ولو اعتذر وقال: لم أفعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره «.." (١)

١٤٠. "التي هي لام الكلمة، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت فيها ياء المد.

وإن كانت من ذريت لغة في ذروت فيجوز فيها أيضا أن يكون وزنها «فعولة» أو فعيلة كما تقدم، وإن كانت «فعولة» فالأصل «ذروية» ففعل به ما تقدم من القلب والإدغام.

وإن كانت «فعيلة» فالأصل «ذريية» ، فأدغمت الياء الزائدة في الياء التي هي لام. وإن كانت من ذرأ مهموزا، فوزنها، «فعيلة» ، والأصل: «ذريئة» فخففت الهمزة بأن أبدلت ياء كهمزة «خطيئة» والنسيء «، ثم أدغمت الياء الزائدة في الياء المبدلة من الهمزة.

وإن كانت من» الذر «فيجوز في وزنها أربعة أوجه:

أحدها:» فعلية «وتحتمل هذه الياء أن تكون للنسب، وغيروا الذال من الفتح إلى الضم كما قالوا في النسب إلى الدهر: دهري، وإلى السهل سهلي بضم الدال والسين، وأن تكون الغير النسب فتكون ك» قمرية «.

الثاني: أن تكون» فعيلة «ك» مريقة «والأصل» ذريرة «، فقلبت الراء الآخيةر ياء لتوالي الأمثال، كما قالوا: تسريت وتظنيت في تسررت وتظننت.

الثالث: أن تكون» فعولة «ك» قدوس «و» سبوح «، والأصل:» ذرورة «فقلبت الراء ياء لما تقدم، فصار ذروية فاجتمع واو وياء، فجاء القلب والإدغام كما تقدم.

الرابع: أن تكون فعلولة، والأصل: ذرورة، ففعل بها ما تقدم في الوجه الذي قبله.

وأما ذرية بكسر الذال فإن كانت من ذروت فوزنها فعيلة، والأصل: ذريوة، فأبدلت الواو ياء وأدغمت

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٥٥٧/١٩

في الياء بعدها، فإ، كانت من ذريت فوزنها فعلية أيضا، وإن كانت من ذرأ فوزنها فعيلة أيضا كبطيخة، والأصل ذريئة، ففعل فيها ما تقدم في المضمومة الذال. وإن كانت من الذر فتحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون وزنها فعلية نسبة إلى الذر **على غير قياس** في المضمومة.

الثاني: أن تكون» فعيلة «.

اثالث: أن تكون» فعليلة «ك» حلتيت «والأصل فيها: ذريرة ففعل فيهما من إبدال الراء الآخيرة ياء والإدغام فيها.

وأما» ذرية «بفتح الذال: فإن كانت من ذروت أو ذريت فوزنها: فعيلة ك» سكينة «والأصل» ذريوة أو ذريية أو فعولة والأصل ذرورة أو ذروية، ففعل به ما تقدم في نظيره.

وإن كانت من ذرأ فوزنها: إما فعيلة ك «سكينة» ، والأصل ذريئة وإما فعولة ك «خروبة» والأصل: ذروءة ففعل به ما تقدم في نظيره.

وإن كانت من الذر ففي وزنها أيضا أربعة أوجه:." (١)

١٤١. "وذهب مكي إلى نحو من هذا، فقال: وأصل الياء: واو، ولكن انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، وكان يلزم من شدد أن يقول: إوابهم؛ لأنه من الواو، أو يقول: إيوابهم، فيبدل من الأول المشدد ياء، كما قالوا «ديوان» وأصله: «دوان» . انتهى.

وقيل: هو مصدر ل «أوب» بزنة: «أكرم» من الأوب، والأصل «إواب» ، ك «إكرام» ، فأبدلت الهمزة الثانية ياء لسكونها بعد همزة مكسورة، فصار اللفظ «إيوابا» ، اجتمعت الواو والياء على ما تقدم فقلب وأدغم ووزنه: «إفعال» وهذا واضح.

وقال ابن عطية في هذا الوجه: سهلت الهمزة وكان الإدغام يردها «إوابا» لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس**. انتهى.

وهذا ليس بجيد، لما عرفت من أنه لما قلبت الهمزة ياء، فالقياس أن تفعل ما تقدم منقلب الواو إلى الياء من دون عكس.

قال شعاب الدين: «وإنما ذكرت هذه الأوجه مشروحة، لصعوبتها، وعدم من يمعن النظر في مثل هذه المواضع القلقة، وقدم الخبر في قوله:» إلينا، وعلينا «مبالغة في التشديد في الوعيد» . والله أعلم.

روى الثعلبي في تفسيره عن أبي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا» .." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤٥٤/٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٠٦/٢٠

١٤٢. "وعنه أيضا، وعن ابن كثير: «إلفهم» ، وهي ساكنة اللام بغير ياء، وهي قراءة مجاهد وحميد. وروت أسماء – رضي الله عنها – أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: «إلفهم» ، وهو مروي أيضا عن ابن عباس وغيره.

وعنه أيضا وعن ابن عامر: «إلافهم» مثل «كتابهم» .

وعنه أيضا: «ليلافهم» بياء ساكنة بعد اللام، وذلك أنه لما أبدل الثانية حذف الأولى **على غير قياس.**

وقرأ عكرمة: «ليألف قريش» فعلا مضارعا.

وعنه أيضا: «لتألف قريش» على الأمر واللام مكسورة، وعنه فتحها مع الأمر وهي لغة.

فصل في اتصال السورة بما قبلها

تقدم أن هذه السورة، متصلة بما قبلها في المعنى، أي: أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش، أي: لتأليف قريش أو لتنفق قريش، أو لتأمن قريش فتؤلف رحلتيها.

قال ابن الخطيب: فإن قيل: إنما كان الإهلاك لكفرهم.

قلنا: جزاء الكفور يكون يوم القيامة، يجزي كل نفس بما كسبت للأمرين معا، ولكن لا تكون اللام لام العاقبة، أو يكون المعنى: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؛ لإيلاف قريش» ، أي: كل ما تضمنته السورة «لإيلافهم» ، أو تكون اللام بمعنى «إلى» ، أي: وجعلنا هذه النعم مضافا إلى قريش.

وقال الكسائي والأخفش: اللام في ﴿لإيلاف قريش﴾ لام التعجب. أي اعجبوا لإيلاف قريش، نقله القرطبي.

قال الفراء: هذه السورة متصلة بالسورة الأولى؛ لأنه ذكر أهل «مكة» عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، ثم قال – جلا وعلا –: ﴿لإيلاف قريش﴾ . فعلنا بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش، وذلك أن قريشا كانت تخرج في تجارتها، فلا يغار عليها في الجاهلية، يقولون: هم أهل بيت الله تعالى حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة فأهلكه الله تعالى، فذكرهم نعمته، أي: فجعل الله تعالى ذلك ﴿لإيلاف قريش﴾ أي:." (١)

١٤٣. "الإسلام، وإذا كان كذلك احتجت الكرامية بهذه الآية على أن الإيمان عبارة عن مجرد الإقرار؛ لأنه غيا التحريم إلى الإيمان، وهو هنا الإقرار؛ فثبت أن الإيمان في عرف الشرع عبارة عن الإقرار، وأجيبوا بوجوه:

منها: قوله تعالى:

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ [البقرة: ٨] .

ومنها: قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات: ١٤] ؛ ولو

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢٠/٥٠٥

كان الإيمان عبارة عن مجرد الإقرار، لكان قوله «قل لم تؤمنوا» كذبا. وأجيبوا عن التمسك بهذه الآية بأن التصديق الذي في القلب لا يمكن الاطلاع عليه، فأقيم الإقرار باللسان مقام التصديق بالقلب.

قوله: ﴿ولأمة مؤمنة خير﴾ . قال أبو مسلم: اللام في قوله: «ولأمة» تشبه لام القسم في إفادة التوكيد. سوغ الابتداء ب «أمة» شيئان: لام الابتداء والوصف. وأصل «أمة» : أمو، فحذفت لامها **على غير قياس**، وعوض منها تاء التأنيث ك «قلة» ، و «ثبة» يدل على أن لامها واو رجوعها في الجمع؛ قال الكلابي: [البسيط]

١٠٧٧ - أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنو الإموان بالعار

ولظهورها في المصدر أيضا، قالوا: أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة. وهل وزنها «فعلة» بتحريك العين، أو «فعلة» بسكونها؟ قولان، أظهرهما الأول، وكان قياسها على هذا أن تقلب لامها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها كفتاة وقناة، ولكن حذفت **على غير قياس**.

والثاني: قال به أبو الهيثم، فإنه زعم أن جمع الأمة أمو، وأن وزنها فعلة بسكون العين، فيكون مثل نخل، ونخلة، فأصلها أموة، فحذفوا لامها إذ كانت حرف لين، فلما جمعوها على مثل: نخلة ونخل لزمهم أن يقولوا: أمة، وأم، فكرهوا أن يجعلوها حرفين، وكرهوا أن يردوا الواو المحذوفة لما كانت آخر الاسم، فقدموا الواو وجعلوه ألفا بين الهمزة والميم، فقالوا: أام. وما زعمه ليس بشيء إذ كان يلزم أن يكون الإعراب على الميم، كما كان على لام «نخل» ، وراء «تمر» ، ولكنه على التاء المحذوفة مقدر كما سيأتي بيانه. وجمعت على «إموان» كما تقدم، وعلى إماء، والأصل: إماؤ، نحو رقبة، ورقاب، فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة ككساء. وفي الحديث: «لا." [1]

١٤٤. "بالمعنى، وهذا من قسم ما اعتبر فيه جانب اللفظ دون المعنى، نحو: ﴿سوآء عليهم أأنذرتهم﴾ [البقرة: ٦] وقد تقدم تحقيقه والله أعلم.

قوله: ﴿ليطمئن﴾ اللام لام كي، فالفعل منصوب بعدها، بإضمار «أن» ، وهو مبني لاتصاله بنون التوكيد واللام متعلقة بمحذوف بعد «لكن» تقديره «ولكن سألتك كيفية الإحياء للاطمئنان، ولا بد من تقدير حذف آخر، قبل» لكن «؛ حتى يصح معه الاستدراك، والتقدير: بلى آمنت، وما سألت غير مؤمن، ولكن سألت ليطمئن قلبي ليحصل الفرق بين المعلوم بالبرهان وبين المعلوم عيانا.

قال السدي، وابن جبير: ﴿أولم تؤمن﴾ بأنك خليلي ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ بالخلة.

والطمأنينة: السكون، وهي مصدر» اطمأن «بوزن: اقشعر، وهي **على غير قياس** المصادر، إذ قياس» اطمأن «أن يكون مصدره على الاطمئنان. واختلف في» اطمأن «هل هو مقلوب؛ أم لا؟ فمذهب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤/٥٨

سيبويه – رحمه الله – أنه مقلوب من» طأمن «، فالفاء طاء، والعين همزة، واللام ميم، فقدمت اللام على العين فوزنه: افلعل بدليل قولهم: طامنته، فتطامن. ومذهب الجرمي: أنه غير مقلوب، وكأنه يقول: إن اطمأن وطأمن مادتان مستقلتان، وهو ظاهر كلام أبي البقاء فإنه قال: والهمزة في» ليطمئن «أصل، ووزنه يفعلل، ولذلك جاء ﴿فإذا اطمأننتم﴾ [النساء: ١٠٣] مثل:» اقشعررتم «. انتهى. فوزنه على الأصل دون القلب، وهذا غير بعيد؛ ألا ترى أنهم في» جبذ، وجذب، قالوا: ليس أحدهما مقلوبا من الآخر لاستواء المادتين في الاستعمال.

ولترجيح كل من المذهبين موضع غير هذا.

فصل في الداعي على السؤال

ذكروا في سبب سؤال إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وجوها:

أحدها: قال الحسن، والضحاك، وقتادة، وعطاء، وابن جريج: أنه رأى جيفة مطروحة على شط البحر، قال ابن جريج: جيفة حمار، بساحل البحر وقال عطاء: بحيرة طبرية؛ فإذا مد البحر أكل منها دواب البحر، وإذا جزر البحر، جاءت السباع وأكلت، وإذا ذهب السابع، جاءت الطيور، فأكلت وطارت، فقال إبراهيم: رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع، والطيور، ودواب البحر؟ فقيل: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن المطلوب من السؤال أن يصير العلم الاستدلالي ضروريا.." (١)

١٤٥. "لما أمر تعالى في الآية المتقدمة بالإحسان إلى النساء أمر هنا بالتغليظ عليهن فيما يأتينه من الفاحشة فإن ذلك إحسان إليهن في الحقيقة.

وأيضا وكما يستوفي لخلقه فكذلك يستوفي عليهم وليس في إحكامه محاباة.

وأيضا فلا يجعل أمر الله بالإحسان إليهن سببا لترك إقامة الحدود عليهن فيصير ذلك سببا لوقوعهن في أنواع المفاسد.

قوله: ﴿واللاتي﴾ جمع «التي» في المعنى لا في اللفظ، لأن هذه صيغ [موضوعة للتثنية والجمع، وليس بتثنية ولا جمع حقيقة.

وقال أبو البقاء: «اللاتي» جمع «التي» **على غير قياس**.

وقيل: هي صيغة] موضوعة للجمع، ومثل هذا لا ينبغي أن يعده خلافا، ولها جموع كثيرة: ثلاثة عشر لفظة، وهي: اللاتي واللواتي، واللائي، وبلا ياءات فهذه ست، واللاي بالياء من غير همز، واللاء من غير ياء ولا همز، واللواء، بالمد، واللوا بالقصر و «الألى» كقوله: [الطويل]

١٧٦٨ – فأما اللى يسكن غور تهامة ... فكل فتاة تترك الحجل أفصما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٦٦/٤

إلا أن الكثير أن تكون جمع «الذي» و «اللات» مكسورا مطلقا أو معربا إعراب جمع المؤنث السالم كقوله: [الطويل]." (١)

١٤٦. "يلزمهم أن يصغروا» أشياء «على» شويات «، أو على» شييئات «، وذلك لم يقله أحد» .

قال شهاب الدين: قوله «شويات» ليس بجيد؛ فإن هذا ليس موضع قلب الياء واوا، ألا ترى أنك إذا صغرت بيتا، قلت: بييتا لا بويتا، إلا أن الكوفيين يجيزون ذلك، فيمكن أن يرى رأيهم، وقد رد مكي أيضا مذهب الفراء والأخفش بشيئين:

أحدهما: أنه يلزم منه عدم النظير؛ إذ لم يقع «أفعلاء» جمعا ل «فيعل» فيكون هذا نظيره، وهين وأهوناء شاذ لا يقاس عليه.

والثاني: أن حذفه واعتلاله مجرى على غير قياس، فهذا القول خارج في جمعه واعتلاله عن القياس والسماع.

المذهب الرابع - وهو قول الكسائي وأبي حاتم -: أنها جمع شيء على أفعال ك «بيت» و «أبيات» و «ضيف» و «أضياف» ، واعترض الناس هذا القول؛ بأنه يلزم منه منع الصرف بغير علته؛ إذ لو كان على «أفعال» ، لانصرف كأبيات، قال الزجاج «أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ، وألزموه ألا يصرف أنباء وأسماء» . قال شهاب الدين: والكسائي قد استشعر بهذا الرد، فاعتذر عنه، ولكن بما لا يقبل، قال الكسائي - رحمه الله -: «هي - أي أشياء - على وزن أفعال، ولكنها كثرت في الكلام، فأشبهت فعلاء، فلم تصرف كما لم يصرف حمراء» ، قال: «وجمعوها أشاوى، كما جمعوا عذراء وعذارى، وصحراء وصحارى، وأشياوات كما قيل حمراوات» ، يعني أنهم عاملوا «أشياء» ، وإن كانت على أفعال معاملة حمراء وعذراء في جمعي التكسير والتصحيح، إلا أن الفراء والزجاج اعترضا على هذا الاعتذار، فقال الفراء: «لو كان كما قال، لكان أملك الوجهين أن تجرى؛ لأن الحرف إذا كثر في الكلام، خف وجاز أن يجرى كما كثرت التسمية ب» يزيد «، وأجروه في النكرة، وفيه ياء زائدة تمنع من الإجراء» . والمراد بالإجراء الصرف، وقال الزجاج: «أجمع البصريون وأكثر الكوفيين» وقد تقدم آنفا، وقال مكي: «وقال الكسائي وأبو عبيد: لم تنصرف - أي أشياء -؛ لأنها أشبهت» حمراء «؛ لأن العرب تقول:» أشياوات «كما تقول:» حمراوات «قال:» ويلزمهما ألا يصرفا في الجمع أسماء وأبناء لقول العرب فيهما: أسماوات وأبناوات «، وقد تقدم شرح هذا، ثم إن مكيا - رحمه الله - بعد أن ذكر عن الكسائي ما تقدم، ونقل مذهب الأخفش والفراء، قال:» قال أبو حاتم: أشياء أفعال جمع شيء كأبيات «فهذا يوهم أن مذهب الكسائي المتقدم غير هذا المذهب، وليس

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٦/٢٣٦

كذلك، بل هو هو، وقد أجاب بعضهم عن الكسائي بأن النحويين قد اعتبروا في باب ما لا ينصرف الشبه اللفظي،." (١)

١٤٧. "٢٦٤١ - إيان تقضي حاجتي أيانا ... أما ترى لفعلها أبانا

وقد تأتي شرطية جازمة لفعلين.

قال الشاعر: [البسيط]

٢٦٤٢ - أيان نؤمنك تأمن غيرنا وإذا ... لم تدرك الأمن منا لم تزل حذرا

وقال آخر: [الطويل]

٢٦٤٣ - إذا النعجة الأذناء كانت بقفرة ... فأيان ما تعدل بها الريح تنزل

والفصيح فتح همزتها، وهي قراءة العامة.

وقرأ السلمي بكسرها، وهيلغة سليم.

فصل

واختلف النحويون في أيان هل هي بسيطة أم مركبة؟ فذهب بعضهم إلى أن أصلها أي أوان فحذفت الهمزة **على غير قياس**، ولم يعوض منها شيء، وقلبت الواو ياء **على غير قياس**؛ فاجتمع ثلاث ياءات فاستثقل ذلك فحذفت إحداهن وبنيت الكلمة على الفتح فصارت أيان.

واختلفوا فيها أيضا هل هي مشتقة أم لا؟ فذهب أبو الفتح إلى أنها مشتقة من «أويت إليه» ؛ لأن البضع آو إلى الكل، والمعنى: أي وقت، وأي فعل؟ ووزنه فعلان أو فعلان بحسب اللغتين ومنع أن يكون ومنه فعالا مشتقة من: «أين» ؛ لأن «أين» ظرف مكان، وأيان ظرف زمان. ومرساها يجوز أن يكون اسم مصدر، وأن يكون اسم زمان.

وقال الزمخشري: مرساها إرساؤها، أو وقت إرسائها: أي: إثباتها وإقرارها.

قال أبو حيان: وتقديره: وقت إرسائها ليس بجيد؛ لأن أيان استفهام عن الزمان فلا يصح أن يكون خبرا عن الوقت إلا بمجاز، لأنه يكون التقدير: في أي وقت وقت إرسائها وهو حسن.

ويقال: رسا يرسو: أي ثبت، ولا يقال إلا في الشيء الثقيل، نحو: رست السفينة." (٢)

١٤٨. "وقرأ ابن محيصن «يعدكم الله احدى» يوصل همزة أحدى تخفيفا **على غير قياس**، وهي نظير قراءة من قرأ: ﴿إنها لاحدى﴾ [المدثر: ٣٥] بإسقاط الهمزة أجرى همزة القطع مجرى همزة الوصل، وقرأ أيضا أحد بالتذكير؛ لأن الطائفة مؤنث مجازي.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٥٤٥/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤١٠/٩

إحدى الطائفتين أي: الفرقتين:

أحدهما: أبو سفيان مع العير، الأخرى أبو جهل مع النفير، و «أنها لكم» منصوب المحل على البدل من إحدى أي: يعدكم أن إحدى الطائفتين كائنة لكم، أي: تتسلطون عليها تسلط الملاك، فهي بدل اشتمال وتودون تريدون: ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ يعني: العير التي ليس فيها قتال والشوكة: السلاح كسنان الرمح، والنصل والسيف، وأصلها من النبت الحديد الطرف، ك: «شوك السعدان» ، يقال منه: رجل شائك، فالهمزة من «واو» ، ك: قائم، ويجوز قلبه بتأخير عينه بعد لامه، فيقال: شاك، فيصير ك: غاز، ووزنه حينئذ فال.

قال زهير: [الطويل]

٢٦٧٢ - لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

ويوصف السلاح: بالشاكي، كما يوصف به الرجل، فيقال: رجل شاك، وشاك، وسلاح شاك، وشاك. فأما «شاك» غير معتل الآخر، وألفه منقلبة عن عين الكلمة، ووزنه في الأصل على فعل بكسر العين، ولكن قلبت ألفا، كما قالوا: كبش صاف أي صوف، وكذلك «شاك» أي: شوك.

ويحتمل أن يكون حذوف العين، وأصله «شائك» ، فحذفت العين، فبقي «شاكا» فألفه زائدة، ووزنه على هذا «فال» .

وأما: «شاك» فمنقوص، وطريقته بالقلب كما تقدم ومن وصف السلاح بالشاك قوله: [الوافر]

٢٦٧٣ - وألبس من رضاه في طريقي ... سلاحا يذعر الأبطال شاكا

فهذا يحتمل أن يكون محذوف العين، وأن يكون أصله «شوكا» ، ك: صوف. ويقال أيضا: هو شاك في السلاح، بتشديد الكاف، من «الشكة» ، وهي السلام أجمع، نقله الهروي، والراغب.." (١)

١٤٩. "[سورة البقرة (٢) : الآيات ٥٨ الى ٥٩]

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٥٩)

القرآت:

يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء: أبو جعفر ونافع وجبلة.

تغفر لكم بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء: ابن عامر وأبو زيد عن المفضل. الباقون تغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القرآن: أبو عمرو. خطاياكم وبابه بالإمالة: علي قولا غير بالإخفاء: يزيد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤٥٧/٩

وأبو نشيط عن قالون، وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة أو أولها.

الوقوف:

خطاياكم (ط) المحسنين (هـ) يفسقون (هـ) .

التفسير:

القرية مجتمع الناس من قرأت الماء في الحوض أي جمعت. وبهذا الاعتبار كثيرا ما تطلق القرية على البلدة، والجمع القرى **على غير قياس**. وإنما قياسه من المعتل اللام «فعال» نحو: ركوة وركاء، وظبية وظباء، والنسبة إليها قروي. وهو على القياس عند يونس حيث قال: ظبوي في النسبة إلى ظبية، وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان: ظبي على مثال الصحيح. والقرية بيت المقدس، وقيل: أريحا من قرى الشام. أمروا بدخولها بعد التيه. والباب باب القرية، وقيل: باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى. وقيل: السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بإخبات وخشوع. وقيل: طؤطيء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوا ودخلوا متزحفين على أوراكهم من الزحف وهو المشي على الأوراك. وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة، أو أمرك وأصله النصب معناه: اللهم حط عنا ذنوبنا حطة، فرفعت لإفادة الثبوت كقوله:

شكا إلي جملي طول السرى ... يا جملي ليس إلي المشتكى

صبر جميل فكلانا مبتلى الأصل صبرا أي أصبر صبرا. كان القوم أمروا أن يدخلوا الباب على وجه الخضوع، وأن يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع." (١)

١٥٠. "والحاصل أنه جمع لهم بين الأمرين الإيلام والإهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعني أن هذا العذاب الشديد إنما حصل بمجموع الأمرين:

الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الإيمان بها. قال الواحدي وكنتم عن آياته تستكبرون أي لا تصلون له

لقوله صلى الله عليه وسلم «من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برىء من الكبر» .

ولقد جئتمونا يحتمل أن يكون معطوفا على قول الملائكة أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة إما الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم، وإما الملائكة الموكلون بعذابهم، ويحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى إن جوزنا أنه يتكلم مع الكفار فرادى جمع ينون ولا ينون واحده. قيل: فرد **على غير قياس**. وقيل:

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين القمي ١/٢٩٣

فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة. وقيل: فريد كرديف وردا في وهم الحداة والأعوان لأنه إذا أعيا أحدهم خلفه الآخر كما خلقناكم أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد، أو مجيئا مثل خلقنا لكم. أول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لأنهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا إلى تحصيل أمرين: أحدهما المال والجاه، والثاني أنهم عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة، وذلك أن النفس الإنسانية إنما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة لها في اكتساب المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة، فإذا فارقت البدن ولم يحصل لها هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى أي منفردين عما يجب من الأعمال والعقائد. ثم إنها مع ذلك اكتسبت أشياء قد علق الرجاء بها لأنه أفنى العمر في تحصيلها وأنها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع بقوله وتركتم ما خولناكم أي أعطينا وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني أنها كالشيء الذي يبقى وراء ظهر الإنسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقي معوج الرأس بسبب التفاته إليه وما نرى معكم شفعاءكم أي ليسوا معكم حتى يروا، أو ليسوا معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الآية. من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الأسباب [البقرة: ١٦٦] يقال: جمع بين الشيئين أي وقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره. وقيل: المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم إذا كان غدا فأتني أي إذا كان الرجاء أو البلاء غدا فأتني فأضمر لدلالة الحال، ومن قرأ بالرفع فلأنه أسند الفعل إلى الظرف اتساعا كما تقول: قوتل خلفكم وأمامكم، أو لأن المراد بالبين الوصل وإنما حسن استعماله في معنى الوصلة مع أن أصله الافتراق والتباين لأنه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه." (١)

١٥١. "﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيره﴾ جَمْع مَعْذِرَة **عَلَى غَيْر قِيَاس** أَيْ لَوْ جَاءَ بِكُلِّ مَعْذِرَة مَا قبلت منه ١ -." (٢)

١٥٢. "بقوله مشيرا إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفته مؤكدا لذلك: ﴿إنه هو﴾ أي وحده ﴿الغفور﴾ أي البالغ في صفة الستر لكل من يريد ﴿الرحيم*﴾ أي العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية، ولأجل أن هذه صفته، رده إلى فرعون وقومه حين أرسله إليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن نجاه منهم قبل الرسالة **على غير قياس**.

ولما أنعم عليه سبحانه بالإجابة إلى سؤله، تشوف السامع إلى شكره عليها فأجيب بقوله: ﴿قال رب﴾ أي أيها المحسن إلي بكل جميل. ولما كان جعل الشيء عوضا لشيء أثبت له وأجدر بإمضاء العزم عليه قال: ﴿بما أنعمت علي﴾ أي بسبب إنعامك علي بالمغفرة وغيرها. ولما كان في سياق التعظيم للنعمة،

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين القمي ١٢٣/٣

(٢) تفسير الجلالين، المحلي، جلال الدين ص/٧٧٩

كرر حرف السبب تأكيدا للكلام، وتعريفا أن المقرون به مسبب عن الإنعام، وقرنه بأداة النفي الدالة على التأكيد فقال: ﴿فلن أكون ظهيرا﴾ أي عشيرا أو خليطا أو معينا ﴿للمجرمين*﴾ أي القاطعين لما أمر الله به أن يوصل، أي لا أكون بين ظهراني القبط، فإن فسادهم كثير، وظلمهم لعبادك أبناء أوليائك متواصل وكبير، لا قدرة لي على ترك نصرتهم، وذلك يجر إلى أمثال هذه الفعلة، فلا أصلح من المهاجرة لهم، وهذا." (١)

١٥٣. "لعاقل التوقف في أمره ﴿ورسوله﴾ الذي لا يعرف قضاؤه إلا به ﴿أمرا﴾ أي أي أمر كان.
ولما كان المراد كل مؤمن، والعبارة صالحة له، وكان النفي عن المجموع كله نفيا عما قل عنه من باب الأولى، قال: ﴿أن تكون﴾ أي كونا راسخا على قراءة الجماعة بالفوقانية، وفي غاية الرسوخ على قراءة الكوفيين بالتحتانية ﴿لهم﴾ أي خاصة ﴿الخيرة﴾ مصدر من تخير كالطيرة من تطير **على غير قياس** ﴿من أمرهم﴾ أي الخاص بهم باستخارة لله ولا بغيرها ليفعلوا خلاف ذلك القضاء، فإن المراد بالاستخارة ظن ما اختاره الله، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم قطعي الدلالة على ما اختاره الله تعالى، وفي هذا عتاب لزينب رضي الله عنها على تعليق الإجابة للنبي صلى الله عليه وسلم عند ما خطبها لنفسه الشريفة على الاستخارة، وعلى كراهتها عند ما خطبها لزيد مولاه، ولكنها لما قدمت بعد نزول الآية خيرته صلى الله عليه وسلم في تزويجها من زيد رضي الله عنهما على خيرتها، عوضها الله أن صيرها لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعه في الجنة في أعلى الدرجات، فالخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينطق عن الهوى، فمن فعل غير ذلك فقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم،." (٢)

١٥٤. "عاطفا على ما تقديره: فإن يصدقوك فهم جديرون بالتصديق لما قام على ذلك من الدلائل، وشهد به من المقاصد والوسائل: ﴿وإن يكذبوك﴾ أي عنادا وقلة اكتراث بالعواقب فتأس بإخوانك ﴿فقد﴾ أي بسبب أنه قد ﴿كذبت رسل﴾ أي يا لهم من رسل! وبني الفعل للمجهول لأن التسلية محطها، وقوع التكذيب لا تعيين المكذب، ونفى أن يرسل غيره بعد وجوده بقوله: ﴿من قبلك﴾ وأفرد التكذيب بالذكر اهتماما بالتسلية تنبيها على أن الأكثر يكذب، قال القشيري: وفي هذا إشارة للحكماء وأرباب القلوب مع العوام والأجانب من هذه الطريقة فإنهم لا يقبلون منهم إلا القليل، وأهل الحقائق أبدا منهم في مقاساة الأذية، والعوام أقرب إلى هذه الطريقة من القراء المتقشفين.
ولما كان التقدير نفيا للتعجب من التكذيب الجاري **على غير قياس** صحيح: فمن الله الذي لا أمر لأحد معه تصدر الأمور، عطف عليه قوله مهددا لمن خالف أمره: ﴿وإلى الله﴾ أي وحده له الأمور كلها ﴿ترجع الأمور *﴾ أي حسا ومعنى، فاصبر ورد الأمر إلينا بترك الأسباب إلا ما نأمرك به كما

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ٢٥٨/١٤
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ٣٥٥/١٥

فعل إخوانك من الرسل.

ولما أشعر هذا الختام باليوم الموعود، وهو الأصل الثابت قال مهددا به محذرا منه: ﴿يا أيها الناس﴾ أي الذين عندهم أهليه." (١)

١٥٥. "أي: تملوا من ﴿أن تكتبوه﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوعه أو تكسلوا من أن تكتبوه فكني عن السآمة التي تكون بعد الشروع للكثرة بالكسل الذي يكون ابتداء لكونها من لوازمه؛ لأن الكسل صفة المنافق. قال تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ (النساء، ١٤٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يقول المؤمن كسلت» ﴿صغيرا﴾ كان ذلك الحق ﴿أو كبيرا﴾ قليلا أو كثيرا وقوله تعالى: ﴿إلى أجله﴾ أي: وقت حلوله الذي أقر به المديون حال من الهاء في تكتبوه ﴿ذلكم﴾ أي: الكتب ﴿أقسط﴾ أي: أعدل ﴿عند الله وأقوم للشهادة﴾ أي: أعون على إقامتها لأنه يذكرها.

تنبيه: يجوز على مذهب سيبويه أن يكون أقسط وأقوم مبنيين من أقسط وأقام، وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط وأقوم من قويم أو هما مبنيان من أقسط وأقام لا من قسط وقام؛ لأن قسط بمعنى جار، والمعنى هنا على العدل والفعل منه أقسط فلزم أن يكون أقسط في الآية من المزيد لقصد الزيادة في المقسط قال تعالى: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ (المائدة، ٤٢) لا من المجرد؛ لأن معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر قال تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ (الجن، ١٥) وكذا أقوم معناه أشد إقامة لا قياما وبناؤهما من ذلك **على غير قياس**، والقياس أن يكون البناء من المجرد لا من المزيد ويجوز أن يكون بناؤهما من قاسط بمعنى ذي قسط أي: عدل وبمعنى قويم أي: ذي استقامة على طريقة النسب كلابن وتامر فيكون أفعل لا فعل له، وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده ﴿وأدنى﴾ أي: وأقرب إلى ﴿أن لا ترتابوا﴾ أي: تشكوا في قدر الحق وجنسه والشهود والأجل ونحو ذلك ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة﴾ وهي تعم المبايعة بدين أو عين ﴿تديرونها بينكم﴾ أي: تتعاطونها يدا بيد ﴿فليس عليكم جناح﴾ أي: لا بأس إذا تبايعتم يدا بيد ﴿أن لا تكتبوها﴾ فهو استثناء من الأمر بالكتابة لبعده حينئذ عن التنازع والنسيان، وقرأ عاصم بنصب التاء فيهما على أن تجارة هي الخبر والاسم مضمر تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، والباقون بالرفع فيهما على أن تجارة هي الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة ﴿وأشهدوا﴾ أي: ندبا ﴿إذا تبايعتم﴾ عليه سواء كان ناجزا أو كالئا فإنه أدفع للاختلاف فهو تعميم بعد تخصيص احتياطا في جميع المبتاعات، ويجوز أن يراد هذا التبايع الذي هو التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة وقوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ أصله يضارر أدغمت إحدى الراءين في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، واختلفوا فمنهم من قال

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ١٦/١٠

أصله يضارر بكسر الراء الأولى وجعل الفعل للكاتب والشهيد ومعناه نهيهما عن ترك الإجابة وعن التحريف والتغيير في الكتابة والشهادة، ومنهم من قال: أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشاهد مفعولين ومعناه النهي عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله ولا الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان، والمنهي حينئذ المتبايعان، فالآية محتملة للبناء للفاعل وللبناء للمفعول فتحمل عليهما معا أو على كل منهما والأولى أولى.

﴿وإن تفعلوا﴾ ما نهيتم عنه من الضرار ﴿فإنه فسوق بكم﴾ أي: معصية وخروج عن الأمر ﴿واتقوا الله﴾." (١)

١٥٦. "كأنس وأضرابه.

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ أي: بقضائه ومشيئته أو بإذنه لملك الموت في قبضه روحه وقوله تعالى: ﴿كتابا﴾ مصدر أي: كتب الله ذلك ﴿مؤجلا﴾ أي: مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة.

ونزل في الذين تركوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة ﴿ومن يرد﴾ أي: بعمله ﴿ثواب الدنيا نؤته منها﴾ ما نشاء مما قدرناه له كما قال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ وفي الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ﴿ومن يرد﴾ أي: بعمله ﴿ثواب الآخرة نؤته منها﴾ أي: من ثوابها ﴿وسنجزي الشاكرين﴾ أي: الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» وقوله تعالى:

﴿وكأين﴾ أصله أي: دخلت الكاف عليها فصارت مركبة من كاف التشبيه ومن أي: وحدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ومثلها في التركيب وإفهام التكثير كذا في قولهم: عندي كذا كذا درهما وأصله كاف التشبيه، وذا الذي هو إسم إشارة فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير فكم الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى واحد، والنون تنوين في المعنى أثبت في الخط **على غير قياس**. قال البغوي: لم يقع للتنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة وقرأ ابن كثير بألف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة، والباقون بهمزة بعد الكاف مفتوحة بعدها ياء مشددة، ووقف أبو عمرو على الياء والباقون

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ١٨٨/١

على النون وسهل حمزة الهمزة وحققها الباقون وقوله تعالى: ﴿من نبي﴾ تمييز لكأين لأنها مثل كم الخبرية وقوله تعالى: ﴿قتل﴾ قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم القاف وكسر التاء ولا ألف بين القاف والتاء والباقون بفتح القاف والتاء وألف بين القاف والتاء وقوله تعالى: ﴿معه﴾ خبر مبتدؤه ﴿ربيون﴾ وهم جمع ربي وهو العالم المتقي منسوب إلى الرب، وإنما كسرت راؤه تغييرا في النسب وقيل: لا تغيير فيه وهو منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقوله تعالى: ﴿كثير﴾ صفة لربيون وإن كان بلفظ الإفراد لأن معناه جمع ﴿فما وهنوا﴾ أي: ضعفوا ﴿لما أصابهم في سبيل الله﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وما ضعفوا﴾ عن الجهاد ﴿وما استكانوا﴾ أي: خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل: قتل نبيكم ﴿وا يحب الصابرين﴾ على الشدائد فيثيبهم ويعظم أجرهم.

﴿وما كان قولهم﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم وكونهم ربانيين ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا﴾ أي: تجاوزنا الحد وقولهم: ﴿في أمرنا﴾ إيذان بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لأنفسهم ﴿وثبت أقدامنا﴾ أي: بالقوة على الجهاد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ أي: فهلا قلتم وفعلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ أي: بالنصر والغنيمة والعز وحسن الذكر ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ أي: بالجنة والنعيم المقيم وخص ثوابها." (١)

١٥٧. "قيل إنه السامري والقبطي طباخ فرعون فكان القبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى المطبخ، وقال سعيد بن جبير: عن ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل غزوا لمكان موسى لكونه ربيب الملك مع أن مرضعته منهم لا يظنون أن سبب ذلك إلا الإرضاع ﴿فاستغاثه﴾ أي: طلب منه ﴿الذي من شيعته﴾ أن يغيثه ﴿على الذي من عدوه﴾ فغضب موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للفرعوني خل سبيله فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى عليه السلام قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش ﴿فوكزه موسى﴾ أي: دفعه بجمع كفه، والفرق بين الوكز واللكز: أن الأول: بجمع الكف والثاني: بأطراف الأصابع، وقيل: بالعكس، وقيل اللكز في الصدر والوكز في الظهر ﴿فقضى﴾ أي: فأوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت الذي لا ينجو منه مخلوق ﴿عليه﴾ فقتله وفرغ منه، وكل شيء فرغت منه

فقد قضيته وقضيت عليه وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به أحد فندم موسى

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٢٥٣/١

عليه السلام عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل.

﴿قال هذا﴾ أي: قتله ﴿من عمل الشيطان﴾ أي: لأني لم أومر به على الخصوص ولم يكن من قصدي وإن كان المقتول كافرا حربيا، ثم أخبر عن حال الشيطان ليحذر منه بقوله ﴿إنه عدو﴾ فينبغي الحذر منه ﴿مضل﴾ لا يقود إلى خير أصلا ﴿مبين﴾ أي: عداوته وإضلاله في غاية البيان ما في شيء منهما خفاء ولما لم يكن في قتله إلا الندم لعدم إذن خاص.

﴿قال رب﴾ أي: أيها المحسن إلي ﴿إني ظلمت نفسي﴾ أي: بالإقدام على ما لم تأمرني به بالخصوص وإن كان مباحا ﴿فاغفر لي﴾ أي: امح هذه الهفوة عينها وأثرها ﴿لي﴾ أي: لأجلي لا تؤاخذني ﴿فغفر﴾ أي: أوقع المحو لذلك كما سأل إكراما ﴿له إنه هو﴾ أي: وحده ﴿الغفور﴾ أي: البالغ في صفة الستر لكل من يريد ﴿الرحيم﴾ أي: العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية ولأجل أن هذه صفته رده إلى فرعون وقومه حين أرسله إليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن نجا منهم قبل إرساله **على غير قياس**، ثم شكر ربه على هذه النعمة التي أنعم بها عليه بأن.

﴿قال رب﴾ أي: أيها المحسن إلي ﴿بما أنعمت علي﴾ أي: بسبب إنعامك علي بالمغفرة ﴿فلن أكون﴾ أي: إن عصمتني ﴿ظهيرا﴾ أي: عونا وعشيرا وخليطا ﴿للمجرمين﴾ قال ابن عباس: للكافرين وهو إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكسيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون، وإما مظاهرة من تؤل مظاهرته إلى الجرم والإثم كما في مظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يؤمر به وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ (هود: ١١٣)

وعن عطاء أن رجلا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية.

وفي الحديث: «ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه." [١]

١٥٨. "شيء ﴿لهم مغفرة﴾ أي: لما اقترفوه من الصغائر لأنها مكفرات بفعل الطاعات، والآية عامة وفضل الله تعالى واسع.

ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز أتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله تعالى: ﴿وأجرا عظيما﴾ أي: على طاعتهم، والآية وعد لهن ولأمثالهن بالإثابة على الطاعة والتدرع بهذه الخصال، وروي أن سبب نزول هذه الآية: «أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به؟ إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل الله تعالى هذه الآية» .

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٨٨/٣

روي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن قلن: لا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال: ومم ذاك قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال» فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقيل: لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء فنزلت.

تنبيه: عطف الإناث على الذكور لاختلاف جنسهما، والعطف فيه ضروري لاختلافهما ذاتا، وعطف الزوجين وهو مجموع المؤمنين والمؤمنات على الزوجين، وهو مجموع المسلمين والمسلمات لتغاير وصفيهما. وليس العطف فيه بضروري بخلافه في الأول؛ لأن اختلاف الجنس أشد من اختلاف الصفة، وفائدة العطف عند تغاير الأوصاف الدلالة على أن أعداد المعد من المغفرة والأجر العظيم أي: تهيئته للمذكورين للجمع بين هذه الصفات، فصار المعنى: أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر أعد الله تعالى لهم مغفرة وأجرا عظيما.

وقوله تعالى:

﴿وما كان﴾ أي: وما صح ﴿لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا﴾ أي: إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيم أمره، والإشعار بأنه قضاء الله تعالى. نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش، وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم «لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة، وكان اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها» ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف، وقيل: في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ﴿أن تكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ أي: أن يختاروا من أمرهم شيئا، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم

تنبيه: الخيرة: مصدر من تخير كالطيرة من تطير **على غير قياس**، وجمع الضمير في قوله تعالى: ﴿لهم﴾ وفي قوله تعالى: ﴿من أمرهم﴾ لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث أنها في سياق النفي، ويجوز أن يكون الضمير في من أمرهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجمع للتعظيم كما جرى عليه البيضاوي، وقرأ أن يكون الكوفيون وهشام بالياء التحتية والباقون بالفوقية، ولأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ومن يعص الله﴾ أي: الذي لا أمر لأحد

معه ﴿ورسوله﴾ أي: الذي معصيته معصية الله تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما أرسل به إليهم.." (١)

١٥٩. "أين المفر من جهنم حذرا منها. ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين: أحدهما: أن يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه تعالى. والثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها. وقيل: أبو جهل خاصة.

وقوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردع عن طلب المفر ﴿لا وزر﴾ أي: لا ملجأ ولا حصن استعير من الجبل. قال السدي: كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال، فقال الله تعالى لهم: لا وزر يعصمكم مني يومئذ واشتقاقه من الوزر وهو الثقل ﴿إلى ربك﴾ أي: المحسن إليك بأنواع الإحسان لا إلى شيء غيره ﴿يومئذ﴾ أي: إذ كانت هذه الأمور ﴿المستقر﴾ أي: استقرار الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم ومكان قرارهم وزمانه إلى حكمه سبحانه ومشيئته ظاهرا وباطنا لا حكم لغيره بوجه من الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا. وقال ابن مسعود: المصير والمرجع، قال الله تعالى ﴿إلى ربك الرجعى﴾ (العلق: ٨)

و ﴿إليه المصير﴾ (المائدة: ١٨)

وقال السدي: المنتهى، نظيره ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ (النجم: ٤٢)

﴿ينبأ﴾ أي: يخبر تخبيرا عظيما ﴿الإنسان يومئذ﴾ أي: إذا كان الزلزال الأكبر ﴿بما قدم﴾ قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء ﴿وأخر﴾ بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. وقال ابن عطية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة، وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه. وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره. وقال يزيد بن أسلم: بما قدم من أموال نفسه وما أخر خلفة للورثة، والأولى أن يقال ينبأ بجميع ذلك إذ لا منافاة بين هذه الأقوال.

﴿بل الإنسان﴾ أي: كل واحد من هذا النوع ﴿على نفسه﴾ أي: خاصة ﴿بصيرة﴾ أي: حجة بينة على أعماله والهاء للمبالغة يعني: أنه في غاية المعرفة بأحوال نفسه، فيشهد عليه بعمله سمعه وبصره وجوارحه قال الله تعالى: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (الإسراء: ١٤)

k.

قال البغوي: ويحتمل أن يكون معناه: بل للإنسان على نفسه يعني جوارحه، فحذف حرف الجر كقوله

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٢٤٨/٣

تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ (البقرة: ٣٣)

أي: لأولادكم، ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث أي: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة.

﴿ولو ألقى﴾ أي: ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتملق. وقوله تعالى: ﴿معاذيره﴾ جمع معذرة **على غير قياس** قاله الجلال المحلي. أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه. وقال الزمخشري: المعاذير ليس بجمع معذرة، وإنما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر ا. هـ. قال أبو حيان: وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وإنما هو من أبنية جموع التكسير ا. هـ. وقيل: معاذير جمع معذار وهو الستر، والمعنى: ولو أرخى ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك. وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أي: ولو تجرد من ثيابه.

ولما كان صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن ينفلت منه أمره الله تعالى بأن ينصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي الله تعالى وحيه ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه بقوله تعالى:

﴿لا تحرك به﴾ أي: بالقرآن ﴿لسانك﴾ ما دام جبريل عليه السلام يقرؤه ﴿لتعجل به﴾ أي:." [1]

١٦٠. "على ذلك من غروب الشمس ﴿حتى﴾ أي: إلى ﴿مطلع الفجر﴾ أي: وقت مطلعه، أي: طلوعه. وقرأ الكسائي بكسر اللام على أنه كالمرجع، واسم زمان **على غير قياس** كالمشرق، والباقون بفتحها.

ومن فضائلها أن من قامها غفرت له ذنوبه ففي الصحيحين: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» . قال النووي في «شرح مسلم» : ولا ينال فضلها إلا من أطلعه الله تعالى عليها فلو قامها إنسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها. قال الأذرعي وكلام المتولي ينازعه حيث قال: يستحب التعبد في كل ليالي العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين اه.

وهذا أولى نعم حال من أطلق أكمل إذا قام بوظائفها. وعن أبي هريرة مرفوعا «من صلى العشاء الأخيرة في جماعة من رمضان فقد أدرك ليلة القدر» ، أي: أخذ حظا منها. ويسن لمن رآها أن يكتمها، ويسن أن يكثر الدعاء والتعبد في ليالي رمضان وأن يكون من دعائه: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني» .

ومن علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها، رواه مسلم عن أبي بن كعب وعن ابن مسعود:

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٤٤١/٤

قال: «إن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان إلا صبيحة ليلة القدر فإنها تطلع يومئذ بيضاء ليس لها شعاع» . فإن قيل: لا فائدة في هذه العلامة فإنها قد انقضت. أجيب: بأنه يستحب أن يجتهد في ليلتها ويبقى يعرفها كما مر عن الشافعي أنها تلزم ليلة واحدة. وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر» حديث موضوع.

سورة لم يكن

وتسمى القيامة، وتسمى المنفكين مكية في قول يحيى بن سلام، ومدنية في قول الجمهور، وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاث مائة وتسعون حرفا.

﴿بسم الله﴾ الذي لا يخرج شيء عن مراده ﴿الرحمن﴾ الذي عم بنعمه جميع عباده ﴿الرحيم﴾ الذي خص أولياءه بإسعاده.

ولما كان الكفار جنسين أهل كتاب ومشركين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه:

﴿لم يكن الذين كفروا﴾ أي: في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال ﴿من أهل الكتاب﴾ أي: من اليهود والنصارى الذين كان أصل دينهم حقا فألحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى، ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع وموافقته في الأصول فكذبوا. ﴿والمشركين﴾ أي: بعبادة الأصنام والنار والشمس، ونحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له أصل في الحق، بأن لم يكن لهم كتاب.

تنبيه: من للبيان. وقوله تعالى: ﴿منفكين﴾ خبر يكن، أي: منفصلين وزائلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا تبقى لهم به علقة، ويثبتون على ذلك الانفكاك، وأصل الفك الفتح والانفصال لما كان ملتحما من فك الكتاب والختم والعظم إذا أزيل ما كان ملتصقا أو متصلا به، أو عن الموعد باتباع الحق إذا جاءهم الرسول المبشر به، فإن أهل الكتاب كانوا يستفتحون به، والمشركين كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من." (١)

١٦١. "الفعل وإحداثه أي إفاضة القدرة المفسرة عند الأصوليين من أصحابنا بما يتمكن به العبد من أداء مالزمه المنقسمة إلى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة بإياك نستعين وتارة أخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فإنه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الإستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم وإلا فالمتبادر من قولنا بالله عند الإطلاق

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٥٦٩/٤

لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الإستعانة الأولى إن قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما أن التبرك لا يكون إلا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر إلا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال إرادة المسمى ويتعين حمل الباء على الإستعانة الثانية أو التبرك وإنما لم يكتب الألف لكثرة الإستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها

و ﴿الله﴾ أصله الإله فحذفت همزته **على غير قياس** كما ينبيء عنه وجوب الإدغام وتعويض الألف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يالله بالقطع فإن المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج إلى التدارك بما ذكر من الإدغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الإدغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بمالا يوجد فيه من نعوت الكمال والإله في الأصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل أي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق وأما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره أصلا واشتقاقه من الإلاهة والألوهة والألوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على أنه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب لا على أنه صفة منها بدليل أنه يوصف ولا يوصف به حيث يقال إله واحد ولا يقال شيء إله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما أن الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية أصلا ومن معنى معين قائم بها على أن ملاك الأمر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح إطلاق الصفة عليها كما في الأفعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من إله بمعنى تحير لأنه سبحانه يحار في شأنه العقول والأفهام وأما أله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الإله المشتق من إله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من أله إلى فلان أي سكن إليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الأرواح إلى معرفته وقيل من أله إذا فزع من أمر نزل به وآلهه غيره إذا أجاره إذ العائذ به تعالى يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو في زعمه وقيل أصله لاه على أنه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع أطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار أمر التوحيد في قولنا لا إله إلا الله ولا يخفى أن اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن إطلاقه على غيره أصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد أن كان اسم جنس في الأصل وقيل هو وصف الأصل لكنه لما." (١)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١/١٠

١٦٢. "البقرة (٤٠)

بجماعتهم قال

خرجنا من البيتين لاحى مثلنا ... بآيتنا نزجي النعاج المطافلا

واشتقاقها من أي لأنها تبين أيا من أي أو أوى إليه أي رجع وأصلها أوية أو أية فأبدلت عينها ألفا **على غير قياس** أو أوية أو أبيه كرمكه فأعلت أو آتية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا

﴿أولئك﴾ إشارة إلى الموصوف باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه إشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للإشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل

﴿أصحاب النار﴾ أي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول أو اسم الإشارة بدل من الموصول أو عطف بيان له وأصحاب النار خبر له وقوله تعالى

﴿هم فيها خالدون﴾ في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى ﴿أصحاب النار خالدين فيها﴾ وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو في محل الرفع على أنه خبر آخر لألئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الأصل المكث الطويل وقد انعقد الإجماع على أن المراد به الدوام." (١)

١٦٣. "من المسلمين

﴿حتى يؤمن﴾ والمراد بهن إما ما يعم الكتابيات أيضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأما غير الكتابيات فهي ثابتة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقال هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت

﴿ولأمة مؤمنة﴾ تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار وأصل أمة أمو حذفت لامها **على غير قياس** وعوض منه تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجعوها في الجمع قال الكلابي

أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنو الأموات بالعار

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١/ ٩٤

وظهورها في المصدر يقال هي أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف أي ولأمة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر

﴿خير﴾ بحسب الدين والدنيا

﴿من مشركة﴾ أي امرأة مشركة مع مالها من شرف الحرية ورفعة الشأن

﴿ولو أعجبتكم﴾ قد مر أن كلمة لو في أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه من انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم أنها لاستقصاء الأحوال على وجه الإجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو أعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة إذ المآل ولأمة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها وحال إعجابها إياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الإعجاب وموجبات الرغبة فيها أي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخيرية تنبيها على أنها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره أولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق أنها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز أن تكون الجملة الأولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر

﴿ولا تنكحوا المشركين﴾ من الإنكاح والمراد بهم الكفار على الإطلاق لما مر أي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أو إماء

﴿حتى يؤمنوا﴾ ويتركوا ماهم فيه من الكفر

﴿ولعبد مؤمن﴾ مع ما به من ذل المملوكية

﴿خير من مشرك﴾ مع ماله من عز المالكية

﴿ولو أعجبكم﴾ مما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة إلى ذاته وصفاته

﴿أولئك﴾ استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين أي أولئك المذكورون من المشركات والمشركين

﴿يدعون﴾ من يقارنهم ويعاشرهم

﴿إلى النار﴾ أي إلى ما يؤدي إليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم

﴿والله يدعو﴾ بواسطة عباده." (١)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٢٢١/١

١٦٤. "﴿وكأين﴾ كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط **على غير قياس** وفيها خمس لغات هي إحداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كأن مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى

﴿من نبي﴾ تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله ... أطرد اليأس بالرجاء فكأين ... أملاحم يسره بعد عسره ...

وقوله تعالى

﴿قاتل معه ربيون كثير﴾ خبر لها على أن الفعل مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها أيضا على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أي كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الأخيرتين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي قتلوا أو قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وأيده بأن مدار التوبيخ انخذالهم للإرجاف بقتله عليه السلام أي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل أو في القتال ربيون الخ وقوله تعالى

﴿فما وهنوا﴾ عطف عل قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله أي فما فتروا وما انكسرت همتهم

﴿لما أصابهم﴾ في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعلته قوله تعالى

﴿فى سبيل الله﴾ فإن كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة أو موصوفة فإن جعل الضميران لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية." (١)

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٢/٩٥

١٦٥. "﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ شروع في بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام المواريث والآتى جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع **على غير قياس** والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحه والإتيان الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالإتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم أي من أزواجكم كما في قوله تعالى ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ وقوله تعالى ﴿من نسائكم اللاتى دخلتم بهن﴾ وبه قال السدي ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم أي فاطلبوا أن يشهد عليهن بإتيانها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم

﴿فإن شهدوا﴾ عليهن بذلك

﴿فأمسكوهن فى البيوت﴾ أي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن

﴿حتى يتوفاهن﴾ أي إلى أن يستوفي أرواحهن

﴿الموت﴾ وفيه تحويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى قبض الأرواح." (١)

١٦٦. "الرعد ١٤ ١٥ المحال بمعنى القوة وقيل محول من الحول أو الحيلة أعل **على غير قياس** ويعضده أنه قرىء بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد." (٢)

١٦٧. "﴿سلام هى﴾ أي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان **على غير قياس** كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأسورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر." (٣)

١٦٨. "النفي اهـ. فانظر ما بين أول كلامه وآخره من التنافر وأصحاب النار سكان النار ويراد بهم الكفار في الأكثر كما يخص الصاحب بالوزير، وهو إما جمع صاحب على خلاف القياس أو جمع صحب الذي هو جمع صاحب أو مخففة وإذا أطلق الكفر تبادر منه الكفر بالله فإن أريد هنا فظاهر

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١٥٤/٢

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١١/٥

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١٨٣/٩

وبآياتنا متعلق بكذبوا وان لم يرد تنازع الفعلان الجار والمجرور فالكفر بالآيات إنكارها بالقلب والتكذيب إنكارها باللسان فلا تكرار.

قوله: (والآية في الأصل العلامة الظاهرة) قال الراغب: هي العلامة الظاهرة وحقيقتها كل شيء ظاهر هو ملازم لشيء آخر لا يظهر ظهوره فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته إذ كان حي كمهما سواء وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات

لمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ثم وجد العلم علم أنه وجد الطريق وكذا إذا علم شيئا مصنوعا علم أنه لا بد له من صانع اص. وفي أصلها ووزنها ستة أقوال فمذهب سيبويه والخليل اق أصلها أيية بفتحات قلبت ياؤها الأولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس لأنه إذا اجتمع حرفا علة أعل الآخر لأنه محل التغيير نحو جوى وهوى ومثله في الشذوذ غاية وراية ومذهب الكسائي إن وزنها آثية على وزن فاعله فكان القياس أن تدغم كداية إلا أنه ترك ذلك تخفيفا فحذفوا عينها كما خففوا كينونة ومذهب الفراء أنها فعلة بسكون العين من تأيا القوم إذا اجتمعوا، وقالوا في الجمع آياء فظهرت الياء والهمزة الأخيرة بدل من ياء ووزنه أفعال والألف الثانية بدل من همزة هي فاء الكلمة ولو كانت عينها واوا لقالوا في الجمع آواء، ثم إنهمءقلبوا الياء الساكنة ألفا **على غير قياس** لأن حرف العلة لا يقلب حتى يتحرك وينفتح ما قبله وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها أيية كنبقة فأعل وهو في الشذوذ كمذهب سيبويه والخليل وقيل: وزنها فعلة بضم العين وقيل: اصلها إياة فقدمت اللام وأخرت العين وهو ضعيف فهذه ستة مذاهب لا يخلو واحد منها من شذوذ. قال ابن الأنباري في الزاهي: وفي آية القرآن قولان فقيل: إنها بمعنى العلامة لأنها علامة لانقطاع الكلام الذي بعدها والذي قبلها قال الأحوص: ومن رسم آيات عفون ومنزل قديم يعفيه الأعاصر محول

وقيل: لأنها جماعة من القرآن وطائفة من الحروف، قال أبو عمرو: يقال: خرج القوم لآيتهم أي بجماعتهم وهو باعتبار الأكثر الأغلب، فلا يرد عليه أنها تكون كلمة واحدة كمدهامتان كما قيل: وفيها قول ثالث وهو أن تكون سميت آية لأنها عجب يتعجب من إعجازه كما يقال فلان آية من الآيات اهـ وقول المصنف رحمه الله: من حيث إنها تدل إشارة إلى القول الأول وقوله لكل طائفة إشارة إلى الثاني فكان عليه أن يميز بين القولين ولذلك اعترض عليه بأنه لم يصب في خلطهما. وقوله واشتقاقها من أي بتشديد الياء عينه ولامه ياء، وقوله: لأنها تبين أيا من أي بالتشديد أيضا قيل معناه شيء يسئل عنه بأي أي جوابه أي تميز أمرا مجهولا من آخر التيس هذا هو المراد، وقيل: إن العبارة آيا من آي بالمد أي شخصا من شخص وشيئا من شيء لأن الآي بالمد بمعنى الشخص وفيه نظر، وقوله أو من أوى إليه لأنها بمنزلة المنزل الذي ياوي إليه القارئ فعينها واو وقوله وأصلها آية على القول الأول وأوية على القول الثاني وكونها على خلاف القياس لما مر والآيات إما آيات القرآن أو مطلق الدوال

وهو ظاهر لكن التكذيب يأباه إلا بأن ينزل المعقول منزله الملفوظ ولذا أخره المصنف رحمه الله عنه، والرمكة أنثى البراذين. نوله:) وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) الحشوية بسكون الشين وفتحها قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة، قال السبكي في شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل وعميت أبصارهم يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد سموا بذلك لأنهم كانوا في

حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة فنسبوا إلى حشافهم حشوية بفتح الشين، وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة أو هم والجسم حشو فعلى هذا القياس فيه الحشوية." (١)

١٦٩. "خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمر إذ ليست مذكرة هي الناسية إلا أن تجعل إحداهما الثانية في موقع المفعول ولا يجوز لتقدم المفعول على الفاعل في موضع الإلباس نعم يصح أن يقال: فتذكرها الأخرى فلا بد للعدول من نكتة. (أقول) : قالوا إن النكتة الإبهام لأن كل واحد من المرأتين يجوز عليها ما يجوز على صاحبتها من الإضلال والإذكار والمعنى إن ضلت هذه أذكرتها هذه فدخل الكلام معنى العموم وأنه من وضع الظاهر موضع المضمر وتقدير فتذكرها، وهذا يدل على أن إحداهما الثانية مفعول مقدم وإنما يمتنع التقديم إذا وقع الباس يغير المعنى فإن لم يكن الباس نحو كسر العصا موسى لم يمتنع، قال أبو البقاء رحمه الله: وهذا من هذا القبيل لأن الإذكار والنسيان لا يتعين في واحدة

منهما ومقتضاه أنه يجوز ذلك في نحو ضمارب موسى عيسى إذ لا يتغير المعنى فهو إجمال لا لب! وفي الكشاف من بدع التفاسير فتذكر فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر، وقد قيل: إن المضارع في جواب الشرط يقترن بالفاء من غير تقدير مبتدأ. قوله: (وسموا شهداء الخ) تقدم وجه آخر ولما كان السأم الملل وإنما يكون بعد المباشرة حمله أولا على حقيقته وثانيا أوله بالكسل فجعل كناية عنه وإنما كني عنه لأنه وقع في القرآن صفة للمنافقين كقوله تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٢] ولذا وقع في الحديث: " لا يقول المؤمن من كسلت وأنما يقول ثقلت " وتقديم الصغير هنا لم مر في آية الكرسي والمشبع بالباء الموحدة بزنة اسم المفعول مجاز بمعنى المطول، وقوله: صغيرا كان الحق ناظر إلى جعل ضمير تكتبوه للحق وما بعده إلى كونه للكتاب، وقوله: إلى وقت حلوله الخ وفي الكشاف إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته وقوله: إشارة إلى أن تكتبوه أي أو إلى المذكور مطلقا. قوله: (وهما مبنيان الخ الما كان أقسط أفعل من القسط بمعنى العدل وفعله أقسط وأما قسط فبمعنى جار وكذا أقوم ليس من القيام الثلاثي أجاب بأنه

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٢/١٤٢

من الأفعال وسيبويه رحمه الله يجيز بناء أفعل منه أو أنه **على غير قياس** شذوذ أو جواب آخر أنه ماخوذ من قاسط وقويم لا بمعنى اسم الفاعل لأن قاسطا بمعنى جائر بل بمعنى النسب كلابن وتامر فيكون اشتقاقا من الجامد كاحنك، وقال أبو حيان رحمه الله: قسط يكون بمعنى جار وعدل وأقسط بالألف بمعنى عدل لا غير حكاه ابن القطاع فلا حاجة لما ذكر وقيل: هو من قسط بوزن كرم صار ذا قسط أي عدل وقويم بمعنى بمستقيم، وقوله: وإنما صحت الواو يعني قيل: أقوم ولم يقل أقام لأنها تقلب في فعل التعجب نحو ما أقومه لجموده إذ هو لا يتصرف وأفعل التفضيل مناسب له معنى فحمل عليه وقيل: إن قوله لجموده ضميره لأفعل التفضيل أي لعدم تصرفهم في أفعل من الذي هو أصله وفيه نظر، وقوله: وأدنى الخ قيل: وهذا حكمة خلق اللوح المحفوظ والكرام الكاتبين مع أنه الغني عن كل شيء تعليما للعباد وارشادا للحكام

وحرف الجر مقدر هنا فقيل: اللام وقيل: إلى وقيل: من وقيل: في ولكل وجهة. قوله: (استثناء عن الأمر بالكتابة الخ) في هذا الاستثناء قولان أحدهما أنه من الاستشهاد وهو متصل فأمر بالاستشهاد في كل حال إلا ني حال حضور التجارة والثاني أنه منه ومن الكتابة وهو منقطع أي لكن التجارة الحاضرة يجوز فيها عدم الاستشهاد والكتابة كذا في الدر المصون والمصنف رحمه الله جعله من الأمر بالكتابة في قوله: أول الآية فاكتبوه لذكر الإشهاد بعده فهو متصل، وقوله: وليكتب إلى هنا جمل معترضة فلا فصل ولا بعد وفسر التجارة الحاضرة بالواقعة بينهم أعم من أن تكون بدين أو عين والإدارة بكونها يدا بيد ليكون تأسيسا وهو محصل ما في الكشاف ولا غبار عليه وقوله: إلا أن تتبايعوا بيد بيان لمحصل المعنى، وقوله: فلا بأس تفسير عدم الجناح ووقع في نسخة إلا تتبايعوا بدون أن والصحيح روأية ودراية الأولى وهذه من تحريف الكتبة فلا حاجة إلى تكلف توجيهها. قوله: (والاسم مضمر تقديره الخ) قدره غيره المداينة والمعاملة وعليه فالتجارة مصدر لئلا يلزم الإخبار عن المعنى بالعين وجعله المصنف رحمه الله كالزمخشري والقراء ضمير التجارة والخبر يفسره والضمير يعود على متأخر لفظا ومعنى ومثله جار في فصيح الكلام." (١)

١٧٠. "بمشابهتهم فلا وجه لما قيل كان عليه أن يؤخره إلى قوله ذئم الخ، وإنما ذكر كونهم أشذ وأقوى ليعلم إنهم أصابهم ما أصابهم مع ذلك فأنتم أولى وأحق به، والخلاق النصيب المقدر من الخلق بمعنى التقدير، وهو أصل معناه لغة، والملاذ بالتشديد اللذات جمع لذة **على غير قياس** كالمحاسن. قوله:) ذم الأولين الخ (إشارة إلى ما في الكشاف من أن هنا تشبيهين، أحدهما مجرى على ظاهره، وهو خضتم كالذي خاضوا وثانيهما فيه أطناب لأن أصله فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم فأقي فائدة في زيادة قوله فاستمتعوا بخلاقهم، وأجاب عنه بأن الزيادة للتوطئة، والتمهيد للتمثيل لمزيد

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٣٥٠/٢

تقبيح الاستمتاع بشهوات الدنيا ولذاتها وتثبيته في قلب السامع إجمالا وتفصيلا فإما أن يقدر مثله في الثاني لعطفه عليه أو لا يقدر إشارة إلى الاغتناء بالأول، والمخدج بمعنى الناقص وقوله التهائهم هو افتعال من اللهو. قوله: (دخلتم في الباطل الخ (الخوض الشروع في دخول الماء ويستعار لمباشرة الأمور وأكثر ما يستعمل في الذم في القرآن فلذا خصه بالباطل، وقوله: (كالذين خاضوا) يعني أنه جمع وأصله الذين فحذفت نونه تخفيفا كما في قوله:

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

ويحتمل أن يريد أنه مفرد واقع موقع الجمع والعائد إلى الموصول محذوف أي خاضوه وأصله خاضوا فيه فحذف تدريجا لأن العائد المجرور لا يحذف إلا بشروط كجر الموصول بمثله، أو الذي صفة لمفرد اللفظ مجموع المعنى كالفريق والفوج، أو هو صفة مصدر أي كالخوض الذي خاضوه والضمير للمصدر، ورجح بعدم التكلف فيه، وقال الفراء: إن الذي تكون مصدرية وخرج هذا عليه. قوله: (لم يستحقوا الخ) الحبط السقوط والبطلان والاضمحلال وكونها حابطة في الآخرة ظاهر، وفي الدنيا لما لهم من الذل والهوان وغير ذلك، وقوله خسروا الدنيا والآخرة تفسير له بما يتوجه به الحصر ويتضح. قوله: (وعاد وثمود الخ) غير الأسلوب لأنهم لم يستهزؤوا بنبيهم، وقيل لأن كثيرا منهم آمنوا ونمروذ بالذال

المعجمة، وقوله وأهلك أصحابه لم يبين هلاكهم لأنه كان بإبادتهم بعد هلاك ملكهم لا بسبب سماوقي كغيرهم. قوله: (أهلكوا بالنار يوم الظلة (هي غمامة أطبقت عليهم قيل الذين أهلكوا بالنار يوم الظلة هم أصحاب الأيكة من قوم شعيب عليه الصلاة والسلام، وأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة والرجفة وأجيب بأنه على قول قتادة وأما على قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فأهل مدين أهلكوا بالنار يوم الظلة، ورجفت بهم الأرض وتفصيله في تفسير البغوي في سورة الأعراف، وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى مبني عليه. قوله:) والمؤتفكات الخ (معطوف على أهل مدين وأصل معنى الائتفاك الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفل بالخسف، وهو قد وقع في قريات قوم لوط عليه الصلاة والسلام فإن كانت مرادة به فهي على حقيقتها وإن كان المراد مطلق قرى المكذبين، وهي لم تخسف بأجمعها فيكون المراد به مجازا انقلاب حالها من الخير تشبيها له بالخسف على طريق الاستعارة كقول ابن الرومي:

وما الخسف أن تلقى أسافل بلدة أعاليها بل أن تسود الأراذل

وقريات بالتصغير جمع قرية لأن جمع المكبر قرى. قوله:) يعئي الكل) أي جميع ما ذكر

لا المؤتفكات فقط كما قيل لأن جمع الرسل على تفسيرها الأول يحتاج إلى التأويل برسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والدعاة لهم وإن صح على الثاني بغير تتأويل. قوله:) أي لم يك وفي نسخة لم يكن من عادته الخ) قيل إنه من الإيجاز بالحذف، وأصله فكذبوهم فأهلكهم فما كان الخ وهو رد على قول الزمخشرقي في قوله فما صح منه أن يظلمهم، وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وهو مبني على مذهبه،

وقوله: (من عادته (أخذه من المضارع المفيد للاستمرار، ولو حمل على استمرار النفي كان أبلغ كما مر في قوله لا يستأذنك يعني أنه لا يصدر ذلك، وتسميته ظلما لمشابهته له لو كان أو لأنه يسمى ظلما بالنسبة إلى العباد الفاعلين له فلو وقع منه لم يكن ظلما على مذهبنا، وقوله عرضوها بمعنى جعلوها عرضة ومستحقة له. قوله:) في مقابلة قوله المنافقون الخ) وبعضهم." (١)

١٧١. "فهو مجاز عن وجدان ما يورث النقمة أي يقتضيها والى ذلك أشار المصنف، وقدم الأول لاستغنائه عن التأويل، وتريب منه تأويله بالإرادة ومحاويج جمع محتاج **على غير قياس**، والضنك ضيق في المعيشة وقلة الرزق، والعيش ما يتعيش به كالمأكل وغيره، وقدمهم بفتح القاف وكسر الدال المخففة على الحذف والإيصال أي قدم عليهم أو استولى عليهم كقوله تعالى: ﴿يقدم قومه﴾ وأثروا استغنوا من الثراء وهو الغنى والدية عشرة آلاف فزيادة ألفين على عادتهم في الزيادة تكرما وكانوا يسمونها شنقا بفتح الشين المعجمة، ونون وقاف، وهو ما زاد على الدية والمولى بمعنى القريب أو المعتق

الذي له إرثه وقيل ضمير أغناهم الله للمسلمين أي ما غاظهم إلا إغناء الله للمؤمنين. قوله:) والاستثناء مفرغ الخ) يعني إن المعنى ما كرهوا وعابوا شيئاً إلا إغناء الله إياهم فهو مفعول به، أو مفعول له والمفعول محذوف أي ما نقموا الإيمان لأجل شيء إلا لأجل إغناء الله، وهو على حذ قولهم ما لي عندك ذنب إلا أني أحسنت إليك وقوله:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إذ غضبوا

وهو متصل على ادعاء دخوله إذ ألاستثناء المفرغ لا يكون منقطعا، كما مر وفيه تهكم وتأكيد الشيء بخلافه. فوله: (هو الذي حمل الجلاس الخ (ضمير هو لما يفهم من الكلام، أي نزول هذا حمله على التوبة بعدما كان يخاف من عدم قبولها فكانت سببا لحسن إسلامه لطفا من الله به، وحمله على كذا أي كان سببا له والحامل على الشيء سببه، وهو من المجاز المشهور وجعل الضمير للتوب بمعنى التوبة لتذكير الضمير وان كان تأنيث المصادر قد يغتفر، وقوله بالإصرار على النفاق يعني المراد بإعراضهم وتوليهم عن إخلاص الإيمان، والدوام عليه كما في يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد مز تحقيقه، وقوله بالقتل والنار لف ونثر مرتب، والمراد بالقتل أنهم يقتلون إن أظهروا الكفر لأن الإصرار مظنة الإظهار فلا ينافي ما مر من أنهم لا يقتلون، وإن جهادهم بمعنى إلزام الحجة، وقيل عذاب النار هنا متاعب النفاق أو عذاب القبر أو ما يشاهدونه عند الموت فلا إشكال. قوله تعالى: ﴿وما لهم في الأرض﴾

بن حاطب ويقال ابن أبي حاطب الأنصاري الذي ذكره ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار وليس هو ابن عمرو الأنصاري البدري لأنه استشهد بأحد ولأنه مجقيد قال: " لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية ") ١ (ومن كان بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه فينزل فيه ما نزل فهو غيره كما قال

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٣٤٢/٤

ابن حجر في الإصابة: وإن كان البدري هو المشهور بهذا الاسم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقوله: (لا تطيقه) بتقدير مضاف أي لا تطيق شكره والشكر أداء حقوقه وهذا من معجزاته إذ كان كما قال: وقوله: (كل ذي حق حقه (أي أو في صرف حقوق الله منه إن رزقني، وقوله: (فتمت (أي زادت، والدود بدالين مهملتين معروف وهو إذا حصل في شيء يتضاعف بسرعة وقوله: يا ويح ثعلبة ويح كلمة ترحم لما ناله من فتنة الدنيا، والمنادى محذوف أي يا ناس أو يا زائدة للتنبيه أو المنادى ويح كقوله يا حسرتي كأنه نادى ترحمه عليه ليحضر، وقوله لا يسعه واد أي واد واحد بل أودية ومصدقين بتخفيف الصاد المفتوحة وتشديد الدال المهملة المكسورة، وهم الذين يأخذون الصدقات، وقوله: (فاستقبلهما (وفي نسخة استقبلهم، وباء بصدقاتهم للتعدية أو المصاحبة وكتاب الفرائض أي ما فرض من الزكاة، ومجيء ثعلبة وحثوه التراب ليس للتوبة من نفاقه بل للعار من عدم." [(١)]

١٧٢. "والمظلومين معا، وهذا أيضا إذا لم يكن القضاء السابق في الدنيا كما مر.

قوله: (تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب الخ (يعني أن هذا تذييل لما سبق، وتأكيد واستدلال على ما سبق ذكره بأن من يملك جميع الكائنات وله الترصرف فيها قادر على ما ذكر، وعلى انجاز ما وعد لأنه لا يخلف ما وعد رسوله به من نصره وعقاب من لم يتبعه فلا يرد على المصنف رحمه الله أنه وعيد والخلف فيه جائز كما تقرر عندهم فالتعبير بالوعد في الاية ليس تنليبا كما يتوهم، وهذا يعرفه من يتدبر الأمور لا من يغتر بالحياة، ويدري ظاهرها فيظن أنها باقية وذكر القدر على الأمانة استطرادقي لا دخل له في الاستدلال على النشر وقوله لأن القادر لذاته بيان لما تقرر من أن القادر بالذات لا يزول بغيره، والقدرة صفة ذاتية عندنا، وعين الذات عند بعضهم كما هو معلوم في الأصول. قوله: (﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة﴾ الخ) الخطاب عام، وقيل لقريش ومن ربكم متعلق بجاء أو وصفة موعظة ومن للابتداء والموعظة والشفاء للمؤمنين والهداية بمعنى الدلالة مطلقا عامة وبمعنى الموصلة خاصة أيضا. قوله: (أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الخ) يعني أن المراد القرآن وأن قوله موعظة إشارة

للعمليات لأن الوعظ ترغيب وترهيب فيحث على محاسن الأعمال ويزجر عن قبائح الأفعال وما بعده إشارة إلى الكمال العلمي بالعقائد الحقة ويتقنها بتصفية الباطن لها حتى تشرق بنور الهداية وتصعد من درجات اليقين إلى أعلى عليين وفيه إشارة إلى أن للنفس الإنسانية مراتب كمال من تمسك بالقرآن فاز بها إحداها تهذيب الظاهر عن فعل ما لا ينبغي واليه الإشارة بالموعظة لأنها الزجر عن المعاصي، وثانيها تهذيب الباطن عن العقائد الفاسدة والملكات الرديئة، وهو شفاء ما في الصدور وثالثها تحلي النفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة ولا يحصل ذلك إلا بالهدى، ورابعها تجلي أنوار الرحمة الإلهية وتختص

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٣٤٥/٤

بالنفوس الكاملة وقد وردت الآية مرتبة على هذا الترتيب الأنيق وبتلك الكمالات تحصل مناسبة بين المؤثر والمتأثر ليستعذ بها لفيض إحسانه فلذا لم يحصل له ذلك ابتداء بل في آخر أحواله، وذهاب ظلمة الهيولى التي يتضح بها نور الهداية، وقال الإمام الموعظة إشارة إلى تطهر ظواهر الخلق عما لا ينبغي، وهو الشريعة والشفاء تطهر الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى ظهور الحق في قلوب الصديقين، وهو الحقيقة والرحمة إشارة إلى بلوغ الكمال والإشراق حتى يكمل غيره ويفيض عليه وهي النبوة والخلافة فهذه درجات ستة لا يمكن فيها تقديم ولا تأخير واليه الإشارة في الحديث: " كان خلقه القرآن " فتدبر، والمحاسن والمقابح جمع حسن وقبح **على غير قياس**، وقوله وهدى مرفوع على كتاب وكذا قوله ورحمة والوصف بهذه، وجعلها عينه للمبالغة، وقوله والتنكير فيها أي في هذه المذكورات لا في رحمة فقط كما قيل. قوله: (بإنزال القرآن (الباء للسببية متعلق بفضل الله ورحمته أي ذلك بسبب نزول وهدايتكم به أو هو بدل منه مفسر له أي المراد بفضل الله ورحمته ذلك ويناسب الثاني قول مجاهد رحمه الله الفضل والرحمة القرآن والأول تفسيرهما بالجنة، والنجاة من النار والتوفيق والعصمة إلى غير ذلك من التفاسير. قوله: (والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليرحوا (يعني فليفرحوا من قوله فبذلك فليفرحوا، وقيل جعل المجموع مفسرا لأنه لولا ذكر المتعلق لم يكن مفسرا بل عاملا فيه فالمفسر في زيدا ضربته ضربته بتمامه إذ لولا الضمير لكان عاملا. قوله:) فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير الخ (يعني أنه من باب الاشتغال وشرطه اشتغال العامل بضمير المعمول واسم الإشارة يقوم مقام الضمير فاشتغاله به بمنزلة الاشتغال بضميره وذلك إشارة إليهما باعتبار ما ذكره في قوله عوان بين ذلك وهو مشهور في اسم الإشارة، وهذا من غريب العربية فإن المعروف في الاشتغال اشتغاله بالضمير وكونه باسم الإشارة لم يذكره النحاة.

قوله: (نقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا الخ (يعني المقدر إما من لفظه أو من معناه كما في زيدأ ضربت غلامه أي أهنت زيدا وهذا مما يجوز إذا دلت عليه القرينة وقد صرح به النحاة والقرينة قائمة هنا لأن ما يسر به يكون مما يعتني ويهتم بشأنه وتقديم المعمول لاعتناء مؤيد لذلك فقول أبي حيان رحمه الله إن هذا إضمار." (١)

١٧٣. "بالنصب أي أغذ غذة وأموت موتا وسلولية امرأة من سلول، وهي التي نزل عندها وسلول من أخس قبائل العرب كباهلة، وقوله فنزلت وهي إحدى الروايات في سبب النزول، وفيه روايات أخر، والذي في البخاري عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالدا رضي الله عنه في سبعين راكبا إلى قومه " وهو مخالف لما هنا. قوله: (المماحلة والمكايدة) المماحلة بالجز عطف بيان للمحال بكسر الميم إشارة إلى أنهما مصدران كالقتال، والمقاتلة والمكايدة عطف تفسير للممالحة، ومحل

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٣٩/٥

بالتخقيف، وقوله تكلف لأن التفعيل يكون للتكلف وكونه من المحل بمعنى القحط، والميم أصلية ذكره الراغب فعذه معنى آخر في القاموس لا ينافيه كما توهم، وقوله فعال من المحل بمعنى القؤة أي اسم لا مصدر، وا) صحل بمعنى القوة فمعناه شديد. قوله:) وقيل مفعل من الحول (بمعنى القوة أو من الحيلة المعروفة والميم زائدة على هذا، وقوله أعل **على غير قياس** إذ كان القياس فيه صحة الواو كمحور ومرود ومقود، وقوله ويعضده أي يعضد زيادة الميم لكنه على هذا من الحيلة، وإنما عضده أي قواه لأن الأصل توافق القراءتين. قوله: (ويجوز أن يكون بمعنى الفقار) وهو عمود الظهر وسلسلة العظم التي فيه مركبا بعضها ببعض، وبها قوام البدن فيكون مثلا في القوة أي

استعارة ومجازا فيها، قال في الأساس يقال فرس قوفي المحال، وهو الفقار الواحدة محالة والميم أصلية والفقار بفتح الفاء واحده فقارة ويجمع على فقارات. قوله: (فساعد الله أشد وموساه أحد) هو حديث صحيح، وفي نهاية ابن الأثير رحمه الله تعالى في حديث البحيرة فساعد الله أشد، وموساه أحد أي لو أراد الله تحريمها بشق أذنها لخلقها كذلك فإنه تعالى يقول لما أراد كن فيكون فلذا قيل كان ينبغي للمصنف رحمه الله أن يقول كقول النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموسى بضم الميم وسكون الواو والسين المهملة وألف مقصورة آلة الحلق المعروفة، ووزنها فعلى من أوساه بمعنى حلقه وقطعه، وأما موسى علم النبي صلى الله عليه وسلم فمعرب. قوله: (الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد الخ) يعني أن الدعوة بمعنى الدعاء أي لطلب الإقبال، والمراد به العبادة لأنه يطلق عليها لاشتمالها عليه، وكلامه بيان لحاصل المعنى وتصوير له با! إضافته إلى الحق لاختصاص عبادته به دون عبادة غيره، وقيل إنه ذهب إلى المذهب المرجوح في جواز إضافة الموصوف للصفة لعدم تكلفه هنا لكن يأباه جعل إضافته للملابسة، فإن المتبادر منها خلاف ما ذكر وعلى هذا تجعل الملابسة شاملة للملابسة الجارية بين الموصوف وصفته، وهو الذي صرحوا به كما ستراه. قوله: (الذي يحق أن يعبد ويدعي الخ) وفي نسخة أو بأو الفاصلة فقيل إنه يثير إلى أن المراد بالدعاء العبادة كما مر وأن تقديم له لإفادة الاختصاص، وقيل إنه على نسخة الواو بيان لأن الدعوة المتعدية بإلى بمعنى الدعاء على ظاهرها وأن المدعو إليه هو العبادة لله لا أنها بمعناها، وقوله دون غيره ناظر إلى يدعي لا إلى يحق لأنه المناسب للحصر، وعلى نسخة أو بيان لأن الدعوة إما بمعنى العبادة أو بمعنى الدعوة إليها وعليه دون غيره تنازع فيه الفعلان، وقوله الذي يحق تفسير للاستحقاق المستفاد من اللام، وبيان لأن الحصر ناظر إلى المعنى الأول لا تفسير للحق، وفي هذه النسخة بحث فإن الوجوه حينئذ تكون ثلاثة لأن الدعاء إما بمعنى العبادة أو دعوة الخلق إلى العبادة أو بمعنى التضرع فالذي يناسب كلامه أن تجعل النسختان بمعنى، وأن دعوة الحق بمعنى الدعوة إلى عبادته، وإذا كانت الدعوة إلى عبادته حقا لزم كون عبادته حقا فإذا أريد أحدهما لزم الآخر فالعطف بأو ترديد في المراد أولا من اللفظ فتأمل. قوله:) أو له الدعوة المجابة الخ (هذا وجه آخر معطوف على ما قبله فيه الدعوة بمعنى

التضرع، والطلب المشهور وقوله فإن من دعاه أجابه بيان لأن الدعوة دعاء الخلق دته، ومعنى أن دعاء الخلق له أن له إجابته دون غيره ولم يقل فإنه المجيب لمن دعاه دون غيره بيانا للحصر المستفاد من الكلام كما في الوجه الأول إما لظهوره بالقياس إليه، أو لأنه لا حاجة إلى استفادته
من التقديم لدلالة قوله بعده لا يستجيبون على حصر الإجابة فيه لكنه بالنسبة إلى آلهتهم فقط، والذي يفيده التقديم الحصر فيه مطلقا فلو ذكره كان أظهر، وقوله ويؤيده ما بعده فإن ذكر الاستجابة دليل على أن الدعاء بهذا المعنى، وان صح كونه بمعنى يعبدون، أو يدعون إلى." (١)

١٧٤. "يبصر بها وقوله: فلا يحتاج إلى الأنباء هو على الوجهين وفيه شائبة من التجريد كما في شرح الكشاف، وقوله: على المجاز لما مر لا لأنه
للأعضاء كما توهم. قوله: (ولو جاء الخ (فشبه المجيء بالعذر بإلقاء الدلو في البئر للاستقاء به فيكون فيه تشبيه لذلك بالماء المروي للعطش، وقوله: **على غير قياس** لأن قياسه معاذر بغير ياء، وهو المراد من قول الزمخشري اسم جمع لأنه يطلقه على الجموع المخالفة للقياس كما مر غير مرة، ومن غفل عنه اعترض عليه بأنه ليس من أبنية اسم الجمع، وقوله: وذلك أولى أي كونه جمع معذار لجريه على القياس إلا أن في ثبوت المعذار بمعنى العذر نظر لأنه لم يسمع من الثقات أو سمع بمعنى الستر كما روي عن الضحاك، والجمع يحتمل أن يكون لمعذرة وأشبعت حركته فمد لذلك، والمعذرة مثلث الدال العذر وقيل معنى قوله وذلك أولى إن جمع معذرة على معاذير أولى من جمع منكر على مناكير لأن التغيير فيه أقل، وليس بشيء ولم يتعرضوا لجواب لو هنا فإم أن يكون معنى الشرطية منسلخا عنها كما قيل، أو يدل عليه ما قبله والظاهر الأول. قوله: (لتأخذه على عجلة) إشارة إلى أن الباء للتعدية وعن الشعبي عجل به من حبه إياه وهو لا ينافي ما ذكر، وقوله: وهو تعليل الخ يعني قوله: إن علينا جمعه، وهو ظاهر وقوله: بلسان جبريل عليك يشير إلى أن الإسناد مجازي هنا، وقوله: قراءته إشارة إلى أنه مصدر لا بمعنى المقروء، وقوله: وتكرر فيه فالاتباع عبارة عن قراءته كما قرأه جبريل والتكرار من المقام بقرينة السياق. قوله: (بيان ما أشكل عليك من معانيه الخ) التأخير من لفظ، ثم وأول من استدل بهذه الآية على ما ذكر القاضي أبو الطيب وهو إنما يتم إذا فسر البيان بتبيين المعنى، وقد قال الآمدي يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمل، ويؤيده أن المراد جميع القرآن والمجمل بعضه وما ذكره الآمدي هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنه قال في تفسيره إن علينا أن نقرأه يريد ما ذكر. قوله: (اعتراض (يعني أن قوله: لا تحرك الخ كلام وقع معترضا في أثناء أمور الآخرة توبيخا على ما جبل عليه الإنسان.
والمرء مفتون بحب العاجل
حتى جعل مخلوقا من عجل ومن محبة العاجل وايثاره على الآجل تقديم الدنيا الحاضرة

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٢٢٧/٥

على الآخرة الذي هو منشأ الكفر، والعناد المودي إلى إنكار الحشر والمعاد فالنهي عن العجلة في هذا يقتضي النهي فيما عداه على آكد وجه، وهذه مناسبة تامة بين ما اعترض فيه وبينه يندفع بها إنكار بعض الزنادقة للمناسبة فيه بوجه من الوجوه حتى تشبث به لأنه وقع في القرآن تغيير وتحريف ممن جمعه:
وما عليك إذا لم تفهم البقر
وقيل: قوله: بل يريد الإنسان ليفجر إمامه في معنى تحبون العاجلة فتظهر مناسبته لما قبله، وتوكيده له فلا حاجة إلى أن يقال: أراد بالاعتراض هنا الاستطراد كما قيل فإنه الوجه الآتي. قوله: (أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات) من عجلته لمجي! في تلقيها عن جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل له: لا تحرك الخ نهيا له عما صدر منه في ذلك الحين كما يقول المرء وهو يتكلم لمخاطبه إذا التفت لا تلتفت يمينا وشمالا، ثم يعود لما كان فيه من الكلام فالمناسبة لما وقع في الخارج لا لمعنى الموحى به فهو استطراد واعتراض بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي حتى يرد عليه إنه لم يفد ما اعترض فيه توكيد أو لا بد منه في الاعتراض. قوله: (وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور) في قوله: أيحسب الإنسان فهو المخاطب بقوله: لا تحرك الخ كما فصله المصنف رحمه الله ولبعده مرضه المصنف رحمه الله تعالى، وإن ارتضاه غيره وقدمه على الوجه السابق، وهو مخالف للمأثور في تفسير الآية وقوله: رح للرسول الخ لف ونشر على التفسيرين، ويحتمل عود كل منهما إلى الجميع وقوله: للمعنى لأنه مفرد لفظا مجموع معنى وقوله: ويؤيده الخ لأنه على الغيبة ظاهر في أن الضمير للإنسان وعلى ما قبله غلب فيه النبي على غيره فلا التفات فيه وقوله: بهية أي حسنة، وقوله: متهللة أي منيرة مثرقة كالهلال من المسرة. قوله: (ولذلك) أي لكون المعنى ما ذكر قدم متعلقه، وهو قوله: إلى ربها ليدل على الاختصاص وعدم النظر لما سواه، وقوله: وليس
هذا الخ رد على الزمخشري حيث ادعى نصرة لمذهبه في إنكار الرؤية أنه لو كان النظر بمعناه المعروف لم يصح الحصر لأن قصر النظر غير واقع كما لا يخفى على من له نظر بأنه في وقت ما لا في جميع الأوقات لأنه لا يراه دائما مع أنه قد يجعل رؤية ما سواه عدما أو يقال: التقديم لرعاية الفاصلة، لا للحصر هنا أو للاهتمام لأنه المقصود." (١)

١٧٥. "الايمان والإسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب أفضل من شرف النسب والعلم الديني والأدب الشرعي هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل أن يتجلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين انواع المكارم والأخلاق الحسنة والأوصاف الشريفة المستحسنة يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم امر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة أصله اوقيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الإنسان لا النفس الامارة والمعنى احفظوا وبعدوا أنفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاى خود را ودور كنيد. يعنى بترك المعاصي

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٢٨٢/٨

وفعل الطاعات وأهليكم بالنصح والتأديب والتعليم أصله أهلين جمع اهل حذفت النون بالاضافة وقد يجمع على اهالى **على غير قياس** وهو كل من فى عيال الرجل والنفقة من المرأة والولد والأخ والاخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالاصحاب ايضا ودلت الآية على وجوب الأمر بالمعروف للأقرب فالأقرب وفى الحديث (رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم فى الجنة) وفى الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعنى كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل ان كان وليا ومن عدم الخيانة ان كان موليا عليه وكلكم مسئول عما التزم حفظه يوم القيامة فالامام على الناس راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسئول وقيل أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وخص الأهلين بالنصيحة مع ان حكم الأجانب كحكمهم فى ذلك لان الأقارب اولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال تعالى وانذر عشيرتك الأقربين ولان شرائط الأمر والنهى قد لا توجد فى حق الأجانب بخلاف الأقارب لاسيما الأهل فان الرجل سلطان اهله وقال بعض اهل الاشارة فى الآية طهروا أنفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون أهاليكم صالحين بمتابعتكم فاذا رغبتم فى الدنيا فهم يشتغلون بها فان زلة الامام زلة المأمومين وقال القاشاني رحمه الله الأهل بالحقيقة هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحانى واتصال عشقى سوآء اتصل به اتصالا جسمانيا أم لا وكل ما تعلق به تعلقا عشقيا فبالضرورة يكون معه فى الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من الناري كوقاية نفسه فان زكى نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة ينجذب إليها فيكون معها فى الهاوية محجوبا بها سوآء كانت قواه لطبيعية الداخلة فى تركيبه أم نفوسا انسانية منتكسة فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الأصفياء والأولياء ليحشر معهم فان المرء يحشر مع من أحب نارا نوعا من النار وقودها ما يوقد به تلك النار يعنى حطبها وبالفارسية آتش انگيز وى.

فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرئ به بتقدير اسباب وقودها او بالحمل على المبالغة الناس كفار الانس والجن." (١)

١٧٦. "بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) وغير ذلك وهو استئناف يخاطبون به من خزنة جهنم بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون يقال صلى اللحم كرمى يصليه صليا شواه وألقاه فى النار وصلى النار قاسى حرها وأصله اصليوها فاعل كاحشيوا وهو امر تنكيل واهانة كقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) والمعنى ادخلوها وقاسوا حرها وفنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا وفى

(١) روح البيان، إسماعيل حقي ٥٨/١٠

ذكر اليوم ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم يعنى ان ايام لذاتكم قد مضت ومن هذا الوقت واليوم وقت عذابكم قال ابو هريرة رضى الله عنه أوقدت النار الف عام فابيضت ثم أوقدت الف عام فاحمرت ثم أوقدت الف عام فاسودت فهى سوداء كالليل المظلم وهى سجن الله تعالى لمجرمين قال النبي عليه السلام لجبرائيل (ما لى لم أر ميكائيل ضاحكا قط) قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار قال بعضهم ذكر النار شديد فكيف القطيعة والفضيحة فيها ولذا ورد فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وعن السرى السقطي رحمه الله اشتهى ان أموت ببلدة غير بغداد مخافة ان لا يقبلني قبرى فافتضح عندهم وقال العطار رحمه الله لو ان نارا أوقدت فقيل من قبل الرحمن من القى نفسه فيها صار لاشيا لخشيت ان أموت من الفرح قبل ان اصل الى النار لخلاصى من العذاب الابدى فانظر الى انصاف هؤلاء السادات كيف أساءوا الظن بانفسهم مع انهم موحدون توحيدا حقيقيا عابدون عارفون وقد جعل دخول النار مسببا عن الكفر والشرك والأوزار

خدايا بعزت كه خوارم مكن ... بذل كنه شرمسارم مكن

مرا شرمسارى ز روى تو بس ... دكر شرمسارم مكن پيش كس

بلطفم بخوان يا بران از درم ... ندارد بجز آستانت سرم

بحقت كه چشمم ز باطل بدوز ... بنورت كه فردا بنارم مسوز

اليوم نختم على أفواههم الختم فى الأصل الطبع ثم استعير للمنع والأفواه جمع فم واصل فم فوه بالفتح وهو مذهب سيبويه والبصريين كثوب وأثواب حذفت الهاء حذفا **على غير قياس** لخفائها ثم الواو لاعتدالها ثم أبدل الواو المحذوفة ميما لتجانسهما لانهما من حروف الشفة فصار فم فلما أضيف رد الى أصله ذهابا به مذهب أخواته من الأسماء وقال الفراء جمع فوه بالضم كسوق وأسواق وفى الآية التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر أحوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية والمعنى نمنع أفواههم من النطق ونفعل بها ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا فتصير أفواههم كأنها مختومة فتعترف جوارحهم بما صدر عنها من الذنوب وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم باستنطاقنا إياها بما كانوا يكسبون فتنطق الأربع بما كسبوه من السيئات والمراد جميع الجوارح لا ان كل عضو يعترف بما صدر منه [والكسب: حاصل." (١)

١٧٧. "قلت: (كأين) : أصله: أي، دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) ، وأثبت التنوين نونا **على غير قياس**، وقرأ ابن كثير: (وكائن) ، على وزن فاعل، ووجهه: أنه قلب الياء قبل الهمزة فصار: كياء، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فصار كائن، وهما لغتان، وقد جمع الشاعر بينهما في بيت، فقال:

(١) روح البيان، إسماعيل حقي ٤٢٤/٧

كأين أبدنا من عدو بعزنا ... وكائن أجرنا من ضعيف وخائف

و (الربيون) : جمع ربة، أي: الفرقة. أي: معه جموع كثيرة، وقيل: العلماء الأتقياء، وقيل: الولاة، وهو: إما مبتدأ فيوقف على (قتل) ، أو نائب فاعل (قتل) ، أو فاعل على من قرأ بالبناء له، و (كثير) : نعت له، كقوله:

والملائكة بعد ذلك ظهير لأن فعيلا يخبر به عن المفرد والجمع.

يقول الحق جل جلاله: وكأين وكم من نبي قاتل في المعركة ومعه جموع كثيرة، أو ربانيون علماء أتقياء، فلم يفشلوا ولم يضعفوا، بل ثبتوا على دينهم وجهاد عدوهم، أو يقول: كثير من الأنبياء قتل معهم ربانيون كثير، أي: ماتوا في الحرب فثبت الباقون، ولم يفتروا ولم يضعفوا عن عدوهم، ويترجح الأول بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدا قد مات، فضرب لهم المثل بقوله: وكأين من نبي قاتل، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل نبي قط في المحاربة.

أو: وكأين من نبي قاتل أي: جاهد معه ربيون كثير، وبعد ما قتل نبيهم أو جموعهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله أي: فما فتروا، ولم ينكسر جندهم لأجل ما أصابهم من قتل نبيهم أو بعضهم، وما ضعفوا عن جهاد عدوهم ولا عن دينهم، وما استكانوا أي: خضعوا لعدوهم، من السكون لأن الخاضع يسكن لعدوه يفعل به ما يريد، فالألف إشباع زائد، أي: فما سكنوا لعدوهم بل صبروا له، والله يحب الصابرين فينصرهم ويعزهم ويعظم قدرهم.

وما كان قولهم عند قتل نبيهم مع ثباتهم على دينه، إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر، وإسرافنا في أمرنا أي: ما تجاوزنا به الحد في أمر ذنوبنا، كالكبائر، وثبت أقدامنا في مداحض الحرب لئلا ننهزم، وانصرنا على القوم الكافرين من أعدائنا، فهلا فعلتم مثلهم، وقلتم ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

فآتاهم الله في ثواب الاستغفار واللجوء إلى الله ثواب الدنيا وهو النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر، وحسن ثواب الآخرة وهو النعيم الذي لا يفنى ولا يبيد، وخص ثواب الآخرة بالحسن إشعارا بفضله، وأنه المعتد به عنده، والله يحب المحسنين الثابتين على دينهم، لأنهم أحسنوا فيما بينهم وبين ربهم بحفظ دينه، فأحبهم الله وقربهم إلى حضرته.." (١)

١٧٨. "للأنصار: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر، وكتموا صفته- عليه الصلاة والسلام- . ووضع الظاهر موضع المضمر وكأنه يقول: وأعتدنا لهم، إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى، ومن كفر بنعمة الله وأهانها استحق عذابا مهينا.

والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس طلبا لمدحهم وخوفا من ذمهم، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ١/٤١٧

يتحرون بإنفاقهم مراضية، فالشيطان قرينهم لا يفارقهم، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا، فلما كان الشيطان قرينهم زين لهم التهالك على الأموال والرياء في الأعمال، وإنما أشرك أهل الرياء مع البخلاء في الوعيد من حيث إنهما طرفا تفريط وإفراط، وهما سواء في القبح واستجلاب الذم.

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي: لا ملامة عليهم ولا تبعة تحيق بهم لو أخلصوا الإيمان وأنفقوا مما رزقهم الكريم المنان. قال البيضاوي: وفيه تنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا، فكيف إذا تضمن المنافع. وإنما قدم الإيمان هاهنا وأخره في الآية الأخرى: لأن القصد بذكره هنا التخصيص، وثم التقليل. هـ. وكان الله بهم عليما لا يخفى عليه شيء من أمورهم وقصدهم.

الإشارة: قال بعض الصوفية: (من أقبح كل قبيح صوفي شحيح) ، فالصوفية العارفون- رضى الله عنهم- الذين هم صفوة العباد متخلقون بأضداد ما وسم به الحق- تعالى- أهل العناد، فهم يجودون بأنفسهم وما خصهم الله بهم من العلوم اللدنية والأسرار القدسية، على من يستحقه من أهل التخلية والتحلية، ويأمرون الناس بالسخاء ومكارم الأخلاق، ويتحدثون بما منحهم الملك الخلاق، ويظهرون الغنى بالله والاكتفاء به عن كل ما سواه، وإذا بذلوا أموالهم أعطوها لله وبالله ومن الله وإلى الله وابتغاء مرضاة الله، هجم عليهم اليقين، وتمكنوا من شهود رب العالمين، فلا يقرب ساحتهم الشيطان، ولا يرون في الدارين إلا الملك الديان، تحبهم ملائكة الرحمن، ويحن إليهم الأنس والجان. نفعنا الله بمحبتهم، وخرطنا في مسلكهم، آمين.

ثم رغب الحق- تعالى- فى الإنفاق مع الإخلاص، الذي هو عنوان الدين الخاص، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ٤٠]

إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (٤٠)

قلت: الذرة: النملة الصغيرة الحمراء. وتطلق على جزء من أجزاء الهباء. ومن نصب (حسنة) فخبر كان. وأنث الضمير باعتبار الخبر. أو لإضافة مثقال إلى ذرة، فاكتسب التأنيث، ومن رفع فهي تامة، وحذف نونها **على غير قياس**، تشبيها لها بحروف العلة. وضاعف وضعف بمعنى واحد.." (١)

١٧٩. "في إخفائها تعرض من يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالي في طلبها، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى، واسمه الأعظم، وساعة الجمعة، ورضاه في الطاعات، وغضبه في المعاصي، وولايته في خلقه ليحسن الظن بالجميع.

وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير، أو لما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ٥٠٤/١

لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة القدر هي خير من عمل ذل الغازي. وقيل: أن النبي صلى الله عليه وسلم أري أعمار الأمم كافة، فاستقصر أعمار أمته، فخاف ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم، فأعطاه الله ليلة القدر، جعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم. وقيل: كان ملك سليمان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فجعل الله هذه الليلة لمن قامها خيرا من ملكيهما.

ثم بين وجه فضلها، فقال: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ ، والروح إما جبريل عليه السلام، أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، أو الرحمة. والمراد بتنزلهم: نزولهم إلى الأرض يسلمون على الناس ويؤمنون على دعائهم، كما في الأثر. وقيل: إلى سماء الدنيا. وقوله: ﴿بإذن ربهم﴾ يتعلق بـ " تنزل "، أو بمحذوف هو حال من فاعله، أي: ملتبسين بأمر ربهم، أو: ينزلون بإذنه، ﴿من كل أمر﴾ أي: من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل، روي أن الله تعالى يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام كله، وقيل: يبرز ذلك من علم الغيب ليلة النصف من شعبان، ويعطى الملائكة ليلة القدر، فلما كان أهم نزولهم هذا الأمر جعل نزولهم لأجله، فلا ينافي كون نزولهم للتسليم على الناس والتأمين، كما قال تعالى: ﴿سلام هي﴾ أي: ما هي إلا سلام على المؤمنين، جعلها نفس السلام لكثرة ما يسلمون على الناس، فقد روي أنهم يسلمومن على كل قائم وقاعد وقارىء ومصل، أو: ما هي إلا سلامة، أي: لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير، وأما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء، وقال ابن عباس: قوله: (هي) إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة.

ثم ذكر غايتها، فقال: ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي: تنتهي إلى طلوع الفجر، أو: تسلم الملائكة إلى مطلع الفجر، أو: تنزل الملائكة فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر. و " مطلع " بالفتح: اسم زمان، وبالكسر مصدر، أو اسم زمان **على غير قياس**؛ لأن ما يضم مضارعه أو يفتح يتحد فيه الزمان والمكان والمصدر، يعني " مفعل " في الجميع.

الإشارة: أهل القلوب من العارفين، الأوقات كلها عندهم ليلة القدر، والأماكن عندهم كلها عرفات، والأيام كلها جمعات، لأن المقصود من تعظيم الزمان والمكان هو باعتبار ما يقع فيه من التقريب والكشف والعيان، والأوقات والأماكن عند العارفين كلها سواء في هذا المعنى، كما قال شاعرهم:." (١)

١٨٠. "بالبصيرة ذالحجة الملك الموكل وقال مقاتل والكلبي معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهو سمعه وبصره وجوارحه وحينئذ دخول الهاء في البصيرة لان المراد الإنسان جوارحه ويحتمل ان يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة يعنى جوارحه فحذف حرف

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ٣٣٢/٧

الجر كما فى قوله تعالى ان أردتم ان تسترضعوا أولادكم اى لاولادكم.

ولو ألقى

الإنسان معاذيره

ط قال الضحاك والسدى معناه ولو ارخى الستور واغلق الأبواب عند فعل المعصية ليخفى ما يعمل فلا ينفع فان نفسه عليه شاهد وكذا الموكل به والله على كل شيء شهيد واهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذيرة وقال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير معناه يشهد عليه الشاهد من الجوارح والملائكة ولو اعتذر وجادل عن نفسه كما قال لا ينفع الظالمين معذرتهم قال الفراء ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذبه ومعنى إلقاء القول كما قال الله تعالى والقوا إليهم القول انكم لكاذبون وعلى هذا معاذير جمع معذار بمعنى العذر وجمع معذرة **على غير قياس** كمناكير فى المنكر والظاهر انه اسم جمع وجمعها معاذر وكذا المناكير والله تعالى اعلم– اخرج الشيخان فى الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إذا نزل جبرئيل بالوحى يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف عنه يريد ان يحفظ ما انزل الله فانزل الله تعالى.

لا تحرك

يا محمد به

بالقران لسانك

قبل ان يتم وحيه لتعجل به

ط اى لتاخذه على عجلة فى الصحيحين عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يحرك شفتيه إذا نزل يخشى ان ينفلت–.

إن علينا جمعه

فى صدرك وقرآنه

ج اثبات قرأته على لسانك تعليل للنهى.

فإذا قرأناه

اى القران بلسان جبرئيل أضاف قراءة جبريل الى نفسه مجازا لانه بامره ورسالته فاتبع قرآنه

ج قراءته يعنى فاقرأ بعد قراءة جبريل حتى يرسخك فى ذهنك كذلك لا بد للتلميذ ان يقرأ بعد قراءة الشيخ ولا يقرأ معه كيلا يقع المزاحمة والتشويش فى القراءة والحفظ.

ثم إن علينا بيانه ط اى القران اى اظهار المراد منه إذا أشكل شيء من معانيه قلت الاية على ان بيان القران محكمه ومتشابهه من الله تعالى للنبى صلى الله تعالى عليه واله وسلم لا يجوز ان يكون شيء منها

غير مبين له عليه الصلاة والسلام والا يخلو الخطاب من الفائدة ويلزم الخلف فى الوعد كما ذكرنا هذه المسألة فى تفسير قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله وكلمة." (١)

١٨١. "ويحذركم الله نفسه بإظهار قهاريته يوم تجد- ولو كان الظرف متعلقا با ذكر جاز ان يكون هذه الجملة معطوفة على تجد اى اذكر يوم تجد ويوم يحذركم الله بإظهار قهاريته وهذه الجملة لبيان المعاملة مع الكفار وقوله تعالى والله رؤف بالعباد (٣٠) اى بعباده المؤمنين لبيان المعاملة مع المسلمين وجاز على التأويل الاول ان يكون هذه الجملة فى مقام التعليل للجملة الاولى يعنى انما يحذركم الله نفسه لانه رؤف بالعباد يريد إصلاحهم- اخرج ابن جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا قال قال أقوام على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يا محمد انا لنحب ربنا فانزل الله تعالى.

قل إن كنتم تحبون الله الاية- وروى ابن إسحاق وابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير انها نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقال البغوي نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال والله يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم وإسماعيل فقال قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الحب بضم الحاء وكسره وكذا الحباب بهما والمحبة مصادر من أحبه يحبه فهو محبوب **على غير قياس** ومحب قليل وحببته أحبه حبا من ضرب يضرب شاذ- وهو عبارة عن اشتغال قلب المحب بالمحبوب وأنسه به بحيث يمنعه عن الالتفات الى غيره ولا يكون له بد من دوام التوجه اليه والاشتغال به وهذا هو المعنى من قولهم العشق نار فى القلوب تحرق ما سوى المحبوب- يعنى يقطع عن قلبه التوجه الى غير المحبوب فيجعله نسيا منسيا كان لم يكن فى الوجود غير محبوبه حتى يسقط عن نظر بصيرته نفسه فلا يرى نفسه كما لا يرى غيره ومقتضى تلك الصفة ابتغاء مرضات المحبوب وكراهة ما يكرهه طبعا وبالذات بلا ملاحظة طمع فى ثوابه او خوف من عقابه وان اجتمع مع ذلك طمع وخوف ايضا- هذا تعريف المحبة من العبد واما محبة الله تعالى لعبده فالله سبحانه منزه عن القلب واشتغاله ولا يمنعه شأن عن شأن فهى فى حقه تعالى عبارة عن الانس الساذج المقتضى لجذب العبد الى جنابه وعدم إهماله وتركه الى غيره- ... ." (٢)

١٨٢. "فاحرقته- وقال سئل الحسن عن قوله تعالى ويرسل الصواعق الاية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوننى اليه مم هو من ذهب او فضة او حديد او نحاس- فاستعظم القوم مقالته

(١) التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله ١٣٩/١٠

(٢) التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٣٦/١

فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم- فقالوا يا رسول ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه- فرجعوا اليه فجعل يزيدهم على مثل مقالته الاولى وقال أجيب محمدا الى رب لا أراه ولا أعرفه- فانصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا الا على مقالته وأخبث فقال ارجعوا- فرجعوا اليه فبينماهم عنده ينازعونه وهو يقول هذه المقالة إذا ارتفعت سحابة فكانت فوق رءوسهم- فرعدت «١» وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس فجاءوا يسعون ليخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- وقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم فقالوا اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال (١٣) قال البغوي قال الحسن شديد الحقد وقال مجاهد شديد القوة- وقال ابو عبيدة شديد العقوبة- وقيل شديد المكر والمغالبة- قال فى القاموس المحال ككتاب الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والمكر والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة والقوة والشدة والهلاك والإهلاك وهذه المعاني أكثرها يصح هاهنا فهو فعال من المحل- وقيل هو مفعل من الحول او الحيلة او الحيلولة اعل **على غير قياس-** فعلى هذا ما قال ابن عباس معناه شديد الحول وقال على شديد الاخذ-.

له دعوة الحق اى الدعوة المجابة مختصة به تعالى دون غيره كما يدل عليه ما بعده- او المعنى له الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته ويسئل منه الحوائج دون غيره- او معناه له الدعاء بالإخلاص- والحق على هذه التأويلات ضد الباطل- والاضافة فى الظاهر اضافة والموصوف الى صفته- فيئول على طريقة مسجد الجامع- وجانب

---

(١) اخرج الترمذي وصحه واحمد والنسائي عن ابن عباس فقال أقبلت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا من الرعد ما هو قال ملك من ملائكة السحاب يسوقه حيث امره الله فقالوا فما هذا الصوت نسمع قال صوته واخرج ابن مردوية عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملكا مؤكل بالسحاب يلم العاصية ويلم الدامية فى يده محراق فاذا رفع برقت وإذا زحرر عدت وإذا ضرب صعقت منه رحمه الله." (١)

١٨٣. "الجزء الأول

التعريف بالمؤلف والكتاب

آ- التعريف بالمؤلف

---

(١) التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله ٥/٢٢٥

١- اسمه ونسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني «١» .

والشوكاني: نسبة إلى «عدني شوكان» أو إلى «هجرة شوكان» «٢» ، وهما اسمان لقرية واحدة بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وإليها نسب والده، وهي نسبة **على غير قياس** لأن النسب إلى المضاف يكون إلى صدره، ونسبة غير حقيقية «٣» كما صرح به أحد تلاميذه.

والصنعاني: نسبة إلى صنعاء، إذ فيها نشأ، وفيها توفي ودفن، رحمه الله تعالى.

٢- مولده ونشأته:

ولد بهجرة شوكان «٤» في وسط نهار الإثنين ٢٨ من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣ هـ. ولا التفات إلى غير هذا التاريخ الذي وصلنا موثقا بخطه وخط ولده.

ونشأ في حجر والده بصنعاء، وكان أبوه قاضيا وعالما، ومعروفا بالطيبة والصلاح، فتربى الابن على العفاف والطهارة، والتفرغ لطلب العلم، مكفيا في بيت أبيه من جميع أسباب الحياة ووسائل الرزق.

---

(١) . الإمام الشوكاني من أعلام المسلمين الكبار، وكتابه «فتح القدير» أشهر من أن يعرف، ولكننا أردنا أن نضع بين يدي القارئ حقائق تاريخية ودقائق علمية تزيده معرفة وتبصرة، وتملؤه حماسة ونشاطا.

(٢) . قال عنها في البدر الطالع (١/ ٤٨١) : «وهذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الأزمان..» .

(٣) . يقول العلامة حسين بن محسن السبعي الأنصاري، وهو تلميذ الإمام الشوكاني ونسبة صاحب الترجمة إلى شوكان ليست حقيقية، لأن وطنه ووطن سلفه وقرابته، بمكان عدني شوكان، بينه وبينها جبل كبير مستطيل، يقال له «هجرة شوكان» فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شوكان. والله أعلم.

(٤) . كانت ولادته أثناء رحلة قام بها الأبوان إلى موطنهما الأصلي، وكانا قد استوطنا صنعاء من قبل.." (١)

١٨٤. "من نلته بالعطية. قال غيره: نلت أنول من العطية، ونلته أناله: أدركته، والضمير في (به) يعود إلى كل واحد من الأمور المذكورة، والعمل الصالح: الحسنة المقبولة، أي: إلا كتبه الله لهم حسنة مقبولة يجازيهم بها، وجملة إن الله لا يضيع أجر المحسنين في حكم التعليل لما سبق مع كونه يشمل كل محسن، ويصدق على المذكورين هنا صدقا أوليا. قوله: ولا ينفقون نفقة معطوف على ما قبله، أي: ولا يقع

---

(١) فتح القدير للشوكاني، الشوكاني ١/٥

منهم الإنفاق في الحرب، وإن كان شيئا صغيرا يسيرا ولا يقطعون واديا وهو في الأصل كل منفرج بين جبال، وآكام يكون منفذا للسيل، والعرب تقول: واد وأودية **على غير قياس**. قال النحاس: ولا يعرف فيما علمت فاعل وأفعلة إلا كتب لهم أي: كتب لهم ذلك الذي عملوه من النفقة والسفر في الجهاد ليجزيهم الله به أحسن ما كانوا يعملون أي: أحسن جزاء ما كانوا يعملون من الأعمال، ويجوز أن يكون في قوله: إلا كتب لهم ضمير يرجع إلى عمل صالح. وقد ذهب جماعة إلى أن هذه الآية منسوخة بالآية المذكورة بعدها، وهي قوله: وما كان المؤمنون لينفروا كافة فإنها تدل على جواز التخلف من البعض مع القيام بالجهاد من البعض، وسيأتي.

وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق عمر بن مالك عن بعض الصحابة قال: لما نزلت: ما كان لأهل المدينة الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي بعثني بالحق لولا ضعفاء الناس ما كانت سرية إلا كنت فيها» . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: ما كان لأهل المدينة قال هذا حين كان الإسلام قليلا لم يكن لأحد أن يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كثر الإسلام، وفشا قال الله: وما كان المؤمنون لينفروا كافة. وأخرج ابن أبي حاتم عن الأوزاعي وعبد الله بن المبارك وإبراهيم بن محمد الفزاري وعيسى بن يونس السبيعي أنهم قالوا في قوله تعالى: ولا ينالون من عدو نيلا قالوا: هذه الآية للمسلمين إلى أن تقوم الساعة.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٢ الى ١٢٣]

وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢) يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين (١٢٣)

اختلف المفسرون في معنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة فذهب جماعة إلى أنه من بقية أحكام الجهاد، لأنه سبحانه لما بالغ في الأمر بالجهاد، والانتداب إلى الغزو كان المسلمون إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من الكفار ينفرون جميعا، ويتركون المدينة خالية، فأخبرهم الله سبحانه بأنه ما كان لهم ذلك أي:

ما صح لهم، ولا استقام أن ينفروا جميعا، بل ينفر من كل فرقة منهم طائفة من تلك الفرقة، ويبقى من عدا هذه الطائفة النافرة. قالوا: ويكون الضمير في قوله: ليتفقهوا عائدا إلى الفرقة الباقية. والمعنى: أن الطائفة من هذه الفرقة تخرج إلى الغزو، ومن بقي من الفرقة يقفون لطلب العلم، ويعلمون الغزاة إذا

رجعوا إليهم من الغزو، أو يذهبون في طلبه إلى المكان الذي يجدون فيه من يتعلمون منه ليأخذوا عنه الفقه في الدين،." (١)

١٨٥. "موافقة القراءات لرسم المصحف العثماني تحقيقا أو تقديرا

قال ابن الجزري، في النشر: موافقة الرسم قد تكون تحقيقا وهي الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديرا، وهي الموافقة احتمالا. فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعا نحو السماوات، والربوا ونحو لننظر كيف تعملون [يونس: ١٤] ، وجيء [الزمر: ٦٩] ، حيث كتب بنون واحدة، وبألف بعد الجيم في بعض المصاحف.

وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقا، وتوافق بعضها تقديرا نحو ملك يوم الدين [الفاتحة: ٤] ، فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف. فقراءة الحذف تحتمله تحقيقا كما كتب ملك الناس [الناس: ٢] ، وقراءة الألف تحتمله تقديرا كما كتب مالك الملك [آل عمران: ٢٦] ، فتكون الألف حذفت اختصارا. وكذلك النشأة [العنكبوت: ٢٠] ، حيث كتبت بالألف وافقت قراءة المد تحقيقا ووافقت قراءة القصر تقديرا، إذ يحتمل أن تكون الألف صورة الهمزة **على غير قياس**. وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقا نحو يغفر لكم [آل عمران: ٣١] ، وتعملون، وهيت لك [يوسف: ٢٣] . مما يدل تجرده عن النقط والشكل وحذفه وإثباته- على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة، وفهم ثاقب في تحقيق كل علم.

وقال أيضا بعد أوراق: ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن بينهم فيها إلا الخلاف اليسير المحفوظ بين القراء، ثم إنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين- شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين. فإن الصحابة، رضوان الله عليهم، تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن، لفظه ومعناه جميعا، ولم يكونوا ليسقطوا شيئا من القرآن الثابت عنه صلى الله عليه وسلم، ولا يمنعوا من القراءة به.

ما لا يعد مخالفا لصريح الرسم من القراءات الثابتة

---

(١) فتح القدير للشوكاني، الشوكاني ٤٧٣/٢

قال في النشر بعد ما تقدم: على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا إذا ثبتت القراءة به ووردت." (١)

١٨٦. "بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاتحة الكتاب

فاتحة الشيء: أوله وابتداؤه. ولما افتتح التنزيل الكريم بها، إما بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، أو باجتهاد من الصحابة- كما حكى القولين القاضي الباقلاني في ترتيب التنزيل- سميت بذلك قال السيد الجرجاني: فاتحة الكتاب صارت علما بالغلبة لسورة الحمد، وقد يطلق عليها «الفاتحة» وحدها، فإما أن يكون علما آخر بالغلبة أيضا، لكون اللام لازمة، وإما أن يكون اختصارا، واللام كالعوض عن الإضافة إلى الكتاب، مع لمح الوصفية الأصلية.

وقال ابن جرير: سميت «فاتحة الكتاب» : لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف، ويقرأ بها في الصلوات. فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة.

وتسمى «أم القرآن» : لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة تقدم الأم والأصل، أو لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله بما هو أهله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم، والاطلاع على معارج السعداء، ومنازل الأشقياء.

والعرب تسمي كل أمر جامع أمورا، وكل مقدم له توابع تتبعه «أما» - فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ «أم الرأس» وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها «أما» وتسمى «السبع المثاني» - جمع مثنى كمفعل اسم مكان، أو مثنى بالتشديد من التثنية **على غير قياس-** لأنها سبع آيات تثنى في الصلاة أي تكرر فيها.." (٢)

١٨٧. "ثم أكد ما تقدم بقوله:

(تنزيل من رب العالمين) أي بل هو تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على رسوله صلى الله عليه وسلم.

[سورة الحاقة (٦٩) : الآيات ٤٤ الى ٥٢]

ولو تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦) فما منكم

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل، القاسمي ١/١٨٧

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل، القاسمي ١/٢٢٣

من أحد عنه حاجزين (٤٧) وإنه لتذكرة للمتقين (٤٨)
وإنا لنعلم أن منكم مكذبين (٤٩) وإنه لحسرة على الكافرين (٥٠) وإنه لحق اليقين (٥١) فسبح باسم ربك العظيم (٥٢)

شرح المفردات
التقول: الافتراء، وسمى بذلك لأنه قول متكلف، والأقاويل: الأقوال المفتراة، واحدها قول **على غير قياس**، لأخذنا منه: أي لأمسكناه، باليمين: أي بيمينه، والوتين: عرق يخرج من القلب ويتصل بالرأس، حاجزين: أي ما نعين، حق اليقين: أي عين اليقين.

المعنى الجملي
بعد أن أثبت أن القرآن تنزيل من رب العالمين، وليس بشعر ولا كهانة- أكد هذا بأن محمدا لا يستطيع أن يفتعله، إذ لو فعل ذلك لأبطلنا حجته، وأمتنا دعوته، أو سلبناه قوة البيان فلا يتكلم بهذا الكذب، أو قتلناه فلم يستطع نشر الأكاذيب، وقد جرت سنتنا بأن كل متكلف للقول لا يقبل قوله، ولا يصغى." (١)

١٨٨. "أي لا منار له أصلا حتى يهتدي به، وقوله:
لا تفزع الأرنب أهوالها ... ولا ترى الضب بها ينجحر
يعني: لا أرانب فيها ولا ضباب.
وعلى هذا فقوله: بغير عمد ترونها، أي: لا عمد لها حتى تروها، والعمد: جمع عمود **على غير قياس**، ومنه قول نابغة ذبيان:
وخيس الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد
والصفاح بالضم والتشديد: الحجر العريض.

قوله تعالى: ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات الآية.
المراد بالسيئة هنا: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة أي: قبل العافية، وقبل الإيمان، وقد بين تعالى في هذه الآية أن الكفار يطلبون منه صلى الله عليه وسلم أن يعجل لهم العذاب الذي يخوفهم به إن تمادوا على الكفر، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده [٢٢ \ ٤٧] ، وكقوله: ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم

(١) تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى ٦٢/٢٩

لا يشعرون [٢٩ \ ٥٣] ، وكقوله: يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين [٢٩ \ ٥٤] ، وقوله: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين [٧٠ \ ١، ٢] ، وقوله: وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية [٨ \ ٣٢] .

وقوله: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق [٤٢ \ ١٨] ، وقوله: وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب [٣٨ \ ١٦] ، إلى غير ذلك من الآيات.

وسبب طلبهم لتعجيل العذاب هو العناد، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يخوفهم به من بأس الله وعقابه، كما قال تعالى: ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه [١١ \ ٨] ، وكقوله: فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين [٧ \ ٧٧] ، وقوله: قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين [١١ \ ٣٢] ، كما تقدمت الإشارة إلى هذا.

والمثلات: العقوبات، واحدتها مثلة.." [(١)]

١٨٩. "وقوله تعالى: وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا، بين في هذه الآية الكريمة: أن القرى الماضية لما ظلمت بتكذيب الرسل والعناد واللجاج في الكفر والمعاصي أهلكهم الله بذنوبهم.

وهذا الإجمال في تعيين هذه القرى وأسباب هلاكها، وأنواع الهلاك التي وقعت بها جاء مفصلا في آيات أخر كثيرة، كما جاء في القرآن من قصة قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم موسى، كما تقدم بعض تفاصيله، والقرى: جمع قرية **على غير قياس** ؛ لأن جمع التكسير على «فعل» بضم ففتح لا ينقاس إلا في جمع «فعلة» بالضم اسما كغرفة وقربة، أو «فعلى» إذا كانت أنثى الأفعل خاصة، كالكبرى والكبر، كما أشار لذلك في الخلاصة بقوله:

وفعل جمعا لفعلة عرف ونحو كبرى. . . إلخ أي: وأما في غير ذلك فسماع يحفظ ولا يقاس عليه، وزاد في التسهيل نوعا ثالثا ينقاس فيه «فعل» بضم ففتح، وهو الفعلة بضمتين إن كان اسما كجمعة وجمع، واسم الإشارة في قوله: وتلك القرى [١٨ \ ٥٩] ، إنما أشير به لهم لأنهم يمرون عليها في أسفارهم، كقوله: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون [٣٧ \ ١٣٧ - ١٣٨] ، وقوله: وإنها لبسبيل مقيم [١٥ \ ٧٦] ، وقوله: وإنهما لبإمام مبين [١٥ \ ٧٩] ، ونحو ذلك من الآيات.

وقوله «وتلك» مبتدأ و «القرى» صفة له، أو عطف بيان، وقوله: «أهلكناهم» هو الخبر، ويجوز أن يكون الخبر هو «القرى» وجملة «أهلكناهم» في محل حال، كقوله: فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا [٢٧ \ ٥٢] ، ويجوز أن يكون قوله: «وتلك» في محل نصب بفعل محذوف يفسره العامل المشتغل بالضمير،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٢٢٢

على حد قوله في الخلاصة:

إن مضمر اسم سابق فعلا شغل ... عنه بنصب لفظه أو المحل

فالسابق انصبه بفعل أضمرا ... حتما موافق لما قد أظهرا

وقوله في هذه الآية الكريمة: لمهلكهم موعدا [١٨ \ ٥٩] ، قرأه عامة السبعة ما عدا عاصما بضم الميم وفتح اللام على صيغة اسم المفعول، وهو محتمل على هذه القراءة أن يكون مصدرا ميميا، أي: جعلنا لإهلاكهم موعدا، وأن يكون اسم زمان، أي:." (١)

١٩٠. "وذكرنا طرفا من ذلك، في أول سورة سبأ، في الكلام على قوله تعالى: عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض الآية [٣٤ \ ٣] .

قوله تعالى: وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين. الإنذار، والإعلام المقترن بتهديد خاصة، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذارا.

وقد أوضحنا معنى الإنذار وأنواعه في أول سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به الآية [٧ \ ٢] .

والظاهر أن قوله هنا: يوم الآزفة هو المفعول الثاني للإنذار لا ظرف له ؛ لأن الإنذار والتخويف من يوم القيامة واقع في دار الدنيا. والآزفة القيامة. أي: أنذرهم يوم القيامة، بمعنى خوفهم إياه وهددهم بما فيه من الأهوال العظام ليستعدوا لذلك في الدنيا بالإيمان والطاعة.

وإنما عبر عن القيامة بـ الآزفة لأجل أزوفها أي: قربها، والعرب تقول: أزف الترحل بكسر الزاي، يأزف بفتحها، أزفا بفتحتين، على القياس، وأزوفا فهو آزف، **على غير قياس**، في المصدر الأخير، والوصف بمعنى قرب وقته وحان وقوعه، ومنه قول نابغة ذبيان:

أزف الترحل غير أن ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

ويروى أفد الترحل، ومعناهما واحد.

والمعنى: وأنذرهم يوم الآزفة أي: يوم القيامة القريب مجيؤها ووقوعها.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من اقتراب قيام الساعة، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة [٥٣ \ ٥٧ - ٥٨] ، وقوله تعالى: اقتربت الساعة الآية [٥٤ \ ١] . وقوله تعالى: اقترب للناس حسابهم الآية [٢١ \ ١] . وقوله تعالى في الأحزاب: وما يدريك لعل

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٣١٨/٣

الساعة تكون قريبا [٣٣ \ ٦٣] وقوله تعالى في الشورى: وما يدريك لعل الساعة قريب [٤٢ \ ١٧] .." (١)

١٩١. "ومثاله في الإشارة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك [٢ \ ٦٨] أي بين ذلك المذكور من فارض وبكر، وقول عبد الله بن الزبعرى السهمي:

إن للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل

أي كلا ذلك المذكور من الخير والشر.

وقول من قال، إن الضمير في قوله: (فيه) راجع إلى الرحم، وقول من قال: راجع إلى البطن، ومن قال: راجع إلى الجعل المفهوم من (جعل) وقول من قال: راجع إلى التدبير، ونحو ذلك من الأقوال خلاف الصواب.

والتحقيق - إن شاء الله - هو ما ذكرنا، والعلم عند الله - تعالى -.

قوله - تعالى -: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقد قدمنا الكلام عليه في سورة «الأعراف» في الكلام على قوله - تعالى -: ثم استوى على العرش [٧ \ ٥٤] .

قوله - تعالى -: له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

مقاليد السموات والأرض هي مفاتيحهما، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردها إقليد، وجمعها مقاليد على غير قياس، والإقليد المفتاح. وقيل: واحدها مقليد، وهو قول غير معروف في اللغة.

وكونه - جل وعلا - له مقاليد السماوات والأرض أي مفاتيحهما، كناية عن كونه - جل وعلا - هو وحده المالك لخزائن السماوات والأرض ؛ لأن ملك مفاتيحها يستلزم ملكها.

وقد ذكر - جل وعلا - مثل هذا في سورة «الزمر» في قوله - تعالى -: الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والأرض الآية [٣٩ \ ٦٢ - ٦٣] .

وما دلت عليه آية «الشورى» هذه وآية «الزمر» المذكورتان من أنه - جل وعلا - هو مالك خزائن السماوات والأرض، جاء موضحا في آيات أخر، كقوله - تعالى -: ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون [٦٣ \ ٧] . وقوله - تعالى -: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم [١٥ \ ٢١] .." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٣٨٠

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٧/٥٩

١٩٢.	"[٤٧ \ ١٧] . وقوله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [٦ \ ٩٠] . إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا في سورة «فصلت» أن معرفة إطلاق الهدى المذكورين، يزول بها الإشكال الواقع في آيات من كتاب الله.

والهدى مصدر هداه على غير قياس، وهو هنا من جنس النعت بالمصدر، وبينا فيما مضى مرارا أن تنزيل المصدر منزلة الوصف إما على حذف مضاف، وإما على المبالغة.

وعلى الأول فالمعنى: هذا القرآن ذو هدى، أي يحصل بسببه الهدى لمن اتبعه، كقوله: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم [١٧ \ ٩] .

وعلى الثاني فالمعنى أن المراد المبالغة في اتصاف القرآن بالهدى حتى أطلق عليه أنه هو نفس الهدى.

وقوله في هذه الآية الكريمة: «لهم عذاب من رجز أليم» أصح القولين فيه أن المراد بالرجز العذاب، ولا تكرار في الآية ؛ لأن العذاب أنواع متفاوتة، والمعنى: لهم عذاب من جنس العذاب الأليم، والأليم معناه المؤلم. أي: الموصوف بشدة الألم وفظاعته.

والتحقيق إن شاء الله: أن العرب تطلق الفعيل وصفا بمعنى المفعل، فما يذكر عن الأصمعي من أنه أنكر ذلك إن صح عنه فهو غلط منه ؛ لأن إطلاق الفعيل بمعنى المفعل معروف في القرآن العظيم وفي كلام العرب، ومن إطلاقه في القرآن العظيم قوله تعالى عذاب أليم [٢ \ ١٠٤] أي مؤلم، وقوله – تعالى – : بديع السماوات والأرض [٢ \ ١١٧] أي مبدعهما، وقوله – تعالى –: إن هو إلا نذير لكم الآية [٣٤ \ ٤٦] أي منذر لكم، ونظير ذلك من كلام العرب قول عمرو بن معد يكرب:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

فقوله: الداعي السميع، يعني الداعي المسمع. وقوله أيضا:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

أي موجع. وقول غيلان بن عقبة:." (١)

١٩٣.	"للإيجاز لأن جواب الشرط في المعنى هو ما جيء بالشرط لأجله وهو مفاد قوله: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا [البقرة: ٢٣] ، فتقدير جواب قوله فإن لم تفعلوا أنه: فأيقنوا بأن ما جاء به محمد منزل من عندنا وأنه صادق فيما أمركم به من وجوب عبادة الله وحده واحذروا إن لم تمتثلوا أمره عذاب النار، فوقع قوله: فاتقوا النار موقع الجواب لدلالته عليه وإيذانه به وهو إيجاز بديع وذلك أن اتقاء النار لم يكن مما يؤمنون به من قبل لتكذيبهم بالبعث فإذا تبين صدق الرسول لزمهم الإيمان بالبعث والجزاء.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ١٩٦/٧

وإنما عبر بلم تفعلوا ولن تفعلوا دون فإن لم تأتوا بذلك ولن تأتوا كما في قوله تعالى: ائتوني بأخ لكم من أبيكم إلى قوله: فإن لم تأتوني به [يوسف: ٥٩، ٦٠] إلخ لأن في لفظ تفعلوا هنا من الإيجاز ما ليس مثله في الآية الأخرى إذ الإتيان المتحدى به في هذه الآية إتيان مكيف بكيفية خاصة وهي كون المأتي به مثل هذا القرآن ومشهودا عليه ومستعانا عليه بشهدائهم فكان في لفظ تفعلوا من الإحاطة بتلك الصفات والقيود إيجاز لا يقتضيه الإتيان الذي في سورة يوسف.

والوقود بفتح الواو اسم لما يوقد به، وبالضم مصدر وقيل بالعكس، وقال ابن عطية حكي الضم والفتح في كل من الحطب والمصدر. وقياس فعول بفتح الفاء أنه اسم لما

يفعل به كالوضوء والحنوط والسعوط والوجور إلا سبعة ألفاظ وردت بالفتح للمصدر وهي الولوع والقبول والوضوء والطهور والوزوع واللغوب والوقود. والفتح هنا هو المتعين لأن المراد الاسم وقرىء بالضم في الشاذ وذلك على اعتبار الضم مصدرا أو على حذف مضاف أي ذوو وقودها الناس.

والناس أريد به صنف منهم وهم الكافرون فتعريفه تعريف الاستغراق العرفي ويجوز أن يكون تعريف العهد لأن كونهم المشركين قد علم من آيات أخرى كثيرة.

والحجارة جمع حجر على غير قياس وهو وزن نادر في كلامهم جمعوا حجرا عن أحجار وألحقوا به هاء التأنيث قال سيبويه كما ألحقوها بالبعولة والفحولة. وعن أبي الهيثم أن العرب تدخل الهاء في كل جمع على فعال أو فعول لأنه إذا وقف عليه اجتمع فيه عند الوقف ساكنان أحدهما الألف الساكنة والثاني الحرف الموقوف عليه أي استحسنوا أن يكون خفيفا إذا وقفوا عليه، وليس هو من اجتماع الساكنين الممنوع، ومن ذلك عظامة ونفارة وفحالة وحبالة وذكارة وفحولة وحمولة (جموعا) وبكارة جمع بكر (بفتح الباء) ومهارة جمع مهر.." (١)

١٩٤. "فعلة بالتحريك أيية أو أوية على الخلاف في أنها واوية أو يائية مشتقة من أي الاستفهامية أو من أوي (رحمه الله١) فلما تحرك حرفا العلة فيها قلب أحدهما وقلب الأول تخفيفا على غير قياس لأن قياس اجتماع حرفي علة صالحين للإعلال أن يعل ثانيهما إلا ما قل من نحو آية وقاية وطاية وثاية وراية (رحمه الله٢) .

فالمراد بآياتنا هنا آيات القرآن أي وكذبوا بالقرآن أي بأنه وحي من عند الله. والباء في قوله: وكذبوا بآياتنا باء يكثر دخولها على متعلق مادة التكذيب مع أن التكذيب متعد بنفسه ولم أقف في كلام أئمة اللغة على خصائص لحاقها بهذه المادة والصيغة فيحتمل أنها لتأكيد اللصوق للمبالغة في التكذيب فتكون كالباء في قوله تعالى: وامسحوا برؤسكم [المائدة: ٦] وقول النابغة:

لك الخير أن وارت بك الأرض واحدا ويحتمل أن أصلها للسببية وأن الأصل أن يقال كذب فلانا بخبره

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٤٤/١

ثم كثر ذلك فصار كذب به وكذب بمعنى واحد والأكثر أن يقال كذب فلانا، وكذب بالخبر الفلاني، فقوله:

بآياتنا يتنازعه فعلا كفروا وكذبوا. وقوله: هم فيها خالدون بيان لمضمون قوله:

أصحاب النار فإن الصاحب هنا بمعنى الملازم ولذلك فصلت جملة فيها خالدون لتنزلها من الأولى منزلة البيان فبينهما كمال الاتصال.

[٤٠]

ﷺ____________

(ﷺ١) وزن آية يقتضي أن يكون ألفها منقلبة عن أصل أو أن يكون هنا لك أصل محذوف وألفها زائدة لأن حالتها الظاهرة لا تساعد على وزن صرفي، ثم قيل إن أصلها مشتقة من أي الاستفهامية كما اشتق الكم من كم الخبرية واللو من كلمة لو التي للتمني، وقيل مشتقة من أوى. والحق أن المشتق منه آية غير معروف الأصل وإنما ذكروا هذه الاحتمالات على وجه التردد ثم قال سيبويه: وزنها فعلة أيية، أو أويه. وقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين أييه أو أوية وكان القياس حينئذ إدغام الياء في الياء أو قلب الواو ياء وإدغامها، لكنهم لما رأوا الحذف أخف عدلوا عن الإدغام لأن إدغام حرفي علة لا يخلو من ثقل ولئلا يشتبه بأية مؤنث أي نحو بأية سنة. وقال الكسائي أصله آيية بوزن فاعلة فقلبت الياء الأولى همزة لوقوعها إثر ألف فاعل ثم حذفت الهمزة. وفيها مذاهب أخر.

(ﷺ٢) الطاية: السطح الذي يقام عليه. والطاية من الإبل: القطيع جمعه طايات وهو واوي. والثانية حجارة ترفع يجعلها الرعاة علامة على مواقعهم في الليل إذا رجعوا.." [1]

١٩٥. "يلعنهم الله [البقرة: ١٥٩] ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك [البقرة: ١٤٥] الآية.

فإذا جاء الخطاب بأسلوب شامل لعلمائهم وعامتهم صرف إلى كل طائفة من الطائفتين ما هو لائق بها.

وبنون مما ألحق بجمع المذكر السالم وليس منه لأنه دخل التكسير بحذف لامه وزيادة همزة الوصل في أوله فحقه أن يجمع على أبناء.

وقد اختلف في أصل ابن فقيل هو مشتق من بنى أي فهو مصدر بمعنى المفعول كالخلق فأصله بني أي مبني لأن أباه بناه وكونه فحذفت لامه للتخفيف وعوض عنها همزة الوصل ففيه مناسبة في معنى الاشتقاق إلا أن الحذف حينئذ على غير قياس لأن الياء لا موجب لحذفها إلا أن يتكلف له بأن الياء تحركت مع سكون ما قبلها فنقلت حركتها للساكن إجراء له مجرى عين الكلمة ثم لما انقلب ألفا على

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٤٦/١

تلك القاعدة خيف التباسه بفعل بنى فحذفت اللام وعوض عنها همزة الوصل. وقيل أصله واو على وزن بنو أو بنو بسكون النون أو بالتحريك فحذفت الواو كما حذفت من نظائره نحو أخ وأب وفي هذا الوجه بعد عن الاشتقاق وبعد عن نظائره لأن نظائره لما حذفت لاماتها لم تعوض عنها همزة الوصل.

وإسرائيل لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام قال ابن عباس معناه عبد الله، لأن إسرا بمعنى عبد وإيل اسم الله أي مركب من كلمتين- إسرا- وإيل- اسم الله تعالى كما يقولون بيت إيل (اسم لقرية تسمى لوز من أرض كنعان نزلها يعقوب عليه السلام في مهاجره فرارا من أخيه عيسو وبنى فيها مذبحا ودعا اسمه بيت إيل) .

والذي في كتب اليهود أن سبب تسمية يعقوب إسرائيل أنه لما كان خائفا في مهاجره من أن يلحقه أخوه عيسو لينتقم منه (رحمه الله١) عرض له في إحدى الليالي شخص فعلم يعقوب أنه ربه

(أي ملك من ملائكة الله) فأمسكه وصارعه يعقوب كامل الليل إلى طلوع الفجر فقال له أطلقني فقد طلع الفجر فقال له يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني فقال له: ما اسمك؟

قال: يعقوب قال له: لا يدعى اسمك يعقوب بعد اليوم بل أنت

رحمه الله____________

(رحمه الله١) إن تاريخ اليهود يقول إن إسحاق لما كبر وضعف بصره أراد أن يبارك ابنه عيسو ليكون خليفته في النبوة بعد موته فأمره أن يصيد له صيدا ويجعل له طعاما ليأكل ويباركه فأشعرت أمهما رفقة ابنها يعقوب بذلك وكانت تحبه فتحيل وأوهم أباه أنه هو عيسو وذبح له جديين أو همه أنهما صيده فباركه، فلما رجع عيسو وعلم حيلة أخيه وكانت البركة تمت ليعقوب عزم عيسو على قتل أخيه يعقوب. (تكوين إصحاح ٢٧) .." (١)

١٩٦. "ذلك مع قوله:

فكلوا منها حيث شئتم رغدا يشير إلى الثمار الكثيرة هناك. وقوله: فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم يتعين أنه إشارة إلى ما أشاعه الجواسيس العشرة من مذمة الأرض وصعوبتها وأنهم لم يقولوا مثل ما قال موسى حيث استنصت الشعب بلسان كالب بن بفنة ويوشع ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الأعراف [١٦٢] فبدل الذين ظلموا منهم قولا أي من الذين قيل لهم ادخلوا القرية وأن الرجز الذي أصاب الذين ظلموا هو الوباء الذي أصاب العشرة الجواسيس، وينتظم ذلك أيضا مع قوله في آية المائدة [٢١، ٢٢] ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين إلخ وقوله: قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب [المائدة: ٢٣] فإن الباب يناسب القرية. وقوله: قال فإنها محرمة عليهم [المائدة:

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١/٤٥٠

٢٦] . فهذا هو التفسير الصحيح المنطبق على التاريخ الصريح.

فقوله: وإذ قلنا أي على لسان موسى فبلغه للقوم بواسطة استنصات كالب بن بفنة، وهذا هو الذي يوافق ما في سورة العقود في قوله تعالى: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم الآيات. وعلى هذا الوجه فقوله: ادخلوا إما أمر بدخول قرية قريبة منهم وهي «حبرون» لتكون مركزا أولا لهم، والأمر بالدخول أمر بما يتوقف الدخول عليه أعني القتال كما دلت عليه آية المائدة إذ قال: ادخلوا الأرض المقدسة إلى قوله ولا ترتدوا على أدباركم فإن الارتداد على الأدبار من الألفاظ المتعارفة في الحروب كما قال تعالى: فلا تولوهم الأدبار [الأنفال: ١٥] . ولعل في الإشارة بكلمة هذه المفيدة للقرب ما يرجح أن القرية هي حبرون التي طلع إليها جواسيسهم.

والقرية- بفتح القاف لا غير على الأصح- البلدة المشتملة على المساكن المبنية من

حجارة وهي مشتقة من القري- بفتح فسكون وبالياء- وهو الجمع يقال: قرى الشيء يقريه إذا جمعه وهي تطلق على البلدة الصغيرة وعلى المدينة الكبيرة ذات الأسوار والأبواب كما أريد بها هنا بدليل قوله: وادخلوا الباب سجدا. وجمع القرية قرى بضم القاف **على غير قياس** لأن قياس فعل أن يكون جمعا لفعلة بكسر الفاء مثل كسوة وكسى وقياس جمع قرية أن يكون على قراء بكسر القاف وبالمد كما قالوا: ركوة وركاء وشكوة وشكاء.

وقوله: وادخلوا الباب سجدا مراد به باب القرية لأن ال متعينة للعوضية عن." (١)

١٩٧. "ومن العلماء من يقول إنهم يقولون بعدم الحاجة إلى بعثة الرسل وأنهم يعللون ذلك بأن مدعي الرسالة من البشر فلا يمكن لهم أن يكونوا واسطة بين الناس والخالق. ومن العلماء من ينقل عنهم أنهم يدعون أنهم على دين نوح. وهم يقولون إن المعلمين الأولين لدين الصابئة هما أغاثاديمون وهرمس وهما شيث بن آدم وإدريس، وهم يأخذون من كلام الحكماء ما فيه عون على الكمال فلذلك يكثر في كلامهم المماثلة لأقوال حكماء اليونان وخاصة سولون وأفلاطون وأرسطاطاليس، ولا يبعد عندي أن يكون أولئك الحكماء اقتبسوا بعض الآراء من قدماء الصابئة في العراق فإن ثمة تشابها بينهم في عبادة الكواكب وجعلها آلهة وفي إثبات إلاه الآلهة.

وقد بنوا هياكل للكواكب لتكون مهابط لأرواح الكواكب وحرصوا على تطهيرها وتطييبها لكي تألفها الروحانيات وقد يجعلون للكواكب تماثيل من الصور يتوخون فيها محاكاة صور الروحانيات بحسب ظنهم.

ومن دينهم صلوات ثلاث في كل يوم، وقبلتهم نحو مهب ريح الشمال ويتطهرون قبل الصلاة وقراءاتهم ودعواتهم تسمى الزمزمة بزايين كما ورد في ترجمة أبي إسحاق الصابىء. ولهم صيام ثلاثين يوما في السنة، موزعة على ثلاثة مواقيت من العام. ويجب غسل الجنابة وغسل المرأة الحائض. وتحرم العزوبة، ويجوز

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١/٥١٤

للرجل تزوج ما شاء من النساء ولا يتزوج إلا امرأة صابئة على دينه فإذا تزوج غير صابئة أو تزوجت الصابئة غير صابىء خرجا من الدين ولا تقبل منهما توبة. ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويدفنونهم في الأرض. ولهم رئيس للدين يسمونه الكمر- بكاف وميم وراء-.

وقد اشتهر هذا الدين في حران من بلاد الجزيرة، ولذلك تعرف الصابئة في كتب العقائد الإسلامية بالحرنانية (بنونين نسبة إلى حران **على غير قياس** كما في «القاموس») .

قال ابن حزم في كتاب «الفصل» : كان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث فبعث الله إبراهيم عليه السلام بالحنيفية اهـ.." [١]

١٩٨. "الكلام المعطوف هو عليه خبرا وطلبا، فإذا كان كما هنا على طريق العرض علم إمضاء المتكلم له إياه، بإقراره كما في الآية أو التصريح به كما وقع في الحديث «إلا الإذخر» ، ثم هو في الإنشاء إذا عطف معمول الإنشاء يتضمن أن المعطوف له حكم المعطوف عليه، ولما كان المتكلم بالعطف في الإنشاء هو المخاطب بالإنشاء لزم تأويل عطف التلقين فيه بأنه على إرادة العطف على معمول لازم الإنشاء ففي الأمر إذا عطف المأمور مفعولا على مفعول الآمر كان المعنى زدني من الأمر فأنا بصدد الامتثال وكذا في المنهي. والمعطوف محذوف دل عليه المقام أي وبعض من ذريتي أو وجاعل بعض من ذريتي.

والذرية نسل الرجل وما توالد منه ومن أبنائه وبناته، وهي مشتقة إما من الذر اسما وهو صغار النمل، وإما من الذر مصدرا بمعنى التفريق، وإما من الذرى والذرو (بالياء والواو) وهو مصدر ذرت الريح إذا سفت، وإما من الذرء بالهمز وهو الخلق، فوزنها إما فعلية بوزن النسب إلى ذر وضم الذال في النسب **على غير قياس** كما قالوا في النسب إلى دهر دهري بضم الدال، وإما فعيلة أو فعولة من الذرى أو الذرو أو الذرء بإدغام اليائين أو الياء مع الواو أو الياء مع الهمزة بعد قلبها ياء وكل هذا تصريف لاشتقاق الواضع فليس قياس التصريف.

وإنما قال إبراهيم: ومن ذريتي ولم يقل وذريتي لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم فلم يسأل ما هو مستحيل عادة لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.

وإنما سأل لذريته ولم يقصر السؤال على عقبه كما هو المتعارف في عصبية القائل

لأبناء دينه على الفطرة التي لا تقتضي تفاوتا فيرى أبناء الابن وأبناء البنت في القرب من الجد بل هما سواء في حكم القرابة، وأما مبنى القبلية فعلى اعتبارات عرفية ترجع إلى النصرة والاعتزاز فأما قول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١/٥٣٥

فوهم جاهلي، وإلا فإن بني الأبناء أيضا بنوهم أبناء النساء الأباعد، وهل يتكون نسل إلا من أب وأم. وكذا قول:." (١)

١٩٩. "و (معه) في موضع الحال من الذين لتدل على أنهم أتباع له في كل حال وفي كل أمر، فإيمانهم معه لأنهم آمنوا به عند دعوته إياهم، وجهادهم بأموالهم وأنفسهم معه، وفيه إشارة إلى أن الخيرات المبثوثة لهم في الدنيا والآخرة تابعة لخيراته ومقاماته.

وعطفت جملة: وأولئك لهم الخيرات على جملة جاهدوا ولم تفصل مع جواز الفصل ليدل بالعطف على أنها خبر عن الذين آمنوا، أي على أنها من أوصافهم وأحوالهم لأن تلك أدل على تمكن مضمونها فيهم من أن يؤتى بها مستأنفة كأنها إخبار مستأنف.

والإتيان باسم الإشارة لإفادة أن استحقاقهم الخيرات والفلاح كان لأجل جهادهم.

والخيرات: جمع خير **على غير قياس**. فهو مما جاء على صيغة جمع التأنيث مع عدم التأنيث ولا علامته مثل سرادقات وحمامات.

وجعله كثير من اللغويين جمع (خيرة) بتخفيف الياء مخفف (خيرة) المشدد الياء التي هي أنثى (خير) ، أو هي مؤنث (خير) المخفف الياء الذي هو بمعنى أخير. وإنما أنثوا وصف المرأة منه لأنهم لم يريدوا به التفضيل، وعلى هذا كله يكون خيرات هنا مؤولا بالخصال الخيرة، وكل ذلك تكلف لا داعي إليه مع استقامة الحمل على الظاهر. والمراد منافع الدنيا والآخرة. فاللام فيه للاستغراق. والقول في وأولئك هم المفلحون كالقول في نظيره في أول سورة البقرة.

[٨٩]

[سورة التوبة (٩) : آية ٨٩]

أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩)

استئناف بياني لجواب سؤال ينشأ عن الإخبار ب وأولئك لهم الخيرات [التوبة: ٨٨] .

والإعداد: التهيئة. وفيه إشعار بالعناية والتهمم بشأنهم. وتقدم القول في نظير هذه الآية في قوله قبل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة [التوبة: ٧٢] الآية.." (٢)

٢٠٠. "والرحمة: هنا مطلقة على أثر الرحمة، وهو النعمة والنفع، كقوله: وينشر رحمته [الشورى: ٢٨] .

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧٠٥/١

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩١/١٠

والضراء: الضر. والمس: مستعمل في الإصابة. والمعنى إذا نالت الناس نعمة بعد الضر، كالمطر بعد القحط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض.

و (إذا) في قوله: إذا لهم مكر للمفاجأة، وهي رابطة لجواب (إذا) الشرطية لوقوعه جملة اسمية وهي لا تصلح للاتصال بإذا الشرطية التي تلازمها الأفعال إن وقعت ظرفا ثم إن وقعت شرطا فلا تصلح لأن تكون جوابا لها، فلذلك أدخل على جملة الجواب حرف (إذا) الفجائية، لأن حرف المفاجأة يدل على البدار والإسراع بمضمون الجملة، فيفيد مفاد فاء التعقيب التي يؤتى بها الربط جواب الشرط بشرطه، فإذا جاء حرف المفاجأة أغنى عنها.

والمكر: حقيقته إخفاء الإضرار وإبرازه في صورة المسألة، وقد تقدم عند قوله تعالى: ومكروا ومكر الله في سورة آل عمران [٥٤] .

و (في) من قوله: في آياتنا للظرفية المجازية المراد منها الملابسة، أي مكرهم

المصاحب لآياتنا. ومعنى مكرهم في الآيات أنهم يمكرون مكرا يتعلق بها، وذلك أنهم يوهمون أن آيات القرآن غير دالة على صدق الرسول ويزعمون أنه لو أنزلت عليه آية أخرى لآمنوا بها وهم كاذبون في ذلك وإنما هم يكذبونه عنادا ومكابرة وحفاظا على دينهم في الشرك.

ولما كان الكلام متضمنا التعريض بإنذارهم، أمر الرسول أن يعظهم بأن الله أسرع مكرا، أي منكم، فجعل مكر الله بهم أسرع من مكرهم بآيات الله.

ودل اسم التفضيل على أن مكر الكافرين سريع أيضا، وذلك لما دل عليه حرف المفاجأة من المبادرة وهي إسراع. والمعنى أن الله أعجل مكرا بكم منكم بمكركم بآيات الله.

وأسرع: مأخوذ من أسرع المزيد **على غير قياس**، أو من سرع المجرد بناء على وجوده في الكلام فيما حكاه الفارسي.." (١)

٢٠١. "ومعنى: لي عملي ولكم عملكم المتاركة. وهو مما أجري مجرى المثل، ولذلك بني على الاختصار ووفرة المعنى، فأفيد فيه معنى الحصر بتقديم المعمول وبالتعبير بالإضافة ب عملي وعملكم، ولم يعبر بنحو لي ما أعمل ولكم ما تعملون، كما عبر به بعد.

والبريء: الخلي عن التلبس بشيء وعن مخالطته. وهو فعيل من برأ المضاعف **على غير قياس**. وفعل برأ مشتق من برىء- بكسر الراء- من كذا، إذا خلت عنه تبعته والمؤاخذة به.

وهذا التركيب لا يراد به صريحه وإنما يراد به الكناية عن المباعدة. وقد جاء هذا المكنى به مصرحا به في قوله تعالى: فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون [الشعراء:

٢١٦] ، ولذلك فجملة: أنتم بريئون مما أعمل إلى آخرها بيان لجملة: لي عملي ولكم عملكم ولذلك

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣٣/١١

فصلت.

وإنما عدل عن الإتيان بالعمل مصدرا كما أتي به في قوله: لي عملي ولكم عملكم إلى الإتيان به فعلا صلة لما الموصولة للدلالة على البراءة من كل عمل يحدث في الحال والاستقبال، وأما العمل الماضي فلكونه قد انقضى لا يتعلق الغرض بذكر البراءة منه. ولو عبر بالعمل لربما توهم أن المراد عمل خاص لأن المصدر المضاف لا يعم، ولتجنب إعادة اللفظ بعينه في الكلام الواحد لأن جملة البيان من تمام المبين، ولأن هذا اللفظ أنسب بسلاسة النظم، لأن في (ما) في قوله: مما أعمل من المد ما يجعله أسعد بمد النفس في آخر الآية والتهيئة للوقف على قوله: مما تعملون، ولما في تعملون من المد أيضا، ولأنه يراعي الفاصلة.

وهذا من دقائق فصاحة القرآن الخارجة عن الفصاحة المتعارفة بين الفصحاء.." (١)

٢٠٢. "[سورة هود (١١) : آية ٩٢]

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢)

لما أرادوا بالكلام الذي وجهوه إليه تحذيره من الاستمرار على مخالفة دينهم، أجابهم بما يفيد أنه لم يكن قط معولا على عزة رهطه ولكنه متوكل على الله الذي هو أعز من كل عزيز، فالمقصود من الخبر لازمه وهو أنه يعلم مضمون هذا الخبر وليس غافلا عنه، أي لقد علمت ما رهطي أغلب لكم من الله فلا أحتاج إلى أن تعاملوني بأني غير عزيز عليكم ولا بأن قرابتي فئة قليلة لا تعجزكم لو شئتم رجمي.

وإعادة النداء للتنبيه لكلامه وأنه متبصر فيه. والاستفهام إنكاري، أي الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصره لأنه أرسله فعزته بعزة مرسله.

وجملة واتخذتموه وراءكم ظهريا في موضع الحال من اسم الجلالة، أي الله أعز في حال أنكم نسيتم ذلك.

والاتخاذ: الجعل، وتقدم في قوله: أتتخذ أصناما آلهة في سورة الأنعام [٧٤] .

والظهري- بكسر الظاء- نسبة إلى الظهر **على غير قياس**، والتغييرات في الكلم لأجل النسبة كثيرة.

والمراد بالظهري الكناية عن النسيان، أو الاستعارة لأن الشيء الموضوع بالوراء ينسى لقلة مشاهدته، فهو يشبه الشيء المجعول خلف الظهر في ذلك، فوقع ظهريا حالا مؤكدة للظرف في قوله: وراءكم إغراقا في معنى النسيان لأنهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته.

وجملة إن ربي بما تعملون محيط استئناف، أو تعليل لمفهوم جملة أرهطي أعز عليكم من الله الذي هو توكله عليه واستنصاره به.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧٦/١١

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥١/١٢

٢٠٣. "والمجادلة إنما تكون في الشؤون والأحوال، فتعليق اسم الجلالة المجرور بفعل يجادلون يتعين أن يكون على تقدير مضاف تدل عليه القرينة، أي في توحيد الله أو في قدرته على البعث.

ومن جدلهم ما حكاه قوله: أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم. في سورة يس [٧٧، ٧٨] .

والمحال: بكسر الميم يحتمل هنا معنيين، لأنه إن كانت الميم فيه أصلية فهو فعال بمعنى الكيد وفعله محل، ومنه قولهم تمحل إذا تحيل. جعل جدالهم في الله جدال كيد لأنهم يبرزونه في صورة الاستفهام في نحو قولهم: من يحي العظام وهي رميم فقوبل ب شديد المحال على طريقة المشاكلة، أي وهو شديد المحال لا يغلبونه، ونظيره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين [سورة آل عمران: ٥٤] .

وقال نفطويه: هو من ماحل عن أمره، أي جادل. والمعنى: وهو شديد المجادلة، أي قوي الحجة.

وإن كانت الميم زائدة فهو مفعل من الحول بمعنى القوة، وعلى هذا فإبدال الواو ألفا **على غير قياس** لأنه لا موجب للقلب لأن ما قبل الواو ساكن سكونا حيا. فلعلهم

قلبوها ألفا للتفرقة بينه وبين محول بمعنى صبي ذي حول، أي سنة.

وذكر الواحدي والطبري أخبارا عن أنس وابن عباس- رضي الله عنهما- أن هذه الآية نزلت في قضية عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة حين وردا المدينة يشترطان لدخلوهما في الإسلام شروطا لم يقبلها منهما النبيء صلى الله عليه وسلم. فهم أربد بقتل النبيء صلى الله عليه وسلم فصرفه الله، فخرج هو وعامر بن الطفيل قاصدين قومهما وتواعدا النبيء صلى الله عليه وسلم بأن يجلبا عليه خيل بني عامر. فأهلك الله أربد بصاعقة أصابته وأهلك عامرا بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول في طريقه إلى أرض قومه، فنزلت في أربد ويرسل الصواعق وفي عامر وهم يجادلون في الله

.." (١)

٢٠٤. "و (من) كل مكان بمعنى من أمكنة كثيرة. وكل تستعمل في معنى الكثرة، كما تقدم في قوله تعالى: وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها في سورة الأنعام [٢٥] .

والأنعم: جمع نعمة **على غير قياس**.

ومعنى الكفر بأنعم الله: الكفر بالمنعم، لأنهم أشركوا غيره في عبادته فلم يشكروا المنعم الحق. وهذا يشير إلى قوله تعالى: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون [سورة النحل: ٨٣] .

واقتران فعل «كفرت» بفاء التعقيب بعد كانت آمنة مطمئنة باعتبار حصول الكفر عقب النعم التي كانوا فيها حين طرأ عليهم الكفر، وذلك عند بعثة الرسول إليهم.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠٦/١٣

وأما قرن فأذاقها الله لباس الجوع بفاء التعقيب فهو تعقيب عرفي في مثل ذلك المعقب لأنه حصل بعد مضي زمن عليهم وهم مصرون على كفرهم والرسول يكرر الدعوة وإنذارهم به، فلما حصل عقب ذلك بمدة غير طويلة وكان جزاء على كفرهم جعل كالشيء المعقب به كفرهم.

والإذاقة: حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم. وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسا مكينا كتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه لا يجد له مدفعا، وقد تقدم في قوله تعالى: ليذوق وبال أمره في سورة العقود [٩٥] .

واللباس: حقيقته الشيء الذي يلبس. وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس لابسه، كقوله تعالى:

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن [سورة البقرة: ١٨٧] بجامع الإحاطة والملازمة.." (١)

٢٠٥. "[سورة الإسراء (١٧) : آية ٤٣]

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣)

إنشاء تنزيه لله تعالى عما ادعوه من وجود شركاء له في الإلهية.

وهذا من المقول اعتراض بين أجزاء المقول، وهو مستأنف لأنه نتيجة لبطلان قولهم: إن مع الله آلهة، بما نهضت به الحجة عليهم من قوله: إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا. وقد تقدم الكلام على نظيره في قوله تعالى: سبحانه وتعالى عما يصفون في سورة الأنعام [١٠٠] .

والمراد بما يقولون ما يقولونه مما ذكر آنفا كقوله تعالى: ونرثه ما يقول.

وعلوا مفعول مطلق عامله تعالى. جيء به على غير قياس فعله للدلالة على أن التعالي هو الاتصاف بالعلو بحق لا بمجرد الادعاء كقول سعدة أم الكميت بن معر:

تعاليت فوق الحق عن آل فقعس ... ولم تخش فيهم ردة اليوم أو غد

وقوله سبحانه: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم [المؤمنون: ٢٤] ، أي يدعي الفضل ولا فضل له. وهو منصوب على المفعولية المطلقة المبينة للنوع.

والمراد بالكبير الكامل في نوعه. وأصل الكبير صفة مشبهة: الموصوف بالكبر.

والكبر: ضخامة جسم الشيء في متناول الناس، أي تعالى أكمل علو لا يشوبه شيء من جنس ما نسبوه إليه، لأن المنافاة بين استحقاق ذاته وبين نسبة الشريك له والصاحبة والولد بلغت في قوة الظهور إلى حيث لا تحتاج إلى زيادة لأن وجوب الوجود والبقاء ينافي آثار الاحتياج والعجز.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠٦/١٤

وقرأ الجمهور عما يقولون بياء الغيبة. وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف- بتاء الخطاب- على أنه التفات، أو هو من جملة المقول من قوله: قل لو كان معه آلهة [الإسراء: ٤٢] على هذه القراءة." [١]

٢٠٦. "والبعث: هنا الإيقاظ، أي أيقظناهم من نومتهم يقظة مفزوع. كما يبعث البعير من مبركه. وحسن هذه الاستعارة هنا أن المقصود من هذه القصة إثبات البعث بعد الموت فكان في ذكر لفظ البعث تنبيه على أن في هذه الإفاقة دليلا على إمكان البعث وكيفيته.

والحزب: الجماعة الذين توافقوا على شيء واحد، فالحزبان فريقان: أحدهما مصيب والآخر مخطئ في عد الأمد الذي مضى عليهم. فقيل: هما فريقان من أهل

الكهف أنفسهم على أنه المشار إليه بقوله تعالى: قال قائل منهم كم لبثتم [الكهف:

١٩] . وفي هذا بعد من لفظ حزب إذ كان القائل واحدا والآخرون شاكين، وبعيد أيضا من فعل أحصى لأن أهل الكهف ما قصدوا الإحصاء لمدة لبثهم عند إفاقتهم بل خالوها زمنا قليلا. فالوجه: أن المراد بالحزبين حزبان من الناس أهل بلدهم اختلفت أقوالهم في مدة لبثهم بعد أن علموا انبعاثهم من نومتهم، أحد الفريقين مصيب والآخر مخطئ، والله يعلم المصيب منهم والمخطئ، فهما فريقان في جانبي صواب وخطأ كما دل عليه قوله: أحصى.

ولا ينبغي تفسير الحزبين بأنهما حزبان من أهل الكهف الذين قال الله فيهم: قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم الآية [الكهف: ١٩] .

وجعل حصول علم الله بحال الحزبين علة لبعثه إياهم كناية عن حصول الاختلاف في تقدير مدتهم فإنهم إذا اختلفوا علم الله اختلافهم علم الواقعات، وهو تعلق للعلم يصح أن يطلق عليه تنجيزي وإن لم يقع ذلك عند علماء الكلام.

وقد تقدم عند قوله تعالى: لنبلوهم أيهم أحسن عملا في أول السورة الكهف [٧] .

وأحصى يحتمل أن يكون فعلا ماضيا، أن يكون اسم تفضيل مصوغا من الرباعي على خلاف القياس. واختار الزمخشري في «الكشاف» تبعا لأبي علي الفارسي الأول تجنبا لصوغ اسم التفضيل على غير قياس لقلته. واختار الزجاج." [٢]

٢٠٧. "وجملة يحلون في موضع الصفة «لجنات عدن» .

والتحلية: التزيين، والحلية: الزينة.

وأسند الفعل إلى المجهول، لأنهم يجدون أنفسهم محلين بتكوين الله تعالى.

والأساور: جمع سوار على غير قياس. وقيل: أصله جمع أسورة الذي هو جمع سوار. فصيغة جمع الجمع

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١٣/١٥

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦٩/١٥

للإشارة إلى اختلاف أشكال ما يحلون به منها، فإن الحلية تكون مرصعة بأصناف اليواقيت.

و (من) في قوله: من أساور مزيدة للتأكيد على رأي الأخفش، وسيأتي وجهه في سورة الحج. ويجوز أن تكون للابتداء، وهو متعين عند الذين يمنعون زيادتها في الإثبات.

والسوار: حلي من ذهب أو فضة يحيط بموضع من الذراع، وهو اسم معرب عن الفارسية عند المحققين وهو في الفارسية (دستواره) بهاء في آخره كما في «كتاب الراغب» ، وكتب بدون هاء في «تاج العروس» .

وأما قوله: من ذهب فإن (من) فيه للبيان، وفي الكلام اكتفاء، أي من ذهب وفضة كما اكتفى في آية سورة الإنسان بذكر الفضة عن ذكر الذهب بقوله: وحلوا أساور

من فضة

[الإنسان: ٢١] ، ولكل من المعدنين جماله الخاص.

واللباس: ستر البدن بثوب من قميص أو إزار أو رداء، وجميع ذلك للوقاية من الحر والبرد وللتجمل.

والثياب: جمع ثوب، وهو الشقة من النسيج.

واللون الأخضر أعدل الألوان وأنفعها عند البصر، وكان من شعار الملوك. قال النابغة:

يصونون أجسادا قديما نعيمها ... بخالصة الأردان خضر المناكب." [١]

٢٠٨. "والاستفهام في قوله: أكفرت بالذي خلقك مستعمل في التعجب والإنكار، وليس على حقيقته، لأن الصاحب كان يعلم أن صاحبه مشرك بدليل قوله له: ولا أشرك بربي أحدا. فالمراد بالكفر هنا الإشراك الذي من جملة معتقداته إنكار البعث، ولذلك عرف بطريق الموصولية لأن مضمون الصلة من شأنه أن يصرف من يدركه عن الإشراك به، فإنهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق الناس فما كان غير الله مستحقا للعبادة.

ثم إن العلم بالخلق الأول من شأنه أن يصرف الإنسان عن إنكار الخلق الثاني، كما قال تعالى: أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد [ق: ١٥] ، وقال:

وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه [الروم: ٢٧] ، فكان مضمون الصلة تعريضا بجهل المخاطب.

وقوله: من تراب إشارة إلى الأجزاء التي تتكون منها النطفة وهي أجزاء الأغذية المستخلصة من تراب الأرض، كما قال تعالى في الآية الأخرى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض [يس: ٣٦] .

والنطفة: ماء الرجل، مشتقة من النطف وهو السيلان. وسواك عدل خلقك، أي جعله متناسبا في

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٢/١٥

الشكل والعمل.

و (من) في قوله: من تراب ثم من نطفة ابتدائية، وقوله: لكنا هو الله ربي

كتب في المصحف بألف بعد النون. واتفق القراء العشرة على إثبات الألف في النطق في حال الوقف، وأما في حال الوصل فقرأه الجمهور بدون نطق بالألف، وقرأه ابن عامر وأبو جعفر ورويس عن يعقوب بإثبات النطق بالألف في حال الوصل، ورسم المصحف يسمح بكلتا الروايتين.

ولفظ لكنا مركب من (لكن) بسكون النون الذي هو حرف استدراك، ومن ضمير المتكلم (أنا) . وأصله: لكن أنا، فحذفت الهمزة تخفيفا كما قال الزجاج، أي **على غير قياس** لا لعلة تصريفية، ولذلك لم يكن للهمزة حكم." (١)

٢٠٩. "وأبت

: أصله أبي، حذفوا ياء المتكلم وعوضوا عنها تاء تعويضا **على غير قياس**، وهو خاص بلفظ الأب والأم في النداء خاصة، ولعله صيغة باقية من العربية القديمة. ورأى سيبويه أن التاء تصير في الوقف هاء، وخالفه الفراء فقال: ببقائها في الوقف. والتاء مكسورة في الغالب لأنها عوض عن الياء والياء بنت الكسرة ولما كسروها فتحوا الياء وبذلك قرأ الجمهور. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: (يأبت) - بفتح التاء- دون ألف بعدها، بناء على أنهم يقولون (يا أبتا) بألف بعد التاء لأن ياء المتكلم إذا نودي يجوز فتحها وإشباع فتحتها فقرأه على اعتبار حذف الألف تخفيفا وبقاء الفتحة.

[٤٣]

[سورة مريم (١٩) : آية ٤٣]

يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣)

إعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيد لإحضار الذهن ولإمحاض النصيحة المستفاد من النداء الأول. قال في «الكشاف» : «ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم ليست معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه» اه. ذلك أن أباه كان يرى نفسه على علم عظيم لأنه كان كبير ديانة قومه. وأراد إبراهيم علم الوحي والنبوءة.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٢٢/١٥

وتفريع أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم دليل على أن أحقية العالم بأن يتبع مركوزة في غريزة العقول لم يزل." (١)

٢١٠. "[سورة طه (٢٠) : الآيات ٩ إلى ١٠]

وهل أتاك حديث موسى (٩) إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى (١٠)

أعقب تثبيت الرسول على التبليغ والتنويه بشأن القرآن بالنسبة إلى من أنزله ومن أنزل عليه بذكر قصة موسى عليه السلام ليتأسى به في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ومقاساة المصاعب، وتسلية له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلفهم من المكذبين، ولذلك جاء في عقب قصة موسى قوله تعالى: وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه [طه: ٩٩-١٠١] . وجاء بعد ذكر قصة آدم وأنه لم يكن له عزم فاصبر على ما يقولون [طه: ١٣٠] الآيات.

فجملة وهل أتاك حديث موسى عطف على جملة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى [طه: ٢] . الغرض هو مناسبة العطف كما تقدم قريبا. وهذه القصة تقدم بعضها في سورة الأعراف وسورة يونس.

والاستفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر مجازا وليس مستعملا في حقيقته سواء كانت هذه القصة قد قصت على النبيء صلى الله عليه وسلم من قبل أم كان هذا أول قصصها عليه. وفي قوله: إذ رأى نارا زيادة في التشويق كما يأتي قريبا.

وأوثر حرف (هل) في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق لأن (هل) في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار.

والحديث: الخبر، وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر حدث في الخارج، ويجمع على أحاديث **على غير قياس**. قال الفراء: «واحد." (٢)

٢١١. "ولم يأت بذلك مع قوله واحلل عقدة من لساني لأن ذلك سؤال يرجع إلى تبليغ رسالة الله إلى فرعون فليست فائدتها راجعة إليه حتى يأتي لها بلام التبيين.

وتنكير عقدة للتعظيم، أي عقدة شديدة.

ومن لساني صفة لعقدة. وعدل عن أن يقول: عقدة لساني، بالإضافة ليتأتى التنكير المشعر بأنها عقدة شديدة.

وفعل يفقهوا مجزوم في جواب الأمر على الطريقة المتبعة في القرآن من جعل الشيء المطلوب بمنزلة الحاصل عقب الشرط كقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم [النور: ٣٠] أي أن نقل لهم غضوا يغضوا، أي شأنهم الامتثال. والفقه: الفهم.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦/١١٥

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦/١٩٣

والوزير: فعيل بمعنى فاعل، من وزار **على غير قياس**، مثل حكيم من أحكم، وهو مشتق من الأزر، وهو المعونة، والمؤازرة كذلك، والكل مشتق من الأزر، أي الظهر، كما سيأتي قريبا، فحقه أن يكون أزيرا بالهمزة إلا أنهم قلبوا همزته واوا حملا على موازر الذي هو بمعناه الذي قلبت همزته واوا لانضمام ما قبلها. فلما كثر في الكلام قولهم:

موازر ويوازر بالواو نطقوا بنظيره في المعنى بالواو بدون موجب للقلب إلا الحمل على النظير في النطق، أي اعتياد النطق بهمزته واوا، أي اجعل معينا من أهلي.

وخص هارون لفرط ثقته به ولأنه كان فصيح اللسان مقوالا، فكونه من أهله مظنة النصح له، وكونه أخاه أقوى في المناصحة، وكونه الأخ الخاص لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي.

وجملة اشدد به أزري على قراءة الجمهور بصيغة الأمر في فعلي اشدد، وأشركه بيان لجملة اجعل لي وزيرا. سأل الله." (١)

٢١٢. "[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٢]

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)

ذلك تكرير لنظيره السابق.

الشعائر: جمع شعيرة: المعلم الواضح مشتقة من الشعور. وشعائر الله: لقب لمناسك الحج، جمع شعيرة بمعنى: مشعرة بصيغة اسم الفاعل أي معلمة بما عينه الله.

فمضمون جملة ومن يعظم شعائر الله إلخ ... أخص من مضمون جملة ومن يعظم حرمات الله [الحج: ٣٠] وذكر الأخص بعد الأعم للاهتمام. أو بمعنى مشعر بها فتكون شعيرة فعيلة بمعنى مفعولة لأنها تجعل ليشعر بها الرائي. وتقدم ذكرها في قوله تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر الله في [سورة البقرة: ١٥٨] . فكل ما أمر الله به بزيارته أو بفعل يوقع فيه فهو من شعائر الله، أي مما أشعر الله الناس وقرره وشهره. وهي معالم الحج: الكعبة، والصفا والمروة، وعرفة، والمشعر الحرام، ونحوها من معالم الحج.

وتطلق الشعيرة أيضا على بدنة الهدي. قال تعالى: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله [الحج: ٣٦] لأنهم يجعلون فيها شعارا، والشعار العلامة بأن يطعنوا في جلد جانبها الأيمن طعنا حتى يسيل منه الدم فتكون علامة على أنها نذرت للهدي، فهي فعلية بمعنى مفعولة مصوغة من أشعر **على غير قياس**.

فعلى التفسير الأول تكون جملة ومن يعظم شعائر الله إلى آخرها عطفا على

جملة ومن يعظم حرمات الله [الحج: ٣٠] إلخ. وشعائر الله أخص من حرمات الله فعطف هذه الجملة للعناية بالشعائر.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١٢/١٦

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٥٦/١٧

٢١٣. "للتخلص من ثقل الياء بعد حرف المد، وفتحت الميم للتخفيف فقلبت الياء ألفا. وعند ابن مالك وجماعة: وزنه فعالى **على غير قياس** وهو ظاهر كلام سيبويه.

والأيامى صيغة عموم لأنه جمع معرف باللام فتشمل البغايا. أمر أولياؤهن بتزويجهن فكان هذا العموم ناسخا لقوله تعالى: والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك [النور: ٣] فقد قال جمهور الفقهاء: إن هذه ناسخة للآية التي تقدمت وهو قول مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد. ونقل القول بأن التي قبلها محكمة عن غير معين. وزوج أبو بكر امرأة من رجل زنى بها لما شكاه أبوها.

ومعنى التبعيض في قوله منكم أنهن من المسلمات لأن غير المسلمات لا يخلون عند المسلمين من أن يكن أزواجا لبعض المسلمين فلا علاقة للآية بهن، أو أن يكن مملوكات فهن داخلات في قوله: والصالحين من عبادكم وإمائكم على الاحتمالات الآتية في معنى الصالحين وأما غيرهن فولايتهن لأهل ملتهن.

والمقصود: الأيامى الحرائر، خصصه قوله بعده والصالحين من عبادكم وإمائكم. وظاهر وصف العبيد والإماء بالصالحين أن المراد اتصافهم بالصلاح الديني.

أي الأتقياء. والمعنى: لا يحملكم تحقق صلاحهم على إهمال إنكاحهم لأنكم آمنون من وقوعهم في الزنى بل عليكم أن تزوجوهم رفقا بهم ودفعا لمشقة العنت عنهم.

فيفيد أنهم إن لم يكونوا صالحين كان تزويجهم آكد أمرا. وهذا من دلالة الفحوى فيشمل غير الصالحين غير الإعفاء والعفائف من المماليك المسلمين، ويشمل المماليك غير المسلمين. وبهذا التفسير تنقشع الحيرة التي عرضت للمفسرين في التقييد بهذا الوصف. وقيل أريد بالصالحين الصلاح للتزوج بمعنى اللياقة لشؤون الزوج، أي إذا كانوا مظنة القيام بحقوق الزوجية.." (١)

٢١٤. "وضمير الجمع في قوله: ما ولاهم عائد إلى معلوم من المقام غير مذكور في اللفظ حكاية لقول السفهاء، وهم يريدون بالضمير أو بما يعبر عنه في كلامهم أنه عائد على المسلمين.

وفعل (ولاهم) أصله مضاعف ولى إذا دنا وقرب، فحقه أن يتعدى إلى مفعول واحد بسبب التضعيف فيقال ولاه من كذا أي قربه منه وولاه عن كذا أي صرفه عنه ومنه قوله تعالى هنا ما ولاهم عن قبلتهم، وشاع استعماله في الكلام فكثر أن يحذفوا حرف الجر الذي يعديه إلى متعلق ثان فبذلك عدوه إلى مفعول ثان كثيرا على التوسع فقالوا ولى فلانا وجهه مثلا دون أن يقولوا ولى فلان وجهه من فلان أو عن فلان فأشبه أفعال كسا وأعطى ولذلك لم يعبأوا بتقديم أحد المفعولين على الآخر قال تعالى: فلا تولوهم الأدبار [الأنفال: ١٥] أصله فلا تولوا الأدبار منهم، فالأدبار هو الفاعل في المعنى لأنه لو رفع لقيل ولي دبره الكافرين، ومنه قوله تعالى: نوله ما تولى [النساء: ١١٥] أي نجعله واليا مما تولى أي قريبا

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١٦/١٨

له أي ملازما له فهذا تحقيق تصرفات هذا الفعل.

وجملة ما ولاهم إلخ هي مقول القول فضمائر الجمع كلها عائدة على معاد معلوم من المقام وهم المسلمون ولا يحتمل غير ذلك لئلا يلزم تشتيت الضمائر ومخالفة الظاهر في أصل حكاية الأقوال.

والاستفهام في قوله: ما ولاهم مستعمل في التعريض بالتخطئة واضطراب العقل.

والمراد بالقبلة في قوله: عن قبلتهم الجهة التي يولون إليها وجوههم عند الصلاة كما دل عليه السياق وأخبار سبب نزول هذه الآيات.

والقبلة في أصل الصيغة اسم على زنة فعلة بكسر الفاء وسكون العين، وهي زنة المصدر الدال على هيئة فعل الاستقبال أي التوجه اشتق **على غير قياس** بحذف السين والتاء ثم أطلقت على الشيء الذي يستقبله المستقبل مجازا وهو المراد هنا لأن الانصراف لا يكون عن الهيئة قال حسان في رثاء أبي بكر رضي الله عنه:

أليس أول من صلى لقبلتكم

والأظهر عندي أن تكون القبلة اسم مفعول على وزن فعل كالذبح والطحن وتأنيثه باعتبار الجهة كما قالوا: ما له في هذا الأمر قبلة ولا دبرة أي وجهة.

وإضافة القبلة إلى ضمير المسلمين للدلالة على مزيد اختصاصها بهم إذ لم يستقبلها غيرهم من الأمم لأن المشركين لم يكونوا من المصلين وأهل الكتاب لم يكونوا يستقبلون في صلاتهم." (١)

٢١٥. "وتقدم معنى الرحمة في سورة الفاتحة.

وتقديم (رءوف) ليقع لفظ رحيم فاصلة فيكون أنسب بفواصل هذه السورة لانبناء فواصلها على حرف صحيح ممدود يعقبه حرف صحيح ساكن ووصف رءوف معتمد ساكنه على الهمز والهمز شبيه بحروف العلة فالنطق به غير تام التمكن على اللسان وحرف الفاء لكونه يخرج من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا أشبه حرف اللين فلا يتمكن عليه سكون الوقف.

وتقديم بالناس على متعلقه وهو لرؤف رحيم للتنبيه على عنايته بهم إيقاظا لهم ليشكروه مع الرعاية على الفاصلة.

وقرأ الجمهور (لرءوف) بواو ساكنة بعد الهمزة وقرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بدون واو مع ضم الهمزة بوزن عضد وهو لغة **على غير قياس**.

[١٤٤]

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨/٢

[سورة البقرة (٢) : آية ١٤٤]
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون (١٤٤)
استئناف ابتدائي وإفضاء لشرع استقبال الكعبة ونسخ استقبال بيت المقدس فهذا هو
المقصود من الكلام المفتتح بقوله: سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها [البقرة: ١٤٢] بعد أن مهد الله بما تقدم من أفانين التهيئة وإعداد الناس إلى ترقبه ابتداء من قوله: ولله المشرق والمغرب ثم قوله: ولن ترضى عنك اليهود [البقرة:
١٢٠] ثم قوله: وإذ جعلنا البيت [البقرة: ١٢٥] ثم قوله: سيقول السفهاء.
و (قد) في كلام العرب للتحقيق ألا ترى أهل المعاني نظروا هل في الاستفهام بقد في الخبر فقالوا من أجل ذلك إن هل لطلب التصديق فحرف قد يفيد تحقيق الفعل فهي مع الفعل بمنزلة إن مع الأسماء ولذلك قال الخليل إنها جواب لقوم ينتظرون الخبر ولو أخبروهم لا ينتظرونه لم يقل قد فعل كذا اهـ.
ولما كان علم الله بذلك مما لا يشك فيه النبيء صلى الله عليه وسلم حتى يحتاج لتحقيق الخبر به كان الخبر به مع تأكيده مستعملا في لازمه على وجه الكناية لدفع الاستبطاء عنه." (١)

٢١٦. "وضمير هو عائد للمضاف إليه (كل) المحذوف.
والمفعول الأول لموليها محذوف إذ التقدير هو موليها نفسه أو وجهه على نحو ما بيناه في قوله تعالى: ما ولاهم عن قبلتهم [البقرة: ١٤٢] والمعنى هو مقبل عليها وملازم لها.
وقراءة الجمهور «موليها» بياء بعد اللام وقرأه ابن عامر «هو مولاها» بألف بعد اللام
بصيغة ما لم يسم فاعله أي يوليه إياها مول وهو دينه ونظره، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من الوجهة القبلة فاستبقوا أنتم إلى الخير وهو استقبال الكعبة، وقيل المراد لكل أمة قبلة فلا سبيل إلى اجتماعكم على قبلة واحدة فالزموا قبلتكم التي هي قبلة إبراهيم فإنكم على الخيرات، وقيل المراد هيكل قبلة فلا سبيل إلى اجتماعكم على قبلة واحدة فالزموا قبلتكم التي هي قبلة إبراهيم، فإنكم على الخيرات، وقيل المراد لكل قوم قبلة فلا يضركم خلافهم واتركوهم واستبقوا إلى الخيرات إلى الكعبة، وقيل المراد لكل طائفة من المسلمين جهة من الكعبة سيستقبلونها. ومعاني القرآن تحمل على أجمع الوجوه وأشملها.
وقوله: استبقوا الخيرات
تفريع للأمر على ما تقدم أي لما تعددت المقاصد.
فالمنافسة تكون في مصادفة الحق.

---
(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ٢٦

والاستباق افتعال والمراد به السبق وحقه التعدية باللام إلا أنه توسع فيه فعدي بنفسه كقوله تعالى: واستبقا الباب [يوسف: ٢٥] أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا. فالمراد من الاستباق هنا المعنى المجازي وهو الحرص على مصادفة الخير والإكثار منه والخيرات جمع خير **على غير قياس** كما قالوا سرادقات وحمامات. والمراد عموم الخيرات كلها فإن المبادرة إلى الخير محمودة ومن ذلك المبادرة بالتوبة خشية هاذم اللذات وفجأة الفوات قال تعالى: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم [آل عمران: ١٣٣] ، والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم [الواقعة: ١٠- ١٢] ومن ذلك فضيلة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قال تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا [الحديد: ١٠] وقال موسى: وعجلت إليك رب لترضى [طه: ٨٤] .

وقوله: ين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا

جملة في معنى العلة للأمر باستباق الخيرات ولذلك فصلت لأن العلة لا تعطف إذ هي بمنزلة المفعول لأجله، والمعنى فاستبقوا إلى الخير لتكونوا مع الذين يأتي بهم الله للرفيق الحسن لأن الله يأتي بالناس جميعا خيرهم وشرهم." (١)

٢١٧. "من نسبته إلى التقصير، فإذا سجل ذلك عليه قبل وجود دواعيه كان على حذر من وقوعه في المستقبل، كما يقول من يوصي غيره: افعل كذا وكذا وما أظنك تفعل.

وقرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين **على غير قياس**، وقرأه الجمهور بفتح السين وهما لغتان في عسى إذا اتصل بها ضمير المتكلم أو المخاطب، وكأنهم قصدوا من كسر السين التخفيف بإماتة سكون الياء.

وقوله: قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله جاءت واو العطف في حكاية قولهم إذ كان في كلامهم ما يفيد إرادة أن يكون جوابهم عن كلامه معطوفا على قولهم:

ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ما يؤدي مثله بواو العطف فأرادوا تأكيد رغبتهم، في تعيين ملك يدبر أمور القتال، بأنهم ينكرون كل خاطر يخطر في نفوسهم من التثبيط عن القتال، فجعلوا كلام نبيئهم بمنزلة كلام معترض في أثناء كلامهم الذي كملوه، فما يحصل به جوابهم عن شك نبيهم في ثباتهم، فكان نظم كلامهم على طريقة قوله تعالى حكاية عن الرسل: وعلى الله فليتوكل المؤمنون [آل عمران: ١٢٢] ، وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا [إبراهيم: ١٢] .

و (ما) اسم استفهام بمعنى أي شيء واللام للاختصاص والاستفهام إنكاري وتعجبي من قول نبيهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا لأن شأن المتعجب منه أن يسأل عن سببه. واسم الاستفهام في موضع الابتداء، ولنا خبره، ومعناه ما حصل لنا

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٣/٢

أو ما استقر لنا، فاللام في قوله: لنا لام الاختصاص و «أن» حرف مصدر واستقبال، ونقاتل منصوب بأن، ولما كان حرف المصدر يقتضي أن يكون الفعل بعده في تأويل المصدر، فالمصدر المنسبك من أن وفعلها إما أن يجعل مجرورا بحرف جر مقدر قبل أن مناسب لتعلق (لا نقاتل) بالخبر ما لنا في ألا نقاتل أي انتفاء قتالنا أو ما لنا لألا نقاتل أي لأجل انتفاء قتالنا، فيكون معنى الكلام إنكارهم أن يثبت لهم سبب يحملهم على تركهم القتال، أو سبب لأجل تركهم القتال، أي لا يكون لهم ذلك. وإما أن يجعل المصدر المنسبك بدلا من ضمير لنا: بدل اشتمال، والتقدير: ما لنا لتركنا القتال.

ومثل هذا النظم يجيء بأشكال خمسة: مثل ما لك لا تأمنا على يوسف [يوسف: ١١] وما لي لا أعبد الذي فطرني [يس: ٢٢] ما لكم كيف تحكمون [الصافات: ١٥٤] فمالك والتلدد حول نجد فما لكم في المنافقين فئتين [النساء: ٨٨] ، والأكثر أن يكون ما بعد الاستفهام في موضع حال، ولكن الإعراب يختلف ومآل المعنى متحد.." [١]

٢١٨. "[سورة لقمان (٣١) : الآيات ٢ إلى ٥]

تلك آيات الكتاب الحكيم (٢) هدى ورحمة للمحسنين (٣) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

إذا كانت هذه السورة نزلت بسبب سؤال قريش عن لقمان وابنه فهذه الآيات إلى قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة [لقمان: ١٢] بمنزلة مقدمة لبيان أن مرمى القرآن من قص القصة ما فيها من علم وحكمة وهدى وأنها مسوقة للمؤمنين لا للذين سألوا عنها فكان سؤالهم نفعا للمؤمنين.

والإشارة ب تلك إلى ما سيذكر في هذه السورة، فالمشار إليه مقدر في الذهن مترقب الذكر على ما تقدم في قوله ذلك الكتاب في أول البقرة [٢] وفي أول سورة الشعراء [٢] والنمل [١] والقصص [٢]
.

وآيات الكتاب خبر عن اسم الإشارة. وفي الإشارة تنبيه على تعظيم قدر تلك الآيات بما دل عليه اسم الإشارة من البعد المستعمل في رفعة القدر، وبما دلت عليه

إضافة الآيات إلى الكتاب الموصوف بأنه الحكيم وأنه هدى ورحمة وسبب فلاح.

والحكيم: وصف للكتاب بمعنى ذي الحكمة، أي لاشتماله على الحكمة.

فوصف الكتاب ب الحكيم كوصف الرجل بالحكيم، ولذلك قيل: إن الحكيم استعارة مكنية، أو بعبارة أرشق تشبيه بليغ بالرجل الحكيم. ويجوز أن يكون الحكيم بمعنى المحكم بصيغة اسم المفعول وصفا **على غير قياس** كقولهم: عسل عقيد، لأنه أحكم وأتقن فليس فيه فضول ولا مالا يفيد كمالا نفسانيا. وفي وصف الكتاب بهذا الوصف براعة استهلال للغرض من ذكر حكمة لقمان. وتقدم وصف الكتاب ب

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٨٦/٢

الحكيم في أول سورة يونس [١] .

وانتصب هدى ورحمة على الحال من الكتاب وهي قراءة الجمهور. وإذ كان الكتاب مضافا إليه فمسوغ مجيء الحال من المضاف إليه أن الكتاب." (١)

٢١٩. "المعاشرة ولا تترتب عليها آثار الأخوة الجبلية لأن تلك آثار مرجعها إلى الخلقة فذلك معنى قوله «أنت أخي وهي لي حلال»

. والجوف: باطن الإنسان صدره وبطنه وهو مقر الأعضاء الرئيسية عدا الدماغ.

وفائدة ذكر هذا الظرف زيادة تصوير المدلول عليه بالقلب وتجليه للسامع فإذا سمع ذلك كان أسرع إلى الاقتناع بإنكار احتواء الجوف على قلبين، وذلك مثل قوله: ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [الحج: ٤٦] ونحوه من القيود المعلومة وإنما يكون التصريح بها تذكيرا بما هو معلوم وتجديدا لتصوره، ومنه قوله تعالى: وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه وقد تقدم في سورة الأنعام [٣٨] .

وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم.

عطف إبطال ثان لبعض مزاعمهم وهو ما كان في الجاهلية أن الرجل إذا أراد فراق زوجه فراقا لا رجعة فيه بحال يقول لها: «أنت علي كظهر أمي» هذه صيغته المعروفة عندهم، فهي موجبة طلاق المرأة وحرمة تزوجها من بعد لأنها صارت أما له، وليس المقصود هنا تشريع إبطال آثار التحريم به لأن ذلك أبطل في سورة المجادلة وهي مما نزل قبل نزول سورة الأحزاب كما سيأتي ولكن المقصود أن يكون تمهيدا لتشريع إبطال التبني تنظيرا بين هذه الأوهام إلا أن هذا التمهيد الثاني أقرب إلى المقصود لأنه من الأحكام التشريعية.

واللاء: اسم موصول لجماعة النساء فهو اسم جمع (التي) ، لأنه **على غير قياس** صيغ الجمع، وفيه لغات: اللاء- مكسور الهمزة أبدا- بوزن الباب، واللائي بوزن الداعي، واللاء بوزن باب داخلة عليه لام التعريف بدون ياء.

وقرأ قالون عن نافع وقنبل عن ابن كثير وأبو جعفر اللاء- بهمزة مكسورة- غير مشبعة وهو لغة. وقرأه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف واللائي- بياء بعد

الهمزة- بوزن الداعي، وقرأه أبو عمرو والبزي عن ابن كثير ويعقوب واللاي بياء ساكنة بعد الألف بدلا عن الهمزة وهو بدل سماعي، قيل: وهي لغة قريش. وقرأ ورش بتسهيل الهمزة بين الهمزة والياء مع المد والقصر. وروي ذلك عن أبي عمرو والبزي أيضا.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤٠/٢١

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٥٦/٢١

٢٢٠. "والمتعدد المذكر والمؤنث، وهي فعل عند بني تميم فلذلك يلحقونها العلامات يقولون: هلم وهلمي

وهلما وهلموا وهلممن. وتقدم في قوله تعالى قل هلم شهداءكم في سورة الأنعام [١٥٠] . والمعنى: انخذلوا عن جيش المسلمين وأقبلوا إلينا.

وجملة ولا يأتون البأس إلا قليلا كلام مستقل فيجوز أن تكون الجملة حالا من القائلين لإخوانهم هلم إلينا. ويجوز أن تكون عطفا على المعوقين والقائلين لأن الفعل يعطف على المشتق كقوله تعالى فالمغيرات صبحا فأثرن [العاديات: ٣، ٤] وقوله: إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله [الحديد: ١٨] ، فالتقدير هنا: قد يعلم الله المعوقين والقائلين وغير الآتين البأس، أو والذين لا يأتون البأس. وليس في تعدية فعل العلم إلى لا يأتون إشكال لأنه على تأويل كما أن عمل الناسخ في قوله وأقرضوا [الحديد: ١٨] على تأويل، أي: يعلم الله أنهم لا يأتون البأس إلا قليلا، أي: يعلم أنهم لا يقصدون بجمع إخوانهم معهم الاعتضاد بهم في الحرب ولكن عزلهم عن القتال.

ومعنى إلا قليلا إلا زمانا قليلا، وهو زمان حضورهم مع المسلمين المرابطين، وهذا كقوله فلا يؤمنون إلا قليلا [النساء: ٤٦] ، أي: إيمانا ظاهرا، ومثل قوله تعالى:

أم بظاهر من القول [الرعد: ٣٣] . وقليلا صفة لمصدر محذوف، أي: إتيانا قليلا، وقلته تظهر في قلة زمانه وفي قلة غنائه.

والبأس: الحرب وتقدم في قوله تعالى ليحصنكم من بأسكم في سورة الأنبياء [٨٠] . وإتيان الحرب مراد به إتيان أهل الحرب أو موضعها. والمراد: البأس مع المسلمين، أي: مكرا بالمسلمين لا جبنا.

وأشحة جمع شحيح بوزن أفعلة **على غير قياس** وهو فصيح وقياسه أشحاء.

وضمير الخطاب في قوله عليكم للرسول عليه الصلاة والسلام وللمسلمين، وهو انتقال من القول الذي أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يقوله لهم إلى كشف أحوالهم للرسول والمسلمين بمناسبة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة في قوله ولا يأتون البأس.

وتقدم الشح عند قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح في سورة النساء." (١)

٢٢١. "[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٧ إلى ٦٨]

وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨)

عطف على جملة يقولون [الأحزاب: ٦٦] فهي حال. وجيء بها في صيغة الماضي لأن هذا القول كان متقدما على قولهم: يا ليتنا أطعنا الله [الأحزاب: ٦٦] ، فذلك التمني نشأ لهم وقت أن مسهم العذاب،

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١/٢٩٥

وهذا التنصل والدعاء اعتذروا به حين مشاهدة العذاب وحشرهم مع رؤسائهم إلى جهنم، قال تعالى: حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون [الأعراف: ٣٨] . فدل على أن ذلك قبل أن يمسهم العذاب بل حين رصفوا ونسقوا قبل أن يصب عليهم العذاب ويطلق إليهم حر النار.

والابتداء بالنداء ووصف الربوبية إظهار للتضرع والابتهال.

والسادة: جمع سيد. قال أبو علي: وزنه فعلة، أي مثل كملة لكن **على غير قياس** لأن صيغة فعلة تطرد في جمع فاعل لا في جمع فيعل، فقلبت الواو ألفا لا نفتاحها وانفتاح ما قبلها. وأما السادات فهو جمع الجمع بزيادة ألف وتاء بزنة جمع المؤنث السالم.

والسادة: عظماء القوم والقبائل مثل الملوك.

وقرأ الجمهور سادتنا. وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا بألف بعد الدال وبكسر التاء لأنه جمع بألف وتاء مزيدتين على بناء مفرده. وهو جمع الجمع الذي هو سادة.

والكبراء: جمع كبير وهو عظيم العشيرة، وهم دون السادة فإن كبيرا يطلق على رأس العائلة فيقول المرء لأبيه: كبيري، ولذلك قوبل قولهم: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا [الأحزاب: ٦٦] بقولهم: أطعنا سادتنا وكبراءنا.

وجملة إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا خبر مستعمل في الشكاية والتذمر، وهو تمهيد لطلب الانتصاف من سادتهم وكبرائهم. فالمقصود الإفضاء إلى جملة ربنا آتهم ضعفين من العذاب. ومقصود من هذا الخبر أيضا الاعتذار والتنصل من تبعة ضلالهم بأنهم مغررون مخدوعون، وهذا الاعتذار مردود عليهم بما أنطقهم الله به من الحقيقة إذ قالوا: إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا." (١)

٢٢٢. "القصد وهو الوسط بين طرفين يبينه المقام، فلما ذكر هنا في مقابلة الظالم والسابق علم أنه مرتكب حالة بين تينك الحالتين فهو ليس بظالم لنفسه وليس بسابق.

والسابق أصله: الواصل إلى غاية معينة قبل غيره من الماشين إليها. وهو هنا مجاز لإحراز الفضل لأن السابق يحرز السبق (بفتح الباء) ، أو مجاز في بذل العناية لنوال رضى الله، وعلى الاعتبارين في المجاز فهو مكنى عن الإكثار من الخير لأن السبق يستلزم إسراع الخطوات، والإسراع إكثار. وفي هذا السبق تفاوت أيضا كخيل الحلبة.

والخيرات: جمع خير **على غير قياس**، والخير: النافع. والمراد بها هنا الطاعات لأنها أعمال صالحة نافعة لعاملها وللناس بآثارها.

والباء للظرفية، أي في الخيرات كقوله: يسارعون في الإثم والعدوان [المائدة:

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١٧/٢٢

٦٢] .
وفي ذكر الخيرات في القسم الآخر دلالة على أنها مرادة في القسمين الأولين فيؤول إلى معنى ظالم لنفسه في الخيرات ومقتصد في الخيرات أيضا، ولك أن تجعل معنى ظالم لنفسه أنه ناقصها من الخيرات كقوله: كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص عن معتادها في الإثمار في سورة الكهف [٣٣]
.
والإذن مستعمل في التيسير على سبيل المجاز، والباء للسببية متعلقة ب سابق، وليس المراد به الأمر لأن الله أمر الناس كلهم بفعل الخير سواء منهم من أتى به ومن قصر به.
ولك أن تجعل الباء للملابسة وتجعلها ظرفا مستقرا في موضع الحال من سابق أي متلبسا بإذن الله ويكون الإذن مصدرا بمعنى المفعول، أي سابق ملابس لما أذن الله به، أي لم يخالفه.
وعلى الوجه الأول هو تنويه بالسابقين بأن سبقهم كان بعون من الله وتيسير منه.
وفيما رأيت من تفسير هذه المراتب الثلاث في الآية المأخوذ من كلام الأئمة." (١)

٢٢٣. "أي بوجه قسم الحسن على أجزائه أقساما.
فمعانيه متشابهة في صحتها وأحكامها وابتنائها على الحق والصدق ومصادفة المحز من الحجة وتبكيت الخصوم وكونها صلاحا للناس وهدى. وألفاظه متماثلة في الشرف والفصاحة والإصابة للأغراض من المعاني بحيث تبلغ ألفاظه ومعانيه أقصى ما تحتمله أشرف لغة للبشر وهي اللغة العربية مفردات ونظما، وبذلك كان معجزا لكل بليغ عن أن يأتي بمثله، وفي هذا
إشارة إلى أن جميع آيات القرآن بالغ الطرف الأعلى من البلاغة وأنها متساوية في ذلك بحسب ما يقتضيه حال كل آية منها، وأما تفاوتها في كثرة الخصوصيات وقلتها فذلك تابع لاختلاف المقامات ومقتضيات الأحوال، فإن بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال، والطرف الأعلى من البلاغة هو مطابقة الكلام لجميع ما يقتضيه الحال، فآيات القرآن متماثلة متشابهة في الحسن لدى أهل الذوق من البلغاء بالسليقة أو بالعلم وهو في هذا مخالف لغيره من الكلام البليغ فإن ذلك لا يخلو عن تفاوت ربما بلغ بعضه مبلغ أن لا يشبه بقيته، وهذا المعنى مما يدخل في قوله تعالى: أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا [النساء: ٨٢] ، فالكاتب البليغ والشاعر المجيد لا يخلو كلام أحد منهما من ضعف في بعضه، وأيضا لا تتشابه أقوال أحد منهما بل تجد لكل منهما قطعا متفاوتة في الحسن والبلاغة وصحة المعاني. وبما قررنا تعلم أن المتشابه هنا مراد به معنى غير المراد في قوله تعالى: وأخر متشابهات [آل عمران: ٧] لاختلاف ما فيه التشابه.
الصفة الرابعة: كونه مثاني، ومثاني: جمع مثنى بضم الميم وبتشديد النون جمعا **على غير قياس**، أو اسم

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/٣١٣

جمع. ويجوز كونه جمع مثنى بفتح الميم وتخفيف النون وهو اسم لجعل المعدود أزواجا اثنين، اثنين، وكلا الاحتمالين يطلق على معنى التكرير. كني عن معنى التكرير بمادة التثنية لأن التثنية أول مراتب التكرير، كما كني بصيغة التثنية عن التكرير في قوله تعالى: ثم ارجع البصر كرتين [الملك: ٤] ، وقول العرب: لبيك وسعديك، أي إجابات كثيرة ومساعدات كثيرة.

وقد تقدم بيان معنى مثاني في قوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني في سورة [الحجر: ٨٧] ، فالقرآن مثاني لأنه مكرر الأغراض.." (١)

٢٢٤. "فالجملة الأولى: الله خالق كل شيء وهذه الجملة أدخلت كل موجود في أنه مخلوق لله تعالى، فهو ولي التصرف فيه لا يخرج من ذلك إلا ذات الله تعالى وصفاته فهي مخصوصة من هذا العموم بدليل العقل وهو أنه خالق كل شيء فلو كان خالق نفسه أو صفاته لزم توقف الشيء على ما يتوقف هو عليه وهذا ما يسمى بالدور في الحكمة، واستحالته عقلية، فخص هذا العموم العقل. والمقصود من هذا إثبات حقيقة، وإلزام الناس بتوحيده لأنه خالقهم، وليس في هذا قصد ثناء ولا تعاظم، والمقصود من هذه المقدمة تذكير الناس بأنهم جميعا هم وما معهم عبيد لله وحده ليس لغيره منة عليهم بالإيجاد.

الجملة الثانية: وهو على كل شيء وكيل وجيء بها معطوفة لأن مدلولها مغاير لمدلول التي قبلها. والوكيل المتصرف في شيء بدون تعقب ولما لم يعلق بذلك الوصف شيء علم أنه موكول إليه جنس التصرف وحقيقته التي تعم جميع أفراد ما يتصرف فيه، فعم تصرفه أحوال جميع الموجودات من تقدير الأعمال والآجال والحركات، وهذه المقدمة تقتضي الاحتياج إليه بالإمداد فهم بعد أن أوجدهم لم يستغنوا عنه لمحة ما.

الجملة الثالثة: له مقاليد السماوات والأرض وجيء بها مفصولة لأنها تفيد بيان الجملة التي قبلها فإن الوكيل على شيء يكون هو المتصرف في العطاء والمنع.

والمقاليد: جمع إقليد بكسر الهمزة وسكون القاف وهذا جمع **على غير قياس**، وإقليد قيل معرب عن الفارسية، وأصله (كليد) قيل من الرومية وأصله (إقليدس) وقيل كلمة يمانية وهو مما تقاربت فيه اللغات وهي كناية عن حفظ ذخائرها، فذخائر الأرض عناصرها ومعادنها وكيفيات أجوائها وبحارها، وذخائر السماوات سير كواكبها وتصرفات أرواحها في عوالمها وعوالمنا وما لا يعلمه إلا الله تعالى. ولما كانت تلك العناصر والقوى شديدة النفع للناس وكان الناس في حاجة إليها شبهت بنفائس المخزونات فصح أيضا أن تكون المقاليد استعارة مكنية، وهي أيضا استعارة مصرحة للأمر الإلهي التكويني والتسخيري

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٨٦/٢٣

الذي يفيض به على الناس من تلك الذخائر المدخرة كقوله تعالى: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم [الحجر: ٢١] .." (١)

٢٢٥. "قريناكم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحونا

والإذاقة: تخييل من ملائمات الطعام المشبه به.

والخزي: الذل. وإضافة عذاب إلى الخزي من إضافة الموصوف إلى الصفة بدليل مقابلته بقوله: ولعذاب الآخرة أخزى، أي أشد إخزاء من إخزاء عذاب الدنيا، وذلك باعتبار أن الخزي وصف للعذاب من باب الوصف بالمصدر أو اسم المصدر للمبالغة في كون ذلك العذاب مخزيا للذي يعذب به. ومعنى كون العذاب مخزيا: أنه سبب خزي فوصف العذاب بأنه خزي بمعنى مخز من باب المجاز العقلي، ويقدر قبل الإضافة: لنذيقهم عذابا خزيا، أي مخزيا، فلما أريدت إضافة الموصوف إلى صفته قيل:

عذاب الخزي، للمبالغة أيضا لأن إضافة الموصوف إلى الصفة مبالغة في الاتصاف حتى جعلت الصفة بمنزلة شخص آخر يضاف إليه الموصوف وهو قريب من محسن التجريد

فحصلت مبالغتان في قوله: عذاب الخزي مبالغة الوصف بالمصدر، ومبالغة إضافة الموصوف إلى الصفة.

وجملة ولعذاب الآخرة أخزى احتراس لئلا يحسب السامعون أن حظ أولئك من العقاب هو عذاب الإهلاك بالريح فعطف عليه الإخبار بأن عذاب الآخرة أخزى، أي لهم ولكل من عذب عذابا في الدنيا لغضب الله عليه. وأخزى: اسم تفضيل جرى **على غير قياس**، وقياسه أن يقال: أشد إخزاء، لأنه لا يقال: خزاه، بمعنى أخزاه، أي أهانه، ومثل هذا في صوغ اسم التفضيل كثير في الاستعمال.

وجملة وهم لا ينصرون تذييل، أي لا ينصرهم من يدفع العذاب عنهم، ولا من يشفع لهم، ولا من يخرجهم منه بعد مهلة.." (٢)

٢٢٦. "التشبيه، إلا أن تأويل سلفنا كان تأويلا جمليا، وتأويل خلفهم كان تأويلا تفصيليا كتأويلهم اليد بالقدرة، والعين بالعلم، وبسط اليدين بالجود، والوجه بالذات، والنزول بتمثيل حال الإجابة والقبول بحال نزول المرتفع من مكانه الممتنع إلى حيث يكون سائلوه لينيلهم ما سألوه. ولهذا قالوا: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم.

ولما أفاد قوله: ليس كمثله شيء صفات السلوب أعقب بإثبات صفة العلم لله تعالى وهي من الصفات المعنوية وذلك بوصفه ب السميع البصير الدالين على تعلق علمه بالموجودات من المسموعات والمبصرات تنبيها على أن نفي مماثلة الأشياء لله تعالى لا يتوهم منه أن الله منزه عن الاتصاف بما اتصفت به المخلوقات من أوصاف الكمال المعنوية كالحياة والعلم ولكن صفات المخلوقات لا تشبه صفاته تعالى

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٤/٢٤

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦١/٢٤

في كمالها لأنها في المخلوقات عارضة، وهي واجبة لله تعالى في منتهى الكمال، فكونه تعالى سميعا وبصيرا من جملة الصفات الداخلة تحت ظلال التأويل بالحمل على عموم قوله تعالى: ليس كمثله شيء فلم يقتضيا جارحتين. ولقد كان تعقيب قوله ذلك بهما شبيها بتعقيب المسألة بمثالها.

[١٢]

[سورة الشورى (٤٢) : آية ١٢]

له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)

خبر رابع أو خامس عن الضمير في قوله: وهو على كل شيء قدير [الشورى: ٩] وموقع هذه الجملة كموقع التي قبلها تتنزل منزلة النتيجة لما تقدمها، لأنه إذا ثبت أن الله هو الولي وما تضمنته الجمل بعدها إلى قوله: يذرؤكم فيه [الشورى: ١١] من انفراده بالخلق، ثبت أنه المنفرد بالرزق.

والمقاليد: جمع إقليد **على غير قياس**، أو جمع مقلاد، وهو المفتاح، وتقدم عند قوله تعالى: له مقاليد السماوات والأرض في سورة الزمر." (١)

٢٢٧. "والمقام بضم الميم: مكان الإقامة. والمقام بفتح الميم: مكان القيام ويتناول المسكن وما يتبعه.

وقرأه نافع وابن عامر وأبو جعفر بضم الميم. وقرأه الباقون بفتح الميم.

والمراد بالمقام المكان فهو مجاز بعلاقة الخصوص والعموم.

والأمين بمعنى الآمن والمراد: الآمن ساكنه، فوصفه ب أمين مجاز عقلي كما قال تعالى: وهذا البلد الأمين [التين: ٣] . والأمن أكبر شروط حسن المكان لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن وهو السلامة من المكاره والمخاوف فإذا كان آمنا في منزله كان مطمئن البال شاعرا بالنعيم الذي يناله. وأبدل منه بأنهم ي جنات وعيون

وذلك من وسائل النزهة والطيب. وأعيد حرف ي

مع البدل للتأكيد.

والجنات: جمع جنة، وتقدم في أول البقرة. والعيون: جمع عين، وتقدم في قوله:

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في سورة البقرة [٦٠] ، فهذا نعيم مكانهم. ووصف نعيم أجسادهم بذكر لباسهم وهو لباس الترف والنعيم وفيه كناية عن توفر أسباب نعيم الأجساد لأنه لا يلبس هذا اللباس إلا من استكمل ما قبله من ملائمات الجسد باطنه وظاهره.

والسندس: الديباج الرقيق النفيس، والأكثر على أنه معرب من الفارسية وقيل عربي.

أصله: سندي، منسوب إلى السند **على غير قياس**. والسندس يلبس مما يلي الجسد.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٨/٢٥

والإستبرق: الديباج القوي يلبس فوق الثياب وهو معرب استبره فارسية، وهو الغليظ مطلقا ثم خص بغليظ الديباج، ثم عرب.

وتقدما في قوله يلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق في سورة الكهف [٣١] فارجع إليه. ومن لبيان الجنس، والمبين محذوف دل عليه يلبسون. والتقدير: ثيابا من سندس وإستبرق.." (١)

٢٢٨. "لما أراد المسير إلى العمرة استنفر من حول المدينة منهم ليخرجوا معه فيرهبه أهل مكة فلا يصدوه عن عمرته فتثاقل أكثرهم عن الخروج معه.

وكان من أهل البيعة زيد بن خالد الجهني من جهينة وخرج مع النبيء صلى الله عليه وسلم من أسلم مائة رجل منهم مرداس بن مالك الأسلمي والد عباس الشاعر وعبد الله بن أبي أوفى وزاهر بن الأسود، وأهبان- بضم الهمزة- بن أوس، وسلمة بن الأكوع الأسلمي، ومن غفار خفات- بضم الخاء المعجمة- بن أيماء- بفتح الهمزة- بعدها تحتية ساكنة، ومن مزينة عائذ بن عمرو. وتخلف عن الخروج معه معظمهم وكانوا يومئذ لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ولكنهم لم يكونوا منافقين، وأعدوا للمعذرة بعد رجوع النبيء صلى الله عليه وسلم أنهم شغلتهم أموالهم

وأهلوهم، فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما بيتوه في قلوبهم وفضح أمرهم من قبل أن يعتذروا.

وهذه من معجزات القرآن بالأخبار التي قبل وقوعه.

فالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا لمناسبة ذكر الإيفاء والنكث، فكمل بذكر من تخلفوا عن الداعي للعهد. والمعنى: أنهم يقولون ذلك عند مرجع النبيء صلى الله عليه وسلم إلى المدينة معتذرين كاذبين في اعتذارهم.

والمخلفون بفتح اللام هم الذين تخلفوا. وأطلق عليهم المخلفون أي غيرهم خلفهم وراءه، أي تركهم خلفه، وليس ذلك بمقتض أنهم مأذون لهم بل المخلف هو المتروك مطلقا. يقال: خلفنا فلانا، إذا مروا به وتركوه لأنهم اعتذروا من قبل خروج النبيء صلى الله عليه وسلم فعذرهم بخلاف الأعراب فإنهم تخلف أكثرهم بعد أن استنفروا ولم يعتذروا حينئذ.

والأموال: الإبل.

وأهلون: جمع أهل **على غير قياس** لأنه غير مستوفي لشروط الجمع بالواو والنون أو الياء والنون، فعد مما ألحق بجمع المذكر السالم.

ومعنى فاستغفر لنا: اسأل لنا المغفرة من الله إذ كانوا مؤمنين فهو طلب." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٧/٢٥

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦١/٢٦

٢٢٩. "وقرأ الجمهور فآزره. وقرأه ابن ذكوان عن ابن عامر فأزره بدون ألف بعد الهمزة والمعنى واحد.
ومعنى فاستغلظ غلظ غلظا شديدا في نوعه، فالسين والتاء للمبالغة مثل:
استجاب. والضميران المرفوعان في فاستغلظ واستوى عائدان إلى الزرع.
والسوق: جمع ساق **على غير قياس** لأن ساقا ليس بوصف وهو اسم على زنة فعل بفتحتين. وقراءة الجميع على سوقه بالواو بعد الضمة. وقال ابن عطية: قرأ ابن كثير سوقه بالهمزة أي همزة ساكنة بعد السين المضمومة وهي لغة ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة ومنه قول الشاعر (رحمه الله ١) :
لحب المؤقدان إلي مؤسى وتنسب لقنبل عن ابن كثير ولم يذكرها المفسرون ولم يذكرها في «حرز الأماني» وذكرها النوري في كتاب «غيث النفع» وكلامه غير واضح في صحة نسبة هذه القراءة إلى قنبل.
وساق الزرع والشجرة: الأصل الذي تخرج فيه السنبل والأغصان. ومعنى هذا التمثيل تشبيه حال بده المسلمين ونمائهم حتى كثروا وذلك يتضمن تشبيه بدء دين الإسلام ضعيفا وتقويه يوما فيوما حتى استحكم أمره وتغلب على أعدائه. وهذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه بأن يشبه محمد صلى الله عليه وسلم بالزارع
رحمه الله____________
(رحمه الله ١) هو جرير، وتمام البيت:
وجعدة إذا أضاءهما الوقود وتقدم عند قوله تعالى: وبالآخرة هم يوقنون في سورة البقرة [٤] . والبيت من قصيدة في مدح هشام بن عبد الملك.." (١)

٢٣٠. "الإلحاق مثل نض الثوب بمعنى نضى أو مشتقة من عباب الماء فالتضعيف في الباء أصلي) .
وفي رواية ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عمر «طاف رسول الله يوم فتح مكة ثم خطبهم في بطن المسيل فذكر الحديث وزاد فيه أن الله يقول: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى إلى إن الله عليم خبير.
وجملة إن أكرمكم عند الله أتقاكم مستأنفة استئنافا ابتدائيا وإنما أخرت في النظم عن جملة إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، لتكون تلك الجملة السابقة كالتوطئة لهذه وتتنزل منها منزلة المقدمة لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد وأم واحدة كان الشأن أن لا يفضل بعضهم بعضا إلا بالكمال النفساني وهو الكمال الذي يرضاه الله لهم والذي جعل التقوى وسيلته ولذلك ناط التفاضل في الكرم ب عند الله إذ لا اعتداد بكرم لا يعبأ الله به.
والمراد بالأكرم: الأنفس والأشرف، كما تقدم بيانه في قوله: إني ألقي إلي كتاب كريم في سورة النمل [٢٩] .
والأتقى: الأفضل في التقوى وهو اسم تفضيل صيغ من اتقى **على غير قياس**.

---
(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠٩/٢٦

وجملة إن الله عليم خبير تعليل لمضمون إن أكرمكم عند الله أتقاكم أي إنما كان أكرمكم أتقاكم لأن الله عليم بالكرامة الحق وأنتم جعلتم المكارم فيما دون ذلك من البطش وإفناء الأموال في غير وجه وغير ذلك الكرامة التي هي التقوى خبير بمقدار حظوظ الناس من التقوى فهي عنده حظوظ الكرامة فلذلك الأكرم هو الأتقى، وهذا كقوله: فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى [النجم: ٣٢] أي هو أعلم بمراتبكم في التقوى، أي التي هي التزكية الحق. ومن هذا الباب قوله: الله أعلم حيث يجعل رسالاته [الأنعام: ١٢٤] .

علم أن قوله: إن أكرمكم عند الله أتقاكم لا ينافي أن تكون للناس مكارم أخرى في المرتبة الثانية بعد التقوى مما شأنه أن يكون له أثر تزكية في النفوس مثل حسن التربية ونقاء النسب والعرافة في العلم والحضارة وحسن السمعة في الأمم وفي." (١)

٢٣١. "لأنها تلوح للأنظار دون تكلف لم يؤت في لفت أنظارهم إلى دلالتها باستفهام إنكاري تنزيلا لهم منزلة من نظر في أحوال الأرض فلم يكونوا بحاجة إلى إعادة الأخبار بأحوال الأرض تذكيرا لهم.

وانتصب الأرض ب مددناها على طريقة الاشتغال.

والمد: البسط، أي بسطنا الأرض فلم تكن مجموع نتوءات إذ لو كانت كذلك لكان المشي عليها مرهقا.

والمراد: بسط سطح الأرض وليس المراد وصف حجم الأرض لأن ذلك لا تدركه المشاهدة ولم ينظر فيه المخاطبون نظر التأمل فيستدل عليهم بما لا يعلمونه فلا يعتبر في سياق الاستدلال على القدرة على خلق الأمور العظيمة، ولا في سياق الامتنان بما في ذلك الدليل من نعمة فلا علاقة لهذه الآية بقضية كروية الأرض.

والإبقاء: تمثيل لتكوين أجسام بارزة على الأرض متباعد بعضها عن بعض لأن حقيقة الإلقاء: رمي شيء من اليد إلى الأرض، وهذا استدلال بخلقة الجبال كقوله:

وإلى الجبال كيف نصبت [الغاشية: ١٩] وفيها ظرف مستقر وصف ل رواسي قدم على موصوفه فصار حالا، ويجوز أن يكون ظرفا لغوا متعلقا ب ألقينا.

ورواسي: جمع راس **على غير قياس** مثل: فوارس وعواذل. والرسو: الثبات والقرار.

وفائدة هذا الوصف زيادة التنبيه إلى بديع خلق الله إذ جعل الجبال متداخلة مع الأرض ولم تكن موضوعة عليها وضعا كما توضع الخيمة لأنها لو كانت كذلك لتزلزلت وسقطت وأهلكت ما حواليها. وقد قال في سورة الأنبياء [٣١] وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم أي دفع أن تميد هي، أي الجبال بكم، أي ملصقة بكم في ميدها.

وهنالك وجه آخر مضى في سورة الأنبياء.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦٢/٢٦

والزوج: النوع من الحيوان والثمار والنبات، وتقدم في قوله تعالى: فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى في سورة طه." (١)

٢٣٢. "ويجوز أن يكون توعدون من الوعد، أي الإخبار بشيء يقع في المستقبل مثل قوله: إن وعد الله حق [لقمان: ٣٣] فوزنه تفعلون. والمراد بالوعد الوعد بالبعث.

ووصف لصادق مجاز عقلي إذ الصادق هو الموعد به على نحو فهو في عيشة راضية [الجاثية: ٢١] .

والدين: الجزاء. والمراد إثبات البعث الذي أنكروه.

ومعنى لواقع واقع في المستقبل بقرينة جعله مرتبا في الذكر على ما يوعدون وإنما يكون حصول الموعود به في الزمن المستقبل وفي ذكر الجزاء زيادة على الكناية به عن إثبات البعث تعريض بالوعيد على إنكار البعث.

وكتب في المصاحف إنما متصلة وهو **على غير قياس** الرسم المصطلح عليه من بعد لأنهما كلمتان لم تصيرا كلمة واحدة، بخلاف إنما التي هي للقصر. ولم يكن الرسم في زمن كتابة المصاحف في أيام الخليفة عثمان قد بلغ تمام ضبطه.

[٧- ٩]

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٧ إلى ٩]

والسماء ذات الحبك (٧) إنكم لفي قول مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩)

هذا قسم أيضا لتحقيق اضطراب أقوالهم في الطعن في الدين وهو كالتذييل للذي قبله، لأن ما قبله خاص بإثبات الجزاء. وهذا يعم إبطال أقوالهم الضالة فالقسم لتأكيد المقسم عليه لأنهم غير شاعرين بحالهم المقسم على وقوعه، ومتهالكون على الاستزادة منه، فهم منكرون لما في أقوالهم من اختلاف واضطراب جاهلون به جهلا مركبا والجهل المركب إنكار للعلم الصحيح. والقول في القسم ب السماء كالقول في القسم ب الذاريات [الذاريات: ١] .

ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه في وصف السماء بأنها ذات حبك، أي طرائق لأن المقسم عليه: إن قولهم مختلف طرائق قددا ولذلك وصف المقسم به ليكون إيماء إلى نوع جواب القسم.." (٢)

٢٣٣. "فيوقف عليه بالتاء ويكون مصروفا لأن تاء لات مثل باء باب، وأصله: مناوة بالتحريك وقد يمد فيقال:

منآة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. وقياس الوقف عليه أن يوقف عليه بالهاء، وبعضهم يقف

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨٨/٢٦

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٤٠/٢٦

عليه بالتاء تبعا لخط المصحف، وكان صخرة وقد عبده جمهور العرب وكان موضعه في المشلل حذو قديد بين مكة والمدينة، وكان الأوس والخزرج يطوفون حوله في الحج عوضا عن الصفا والمروة فلما حج المسلمون وسعوا بين الصفا والمروة تحرج الأنصار من السعي لأنهم كانوا يسعون بين الصفا والمروة فنزل فيهم قوله تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما كما تقدم عن حديث عائشة في «الموطإ» في سورة البقرة [١٥٨] .

وقرأ الجمهور ومناة بتاء بعد الألف. وقرأه ابن كثير بهمزة بعد الألف على إحدى اللغتين. والجمهور يقفون عليه بالتاء تبعا لرسم المصحف فتكون التاء حرفا من الكلمة غير علامة تأنيث فهي مثل تاء اللات ويجعلون رسمها في المصحف **على غير قياس**.

ووصفها بالثالثة لأنها ثالثة في الذكر وهو صفة كاشفة، ووصفها بالأخرى أيضا صفة كاشفة لأن كونها ثالثة في الذكر غير المذكورتين قبلها معلوم للسامع، فالحاصل من الصفتين تأكيد ذكرها لأن اللات والعزى عند قريش وعند جمهور العرب أشهر من مناة لبعد مكان مناة عن بلادهم ولأن ترتيب مواقع بيوت هذه الأصنام كذلك، فاللات في أعلى تهامة بالطائف، والعزى في وسطها بنخلة بين مكة والطائف، ومناة بالمشلل بين مكة

والمدينة فهي ثالثة البقاع.

وقال ابن عطية: كانت مناة أعظم هذه الأوثان قدرا وأكثرها عابدا ولذلك قال تعالى: الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين.

والأحسن أن قوله: الثالثة الأخرى جرى على أسلوب العرب إذا أخبروا عن متعدد وكان فيه من يظن أنه غير داخل في الخبر لعظمة أو تباعد عن التلبس بمثل ما تلبس به نظراؤه أن يختموا الخبر فيقولوا: «وفلان هو الآخر» ووجهه هنا أن عباد مناة كثيرون في قبائل العرب فنبه على أن كثرة عبدتها لا يزيدها قوة على بقية الأصنام في مقام إبطال إلهيتها وكل ذلك جار مجرى التهكم والتسفيه.." (١)

٢٣٤. "[سورة الواقعة (٥٦) : الآيات ٢٧ إلى ٣٤]

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩) وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١)

وفاكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤)

عود إلى نشر ما وقع لفه في قوله: وكنتم أزواجا ثلاثة [الواقعة: ٧] كما تقدم عند قوله: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة [الواقعة: ٨] .

وعبر عنهم هنا ب أصحاب اليمين وهنالك ب أصحاب الميمنة للتفنن.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/١٠٥

فجملة وأصحاب اليمين عطف على جملة أولئك المقربون [الواقعة: ٨] عطف القصة عل القصة.

وجملة ما أصحاب اليمين خبر عن أصحاب اليمين بإبهام يفيد التنويه بهم كما تقدم في قوله: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة [الواقعة: ٨] . وأتبع هذا الإبهام بما يبين بعضه بقوله: في سدر مخضود إلخ.

والسدر: شجر من شجر العضاه ذو ورق عريض مدور وهو صنفان: عبري بضم العين وسكون الموحدة وياء نسب نسبة إلى العبر بكسر العين وسكون الموحدة على غير قياس وهو عبر النهي، أي ضفته، له شوك ضعيف في غصونه لا يضير.

والصنف الثاني الضال (بضاد ساقطة ولام مخففة) وهو ذو شوك. وأجود السدر الذي ينبت على الماء وهو يشبه شجر العناب، وورقه كورق العناب وورقه يجعل غسولا ينظف به، يخرج مع الماء رغوة كالصابون.

وثمر هذا الصنف هو النبق- بفتح النون وكسر الموحدة وقاف- يشبه ثمر العناب إلا أنه أصفر مز (بالزاي) يفوح الفم ويفوح الثياب ويتفكه به، وأما الضال وهو السدر البري الذي لا ينبت على الماء فلا يصلح ورقه للغسول وثمره عفص لا يسوغ في الحلق ولا ينتفع به ويخبط الرعاة ورقه للراعية، وأجود ثمر السدر ثمر سدر هجر أشد نبق حلاوة

وأطيبه رائحة.." (١)

٢٣٥. "فالعلم المنفي في قوله: في ما لا تعلمون

[الواقعة: ٦١] ، هو العلم التفصيلي، والعلم المثبت في قوله: ولقد علمتم النشأة الأولى هو العلم الإجمالي، والإجمالي كاف في الدلالة على التفصيلي إذ لا أثر للتفصيل في الاعتقاد.

وفي المقابلة بين قوله: في ما لا تعلمون

[الواقعة: ٦١] بقوله: ولقد علمتم محسن الطباق.

ولما كان علمهم بالنشأة الأولى كافيا لهم في إبطال إحالتهم النشأة الثانية رتب عليه من التوبيخ ما لم يرتب مثله على قوله: وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون [الواقعة: ٦٠، ٦١] فقال: فلولا تذكرون، أي هلا تذكرتم بذلك فأمسكتم عن الجحد، وهذا تجهيل لهم في تركهم قياس الأشباه على أشباهها، ومثله قوله آنفا: نحن خلقناكم فلولا تصدقون [الواقعة: ٥٧] .

وجيء بالمضارع في قوله: تذكرون للتنبيه على أن باب التذكر مفتوح فإن فاتهم التذكر فيما مضى فليتداركوه الآن.

وقرأ الجمهور النشأة بسكون الشين تليها همزة مفتوحة مصدر نشأ على وزن المرة وهي مرة للجنس. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وحده بفتح الشين بعدها ألف تليها همزة، وهو مصدر على وزن الفعالة على

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٢٩٨

غير قياس، وقد تقدم في سورة العنكبوت.
[٦٣، ٦٤]

[سورة الواقعة (٥٦) : الآيات ٦٣ إلى ٦٤]
أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٤)
انتقال إلى دليل آخر على إمكان البعث وصلاحية قدرة الله له بضرب آخر من ضروب الإنشاء بعد العدم.
فالفاء لتفريع ما بعدها على جملة: نحن خلقناكم فلولا تصدقون [الواقعة: ٥٧] كما فرع عليه قوله: أفرأيتم ما تمنون [الواقعة: ٥٨] ليكون الغرض من هذه الجمل متحدا وهو الاستدلال على إمكان البعث، فقصد تكرير الاستدلال وتعداده بإعادة جملة." (١)

٢٣٦. "آخر رسل إسرائيل وبين عيسى فإن آخر رسل إسرائيل كان يونس بن متى أرسل إلى أهل نينوى أول القرن الثامن قبل المسيح فلذلك لم يكن عيسى مرسلا على آثار من قبله من الرسل.
والإنجيل: هو الوحي الذي أنزله الله على عيسى وكتبه الحواريون في أثناء ذكر سيرته.
والإنجيل: بكسر الهمزة وفتحها معرب تقدم بيانه أول سورة آل عمران. ومعنى جعل الرأفة والرحمة في قلوب الذين اتبعوه أن تعاليم الإنجيل الذي آتاه الله عيسى أمرتهم بالتخلق بالرأفة والرحمة فعملوا بها، أو أن ارتياضهم بسيرة عيسى عليه السلام أرسخ ذلك في قلوبهم وذلك بجعل الله تعالى لأنه أمرهم به ويسره عليهم.
ذلك أن عيسى بعث لتهذيب نفوس اليهود واقتلاع القسوة من قلوبهم التي تخلقوا بها في أجيال طويلة قال تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة في سورة البقرة [٧٤] .
والرأفة: الرحمة المتعلقة بدفع الأذى والضر فهي رحمة خاصة، وتقدمت في قوله
تعالى: إن الله بالناس لرؤف رحيم في سورة البقرة [١٤٣] وفي قوله: ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله في سورة النور [٢] .
والرحمة: العطف والملاينة، وتقدمت في أول سورة الفاتحة.
فعطف الرحمة على الرأفة من عطف العام على الخاص لاستيعاب أنواعه بعد أن اهتم ببعضها.
والرهبانية: اسم للحالة التي يكون الراهب متصفا بها في غالب شؤون دينه، والياء فيها ياء النسبة إلى

---
(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٩/٢٧

الراهب **على غير قياس** لأن قياس النسب إلى الراهب الراهبية، والنون فيها مزيدة للمبالغة في النسبة كما زيدت في قولهم: شعراني، لكثير الشعر، ولحياني لعظيم اللحية، وروحاني، ونصراني.." (١)

٢٣٧. "القيد، أي لا يجتمعون على قتالكم اجتماع الجيوش، أي لا يهاجمونكم ولكن يقاتلون قتال دفاع في قراهم.

واستثناء إلا في قرى على الوجه الأول في جميعا استثناء حقيقي من عموم الأحوال، أي لا يقاتلونكم كلهم في حال من الأحوال إلا في حال الكون في قرى محصنة

إلخ. وهو على الوجه الثاني في جميعا استثناء منقطع لأن القتال في القرى ووراء الجدر ليس من أحوال قتال الجيوش المتساندين.

وعلى كلا الاحتمالين فالكلام يفيد أنهم لا يقاتلون إلا متفرقين كل فريق في قريتهم، وإلا خائفين متترسين.

والمعنى: لا يهاجمونكم، وإن هاجمتموهم لا يبرزون إليكم ولكنهم يدافعونكم في قرى محصنة أو يقاتلونكم من وراء جدر، أي في الحصون والمعاقل ومن وراء الأسوار، وهذا كناية عن مصيرهم إلى الهزيمة إذ ما حورب قوم في عقر دارهم إلا ذلوا كما قال علي رضي الله عنه: وهذا إطلاع لهم على تطمين للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ودخائل الأعداء.

و «الجدر» بضمتين في قراءة الجمهور جمع جدار. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو جدار على الإفراد، والمراد الجنس تساوي الجمع.

ومحصنة ممنوعة ممن يريد أخذها بأسوار أو خنادق.

وقرى بالقصر جمع قرية، ووزنه وقصره **على غير قياس** لأن ما كان على زنة فعلة معتل اللام مثل قرية يجمع على فعال بكسر الفاء ممدودا مثل: ركوة وركاء، وشكوة وشكاء. ولم يسمع القصر إلا في كوة بفتح الكاف لغة وكوى، وقرية وقرى ولذلك قال الفراء: قرى شاذ، يريد خارج عن القياس.

بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون استئناف بياني لأن الإخبار عن أهل الكتاب وأنصارهم بأنهم لا يقاتلون." (٢)

٢٣٨. "[سورة التحريم (٦٦) : آية ٦]

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)

كانت موعظة نساء النبيء صلى الله عليه وسلم مناسبة لتنبيه المؤمنين لعدم الغفلة عن موعظة أنفسهم

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٢١/٢٧

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠٥/٢٨

وموعظة أهليهم وأن لا يصدهم استبقاء الود بينهم عن إسداء النصح لهم وإن كان في ذلك بعض الأذى.

وهذا نداء ثان موجه إلى المؤمنين بعد استيفاء المقصود من النداء الأول نداء النبيء صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك [التحريم: ١] .

وجه الخطاب إلى المؤمنين ليأتنسوا بالنبيء صلى الله عليه وسلم في موعظة أهليهم.

وعبر عن الموعظة والتحذير بالوقاية من النار على سبيل المجاز لأن الموعظة سبب في تجنب ما يفضي إلى عذاب النار أو على سبيل الاستعارة بتشبيه الموعظة بالوقاية من النار على وجه المبالغة في الموعظة.

وتنكير «نارا» للتعظيم وأجري عليها وصف بجملة وقودها الناس والحجارة زيادة في التحذير لئلا يكونوا من وقود النار. وتذكيرا بحال المشركين الذي في قوله تعالى:

إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم في سورة الأنبياء [٩٨] . وتفظيعا للنار إذ يكون الحجر عوضا لها عن الحطب.

ووصفت النار بهذه الجملة لأن مضمون هذه الجملة قد تقرر في علم المسلمين من قبل نزول هذه الآية بما تقدم في سورة البقرة [٢٤] من قوله تعالى: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وبما تقدمهما معا من قوله: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم في سورة الأنبياء [٩٨] .

والحجارة: جمع الحجر على غير قياس فإن قياسه أحجار فجمعوه على حجار بوزن فعال وألحقوا به هاء التأنيث كما قالوا: بكارة جمع بكر، ومهارة جمع مهر.

وزيد في تهويل النار بأن عليها ملائكة غلاظا شدادا وجملة عليها ملائكة إلى آخرها صفة ثانية.." (١)

٢٣٩. "وباتصال (كل) بحرف (ما) المصدرية الظرفية اكتسب التركيب معنى الشرط وشابه أدوات الشرط في الاحتياج إلى جملتين مرتبة إحداهما على الأخرى.

وجيء بفعلي ألقي وسألهم ماضيين لأن أكثر ما يقع الفعل بعد كلما أن يكون بصيغة المضي لأنها لما شابهت الشرط استوى الماضي والمضارع معها لظهور أنه للزمن المستقبل فأوثر فعل المضي لأنه أخف.

والفوج: الجماعة أي جماعة ممن حق عليهم الخلود، وتقدم عند قوله تعالى:

ويوم نحشر من كل أمة فوجا في سورة النمل [٨٣] .

وجيء بالضمائر العائدة إلى الفوج ضمائر جمع في قوله: سألهم إلخ. لتأويل الفوج بجماعة أفراده كما في قوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا [الحجرات: ٩] .

وخزنة النار: الملائكة الموكل إليهم أمر جهنم وهو جمع خازن للموكل بالحفظ وأصل الخازن: الذي يخزن

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/٣٦٥

شيئا، أي يحفظه في مكان حصين، فإطلاقه على الموكلين مجاز مرسل.

وجملة ألم يأتكم نذير بيان لجملة سألهم كقوله: فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد [طه: ١٢٠] .

والاستفهام في ألم يأتكم نذير للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة.

والنذير: المنذر، أي رسول منذر بعقاب الله وهو مصوغ على غير قياس كما صيغ بمعنى المسمع السميع في قول عمرو بن معد يكرب:

أمن رياحنة الداعي السميع والمراد أفواج أهل النار من جميع الأمم التي أرسلت إليهم الرسل فتكون جملة: كلما ألقي فيها فوج إلخ بمعنى التذييل.

وجملة: قالوا بلى قد جاءنا نذير معترضة بين كلام خزنة جهنم اعتراضا يشير إلى أن الفوج قاطع كلام الخزنة بتعجيل الاعتراف بما وبخوهم عليه وذلك من شدة الخوف.

وفصلت الجملة لوجهين لأنها اعتراض، ولوقوعها في سياق المحاورة كما تقدم غير مرة كقوله تعالى: قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها في سورة البقرة [٣٠] . وكان." [(١)]

٢٤٠. "والسؤال مستعمل في معنيي الاستفهام عن شيء والدعاء، على أن استفهامهم مستعمل في التهكم والتعجيز. ويجوز أن يكون سأل سائل بمعنى استعجل وألح.

وقرأ الجمهور سأل بإظهار الهمزة. وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر سأل بتخفيف الهمزة ألفا. قال في «الكشاف» : وهي لغة قريش وهو يريد أن قريشا قد يخففون المهموز في مقام الثقل وليس ذلك قياسا في لغتهم بل لغتهم تحقيق الهمز ولذلك قال سيبويه: وليس ذا بقياس متلئب (أي مطرد مستقيم) وإنما يحفظ عن العرب قال: ويكون قياسا متلئبا، إذا اضطر الشاعر، قال الفرزدق:

راحت بمسلمة البغال عشية ... فارعي فزازة لا هناك المرتع

يريد لا هنأك بالهمز. وقال حسان:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

يريد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إباحة الزنا. وقال القرشي زيد بن عمرو بن نفيل (يذكر زوجيه) :

سألتاني الطلاق أن رأتاني ... قل مالي قد جيتماني بنكر

فهؤلاء ليس لغتهم سال ولا يسال وبلغنا أن سلت تسال لغة اهـ. فجعل إبدال الهمز ألفا للضرورة مطردا ولغير الضرورة يسمع ولا يقاس عليه فتكون قراءة التخفيف سماعا. وذكر الطيبي عن أبي علي في الحجة: أن من قرأ سأل غير مهموز جعل الألف منقلبة عن الواو التي هي عين الكلمة مثل: قال وخاف.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/٢٥

وحكى أبو عثمان عن أبي زيد أنه سمع من يقول: هما متساولان. وقال في «الكشاف» : يقولون (أي أهل الحجاز) :

سلت تسال وهما يتسايلان، أي فهو أجوف يائي مثل هاب يهاب. وكل هذه تلتقي في أن نطق أهل الحجاز سأل غير مهموز سماعي، وليس بقياس عندهم وأنه إما تخفيف للهمزة **على غير قياس** مطرد وهو رأي سيبويه، وإما لغة لهم في هذا الفعل وأفعال أخرى جاء هذا الفعل أجوف واويا كما هو رأي أبي علي أو أجوف يائيا كما هو رأي الزمخشري. وبذلك يندحض تردد أبي حيان جعل الزمخشري قراءة سأل لغة أهل الحجاز إذ قد يكون لبعض القبائل لغتان في فعل واحد.." [1]

٢٤١. "والتعريف في اليمين والشمال تعريف الجنس أو الألف واللام عوض عن المضاف إليه.

والمقصود من ذكر اليمين والشمال: الإحاطة بالجهات فاكتفي بذكر اليمين والشمال، لأنهما الجهتان اللتان يغلب حلولهما، ومثله قول قطري بن الفجاءة:

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرة وأمامي

يريد: من كل جهة.

وعزين حال من الذين كفروا. وعزين: جمع عزة بتخفيف الزاي، وهي الفرقة من الناس، اسم بوزن فعلة. وأصله عزوة بوزن كسوة، وليست بوزن عدة. وجرى جمع عزة على الإلحاق بجمع المذكر السالم **على غير قياس** وهو من باب سنة من كل اسم ثلاثي حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر مثل عضة (للقطعة) .

وهذا التركيب في قوله تعالى: فمال الذين كفروا قبلك مهطعين إلى قوله جنة نعيم يجوز أن يكون استعارة تمثيلية شبه حالهم في إسراعهم إلى النبيء صلى الله عليه وسلم بحال من يظن بهم الاجتماع لطلب الهدى والتحصيل على المغفرة ليدخلوا الجنة لأن الشأن أن لا يلتف حول النبيء صلى الله عليه وسلم إلا طالبوا الاهتداء بهديه.

والاستفهام على هذا مستعمل في أصل معناه لأن التمثيلية تجري في مجموع الكلام مع بقاء كلماته على حقائقها.

ويجوز أن يكون الكلام استفهاما مستعملا في التعجيب من حال إسراعهم ثم تكذيبهم واستهزائهم.

وجملة أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بدل اشتمال عن جملة فمال الذين كفروا قبلك مهطعين الآية، لأن التفافهم حول النبيء صلى الله عليه وسلم شأنه أن يكون لطلب الهدى والنجاة

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/١٥٤

فشبه حالهم بحال طالبي النجاة والهدى فأورد استفهام عليه.

وحكى المفسرون أن المشركين قالوا مستهزئين: نحن ندخل الجنة قبل المسلمين، فجاز أن يكون الاستفهام إنكارا لتظاهرهم بالطمع في الجنة بحمل استهزائهم على خلاف مرادهم على طريقة الأسلوب الحكيم، أو بالتعبير بفعل." (١)

٢٤٢. "المستقبلة من إدبار الليل بعد نزول الآية، على وزان إذا أسفر في قراءة الجميع، وكل ذلك مستقيم فقد حصل في قراءة نافع وموافقيه تفنن في القسم.

والكبر: جمع الكبرى في نوعها، جمعوه هذا الجمع **على غير قياس** بابه لأن فعلى حقها أن تجمع جمع سلامة على كبريات، وأما بنية فعل فإنها جمع تكسير لفعلة كغرفة وغرف، لكنهم حملوا المؤنث بالألف على المؤنث بالهاء لأنهم تأولوه بمنزلة اسم للمصيبة العظيمة ولم يعتبروه الخصلة الموصوفة بالكبر، أي أنثى الأكبر فلذلك جعلوا ألف التأنيث التي فيه بمنزلة هاء التأنيث فجمعوه كجمع المؤنث بالهاء من وزن فعلة ولم يفعلوا ذلك في أخواته مثل عظمى.

وانتصب نذيرا على الحال من ضمير إنها، أي إنها لعظمى العظائم في حال إنذارها للبشر وكفى بها نذيرا.

والنذير: المنذر، وأصله وصف بالمصدر لأن نذيرا جاء في المصادر كما جاء النكير، والمصدر إذا وصف به أو أخبر به يلزم الإفراد والتذكير، وقد كثر الوصف ب (النذير) حتى صار بمنزلة الاسم للمنذر.

وقوله: لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بدل مفصل من مجمل من قوله للبشر، وأعيد حرف الجر مع البدل للتأكيد كقوله تعالى: قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم [الأعراف: ٧٥] ، وقوله: إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم [التكوير: ٢٧، ٢٨] وقوله تعالى: تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا [المائدة: ١١٤] . والمعنى: إنها نذير لمن شاء أن يتقدم إلى الإيمان والخير لينتذر بها، ولمن شاء أن يتأخر عن الإيمان والخير فلا يرعوي بنذارتها لأن التقدم مشي إلى جهة الأمام فكأن المخاطب يمشي إلى جهة الداعي إلى الإيمان وهو كناية عن قبول ما يدعو

إليه، وبعكسه التأخر، فحذف متعلق يتقدم ويتأخر لظهوره من السياق.

ويجوز أن يقدر: لمن شاء أن يتقدم إليها، أي إلى سقر بالإقدام على الأعمال التي تقدمه إليها، أو يتأخر عنها بتجنب ما من شأنه أن يقربه منها.

وتعليق نذيرا بفعل المشيئة إنذار لمن لا يتذكر بأن عدم تذكره ناشيء عن عدم مشيئته فتبعته عليه لتفريطه

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/١٧٧

على نحو قول المثل «يداك أوكتا وفوك نفخ» ، وقد تقدم في سورة المزمل [١٩] قوله: إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا." (١)

٢٤٣. "و (سلسبيل) : وصف قيل مشتق من السلاسة وهي السهولة واللين فيقال: ماء سلسل، أي عذب بارد. قيل: زيدت فيه الباء والياء (أي زيدتا في أصل الوضع **على غير قياس**) .

قال التبريزي في «شرح الحماسة» في قول البعيث بن حريث:

خيال لأم السلسبيل ودونها ... مسيرة شهر للبريد المذبذب

قال أبو العلاء: السلسبيل الماء السهل المساغ. وعندي أن هذا الوصف ركب من مادتي السلاسة والسبالة، يقال: سبلت السماء، إذا أمطرت، فسبيل فعيل بمعنى مفعول، ركب من كلمتي السلاسة والسبيل لإرادة سهولة شربه ووفرة جريه. وهذا من الاشتقاق الأكبر وليس باشتقاق تصريفي.

فهذا وصف من لغة العرب عند محققي أهل اللغة. وقال ابن الأعرابي: لم أسمع هذه اللفظة إلا في القرآن، فهو عنده من مبتكرات القرآن الجارية على أساليب الكلام العربي، وفي «حاشية الهمذاني على الكشاف» نسبة بيت البعث المذكور آنفا مع بيتين بعده إلى أمية بن أبي الصلت وهو عزو غريب لم يقله غيره.

ومعنى تسمى على هذا الوجه، أنها توصف بهذا الوصف حتى صار كالعلم لها كما قال تعالى: ليسمون الملائكة تسمية الأنثى [النجم: ٢٧] أي يصفونهم بأنهم إناث، ومنه قوله تعالى: هل تعلم له سميا [مريم: ٦٥] أي لا مثيل له. فليس المراد أنه علم.

ومن المفسرين من جعل التسمية على ظاهرها وجعل سلسبيلا علما على هذه العين، وهو أنسب بقوله تعالى: تسمى. وعلى قول ابن الأعرابي والجمهور: لا

إشكال في تنوين سلسبيلا. وأما الجواليقي: إنه أعجمي سمي به، يكون تنوينه للمزاوجة مثل تنوين سلاسلا [الإنسان: ٤] .

وهذا الوصف ينحل في السمع إلى كلمتين: سل، سبيلا، أي اطلب طريقا. وقد فسره بذلك بعض المفسرين وذكر أنه جعل علما لهذه العين من قبيل العلم المنقول عن جملة مثل: تأبط شرا، وذرى حبا. وفي «الكشاف» أن هذا تكلف وابتداع.." (٢)

٢٤٤. "جعلت مقالتهم مقتضية أن عيسى أمرهم بأن يكونوا عبادا له دون الله، والمعنى أن لآمر بأن يكون الناس عبادا له هو آمر بانصرافهم عن عبادة الله. ولكن كونوا ربانيين أي ولكن يقول كونوا ربانيين أي كونوا منسوبين للرب، وهو الله تعالى، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٢٣/٢٩

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٩٦/٢٩

بالمنسوب إليه.

ومعنى ذلك أن يكونوا مخلصين لله دون غيره.

والرباني نسبة إلى الرب **على غير قياس** كما يقال اللحياني لعظيم اللحية، والشعراني لكثير الشعر.

وقوله: بما كنتم تعلمون الكتاب أي لأن علمكم الكتاب من شأنه أن يصدكم عن إشراك العبادة، فإن فائدة العلم العمل.

وقرأ الجمهور: بما كنتم تعلمون- بفتح المثناة الفوقية وسكون العين وفتح اللام- مضارع علم. وقرأه ابن عامر، وحمزة، وعاصم، والكسائي، وخلف: بضم ففتح فلام مشددة مكسورة مضارع علم المضاعف.

وتدرسون معناه تقرءون أي قراءة بإعادة وتكرير: لأن مادة درس في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يعمل في أمثاله، فمنه قولهم: درست الريح رسم الدار إذا عفته وأبلته، فهو دارس، يقال منزل دارس، والطريق الدارس العافي الذي لا يتبين. وثوب دارس خلق، وقالوا: درس الكتاب إذا قرأه بتمهل لحفظه، أو للتدبر،

وفي الحديث: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة

إلخ» رواه الترمذي فعطف التدارس على القراءة فعلم أن الدراسة أخص من القراءة. وسموا بيت قراءة اليهود مدراسا كما في الحديث: إن النبيء صلى الله عليه وسلم خرج

في طائفة من أصحابه حتى أتى مدراس اليهود فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلخ. ومادة درس تستلزم التمكن من المفعول فلذلك صار درس الكتاب مجازا في فهمه وإتقانه ولذلك عطف في هذه الآية وبما كنتم تدرسون على بما كنتم تعلمون الكتاب.." (١)

٢٤٥. "والمعاش: يطلق مصدر عاش إذا حيي، فالمعاش: الحياة ويطلق اسما لما به عيش الإنسان من طعام وشراب **على غير قياس**.

والمعنيان صالحان للآية إذ يكون المعنى: وجعلنا النهار حياة لكم، شبهت اليقظة فيه الحياة، أو يكون المعنى وجعلنا النهار معيشة لكم، والإخبار عنه بأنه معيشة مجاز أيضا بعلاقة السببية لأن النهار سبب للعمل الذي هو سبب لحصول المعيشة وذلك يقابل جعل الليل سباتا بمعنى الانقطاع عن العمل، قال تعالى: ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله [القصص: ٧٣] .

ففي مقابلة السبات بالمعاش على هذين الاعتبارين مطابقتان من المحسنات.

[١٢]

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩٥/٣

[سورة النبإ (٧٨) : آية ١٢]
وبنينا فوقكم سبعا شدادا (١٢)
ناسب بعد ذكر الليل والنهار وهما من مظاهر الأفق المسمى سماء أن يتبع ذلك وما سبقه من خلق العالم السفلي بذكر خلق العوالم العلوية.
والبناء: جعل الجاعل أو صنع الصانع بيتا أو قصرا من حجارة وطين أو من أثواب، أو من أدم على وجه الأرض، وهو مصدر بنى، فبيت المدر مبني، والخيمة مبنية، والطراف والقبة من الأدم مبنيان. والبناء يستلزم الإعلاء على الأرض فليس الحفر بناء ولا نقر الصخور في الجبال بناء. قال الفرزدق:
إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول
فذكر الدعائم وهي من أجزاء الخيمة.
واستعير فعل بنينا في هذه الآية لمعنى: خلقنا ما هو عال فوق الناس، لأن تكوينه عاليا يشبه البناء.
ولذلك كان قوله: فوقكم إيماء إلى وجه الشبه في إطلاق فعل بنينا وليس
ذلك تجريدا للاستعارة لأن الفوقية لا تختص بالمبنيات، مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار والنظر في تلك السبع الشداد.
والمراد بالسبع الشداد: السماوات، فهو من ذكر الصفة وحذف الموصوف." (١)

٢٤٦. "وقد ذكر في هذه الآيات اثنا عشر حدثا فستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة.
وكانت الجمل التي جعلت شروطا ل إذا في هذه الآية مفتتحة بالمسند إليه المخبر عنه بمسند فعلي دون كونها جملا فعلية ودون تقدير أفعال محذوفة تفسرها الأفعال المذكورة وذلك يؤيد قول نحاة الكوفة بجواز وقوع شرط إذا جملة غير فعلية وهو الراجع لأن إذا غير عريقة في الشرط. وهذا الأسلوب لقصد الاهتمام بذكر ما أسندت إليه الأفعال التي يغلب أن تكون شروطا ل إذا لأن الابتداء بها أدخل في التهويل والتشويق وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تقوي الحكم وتأكيده في جميع تلك الجمل ردا على إنكار منكريه فلذلك قيل: إذا الشمس كورت ولم يقل: إذا كورت الشمس، وهكذا نظائره.
وجواب الشروط الاثني عشر هو قوله: علمت نفس ما أحضرت وتتعلق به الظروف المشربة معنى الشرط.
وصيغة الماضي في الجمل الثنتي عشرة الواردة شروطا ل إذا مستعملة في معنى الاستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط.
وتكوير الشمس: فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل لاختلاله نظام

---
(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/٣٠

سيرها، من قولهم: كور العمامة، إذا أدخل بعضها في بعض ولفها، وقريب من هذا الإطلاق إطلاق الطي في قوله تعالى: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب [الأنبياء: ١٠٤] .

وفسر كورت بمعنى غورت. رواه الطبري عن ابن جبير وقال: هي كلمة معربة عن الفارسية وأن أصلها بالفارسية كور بكر (بضم الكاف الأولى وسكون الراء الأخيرة) وعلى ذلك عدت هذه الكلمة مما وقع في القرآن من المعرب. وقد عدها ابن السبكي في نظمه الكلمات المعربة في القرآن.

وإذا زال ضوء الشمس انكدرت النجوم لأن معظمها يستنير من انعكاس نور الشمس عليها.

والانكدار: مطاوع كدره المضاعف **على غير قياس**، أي حصل للنجوم." (١)

٢٤٧. "مضمونها قسيما لمضمون شبيهها فتحصل مقابلة وعيد الفجار بوعد الأبرار ومن عادة القرآن تعقيب الإنذار بالتبشير والعكس لأن الناس راهب وراغب فالتعرض لنعيم الأبرار إدماج اقتضته المناسبة وإن كان المقام من أول السورة مقام إنذار.

ويكون المتكلم بالوعد والوعيد واحدا وجه كلامه للفجار الذين لا يظنون أنهم مبعوثون، وأعقبه بتوجيه كلام للأبرار الذين هم بضد ذلك، فتكون هذه الآيات معترضة متصلة بحرف الردع على أوضح الوجهين المتقدمين فيه.

ويجوز أن تكون من المحكي بالقول في: ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون [المطففين: ١٧] فتكون محكية بالقول المذكور متصلة بالجملة التي قبلها وبحرف الإبطال على أن يكون القائلون لهم: هذا الذي كنتم به تكذبون على وجه التوبيخ، أعقبوا توبيخهم بوصف نعيم المؤمنين بالبعث تنديما للذين أنكروه وتحسيرا لهم على ما أفاتوه من الخير.

والأبرار: جمع بر بفتح الباء، وهو الذي يعمل البر، وتقدم في السورة التي قبل هذه.

والقول في الكتاب ومظروفيته في عليين، كالقول في إن كتاب الفجار لفي سجين [المطففين: ٧] .

وعليون: جمع علي، وعلي على وزن فعيل من العلو، وهو زنة مبالغة في الوصف جاء على صورة جمع المذكر السالم وهو من الأسماء التي ألحقت بجمع المذكر السالم **على غير قياس**.

وعن الفراء أن عليين لا واحد له. يريد: أن عليين ليس جمع (علي) ولكنه علم على مكان الأبرار في الجنة إذ لم يسمع عن العرب (علي) وإنما قالوا: علية للغرفة، وعليون علم بالغلبة لمحلة الأبرار.

واشتق هذا الاسم من العلو، وهو علو اعتباري، أي رفعة في مراتب الشرف والفضل، وصيغ على صيغة جمع المذكر لأن أصل تلك الصيغة أن تجمع بها أسماء العقلاء وصفاتهم، فاستكمل له صيغة جمع العقلاء الذكور إتماما لشرف المعنى باستعارة العلو وشرف النوع بإعطائه صيغة التذكير.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤١/٣٠

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠٣/٣٠

٢٤٨. "والإشارة بكلمة هذا إلى مجموع قوله قد أفلح من تزكى إلى قوله وأبقى [الأعلى: ١٤- ١٧] فإن ما قبل ذلك من أول السورة إلى قوله: قد أفلح من تزكى [الأعلى: ١٤] ، ليس مما ثبت معناه في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

روى ابن مردويه والآجري عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى

[الأعلى: ١٤- ١٧] . ولم أقف على مرتبة هذا الحديث.

ومعنى الظرفية من قوله: لفي الصحف أن مماثله في المعنى مكتوب في الصحف الأولى، فأطلقت الصحف على ما هو مكتوب فيها على وجه المجاز المرسل كما في قوله تعالى: وقالوا ربنا عجل لنا قطنا [ص: ١٦] ، أي ما في قطنا وهو صك الأعمال.

والصحف: جمع صحيفة على غير قياس لأن قياس جمعه صحائف، ولكنه مع كونه غير مقيس هو الأفصح كما قالوا: سفن في جمع سفينة، ووجه جمع الصحف أن إبراهيم كانت له صحف وأن موسى كانت له صحف كثيرة وهي مجموع صحف أسفار التوراة.

وجاء نظم الكلام على أسلوب الإجمال والتفصيل ليكون لهذا الخبر مزيد تقرير في أذهان الناس فقوله: صحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف الأولى والأولى: وصف لصحف الذي هو جمع تكسير فله حكم التأنيث. والأولى صيغة تفضيل. واختلف في الحروف الأصلية للفظ أول فقيل: حروفه الأصول همزة فواو (مكررة) فلام ذكره في «للسان» فيكون وزن أول: أأول، فقلبت الهمزة الثانية واوا وأدغمت في الواو. وقيل: أصوله: واوان ولام وأن الهمزة التي في أوله مزيدة فوزن أول: أفعل وإدغام إحدى الواوين ظاهر.

وقيل: حروفه الأصلية واو وهمزة ولام فأصل أول أو أل بوزن أفعل قلبت الهمزة التي بعد الواو واوا وأدغما.

والأولى: مؤنث أفعل من هذه المادة فإما أن نقول: أصلها أولى." (١)

٢٤٩. "والكسائي وأبو جعفر وخلف تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها مضارع حاض بعضهم بعضا، وأصله تتحاضون فحذفت إحدى التاءين اختصارا للتخفيف أي تتمالؤون على ترك الحض على الإطعام.

والتراث: المال الموروث، أي الذي يخلفه الرجل بعد موته لوارثه وأصله:

وراث بواو في أوله بوزن فعال من مادة ورث بمعنى مفعول مثل الدقاق، والحطام، أبدلت واوه تاء على

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩١/٣٠

غير قياس كما فعلوا في تجاه، وتخمة، وتهمة، وتقاة وأشباهها.

والأكل: مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعا لا يبقي منه شيئا. وأحسب أن هذه الاستعارة من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثلها في كلام العرب.

وتعريف التراث عوض عن المضاف إليه، أي تراث اليتامى وكذلك كان أهل الجاهلية يمنعون النساء والصبيان من أموال مورثيهم.

وأشعر قوله: تأكلون بأن المراد التراث الذي لا حق لهم فيه، ومنه يظهر وجه إيثار لفظ التراث دون أن يقال: وتأكلون المال لأن التراث مال مات صاحبه وأكله يقتضي أن يستحق ذلك المال عاجز عن الذب عن ماله لصغر أو أنوثة.

واللم: الجمع، ووصف الأكل به وصف بالمصدر للمبالغة، أي أكلا جامعا مال الوارثين إلى مال الآكل كقوله تعالى: ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم [النساء: ٢] .

والجم: الكثير، يقال: جم الماء في الحوض، إذا كثر، وبئر جموم بفتح الجيم:

كثيرة الماء، أي حبا كثيرا، ووصف الحب بالكثرة مراد به الشدة لأن الحب معنى من المعاني النفسية لا يوصف بالكثرة التي هي وفرة عدد أفراد الجنس.

فالجم مستعار لمعنى القوي الشديد، أي حبا مفرطا، وذلك محل ذم حب المال، لأن إفراد حبه يوقع في الحرص على اكتسابه بالوسائل غير الحق كالغصب والاختلاس

والسرقة وأكل الأمانات." (١)

٢٥٠. "ابن عرفة عنه في «تفسيره» وذكر الفخر ذلك في «مفاتيح الغيب» ولا بد من المزج بين كلاميه.

وحاصلهما قوله: قل هو الله أحد فيه ثلاثة أسماء لله تعالى تنبيها على ثلاثة مقامات.

الأول: مقام السابقين المقربين الناظرين إلى حقائق الأشياء من حيث هي هي، فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لأنه هو الذي لأجله يجب وجوده فما سوى الله عندهم معدوم، فقوله: هو إشارة مطلقة. ولما كان المشار إليه معينا انصرف ذلك المطلق إلى ذلك المعين فكان قوله: هو إشارة من هؤلاء المقربين إلى الله فلم يفتقروا في تلك الإشارة إلى مميز فكانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء.

المقام الثاني: مقام أصحاب اليمين المقتصدين فهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الممكنات موجودة فحصلت كثرة في الموجودات فلم تكن لفظة هو تامة الإفادة في

حقهم فافتقروا معها إلى مميز فقيل لأجلهم هو الله والمقام الثالث: مقام أصحاب الشمال وهم الذين يجوزون تعدد الإله فقرن لفظ أحد بقوله: هو الله إبطالا لمقالتهم اهـ.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٣٤/٣٠

فاسمه تعالى العلم ابتدئ به قبل إجراء الأخبار عليه ليكون ذلك طريق استحضار صفاته كلها عند التخاطب بين المسلمين وعند المحاجة بينهم وبين المشركين، فإن هذا الاسم معروف عند جميع العرب فمسماه لا نزاع في وجوده ولكنهم كانوا يصفونه بصفات تنزه عنها.

أما أحد فاسم بمعنى (واحد) . وأصل همزته الواو، فيقال: وحد كما يقال:

أحد، قلبت الواو همزة **على غير قياس** لأنها مفتوحة (بخلاف قلب واو وجوه) ومعناه منفرد، قال النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجليل على مستأنس وحد

أي كأني وضعت الرجل على ثور وحش أحس بإنسي وهو منفرد عن قطيعه.

وهو صفة مشبهة مثل حسن، يقال: وحد مثل كرم، ووحد مثل فرح.." (١)

٢٥١. "فيكون بينه وبين الهدى عموم وخصوص مطلق، فالنور أعم، والعطف لأجل تلك المغايرة بالعموم.

والمراد بالنبيين فيجوز أنهم أنبياء بني إسرائيل، موسى والأنبياء الذين جاءوا من بعده. فالمراد بالذين أسلموا الذين كان شرعهم الخاص بهم كشرع الإسلام سواء، لأنهم كانوا مخصوصين بأحكام غير أحكام عموم أمتهم بل هي مماثلة للإسلام، وهي الحنيفية الحق، إذ لا شك أن الأنبياء كانوا على أكمل حال من العبادة والمعاملة، ألا ترى أن الخمر ما كانت محرمة في شريعة قبل الإسلام ومع ذلك ما شربها الأنبياء قط، بل حرمتها التوراة على كاهن بني إسرائيل فما ظنك بالنبيء. ولعل هذا هو المراد من وصية إبراهيم لبنيه بقوله: فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون [البقرة: ١٣٢] كما تقدم هنالك. وقد قال يوسف- عليه السلام- في دعائه: توفني مسلما وألحقني بالصالحين [يوسف: ١٠١] . والمقصود من الوصف بقوله: الذين أسلموا على هذا الوجه الإشارة إلى شرف الإسلام وفضله إذ كان دين الأنبياء. ويجوز أن يراد بالنبيئين محمد صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بصيغة الجمع تعظيما له.

واللام في قوله: للذين هادوا للأجل وليست لتعدية فعل يحكم إذ الحكم في الحقيقة لهم وعليهم. والذين هادوا هم اليهود، وهو اسم يرادف معنى الإسرائيليين، إلا أن أصله يختص ببني يهوذا منهم، فغلب عليهم من بعد، كما قدمناه عند قوله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين الآية في سورة البقرة [٦٢] .

والربانيون جمع رباني، وهو العالم المنسوب إلى الرب، أي إلى الله تعالى. فعلى هذا يكون الرباني نسبا للرب **على غير قياس**، كما قالوا: شعراني لكثير الشعر، ولحياني لعظيم اللحية. وقيل: الرباني العالم المربي، وهو الذي يبتدىء." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٦١٣/٣٠

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠٨/٦

٢٥٢. "وجود (من) كالعدم، وقد قال الحريري في «المقامة النحوية» (ما منصوب على الظرف لا يخفضه سوى حرف: «فهي هنا زائدة ويجوز اعتبارها ابتدائية.

والأيمان جمع يمين، واليمين هنا جانب من جسم الإنسان يكون من جهة القطب الجنوبي إذا استقبل المرء مشرق الشمس، تعارفه الناس، فشاعت معرفته ولا يشعرون بتطبيق الضابط الذي ذكرناه، فاليمين جهة يتعرف بها مواقع الأعضاء من البدن يقال العين اليمنى واليد اليمنى ونحو ذلك. وتتعرف بها مواقع من غيرها قال تعالى: قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين [الصافات: ٢٨] . وقال امرؤ القيس:

على قطن بالشيم أيمن صوبه لذلك قال أئمة اللغة سميت بلاد اليمن يمنا لأنه عن يمين الكعبة، فاعتبروا الكعبة كشخص مستقبل مشرق الشمس فالركن اليماني منها وهو زاوية الجدار الذي فيه الحجر الأسود باعتبار اليد اليمنى من الإنسان، ولا يدرى أصل اشتقاق كلمة (يمين) ، ولا أن اليمن أصل لها أو فرع عنها، والأيمان جمع قياسي.

والشمائل جمع شمال وهي الجهة التي تكون شمالا لمستقبل مشرق الشمس، وهو جمع **على غير قياس**.

وقوله: ولا تجد أكثرهم شاكرين زيادة في بيان قوة إضلاله بحيث لا يفلت من الوقوع في حبائله إلا القليل من الناس، وقد علم ذلك بعلم الحدس وترتيب المسببات.

وكني بنفي الشكر عن الكفر إذ لا واسطة بينهما كما قال تعالى: واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة: ١٥٢] ووجه هذه الكناية، إن كانت محكية كما صدرت من كلام إبليس، أنه أراد الأدب مع الله تعالى فلم يصرح بين يديه بكفر أتباعه المقتضي أنه يأمرهم بالكفر، وإن كانت من كلام الله." (١)

٢٥٣. "الحصول، لأنه مستقبل ولكن لا يخلو حالهم عن أحدهما.

وفصلت جملة قالوا لوقوعها في سياق المحاورة، كما تقدم غير مرة أي قال المخاطبون ب لم تعظون قوما إلخ.

والمعذرة- بفتح الميم وكسر الذال- مصدر ميمي لفعل (اعتذر) **على غير قياس**،

ومعنى اعتذر أظهر العذر- بضم العين وسكون الذال- والعذر السبب الذي تبطل به المؤاخذة بذنب أو تقصير، فهو بمنزلة الحجة التي يبديها المؤاخذ بذنب ليظهر أنه بريء مما نسب إليه، أو متأول فيه، ويقال: عذره إذا قبل عذره وتحقق براءته، ويعدى فعل الاعتذار بإلى لما فيه من معنى الإنهاء والإبلاغ.

وارتفع معذرة على أنه خبر لمبتدأ محذوف دل عليه قول السائلين لم تعظون والتقدير موعظتنا معذرة منا إلى الله.

وبالرفع قرأه الجمهور، وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على المفعول لأجله أي وعظناهم لأجل المعذرة.

وقوله: ولعلهم يتقون علة ثانية للاستمرار على الموعظة أي رجاء لتأثير الموعظة فيهم بتكرارها.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨-ب/٥٠

فالمعنى: أن صلحاء القوم كانوا فريقين. فريق منهم أيس من نجاح الموعظة وتحقق حلول الوعيد بالقوم، لتوغلهم في المعاصي، وفريق لم ينقطع رجاؤهم من حصول أثر الموعظة بزيادة التكرار، فأنكر الفريق الأول على الفريق الثاني استمرارهم على كلفة الموعظة. واعتذر الفريق الثاني بقولهم: معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فالفريق الأول أخذوا بالطرف الراجح الموجب للظن. والفريق الثاني أخذوا بالطرف المرجوح جمعيا بينه وبين الراجح لقصد الاحتياط، ليكون لهم عذرا عند الله إن سألهم لماذا أقلعتم عن الموعظة ولما عسى أن يحصل من تقوى الموعوظين بزيادة الموعظة، فاستعمال حرف الرجاء في موقعه، لأن الرجاء يقال على جنسه بالتشكيك فمنه قوي ومنه ضعيف.

وضمير نسوا عائد إلى قوما والنسيان مستعمل في الإعراض المفضي إلى النسيان كما تقدم عند قوله تعالى: فلما نسوا ما ذكروا به في سورة الأنعام." (١)

٢٥٤. "من الهول والفزع. وتكرير الزاي واللام إشعار بتكرير الإزعاج مرة بعد مرة. وقد ألمع ابن جني في كتاب الخصائص الى هذا الباب وسماه قوة اللفظ لقوة المعنى، كما ذكره ابن الأثير في كتاب المثل السائر.

وخلاصة ما قرراه أن اللفظ إذا كان على وزن ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر من الذي تضمنه، فاخشوشن تدل على زيادة الخشونة أكثر من خشن، واعذوذب الماء تدل على زيادة العذوبة أكثر من عذب، وسيأتي الكثير من الأمثلة في هذا الكتاب.

(حسبتم) حسبت زيدا قائما أحسبه من باب تعب، أي بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع، في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فانهم يكسرون سين المضارع مع كسر سين الماضي أيضا **على غير قياس**، حسبانا بالكسر، بمعنى ظننته. وحسبت المال حسبا من باب قتل، أي بفتح السين في الماضي وضمها في المضارع، أحصيته عددا وفي المصدر أيضا، وحسبانا بالضم.

الإعراب:

(أم) عاطفة منقطعة مقدرة ببل، وهمزة الاستفهام محذوفة، والمعنى: بل أحسبتم، والاستفهام للتوبيخ والإنكار (حسبتم) فعل وفاعل (أن تدخلوا) أن حرف مصدري ونصب وتدخلوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (الجنة) مفعول به على السعة، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي حسبتم (ولما) الواو حالية ولما حرف نفي جازم (يأتكم) فعل مضارع مجزوم بلما وعلامة جزمه حذف حرف العلة والكاف مفعول." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥٢/٩

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٣١٦/١

٢٥٥. "يجوز فيها أن تكون خبرا للإنسان وهو الأرجح والمعنى بل الإنسان بصيرة على نفسه وعلى هذا يرد السؤال الآتي: لماذا أنث الخبر؟ وقد اختلف النحاة في الإجابة فقال بعضهم الهاء فيه ليست للتأنيث بل للمبالغة وقال الأخفش: هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل: المراد بالإنسان الجوارح فكأنه قال: بل جوارحه بصيرة أي شاهدة ويجوز أن تكون بصيرة مبتدأ مؤخرا وعلى نفسه خبرا مقدما والجملة خبر عن الإنسان وعلى هذا تكون بصيرة صفة لمحذوف أي عين بصيرة أو جوارح والتاء على هذا الوجه للتأنيث وإلى هذا ذهب الزمخشري فقال: «بصيرة: حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: فلما جاءتهم آياتنا مبصرة، أو لأعين بصيرة» ويجوز أن يكون على نفسه خبرا وبصيرة فاعل به والأصل في الإخبار الإفراد والأوجه الثلاثة متساوية في القوة والأرجحية.

(ولو ألقى معاذيره)

الواو حالية من الفاعل المستكن في بصيرة ولو شرطية وألقى فعل ماض وهو فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ومعاذيره مفعول به وجواب الشرط محذوف أي ما ساغت وما قبلت والمعاذير جمع معذرة **على غير قياس** كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر، وللنحويين في هذا ونحوه قولان: أحدهما أنه جمع للملفوظ به وهو لقحة والثاني أنه جمع لغير بملفوظ به بل مقدر أي ملقحة ومذكار قال الزمخشري: «فإن قلت أليس قياس المعذرة أن يجمع على معاذر معاذير؟ قلت المعاذير ليست جمع معذرة بل اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر» وقال أبو حيان معقبا: «وليس هذا البناء من أبنية اسم الجموع وإنما هو من أبنية جمع التكسير فهو كمذاكير وملاميح والمفرد منهما لمحة وذكر ولم يذهب أحد إلى أنهما من أسماء الجموع وقيل هما جمع للمحة وذكر **على غير قياس** أو هما جمع لمفرد لم ينطق به وهو مذكار وملمحة» (لا تحرك به لسانك لتعجل." [1]

٢٥٦. "[سورة المائدة (٥) : آية ١٠٣]

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣)

اللغة:

(بحيرة) : بفتح الباء وكسر الحاء، فعيلة بمعنى مفعولة، ولحقتها التاء **على غير قياس**، لأنها جردت من الوصفية وأصبحت بمعنى الجوامد. وقد اختلف أهل اللغة فيها اختلافا كثيرا، وأقوى الأقوال فيها أن أهل الجاهلية كانوا إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن، آخرها ذكر، شقوا أذنها وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعيي لم يركبها، وهي تختلف باختلاف عادات العرب.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٢٩٩/١٠

(سائبة) : كان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدا قال: هو سائبة. فهي اسم فاعل من ساب يسيب أي: سرح، كسيب الماء فهو مطاوع سيبته، يقال: سيبه فساب وانساب.

(وصيلة) وقد اختلفوا في معناها اختلافا شديدا لا يتسع له المقام، وأقرب ما قيل فيها أن الجاهلية كانوا إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم، فهي فعيلة بمعنى فاعلة، فتاؤها على القياس.

(حام) : اسم فاعل من حمى يحمي إذا منع، والخلاف شديد حولها فقد كانوا يقولون: إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قد حمى ظهره، فلا يركب، ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء، ولا مرعى. وكلها عادات لم يأمر الله بشيء منها، وما شرعها.." (١)

٢٥٧. "«البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث الى العشر وأسند ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: «وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين» وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب، والمشركون يميلون الى أهل فارس لأنهم أهل أوثان فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيغلبون سر المسلمون ثم ان أبا بكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم فقال أمية بن خلف خاطراني على ذلك فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع فقال ما بين الثلاثة الى العشرة فأخبره بخطاره مع ابن خلف فقال له: ما حملك على تقريب المدة؟ قال الثقة بالله ورسوله فقال له: عد إليهم فزدهم في الخطر وازدد في الأجل فزادهم قلوصين وزادوه سنتين فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقا لتقدير أبي بكر رضي الله عنه.

(سمان) : جمع سمينة ويجمع سمين أيضا عليه يقال رجال سمان كما يقال نساء سمان والسمن مصدر سمن يسمن فهو سمين فالمصدر والاسم جاءا **على غير قياس** إذ قياسهما سمنا بالفتح فهو سمن نحو فرح فرحا فهو فرح وفي المصباح: «سمن يسمن من باب تعب وفي لغة من باب قرب إذا كثر لحمه وشحمه ويتعدى بالهمزة وبالتضعيف» ومن المجاز كلام غث وسمين، وقد أسمنت القدر، ودار سمينة: كثيرة الأهل، وسمنوا لفلان: أعطوه عطاء كثيرا، وسمنت في الحمد أعطيت فيه الكثير، قال ابن مقبل:

تركت الخنا لست من أهله ... وسمنت في الحمد حتى سمن

وسمع أعرابي يقول لآخر: جعلت لك الدار بغير ثمن ليكون." (٢)

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٣/٣١

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٤/٤٩٩

٢٥٨. "أسمن لخطي عندك، وانقلب بلدهم سمنة وعسلة إذا كثرتا فيه وفي مثل «سمنكم هريق في أديمكم» أي ما لكم ينفق عليكم.

(عجاف) : جمع عجفاء **على غير قياس** والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض والقياس عجف نحو حمراء وحمر.

(رءياي) : فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا: الرؤيا مصدر رأى الحلمية والرؤية مصدر رأى العينية وغلطوا أبا الطيب في قوله:

مضى الليل والفضل الذي لك لم يمض ... ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

وقال أبو البقاء في شرحه لديوان المتنبي: «والرؤيا تستعمل في المنام خاصة ومنه قوله تعالى «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» و «لا تقصص رؤياك على إخوتك» و «إن كنتم للرؤيا تعبرون» و «قد صدقت الرؤيا» وهذا كله في المنام ولو قال «لقياك» لكان أحسن إلا أنه ذهب بالرؤيا الى الرؤية كقوله تعالى «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك» فإنه لم يرد بها رؤيا المنام وانما أريد اليقظة وكان ذلك ليلا في ليلة الاسراء» .

وقال أبو الفتح بن جني: «الرؤيا في المنام وأما في العين فلا أعرفها وإن جاءت فهي شاذة» .

وقال ابن هشام في أوضح المسالك: «ولا تختص الرؤيا بمصدر." [١]

٢٥٩. "اللغة:

(عمد) بفتحتين وقد اضطربت أقوال علماء اللغة فقال بعضهم هو جمع عماد **على غير قياس** والقياس أن يجمع على عمد بضم العين والميم وقيل إن عمدا جمع عماد في المعنى أي انه اسم جمع لا جمع صناعي والذي في القاموس والتاج: «العمود ما يقوم عليه البيت وغيره وقضيب الحديد وجمعه أعمدة وعمد وعمد» وقال بعضهم:

والعمد جمع عمود ولم يأت في كلام العرب على هذا الوزن إلا أحرف أربعة: أديم وأدم وعمود وعمد وأفيق وأفق وإهاب وأهب، وزاد الفراء خامسا: قضيم وقضم يعني الصكاك والجلود.

(صنوان) : الصنو بكسر الصاد وفتحها وضمها نخلة لها رأسان وأصلهما واحد والاثنان صنوان والجمع صنوان بكسر الصاد فيهما وفي المختار «إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو والاثنتان صنوان والجمع صنوان» أي فهو معرب وفي الأساس: «شجر صنوان: من أصل واحد وكل واحد صنو ومن المجاز: هو شقيقه وصنوه قال:

أتتركني وأنت أخي وصنوي ... فيا للناس للأمر العجيب

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٤/٥٠٠

وركيتان صنوان متقاربتان وتصغيره: صني قالت ليلى الاخيلية:

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا ... وكنت صنيا بين صدين مجهلا

أي ركيا مجهولا بين جبلين، وقال بعض اللغويين: «والصنو الفرع يجمعه وفرعا آخر أصل واحد والمثل» وفي الحديث «عم الرجل." (١)

٢٦٠. "اللغة:

(السحاب) : الغيم المنسحب في الهواء والسحاب اسم جنس واحده سحابة فلذلك وصف بالجمع وهو الثقال جمع ثقيلة، ويفهم من كلام صاحب القاموس انه جمع سحابة قال: والسحابة: الغيم والجمع سحاب وسحائب وسحب.

(المحال) : المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تحمل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث «ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا» وقال الأعشى:

فرع نبع يهش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل: فعال من المحل بمعنى القوة فالميم أصلية وقيل أصله مفعل من الحول أو الحيلة أعل **على غير قياس** وفي القاموس: «والمحال ككتاب الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة والمعاداة كالمماحلة والقوة والشدة والهلاك والإهلاك، ومحل به مثلث الحاء محلا ومحالا كاده بسعاية الى السلطان وماحله مماحلة ومحالا قاواه حتى يتبين أيهما أشد» وفي الأساس: وماحله كايده، وهو شديد المحال ورجل متماحل فاحش الطول وبلد متماحل: بعيد، قال يصف فرسا:

من المسبطرات الجياد طمرة ... لجوج هواها السبسب المتماحل." (٢)

٢٦١. "وبجانبي واه كأن خفوقه ... لما تلفت جهشة المتباكي

د- المصير: وكما أن مصير النار بعد أن تفعل أفاعيلها وتبلغ غايتها الخمود والانطفاء فالرماد كذلك مصير الإنسان وناهيك بهذا المصير إيلاما للنفس وارتماضا للقلب فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به فتأمل هذا الفصل، فله على سائر الفصول الفضل.

هذا وقد أوجزنا القول في عدم إضافة الرأس بالاكتفاء بعلم المخاطب ولا بد من إيضاحه الآن فنقول أن للاستعارة مطلوبات ثلاثة:

المبالغة في التشبيه والظهور والإيجاز وكل استعارة تتناول واحدا من هذه المطلوبات أما هذه الاستعارة فقد تناولت المطلوبات الثلاثة بكاملها فإن الكلام أن يقال: شيب الرأس ولو جاء الكلام كذلك لأفاد

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٥/٨١

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٥/٩٦

الظهور فقط دون المبالغة واللفظ الأول يعطى عموم الشيب جميع نواحي الرأس كما انك إذا قلت: اشتعلت نار البيت صدق ذلك على اشتعال النار في بعض نواحيه دون بقيته بخلاف ما إذا قلت اشتعل البيت نارا فإن مفهوم ذلك اشتمال النار على كل البيت بجميع أجزائه فتنبه لهذا الفصل وإن طال بعض الطول فإنه كالحسن غير مملول.

هذا وقد اقتبس ابن دريد اشتعال الرأس شيبا فقال في مقصورته:

واشتعل المبيض في مسوده ... مثل اشتعال النار في جزل الغضا

هذا ولما كان الشيب عندهم عيبا قالوا: هو أشيب أي وصفا **على غير قياس** لأن الوصف على أفعل انما يكون من فعل كفرح وشرطه." (١)

٢٦٢. "فمتخوفا حال من أحد لأنه مسبوق بالنهي.

٨- أن يكون صاحبها مسبوقا باستفهام كقول أحد الطائيين:

يا صاح هل حم عيش باقيا فترى ... لنفسك العذر في إبعادها الأملا

فباقيا حال من عيش لكونه مسبوقا بالاستفهام بهل، وصاح منادى مرخم صاحب **على غير قياس** وحم بالحاء المهملة بمعنى قدر والإبعاد مصدر أبعد والأمل مفعوله.

هذا وقد يقع صاحب الحال نكرة بلا مسوغ كقولهم عليه مائة بيضا، فبيضا بلفظ الجمع حال من مائة وليس تمييزا خلافا للمبرد لأن تمييز المائة لا يكون جمعا منصوبا ولا مجرورا وهو من أمثلة سيبويه، وفي الحديث: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا ووراءه رجال قياما، فقياما حال من رجال وهو نكرة بلا مسوغ.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٩٩ الى ١٠٤]

كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا (٩٩) من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا (١٠١) يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (١٠٢) يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا (١٠٣)

نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما (١٠٤)." (٢)

٢٦٣. "بمعنى «على» في قوله «ونصرناه من القوم» ، وأو حرف عطف وما عطف على أزواجهم وجملة ملكت أيمانهم صلة وعبر بما دون «من» وان كان المقام لها لنقصهن لأنهن السراري والسرية: الأمة التي بوأتها بيتا وهي فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع أو الإخفاء لأن الإنسان كثيرا ما يسرها ويسترها

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٦١/٦

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٢٤٢/٦

عن حرته، وضمت السين لأن الأبنية قد تغير في النسب كما قالوا في النسب الى الدهر دهري والى الأرض السهلة سهلي بضم أولهما والجمع سراري وقال الأخفش هي مشتقة من السرور لأن الإنسان يسر بها، وعبارة المصباح: «والسرية فعلية قيل مأخوذة من السر بالكسر وهو النكاح فالضم **على غير قياس** فرقا بينها وبين الحرة إذا نكحت سرا فإنه يقال لها سرية بالكسر على القياس وقيل من السر بالضم بمعنى السرور لأن مالكها يسر بها فهو على القياس» .

(فإنهم غير ملومين) الجملة تعليل للاستثناء وان واسمها وغير ملومين خبرها. (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وابتغى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ووراء الظرف متعلق بمحذوف صفة وهذا المحذوف مفعول ابتغى أي ابتغى شيئا كائنا وراء ذلك ولك أن تجعل وراء بمعنى خلاف فتنصبه على أنه مفعول به وذلك مضاف اليه والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والعادون خبر أولئك أو هم ضمير فصل والعادون خبر والجملة خبر أولئك. (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وراعون خبره ولأماناتهم متعلقان براعون وعهدهم عطف على أماناتهم.

(والذين هم على صلواتهم يحافظون) تقدم اعرابها وهي عطف على ما تقدم. (أولئك هم الوارثون) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والوارثون خبر وقد تقدم انه يجوز اعراب هم مبتدأ ثانيا ولكن." (١)

٢٦٤. "«الحواميم سور في القرآن **على غير قياس**» قال «والأولى أن تجمع بذوات حم» ويتلخص من هذا أن هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم فلها جموع ثلاثة خلافا للجوهري الذي أنكر الأول وقال الكميت يمدح آل البيت:

وجدنا لكم في آل حم آية ... تأولها منا تقي ومعرب

فهو بمعنى ذوات أي في السور المنسوبة إلى هذا اللفظ ومن المعلوم أن لفظ آل كما يطلق على الأهل يطلق بمعنى ذو فيذكر قبل ما لا يصح تثنيته وجمعه من الأسماء المركبة ونحوها كتأبط شرا، فإذا أرادوا تثنيته وجمعه وهو جملة لا يتأتى فيها ذلك ولم يعهد مثله في كلام العرب زادوا قبله لفظ آل أو ذو فقالوا: جاءني آل تأبط شرا أو ذو تأبط شرا أي الرجلان أو الرجال المسمون بذلك ومنه آل حم بمعنى الحواميم في قول الكميت الآنف الذكر.

(التوب) : في المختار: «التوب الرجوع عن الذنب وبابه قال وتوبة أيضا وقال الأخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة» .

(الطول) : الفضل والزيادة والانعام الواسع في الصحاح:

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٦/٤٩٦

«والطول بالفتح: المن يقال منه طال يطول من باب قال إذا امتن عليه» وقال الماوردي: «الفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب والتفضل إحسان غير مستحق» .

الإعراب:

(حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) تقدم القول في." (١)

٢٦٥. "مجرورا لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ ويومئذ الظرف متعلق بمحذوف حال وما لكم من نكير عطف على ما لكم من ملجإ، واختلف في معنى النكير فقيل هو بمعنى الإنكار كأنه مصدر أنكر **على غير قياس**، واكتفى في الأساس بقوله: «وشتم فلان فما كان عنده نكير» وجاء في القاموس ما يلى: «ونكر فلان الأمر كفرح نكرا محركة ونكرا ونكورا بضمهما ونكيرا» فأورده مصدرا لنكر وفي التهذيب «النكير اسم الإنكار الذي معناه التغير» ولذلك لفق الزمخشري المعنى من كل المعاني فقال:
«والنكير: الإنكار أي ما لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم» وقال الزجاج: «معناه أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها» (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) الفاء استئنافية وإن شرطية وأعرضوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والفاء رابطة وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به وعليهم متعلقان بحفيظا وحفيظا حال والمعنى وأرسلناك لتقسرهم على اتباع ما جئتهم، والأولى أن يكون جواب الشرط محذوفا والفاء عاطفة على الجواب المحذوف المقدر بما يناسب المقام أي فلا تبتئس ولا تحاول اقتسارهم (إن عليك إلا البلاغ) إن نافية وعليك خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر. قيل هذا منسوخ بآيات الأمر بالجهاد (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها) الواو عاطفة وإن واسمها وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أذقناه في محل جر بإضافة الظرف إليها والإنسان مفعول به ومنا حال لأنه كان في الأصل صفة لرحمة وتقدمت ورحمة مفعول به أي نعمة وجملة فرح بها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة الشرط خبر إن (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) عطف على ما تقدم وإن شرطية وتصبهم فعل الشرط والضمير يعود على الإنسان." (٢)

٢٦٦. "وقيل: هو أيضا مصدر، خرج عن الأصل، كالمطلع.
«آية جنتان» : جنتان، بدل من «آية» ، وهو اسم «كان» .
ويجوز أن يكون رفع «جنتان» ، على إضمار مبتدأ أي: هى جنتان، وتكون الجملة فى موضع نصب على التفسير.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٨/٤٥٥

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٩/٥٠

«بلدة» : رفع على إضمار مبتدأ أي: هذه بلدة.

وكذلك: «ورب غفور» أي: وهذا رب غفور.

١٦- فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل «ذواتى أكل خمط» : من أضاف «الأكل» ، إلى «الخمط» جعل «الأكل» : هو الثمر و «الخمط» : شجرا، فأضاف الثمر إلى شجره، كما تقول: هذا تمر نخل، وعنب كرم.

وقيل: لما لم يحسن أن يكون «الخمط» نعتا ل «الأكل» ، لأن «الخمط» أصل شجر بعينه، ولم يحسن أن يكون بدلا لأنه ليس هو الأول ولا هو بعضه، وكان الجنى والثمر من الشجر، أضيف على تقدير: «من» فى قولك: هذا ثوب خز.

فأما من نونه فإنه جعل «الخمط» عطف بيان على «الأكل» ، فبين أن «الأكل» لهذا الشجر الذي هو «الخمط» ، إذ لم يمكن أن يكون وصفا ولا بدلا، فبين به أكل أي شجر هو؟

١٧- ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور «ذلك جزيناهم» : ذلك، فى موضع نصب ب «جزينا» .

١٨- وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين «ليالى وأياما» : هما ظرفان للسير والليالى: جمع ليلة، وهو **على غير قياس**، كأن أصل واحده: ليلاة، فجمع على غير لفظ واحده مثل: ملاقح: جمع ملقحة وكذلك: مشابه: جمع مشبهة ولم يستعمل.

٢٠- ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين من خفف «صدق» نصب «ظنه» انتصاب الظرف، أي: فى ظنه.." (١)

٢٦٧. "٢٣- ... ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ...

أصل «أب» : أبو، على فعل، دليله قولهم: أبوان، فى التثنية، وحذفت الواو منه لكثرة الاستعمال، ولو جرى على أصول الاعتلال لقلت: أباك، فى الرفع والنصب والخفض، بمنزله: عصا، وعصاك.

وبعض العرب يفعل فيه ذلك، ولكن جرى **على غير قياس** الاعتدال فى أكثر اللغات، وحسن ذلك فيه لكثرة استعماله ولصرفه.

فأما «ابن» ، فالساقط فيه ياء، وأصله: بنى، مشتق من: «بنا يبنى» ، والعلة فيه كالعلة فى «أب» .

وقد قيل: إن الساقط منه «واو» ، لقولهم: البنوة، وهو غلط، لأن «البنوة» فى وزنها: الفعولة، وأصلها: البنوية، فأدغمت الياء فى الواو، وغلبت الواو للضمتين قبلها، ولو كانت ضمة واحدة لصرت إلى الكسر وغلبت «الياء» ، ولكن لو أتى ب «الياء» فى هذا لوجب تغيير ضمتين، فتستحيل الكلمة.

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٣٥٦/٤

- ٥٩- سورة الحشر

٦- ... فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ...

«ولا ركاب» ، يجوز فى الكلام: ولا ركابا، بالنصب، تعطفه على موضع «من خيل» ، لأن «من» زائدة، و «خيل» : مفعول به.

٧- ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء ...

«دولة» : خبر «كان» ، والفيء: اسمها تقديره: كيلا يكون الفيء دولة.

ومن قرأ «تكون» بالتاء، ورفع «دولة» جعلها اسم «كان» ، و «كان» بمعنى: وقع، ولا تحتاج إلى خبر، و «لا» ، فى القراءتين: غير زائدة.

٨- للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ...

«يبتغون» : فى موضع نصب، على الحال من «الفقراء» ، أو: الضمير فى «أخرجوا» .

٩- والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ...

«الذين» : فى موضع خفض، عطف على «الفقراء» ، و «يحبون» : فى موضع نصب، على الحال من «الذين» ، ومثله: ولا «يجدون» ، و «يؤثرون» أو فى موضع رفع على الابتداء، والخبر: «يحبون»." (١)

٢٦٨. "ولا يجوز أن تجعل «ما» والفعل مصدرا وتنصب «قليلا» بما بعد «ما» ، لأن فيه تقديم الصلة على الموصول، لأن ما عمل فيه المصدر فى صلة المصدر ابتداء، فلا يتقدم عليه.

٤٣- تنزيل من رب العالمين «تنزيل» : خبر ابتداء محذوف أي: هو تنزيل.

٤٧- فما منكم من أحد عنه حاجزين «حاجزين» : نعت ل «أحد» ، لأنه بمعنى الجماعة، فحمل على النعت على المعنى فجمع.

- ٧٠- سورة المعارج

١- سأل سائل بعذاب واقع من همز «سأل» ، احتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون من «السؤال» ، لكن أبدل من الهمزة ألفا، وهذا بدل **على غير قياس**، لكنه جائز، حكاه سيبويه وغيره.

والثاني: أن تكون الألف بدلا من واو، حكى سيبويه وغيره: سلت تسال، لغة، بمنزلة: خفت تخاف.

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٤/٤٤٦

والوجه الثالث: أن تكون الألف بدلا من ياء، من سال يسيل، بمنزلة: كال يكيل.

وأصل «سال» ، إذا كان من «السؤال» ، أن يتعدى إلى مفعولين، نحو قوله: «فلا تسئلن ما ليس» ١١: ٤٦، ويجوز أن تقتصر على واحد، كأعطيت، نحو قوله: «وسئلوا ما أنفقتم» ٦٠: ١ فإذا اقتصرت على واحد جاز أن يتعدى بحرف جر إلى ذلك الواحد، نحو قوله: «سأل سائل بعذاب واقع» تقديره: سأل سائل الشيء بعذاب، و «الباء» ، بمعنى: «عن» .

وإذا جعلت «سال» ، من «السيل» ، لم تكن «الباء» بمعنى «عن» ، وكانت على بابها، وأصلها للتعدى.

فأما الهمزة فى «سائل» فتحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون أصلية، من «السؤال» .." (١)

٢٦٩. "٩- فذلك يومئذ يوم عسير «ذلك» : مبتدأ، و «يومئذ» : بدل منه، و «يوم عسير» : خبر الابتداء، و «عسير» : نعت ل «يوم» ، وكذلك «غير يسير» : نعت ل «يوم» أيضا.

وقيل: «يومئذ» ، نصب على: «أعنى» .

١١- ذرني ومن خلقت وحيدا «من» : فى موضع نصب، على العطف على النون والياء من «ذرنى» ، أو: مفعول معه.

«وحيدا» : حال من الهاء المضمرة مع «خلقت» أي: خلقته.

١٢- وجعلت له مالا ممدودا «له» : فى موضع المفعول الثاني ل «جعلت» ، لأنها بمعنى: صيرت، يتعدى إلى مفعولين.

١٣- وبنين شهودا «بنين» : واحده: ابن، ولما حذفت ألف الوصل فى الجمع تحركت الياء، لأن الجمع يرد الشيء إلى أصله، وأصله «بنى» على «فعل» ، فلما جمع رد إلى أصله، فقالوا: بنين، فلما تحركت الياء، التي هى لام الفعل، وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، وحذفت لسكونها وسكون ياء الجمع بعدها، وكسر ما قبل الياء على أصل ياء الجمع، وكان حقها أن يبقى ما قبلها مفتوحا، ليدل على الألف الذاهبة، كما قالوا: مصطفين، لكن «ابن» أجرى فى علته فى الواحد **على غير قياس**، وكان حقه أن يكون بمنزلة: عصى، ورحى، وأن لا تدخله ألف وصل، ولا يسكن أوله، فلما خرج عن أصله فى الواحد خرج فى الجمع أيضا عن أصول العلل، لأن الجمع فرع بعد الواحد، وقد قالوا فى النسب إليه: بنوى، فرد إلى أصله، وأصل هذه الواو ألف منقلبة عن ياء، هى لام الفعل.

وقد أجاز سيبويه النسب إليه على لفظه، فأجاز: ابني.

٢٧- وما أدراك ما سقر قد تقدم القول فيه لأنه، مثل: «وما أدراك ما الحاقة» ٦٩: ٣ «سقر» ، لم

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٤٦٦/٤

تنصرف، لأنها معرفة مؤنث.

٢٨- لا تبقي ولا تذر حذفت الواو من «تذر» ، لأنه حمل على نظيره فى الاستعمال، والمعنى، وهو «يدع» ، لأنهما جميعا." (١)

٢٧٠. "شيئا:

وقرىء:

شيا، بالتشديد وامرأتان:

وقرىء:

بهمزة ساكنة **على غير قياس**، وهى قراءة شاذة.

أن:

قرىء:

١- بكسر الهمزة، وهى قراءة الأعمش، وحمزة، على جعلها حرف شرط و «فتذكر» بالتشديد ورفع الراء، جواب الشرط.

٢- بفتح الهمزة، وهى قراءة الباقين، وهى الناصبة، وتفتح راء «فتذكر» عطفا على «أن تضل» .

تضل:

وقرىء:

بضم التاء وفتح الضاد، مبنيا للمفعول، بمعنى: تنسى، وهى قراءة الجحدري.

فتذكر:

قرىء:

١- بتسكين الذال وتخفيف الكاف، وهى قراءة ابن كثير، وأبى عمرو.

٢- بفتح الذال وتشديد الكاف، وهى قراءة باقى السبعة.

٣- بتخفيف الكاف المكسورة، ورفع الراء أي: فهى تذكر، وهى قراءة حميد ابن عبد الرحمن، ومجاهد.

٤- فتذاكر، من المذاكرة، وهى قراءة زيد بن أسلم.

ولا تسأموا أن تكتبوه:

وقرىء:

ولا يسأموا أن يكتبوه، بالياء، وهى قراءة السلمى، ويكون الضمير الفاعل عائدا على «الشهداء» .." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٤/٤٧٧

(٢) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٥/١٢٤

٢٧١. "٤١- (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) فيسقى:

١- فيسقى، من «سقى» ، وهى قراءة الجمهور.

وقرىء:

٢- فيسقى، من «أسقى» ، وهى قراءة فرقة.

٣- فيسقى، بضم الياء وفتح القاف، على البناء للمفعول، وهى قراءة عكرمة، والجحدري.

٤٥- (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) ادكر:

١- بدال مشددة، وأصله، ادتكر، أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال فيها فصار: ادكر، وهى قراءة الجمهور.

وقرىء:

٢- اذكر، بذال مشددة، بإبدال التاء ذالا وإدغام الذال فيها، وهى قراءة الحسن.

أمة:

وقرىء:

١- إمة، بكسر الهمزة أي: بعد نعمة أي بعد أن أنعم عليه بالنجاة من القتل، وهى قراءة الأشهب العقيلي.

٢- أمه، بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء، وهى قراءة ابن عباس، وزيد بن على، والضحاك، وقتادة، وأبى رجاء، وشبيل بن عزرة الضبعي، وربيعة بن عمرو.

٣- أمه، بفتح الهمزة وسكون الميم وهاء، مصدر «أمه» **على غير قياس**، وهى قراءة عكرمة، ومجاهد.

أنبئكم:

وقرىء:

آتيكم، من «الإتيان» ، وهى قراءة الحسن.

٤٧- (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون) دأبا قرىء:." (١)

٢٧٢. "٦- ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ونمكن:

١- بالنصب، عطفا على «نمن» ، الآية: ٥، وهى قراءة الجمهور.

قرئ:

٢- ولنمكن، بلام «كى» ، وهى قراءة الأعمش.

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٥/٣٣٥

ونرى:

١- مضارع «أرينا» ، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- مضارع «رأى» ، ورفع ما بعده، وهى قراءة عبد الله، وحمزة، والكسائي.

٧- وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين أن أرضعيه:

وقرئ:

بكسر نون «أن» ، بعد حذف الهمزة، **على غير قياس**، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة، وهى الفتحة، إلى النون، كقراءة ورش.

٨- فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين حزنا:

١- بفتح الحاء والزاى، وهى لغة قريش، وبها قرأ الجمهور.

وقرئ:

٢- بضم الحاء وإسكان الزاى، وهى قراءة ابن وثاب، وطلحة، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وابن سعدان.

١٠- وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فؤاد:

وقرئ:

فواد، بالواو، وهى قراءة أحمد بن موسى.." (١)

٢٧٣. "الرعاء:

١- بكسر الراء، جمع تكسير، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بضم الراء، وهو اسم جمع.

٣- بفتح الراء، مصدر أقيم مقام الصفة، فاستوى فيه لفظ الواحد والجماعة، وهى قراءة عياش، عن أبي عمرو.

٢٥- فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فجاءته:

وقرئ:

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ١١٩/٦

بحذف الهمزة، تخفيفا، **على غير قياس**، وهى قراءة ابن محيصن.

٢٧- قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين أنكحك إحدى:

وقرئ:

بحذف الهمزة، وهى قراءة ورش، وأحمد بن موسى، عن أبي عمرو.

٢٨- قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل أيما:

وقرئ:

١- بحذف الياء الثانية، وهى قراءة الحسن، والعباس، عن أبي عمرو.

٢- أي الأجلين ما قضيت، زيادة «ما» بين «الأجلين» و «قضيت» وهى قراءة عبد الله.." [1]

٢٧٤. "٥٦- إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

وملائكته:

١- نصب، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- رفعا، عطفا على موضع اسم «إن» ، وهى قراءة ابن عباس، وعبد الوارث، عن أبي عمرو.

٦١- ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقتلوا:

١- بالتشديد، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بالتخفيف، فيكون «تقتيلا» مصدر، **على غير قياس**، وهى قراءة فرقة.

٦٦- يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا تقلب:

١- مبنيا للمفعول، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بفتح التاء، أي: تتقلب، وهى قراءة الحسن، وعيسى، وأبي جعفر الرؤاسي.

٣- تتقلب، بتاءين، وهى قراءة ابن أبي عبلة.

٦٧- وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا سادتنا:

١- جمعا، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

١- ساداتنا، على الجمع بالألف والتاء، وهو لا ينقاس، وهى قراءة الحسن، وأبي رجاء، وقتادة،

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ١٢٢/٦

والسلمى، وابن عامر.

٦٨- ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا كبيرا:

١- بالياء، وهى قراءة حذيفة بن اليمان، وابن عامر، وعاصم والأعرج، بخلاف عنه.." [١]

٢٧٥. "يريد الحق تبارك وتعالى أن يلفتنا إليه؟ نقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما هاجر إلى المدينة إنتقل من دار شرك إلى دار إيمان. . ومعنى دار إيمان أن هناك مؤمنين سبقوا. . فهناك من آمن من أهل المدينة. . لقد هاجر المسلمون قبل ذلك إلى الحبشة ولكنها كانت هجرة إلى دار أمن وليست دار إيمان. . ولكن حين حدثت بيعة العقبة وجاء جماعة من المدينة وعاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به. . أرسل معهم الرسول مصعب بن عمير ليعلمهم دينهم. . وجاءت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام على خميرة إيمانية موجودة. . لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أفسد على اليهود خطة حياتهم. . فاليهود كانوا ممثلين في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة. . وكان هناك في المدينة الأوس والخزرج. . وبينهما حروب دائمة قبل أن يأتي الإسلام. . فاليهود قسموا أنفسهم إلى قوم مع الأوس وقوم مع الخزرج حتى يضمنوا استمرار العداوة. . فكلما هدأ القتال أهاجوا أحد المعسكرين على الآخر ليعود القتال من جديد.

. وهم كذلك حتى الآن وهذه طبيعتهم.

إن الذي صنع الشيوعية يهودي، والذي صنع الرأسمالية يهودي. . والذي يحرك العداوة بين المعسكرين يهودي. . وكان بنو النضير وبنو قينقاع مع الخزرج وبنو قريظة مع الأوس. . فإذا إشتبك الأوس والخزرج كان مع كل منهم حلفاؤه من اليهود. عندما تنتهي المعركة ماذا كان يحدث؟ إن المأسورين من بني النضير وبني قينقاع يقوم بنو قريظة بالمساعدة في فك أسرهم. . مع أنهم هم المتسببون في هذا الأسر. . فإذا إنتصرت الأوس وأخذوا أسرى من الخرج ومن حلفائهم اليهود. . يأتي اليهود ويعملون على إطلاق سراح الأسرى اليهود. . لأن عندهم نصا أنه إذا وجد أسير من بني إسرائيل فلابد من فك أسره.

والحق سبحانه وتعالى يقول لهم إن أعمالكم في أن يحارب بعضكم بعضا وأن تسفكوا دماءكم. . لا تتفق مع الميثاق الذي أخذه الله عليكم بل هي مصالح دنيوية. . تقتلون أنفسكم والله نهاكم عن هذا: ﴿وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾ والله نهاكم عن هذا: ﴿تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ . . وهذا ما كان يحدث في المدينة في الحروب بين الأوس والخزرج كما بينا. . والأسارى جمع أسير وهي **على غير قياسها**، لأن القياس فيها أسرى. . ولذلك نرى في آية أخرى أنه يأتي قول الله." [٢]

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٦/١٦٠

(٢) تفسير الشعراوي، الشعراوي ١/٤٣٧

٢٧٦. "صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» . وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء» «١» .

ثانيا: عدد آياتها: وهي سبع آيات لقوله– تعالى–: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم. قال العلماء: السبع المثاني هي الفاتحة.

وقال ابن كثير: هي سبع آيات بلا خلاف. وقال عمرو بن عبيد: هي ثماني آيات لأنه جعل إياك نعبد آية. وقال حسين الجعفي: هي ست آيات وهذان القولان شاذان» «٢» .

ثالثا: اسماؤها: لسورة الفاتحة أسماء كثيرة من أشهرها:

١– «الفاتحة أو فاتحة الكتاب، وسميت بذلك لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظا. وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطا، وتفتتح بها الصلوات، وإن لم تكن هي أول ما نزل من القرآن. وقد اشتهرت بهذا الاسم في أيام النبوة.

وقد أصبح هذا الاسم علما بالغلبة لتلك الطائفة من الآيات التي مبدؤها الحمد لله..

ونهايتها.. ولا الضالين.

٢– «أم القرآن أو الكتاب» وسميت بذلك لاشتمالها إجمالا على المقاصد التي ذكرت فيه تفصيلا، أو لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله بما هو أهله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء.

قال ابن جرير: «والعرب تسمى كل أمر جامع أما، وكل مقدم له توابع تتبعه «أما» فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: «أم الرأس» . وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها «أما» «٣» .

٣– «السبع المثاني» جمع مثنى كفعلى اسم مكان. أو مثنى– بالتشديد– من التثنية على غير قياس. وسميت بذلك لأنها سبع آيات في الصلاة، أى تكرر فيها أخرج الإمام أحمد، عن أبى هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم» «٤» .

٤– وتسمى– أيضا– سورة «الحمد» . ٥– و «الكنز» . ٦– و «الواقية» .

---

(١) تفسير القرطبي. ج ١ ص ١١٥ طبعة دار الكاتب العربي.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨ طبعه عيسى الحلبي.

(٣) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٠٧ طبعة دار المعارف. [.....]

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٩.." [١]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي، محمد سيد طنطاوي ١٢/١

٢٧٧. "قالوا: والإنجيل كلمة يونانية من النجل وهو الأصل، يقال: رحم الله ناجليه، أى: والديه، وقيل: الإنجيل مأخوذ من نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته. ويقال للماء الذي يخرج من البئر: نجل. وقيل هو من النجل الذي هو سعة العين، ومنه قولهم: طعنة نجلاء، أى: واسعة.

وسمى الإنجيل بهذا الاسم، لأنه سعة ونور وضياء، أنزله الله- تعالى- على نبيه عيسى، ليكون بشارة وهداية لقومه «١» .

وأعاد- سبحانه- مع عيسى- عليه السلام- كلمة وقفينا للإشعار بأن المسافة التي كانت بين عيسى- عليه السلام- وبين آخر رسول من بنى إسرائيل كانت مسافة طويلة.

ثم بين- سبحانه- بعض السمات التي كانت واضحة في أتباع عيسى فقال: وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله.

والرأفة: اللين وخفض الجناح، والرحمة. العطف والشفقة.

قالوا: وعطف الرحمة على الرأفة من باب عطف العام على الخاص، لأن الرأفة، رحمة خاصة، تتعلق بدفع الأذى والضر. أما الرحمة فهي أشمل وأعم، لأنها عطف وشفقة على كل من كان في حاجة إليها.

و «الرهبانية» معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان. وهم النصارى المبالغون في الرهبة والخوف من الله- تعالى- والزهد في متاع الحياة الدنيا.

قال بعض العلماء: والرهبانية: اسم للحالة التي يكون عليها الراهب متصفا بها في غالب شئون دينه، والياء فيها ياء النسبة إلى الراهب **على غير قياس**، لأن قياس النسب إلى الراهب: الراهبية، والنون فيها مزيدة للمبالغة في النسبة، كما زيدت في قولهم: شعرانى، لكثير الشعر، ولحيانى لعظيم اللحية «٢» .

وقوله- تعالى-: ورهبانية ابتدعوها.. منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر.

أى: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، فهو من باب الاشتغال.

ويصح أن يكون معطوفا على قوله: رأفة ورحمة وقوله: ابتدعوها في موضع

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ١٧١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٧ ص ٢٤١ للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. - رحمه الله-.." [(١)]

٢٧٨. "الإعراب:

سأل سائل قرئ بالهمز على الأصل، وقرئ بترك الهمزة بإبدال الهمزة ألفا **على غير قياس**.

كان مقداره خمسين ألف سنة خمسين: خبر كان، وألف: منصوب على التمييز، وجملة كان مع اسمها وخبرها في موضع جر صفة يوم.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي، محمد سيد طنطاوي ٢٣١/١٤

ولا يسئل حميم حميما، يبصرونهم.. يسئل وحميم: فعل وفاعل، وحميما: مفعول به، وقرئ يسئل بالضم: فعل مبني للمجهول، تقديره: ولا يسأل حميم عن حميمه. ويبصرونهم: أي يبصر الحميم حميمه، وأراد بالحميم الجمع، والضمير المرفوع في يبصرونهم يعود على المؤمنين، والهاء والميم تعود على الكافرين. والمعنى: يبصر المؤمنون الكافرين يوم القيامة، أي ينظرون إليهم في النار.

إنها لظى، نزاعة للشوى لظى بالرفع: خبر «إن» ، ونزاعة: خبر ثان، أو لظى: خبر «إن» ، ونزاعة: بدل من لظى، أو أن هاء إنها ضمير القصة، ولظى: مبتدأ، ونزاعة: خبره، والجملة: خبر «إن» . ويصح كون لظى بالنصب بدلا من هاء إنها، ونزاعة بالرفع خبر «إن» . ونصب نزاعة على الحال المؤكدة، والعامل فيها معنى الجملة، مثل وهو الحق مصدقا [البقرة ٢/ ٩١] ، وتدعوا من أدبر: خبر ثالث، أو مستأنف.

البلاغة:

بعيدا وقريبا بينهما طباق.

سأل سائل جناس اشتقاق، وكذا بين المعارج وتعرج.

تعرج الملائكة والروح أي جبريل: عطف خاص على عام تنبيها على شرفه وفضله.

يوم تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن تشبيه مرسل مجمل، لحذف وجه الشبه.." (١)

٢٧٩. "المفر الفرار. كلا ردع عن طلب الفرار. لا وزر لا ملجأ يتحصن به.

المستقر

أي استقرار أمر الخلائق، فيحاسبون ويجازون. ينبؤا

يخبر. بما قدم وأخر

بما قدم من عمله وبما أخر منه، فلم يعلمه، أي أول عمله وآخره. بصيرة

حجة شاهدة ناطقة بعمله فلا بد من جزائه. ولو ألقى معاذيره

ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به وهو جمع معذرة **على غير قياس**، كالمناكير جمع منكر، فقياسه معاذر، وذلك أولى.

سبب النزول: نزول الآية (٣- ٤) :

أيحسب الإنسان..:

روي أن عدي بن ربيعة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) التفسير المنير للزحيلي، وهبة الزحيلي ٢٩/١١١

يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون أمره؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك، ولم أومن به، أو يجمع الله هذه العظام بعد بلاها؟! فنزلت.

وقيل: نزلت في أبي جهل كان يقول: أيزعم محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرقها، فيعيدها خلقا جديدا «١» ؟!

التفسير والبيان:

لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة أي أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوامة وهي التي تلوم صاحبها على تقصيره، لتبعثن، وقد حذف جواب القسم، لدلالة ما بعده عليه، وهو قوله تعالى: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه. وهي نفس المؤمن، تلوم على ما فات وتندم، فتلوم على الشر لم تعمله، وعلى الخير لماذا لم تستكثر منه.

والقسم بشيء لتعظيمه وتفخيمه، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وفي الإقسام بيوم القيامة على وقوع يوم القيامة مزيد تقرير وتأكيد لوقوعه، فإن

---

(١) البحر المحيط: ٨/ ٣٨٤- ٣٨٥، تفسير القرطبي: ١٩/ ٦٣." [1]

٢٨٠. "﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١١٤) ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم (١١٥) ﴾

شرح الكلمات:

﴿ومن أظلم﴾ : الاستفهام للإنكار والنفي، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقا.

﴿وسعى١ في خرابها﴾ : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو يمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن التعبد فيها إذ هذا من خرابها أيضا.

الخزي: الذل والهوان٢.

﴿فثم وجه الله﴾ : هناك الله تعالى إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقا أو غربا شمالا أو جنوبا وجد الله تعالى، إذ الكائنات كلها بين يديه وكيف لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها. ويقرر هذا قوله: ﴿إن الله واسع عليم﴾ ، إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء لأنه محيط بكل شيء.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي، وهبة الزحيلي ٢٥٣/٢٩

شرح الآيتين:

ففي الآية الأولى (١١٤) ينفي تعالى أن يكون هناك من هو أكثر ظلما ممن منع مساجد٣ الله تعالى أن يعبد الله تعالى فيها، لأن العبادة هي علة الحياة فمن منعها كان كمن أفسد

---

١ أصل السعي: المشي، ومنه السعي بين الصفا والمروة، وهو المشي بينهما ثم أطلق على التسبب مطلقا يقال: سعى فلان في مصلحتك وسعى فلان في الإفساد بين فلان وفلان.

٢ وقد نال صناديد قريش حيث أزلهم وأخزاهم يوم الفتح على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم.

٣ المساجد: جمع مسجد بكسر الجيم **على غير قياس** إذ فعل بالفتح، يفعل بالضم، الاسم منه كالمصدر مفعل بالفتح، ونظير المسجد المطلع والمشرق والمسكن والمرفق. والمسجد بالفتح: جبهة المرء وأعضاء سجوده السبعة.." (١)

٢٨١. "طلحة الحجبي١، حيث كان مفتاح الكعبة عنده بوصفه سادنا٢، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه صبيحة يوم الفتح، فصلى في البيت ركعتين وخرج، فقال العباس رضي الله عنه أعطينيه يا رسول الله، ليجمع بين السقاية والسدانة، فانزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية على الناس، ودعا عثمان بن طلحة وأعطاه المفتاح. غير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا فالآية في كل أمانة فعلى كل مؤتمن على شيء أن يحفظه ويرعاه حتى يؤديه٣ إلى صاحبه، والآية تتناول حكام المسلمين أولا بقرينة ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ الذي هو القسط، وضد الجور ومعناه: إيصال الحقوق إلى مستحقيها من أفراد الرعايا. وقوله تعالى: ﴿إن الله نعما يعظكم٤ به﴾ يريد أن أمره تعالى أمة الإسلام حكاما ومحكومين بأداء الأمانات والحكم بالعدل هو شيء حسن، وهو كذلك إذ قوام الحياة الكريمة هو النهوض بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقوله تعالى: ﴿إن الله كان سميعا بصيرا﴾ فيه الحث على المأمور به بإيجاد ملكة مراقبة الله تعالى في النفس، فإن من ذكر أن الله تعالى يسمع أقواله ويبصر أعماله استقام في قوله فلم يكذب وفي عمله فلم يفرط. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٨) .

أما الآية الثانية (٥٩) ، فإن الله تعالى لما أمر ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانات التي هي حقوق الرعية، وبالحكم بينهم بالعدل أمر المؤمنين المولي عليهم بطاعته وطاعة رسوله أولا، ثم بطاعة ولاة الأمور ثانيا، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ، والطاعة لأولي الأمر مقيد بما كان معروفا للشرع، أما في غير المعروف فلا طاعة في الاختيار لحديث: "إنما الطاعة في المعروف، ولا

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ١٠٢/١

طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

وقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ فهو خطاب عام للولاة والرعية، فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك إلى كتاب الله٥ وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكما فيه وجب قبوله حلوا كان أو مرا، وقوله تعالى: ﴿إن كنتم تؤمنون

---

١ المؤتمن إذا لم يفرط وضاعت الأمانة منه فلا ضمان عليه إجماعا لقوله صلى الله عليه وسلم: " لا ضمان على مؤتمن" رواه الدارقطني. والعارية مؤداة أيضا. لحديث خطبة الوداع: "العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم" أي: ضامن.

٢ أصل: نعما: نعم وكتبت معها ما بعد كسر عين نعم وتسكين ميمها وإدغامها في ما: هي إما موصولة أو نكرة موصوفة أو نكرة تامة وأما الجملة بعد نعم فهي تجري حسب ما يناسب معنى "ما".

٣ الحجبي: نسبة إلى حجابة البيت على غير قياس.

٤ السادن: الخادم للبيت، وتسمى هذه المهنة: السدانة.

٥ وذلك يستلزم الرد إلى العلماء الفقهاء إذ هم الذين يعرفون الأحكام ويحسنون استنباطها من الكتاب والسنة.." (١)

٢٨٢. "معصية وتحذرهم من مغبة الاعتداء على شرع الله تعالى قالت ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا﴾ وهذا القول من هذه الطائفة دال على يأسهم من رجوع إخوانهم عن فسقهم وباطلهم، فأجابتهم الطائفة الواعظة ﴿معذرة١ إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾ أي وعظنا لهم هو معذرة لنا عند الله تعالى من جهة ومن جهة أخرى ﴿لعلهم يتقون﴾ فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء، قال تعالى ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ وخوفوا منه وهو تحريم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت، ومعنى نسوا تركوا ولم يلتفتوا إلى وعظ إخوانهم لهم وواصلوا اعتداءهم وفسقهم، قال تعالى ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهم الواعظون لهم من ملوا ويئسوا فتركوا وعظهم، وممن واصلوا نهيهم ووعظهم ﴿وأخذنا الذين ظلموا٢ بعذاب بئيس﴾ أي شديد البأس ﴿بما كانوا يفسقون﴾ عن طاعة الله ربهم، إذ قال تعالى لهم ﴿كونوا قردة خاسئين٣﴾ فكانوا قردة خاسئين ذليلين صاغرين حقيرين، ثم لم يلبثوا (مسخا) ٤ إلا ثلاثة أيام وماتوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير الوحي والنبوة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذا القصص الذي يذكر لبني

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ١/٤٩٧

إسرائيل لن يتم إلا عن طريق الوحي، وإلا فكيف علمه وذكر به اليهود أصحابه وأهله، وقد مضى عليه زمن طويل.

٢- إذا أنعم الله على أمة نعمة ثم أعرضت عن شكرها تعرضت للبلاء أولا ثم العذاب ثانيا.

٣- جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نجى الله تعالى الناهين عن المنكر وأهلك الذين باشروه ولم ينتهوا منه دون غيرهم.

---

١ المعذرة: مصدر ميمي فعله اعتذر **على غير قياس**، والعذر: السبب الذي تبطل به المؤاخذة بسبب ذنب أو تقصير.

٢ اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظونا قوما.. الخ نجت من العذاب أولا؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرى أنها لم تنج حتى أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها مع الفرقة الناهية، لأن ترك النهي من الفرقة التي لم تنه كان ليأسهم من استجابة الظالمين.

٣ يقال: خسأته فخسا أي، باعدته وطردته، وفي هذا دليل على أن المعاصي سبب النقم كما أن الطاعات سبب النعم.

٤ أي لم يلبثوا ممسوخين حتى هلكوا والعياذ بالله.." (١)

٢٨٣. "والآخرة قال تعالى ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ ١ أي في الدنيا بالانتصارات والغنائم وفي الآخرة بالجنة ونعيمها ورضوان الله فيها. وقال ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بالسلامة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب وفسر تعالى تلك الخيرات وذلك الفلاح بقوله في الآية (٨٩) فقال ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ وأخبر عما أعد لهم من ذلك النعيم المقيم بأنه الفوز فقال ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ . هذا ما دلت عليه الآيات الأربع أما الآية الخامسة (٩٠) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن منافقي الأعراب أي البادية، فقال تعالى ﴿وجاء المعذرون٢﴾ أي المعتذرون أدغمت التاء في الذال فصارت المعذرون من الأعراب أي من سكان البادية كأسد وغطفان ورهط عامر بن الطفيل جاءوا يطلبون الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف بدعوى الجهد والمخمصة، وقد يكونون معذورين حقا وقد لا يكونون كذلك. وقوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في دعوى الإيمان بالله ورسوله وما هم بمؤمنين بل هم كافرون منافقون، فلذا مال تعالى فيهم ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ في الدنيا وفي الآخرة، إن ماتوا على كفرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٢/٢٥٥

١- القرآن هو مصدر التشريع الإلهي الأول والسنة الثاني.

٢- مشروعية الاستئذان للحاجة الملحة.

٣- حرمة الاستئذان للتخلف عن الجهاد مع القدرة عليه.

٤- حرمة التخلف عن الجهاد بدون إذن من الإمام.

٥- فضل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

٦- بيان عظم الأجر وعظيم الجزاء لأهل الإيمان والجهاد.

---

١ الخيرات: جمع خير **على غير قياس** كسرادقات، وحمامات جمع سرادق وحمام.

٢ ﴿المعذرون﴾ هذا اللفظ صالح لأن يكون المراد به المعتذرون لعلل قامت بهم وصالح لأن يكون المراد به المعذرون وهم الذين لا عذر لهم ويعتذرون بغير حق موجب للعذر يقال: عذر فلان: إذا قصر في الواجب واعتذر بدون عذر قام به. وهذا من بلاغة القرآن، اللفظ الواحد منه يحتمل وجهين وكلاهما حق ومراد.." (١)

٢٨٤. "من فضله: أي من فضل الله تعالى بالتجارة.

أن تميد بكم: أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها ويسقط.

لا تحصوها: أي عدا فتضبطوها فضلا عن شكرها للمنعم بها عز وجل.

ما تسرون وما تعلنون: من المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولا ثم اللفظ عام فالله يعلم كل سر وعلانية في أي أحد.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته تلك المظاهر الموجبة لتوحيده وعبادته وشكره وذكره قال تعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر﴾ وهو كل ماء غمر كثير عذبا كان أو ملحا وتسخيره تيسير الغوص فيه وجرى السفن عليه. وقوله ﴿لتأكلوا منه لحما١ طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ بيان لعلة تسخير البحر وهي ليصيد الناس منه السمك يأكلونه، ويستخرجون اللؤلؤ والمرجان حلية لنسائهم٢. وقوله: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ أي وترى أيها الناظر إلى البحر ترى السفن تمخر الماء أي تشقه ذاهبة وجائية. وقوله: ﴿ولتبتغوا﴾ أي سخر البحر والفلك لتطلبوا الرزق بالتجارة بنقل البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وذلك كله من فضل الله وقوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي كي تشكروا الله تعالى. أي سخر لكم ذلك لتحصلوا على الرزق من فضل الله فتأكلوا وتشكروا الله على ذلك والشكر يكون بحمد الله والاعتراف بنعمته وصرفها في مرضاته وقوله: ﴿وألقى في الأرض

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٢/٤١٠

رواسي٣﴾ أي ألقى في الأرض جبالا ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ كي لا تميد بكم، وميدانها ميلها وحركتها إذ لو كانت تتحرك لما استقام العيش عليها والحياة فيها. وقوله: ﴿وأنهارا﴾ أي وأجرى لكم أنهارا في الأرض كالنيل والفرات

---

١ قسم مالك اللحم ثلاثة أقسام وهي: لحم ذوات الأربع، ولحم ذوات الريش، ولحم ذوات الماء، ومنع بيع الجنس الواحد بجنسه متفاضلا أو نسيئة.

٢ الإجماع على جواز تختم الرجل بخاتم الفضة للأحاديث الثابتة وذلك منها حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله" ولذا جاز للقضاة وغيرهم أن ينقشوا أسماءهم على خواتمهم.

٣ في هذه الآية دليل على استعمال الأسباب إذ كان الله قادرا على سكونها دون الجبال، ومع هذا أرساها، وسكنها بالجبال تعليما لعباده للأخذ بالأسباب، و ﴿رواسي﴾ جمع راس، **على غير قياس**، كفوارس، وعواذل جمع فارس وعاذل.." (١)

٢٨٥. "بما تسعى: أي سعيها في الخير أو في الشر.

فتردى: أي تهلك.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (٨) كان قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تقريرا للتوحيد وإثباتا له وفي هذه الآية (٩) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان إخباره بأنه لا إله إلا هو أي لا معبود غيره وأمره بعبادته. فقال تعالى: ﴿وهل أتاك١﴾ أي يا نبينا ﴿حديث موسى٢ إذ رأى نارا﴾ ، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له نارا ﴿فقال لأهله﴾ أي زوجته ومن معها وقد ضلوا طريقهم لظلمة الليل، ﴿امكثوا﴾ أي ابقوا هنا فقد آنست نارا أي أبصرتها ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ فنوقد به نارا تصطلون بها أي تستدفئون بها، ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد حولها ما يهدينا طريقنا الذي ضللناه.

وقوله تعالى: ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة٣ تتلألؤ نورا ﴿نودي يا موسى﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلا يا موسى ﴿إني٤ أنا ربك﴾ أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه. وقوله تعالى ﴿وأنا أخترتك﴾ أي لحمل رسالتي إلى من أرسلك إليهم. ﴿فاستمع لما يوحى٥﴾ أي إليك وهو: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ أي أنا الله المعبود بحق ولا معبود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي، ﴿وأقم الصلاة

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ١٠٥/٣

لذكري٦﴾ ، أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها. فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافرا لربه تعالى. وقوله ﴿إن الساعة آتية٧﴾ أي ان الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء

---

١ هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق هي كما في قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي قد أتى.

٢ الحديث: الخبر، ويجمع على غير قياس: أحاديث، وقيل: واحده أحدوثة واستغنوا به عن جمع فعلاء لأن فعيل يجمع على فعلاء. كرحيم ورحماء وسعيد وسعداء وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر قد حدث في الخارج.

٣ قيل: هي شجرة عناب.

٤ قرأ حمزة وحده، وانا اخترناك بضمير العظمة.

٥ في هذه الآية إشارة إلى أن التعارف بين المتلاقين حسن فقد عرفه تعالى بنفسه في أول لقاء معه، روى أنه وقف على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره وهذه حالة الاستماع المطلوبة من صاحبها.

٦ استدل مالك على أن من نام عن صلاة أو نسيها فإنه يصليها مستدلا بقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي: لأول وقت ذكرك لها والسنة صريحة في هذا إذ قال صلى الله عليه وسلم "من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فلا كفارة لها إلا ذاك"

٧ الساعة علم بالغلبة على ساعة البعث والحساب.." (١)

٢٨٦. "وقوله تعالى: ﴿أليس (١) في جهنم مثوى للمتكبرين (٢) ﴾ أي بلى في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين الذين تكبروا عن الإيمان والعبادة. وقوله تعالى: ﴿وينجي الله﴾ أي تلك حال وهذه أخرى وهي أن الله تعالى ينجي يوم القيامة الذين اتقوا الشرك والمعاصي بالإيمان والطاعة هؤلاء بفوزهم بالجنة لا يمسهم السوء في عرصات القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لأن ما نالهم من نعيم الجنة أنساهم ما تركوا وراءهم وقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ أي ما من كائن سوى الله تعالى إلا وهو مخلوق والله خالقه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي قيم حافظ، فسبحانه ما أعظم قدرته وما أوسع علمه فلذا وجبت له العبادة ولم تجز فضلا عن أن تجب لسواه.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السماوات والأرض (٣) ﴾ أي له ملكا حقا مفاتيح خزائن الرحمات والخيرات والبركات فهو يفتح ما يشاء ويمسك ما يشاء فلا يصح الطلب إلا منه ولا تجوز الرغبة إلا فيه وما عبد

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٣٤١/٣

الناس الأوثان والأصنام إلا رغبة ورهبة فلو علموا أن رهبتهم لا تكون إلا من الذي يقدر على كل شيء وأن رغبتهم لا تكون إلا في الذي بيده كل شيء لو علموا هذا ما عبدوا غير الله تعالى بحال.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ الحاوية لإيمانه وصفاته وبيان محابه ومكارهه وحدوده وشرائعه ولذا من كفر بآيات الله فلم يؤمن بها ولم يعمل بما فيها خسر خسرانا مبينا بحيث يخسر يوم القيامة نفسه وأهله، وذلك هو الخسران المبين.

وقوله تعالى: ﴿قل أفغير الله﴾ الآية هذا رد على المشركين الذين طلبوا من الرسول أن يعترف بآلهتهم ويرضى بها مقابل أن يعترفوا له بما جاء به ويدعو إليه فأمر تعالى أن يفاصلهم بقوله: ﴿قل أفغير (٤) الله تأمروني (٥) أعبد أيها الجاهلون﴾ لن يكون هذا مني أبدا كيف أعبد غير الله وهو

---

١ - الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا والاستفهام للتقرير.

٢ - التكبر شدة الكبر وهو إظهار المرء التعاظم على غيره لأنه يعد نفسه عظيما وفي التنديد به من حديث مسلم "إن الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر"

٣ - المقاليد جمع إقليد وجمع **على غير قياس** والمراد مفاتيح خزائن السماء والأرض حيث أرزاق العباد وما به تقوم حياتهم، من أمطار وزروع وضروع ومعادن وغيرها.

٤ - غير منصوب بأعبد، وأعبد مرفوع لحذف أن مع حرف الجر إذ الأصل بأن أعبد فلما حذف الناصب ارتفع الفعل. هذا على رأي كثير من النحاة والجمهور يقولون لا حذف وأعبد هو المستفهم عنه، وتأمروني اعتراض أو حال وتقدير الكلام أأعبد غير الله لكونكم تأمروني بذلك.

٥ - قرأ نافع تأمرون بنون واحدة مخففة بحذف إحدى النونين، وقرأ حفص والجمهور تأمروني بتشديد النون إدغاما لإحدى النونين في الأخرى وفي جملة أيها الجاهلون تقريع لهم ووصف لهم بالجهل وهو وصف مذموم.." (١)

٢٨٧. "مثل ولا مثله شيء هو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو السميع لكل الأصوات العليم بكل الكائنات.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السماوات والأرض (١) ﴾ أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالى يبسط الرزق لمن يشاء امتحانا ويضيق ابتلاء، لأنه بكل شيء عليم فلا يطلب الرزق إلا منه، ولا يلجأ فيه إلا إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٤/٥٠٤

١- وجوب رد ما اختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم (٢) فيه وهو الرد إلى الكتاب والسنة.

٢- وجوب التوكل عليه والإنابة إليه في كل الأمور.

٣- تنزيه الرب تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٤- وجوب الإيمان بأن الله هو الرزاق بيده مفاتيح خزائن الأرزاق فمن شاء وسع عليه، ومن شاء ضيق، وأنه يوسع لحكمة ويضيق لأخرى.

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)

١- المقاليد جمع إقليد أو مقلاد **على غير قياس** وهو المفتاح، والمقاليد للخزائن وهي ما أودع الله تعالى من أرزاق السموات والأرض لعباده، فلذا هو يبسط الرزق ويقدر حسب علمه وحكمته.

٢- شاهده قوله تعالى: ﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ "الآية من سورة النساء"." [(١)]

٢٨٨. "بن مريم كل ذلك لهداية العباد إلى ما يكملهم ويسعدهم وقوله ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ أي آتينا عيسى بن مريم الإنجيل وجعلنا في١قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة والرأفة أشد الرحمة. وقوله تعالى ﴿ورهبانية٢ ابتدعوها﴾ أي ابتدعها الذين اتبعوا عيسى ﴿ما كتبناها عليهم٣﴾ أي لم يكتبها الله عليهم لما فيها من التشديد ولكن ما ابتدعوها إلا طلبا لرضوان الله ومرضاته فما رعوها حق رعايتها حيث لم يوفوا بما التزموا به من ترك الدنيا والإقبال على الآخرة حيث تركوا النساء ولبسوا الخشن من الثياب وأكلوا الخشن من الطعام ونزلوا الصوامع والأديرة.

ولهذه الرهبانية سبب مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما نذكره باختصار للفظه ومعناه قال كان بعد عيسى ملوك بدلوا التوراة وحرفوا الإنجيل وألزموا العامة بذلك، وكان بينهم جماعة رفضوا ذلك التحريف للدين ولم يقبلوه ففروا بدينهم، والتحقوا بالجبال وانقطعوا عن الناس مخافة قتلهم أو تعذيبهم لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية، وهاش أولئك المؤمنون وماتوا وجاء جيل من أبناء الدين المحرف فذكروا سيرة الصالحين الأولين فأرادوا أن يفعلوا فعلهم فانقطعوا إلى الصوامع والأديرة، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدل فاسد فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله. وهو ما دل عليه قوا الله تعالى: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ وهم الأولون المؤمنون الذين فروا من الكفر والتعذيب وعبدوا الله تعالى بما شرع، وقوله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين أتوا من

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٥٩٨/٤

بعدهم إلى يومنا هذا إذ هم يعبدون الله بدين محرف باطل ولم يلتزموا بالرهبنة الصادقة بالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١- بيان منة الله على عباده بإرسال الرسل.

٢- بيان سنة الله في الناس وهي أنه إذا أرسل الرسل لهداية الناس يهتدي بعض ويضل بعض فيفسق.

---

١ وذلك لأن عيسى عليه السلام بعث لتهذيب نفوس بني إسرائيل واقتلاع جذور القسوة من قلوبهم تلك القسوة التي أثمرها حب الدنيا والإقبال على الشهوات والملاذ الفانية.

٢ الرهبانية: نسبة إلى الرهبنة والراهب هو الخائف من الله تعالى، والأصل أن يقال الراهبية، فزيدت فيها النون كما زيدت في شعراني ولحياني ورباني وكذا نصراني على غير قياس.

٣ جملة: (ما كتبناها عليهم) مبنية لجملة (ابتدعوها) .." (١)

٢٨٩. "هذا هو طبعكم أيها الناس إلا من ذكر الله فصلى بعد أن آمن واهتدى في حين أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى خير نوعا وأبقى مدة حتى قال الحكماء١ لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف.. طين لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية وقوله تعالى ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾ أي إن قوله تعالى قد أفلح من تزكى إلى قوله خير وأبقى مذكور في كل من صحف إبراهيم وكانت له عشر صحف ولموسى٢، التوراة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الترغيب في الزكاة والذكر والصلاة، ويحصل هذا للمسلم كل عيد فطر إذ يخرج زكاة الفطر أولا ثم يأتي المسجد يكبر، ثم يصلي حتى أن بعضهم يرى أن هذه الآية نزلت في ذلك.

٢- التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة لفناء الدنيا وبقاء الآخرة.

٣- توافق الكتب السماوية دليل أنها وحي الله وكتبه أنزلها على رسله عليهم السلام.

---

١ قال مالك بن دينار ونص كلمته كالتالي: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى. قال فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى؟

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٥/٢٧٩

٢ لقد كان لموسى صحف كثيرة إذ هي مجموع صحف أسفار التوراة والصحف جمع صحيفة **على غير قياس** إذ القياس صحائف وصار صحف أشهر وأفصح من صحائف كما قالوا في جمع سفينة سفن فكان أفصح من سفائن.." [١]

٢٩٠. "ويظهر الرسول في فرق عن معنى النبي لأن بينهما عموما وخصوصا ((١)) .

القراءات القرآنية

١. ﴿أن أرضعيه﴾

قرأ عمرو بن عبد الواحد، وعمر بن عبد العزيز (أن ارضعيه) بكسر النون بعد حذف الهمزة **على غير قياس**، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة وهي الفتحة إلى النون كقراءة ورش (أن ارضعيه) ((٢)) .

وقد حذف عمرو بن عبد الواحد الهمزة من نون (أن) ووصلها بالراء من (أرضعيه) بعد تسهيل همزة الأمر، وهذه من سنن العرب في كلامها أن تسهل الهمزة ليستقيم النطق عندهم ((٣)) .

القضايا البلاغية

١. في هذه الآية من الدلائل على الإعجاز القرآني حيث اشتملت على أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، فذكر القرطبي أن الأصمعي قال:

" سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

استغفر الله لذنبي كله قبلت إنسانا بغير حله

مثل الغزال ناعما في دله وانتصف الليل ولم أحله

---

(١) التعريفات (الجرجاني) : ص ١٦٧.

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. عثمان ابن جني أبو الفتح. ت ٣٩٢ هـ. تحقيق: علي النجدي ناصف. وآخرون. لجنة أحياء التراث الإسلامي. القاهرة. ط١. ١٩٦٦ م.: ٢/ ١٤٧. البحر المحيط: ٧ /١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٤٩٦٦.

(٣) ينظر القراءات القرآنية والدلالات البيانية. د. محمد عبد العزيز. الطبعة الأولى. مطبعة جامعة عبد العزيز آل سعود. الرياض. ١٤١١ هـ.: ص ١١٧ -١١٨.." [٢]

٢٩١. "الجزاء المكافأة على الشيء جزاء به وعليه جزاء جازاه مجازاة وجزاء. قال أبو الهيثم: الجزاء يكون ثوابا ويكون عقابا ((١)) .

٣. ﴿حجج﴾ :

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٥/٥٥٩

(٢) سورة القصص دراسة تحليلية، محمد مطني ٢٦٧/١

الحج: القصد حج إلينا فلان، أي: قدم. وحجه يحجه حجا قصده يقرا بفتح الحاء وكسرها والفتح الأصل. والحج اسم العمل والحج والحج ليس عند الكسائي بينها فرقان وغيره يقول: الحج حج البيت. والحج عمل السنة. والحجة السنة والجمع حجج ((٢)) .

وقال ابن عاشور: الحجج جمع حجة بكسر الحاء، وهي السنة مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية

. ((٣))

القراءات القرآنية

١. ﴿فسقى﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة.

٢. ﴿تولى﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة ((٤)) .

٣. ﴿فجاءته إحداهما﴾ :

قرأ ابن محيصن: (فجاءته احداهما) بحذف الهمزة **على غير قياس** كقولهم يا أبا فلان ((٥)) .

٤. ﴿يا أبت﴾ :

قرأ ابن عامر (يا أبت) .

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وأبو جعفر (يا أبه) وقفا ((٦))

٥. ﴿أن أنكحك إحدى﴾ :

---

(١) ينظر لسان العرب: مادة (جزى) ١٤/ ١٤٣.

(٢) لسان العرب: مادة (حجج) ٢/ ٢٧٧.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٠٧.

(٤) غيث النفع: ص ٣١٦. معجم القراءات القرآنية: ٥/ ١٤.

(٥) المحتسب: ٢/١٥٠. البحر المحيط: ٧/١١٤. الدر المصون: ٥/ ٣٣٨.

(٦) النشر في القراءات العشر: ٢/ ١٣١. التيسير في القراءات السبع. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني. ت ٤٤٤ هـ. تحقيق: أوتو برترزل. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٦.: ص ١٢٧. إتحاف فضلاء البشر: ص ٣٤٢.." [1]

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية، محمد مطني ٣٥١/١

٢٩٢. "وسميت التكاليف الشاقة إصرا لأنها تثقل كاهل صاحبها كما يسمى العهد إصرا لأنه ثقيل.
﴿طاقة﴾ الطاقة: القدرة على الشيء من أطاق الشيء وهو مصدر جاء **على غير قياس** الفعل ﴿واعف عنا﴾ العفو: الصفح عن الذنب ﴿واغفر لنا﴾ الغفران: ستر الذنب ومحوه.
سبب النزول: لما نزل قوله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله فقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال صلى الله عليه وسلم : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ﴿سمعنا وعصينا﴾ [البقرة: ٩٣] قولوا ﴿سمعنا وأطعنا﴾ «فلما قرأها القوم وجرت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى ﴿آمن الرسول بمآ أنزل إليه من ربه﴾ ونسخها الله تعالى فأنزل ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ الآية»
التفسير: ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي هو سبحانه المالك لما في السماوات والأرض المطلع على ما فيهن ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ أي إن أظهرتم ما في أنفسكم من السوء أو أسررتموه فإن الله يعلمه ويحاسبكم عليه ﴿فيغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء والله على كل شيء قدير﴾ أي يعفو عمن يشاء ويعاقب من يشاء وهو القادر على كل شيء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿آمن الرسول بمآ أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ أي صدق محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله إليه من القرآن والوحي وكذلك المؤمنون ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ أي الجميع من النبي والأتباع صدق بوحدانية الله، وآمن بملائكته وكتبه ورسله ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ أي لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض كما فعل اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسل الله دون تفريق ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ أي أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك فنسألك يا ألله المغفرة لمن اقترفناه من الذنوب وإليك وحدك يا ألله المرجع والمآب.
﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ أي لا يكلف المولى تعالى أحدا فوق طاقته ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ أي لكل نفس جزاء ما قدمت من خير، وجزاء ما اقترفت من شر ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينآ أو أخطأنا﴾ أي قولوا ذلك في دعائكم والمعنى لا تعذبنا يا ألله بما يصدر عنا بسبب النسيان أو الخطأ ﴿ربنا ولا تحمل علينآ إصرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾ أي ولا تكلفنا بالتكاليف الشاقة التي نعجز عنها كما كلفت بها من قبلنا من الأمم كقتل النفس في التوبة وفرض موضع النجاسة ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ أي لا تحملنا ما لا قدرة لنا عليه من التكاليف والبلاء ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنآ﴾ أي امح عنا ذنوبنا واستر سيئاتنا فلا تفضحنا يوم الحشر الأكبر وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ أي أنت يا ألله ناصرنا ومتولي أمورنا فلا تخذلنا، وانصرنا على أعدائنا وأعداء دينك من القوم الكافرين، الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك وكذبوا

برسالة نبيك صلى الله عليه وسلم . روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة: قد فعلت.

البلاغة: ١ - تضمنت الآية من أنواع الفصاحة وضروب البلاغة أشياء منها «الطباق» في قوله ﴿."
(١)

٢٩٣. "المناسبة: لما بين سبحانه وتعالى حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث، بين حكم الحدود فيهن إذا ارتكبن الحرام، ثم أعقبه بالتحذير عن عادات الجاهلية من ظلم النساء، وأكل مهورهن، وعدم معاملتهن المعاملة الإنسانية الشريفة.

اللغة: ﴿واللاتي﴾ جمع التي **على غير قياس** ﴿الفاحشة﴾ الفعلة القبيحة والمراد بها هنا الزنا ﴿واللذان﴾ تثنية الذي ﴿التوبة﴾ أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على فعل القبيح ﴿كرها﴾ بفتح الكاف بمعنى الإكراه وبضمها بمعنى المشقة ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴿حملته أمه كرها﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿تعضلوهن﴾ تمنعوهن يقال عضل المرأة إذا منعها الزواج ﴿بهتانا﴾ ظلما وأصله الكذب الذي يتحير منه صاحبه ﴿أفضى﴾ وصل إليها، وأصله من الفضاء وهو السعة ﴿ميثاقا غليظا﴾ عهدا شديدا مؤكدا وهو عقد النكاح.

سبب النزول: روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليه فورث امرأته كما يرث ماله وألقى عليها ثوبا، فإن شاء تزوجها بالصداق الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النسآء كرها. .﴾ .

التفسير: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسآئكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ أي اللواتي يزنين من أزواجكم فاطلبوا أن يشهد على اقترافهن الزنا أربعة رجال من المسلمين الأحرار ﴿فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت﴾ أي فإن ثبتت بالشهود جريمتهن فاحبسوهن في البيوت ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ أي احبسوهن فيها إلى الموت ﴿أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ أي يجعل الله لهن مخلصا بما يشرعه من الأحكام قال ابن كثير: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ أي واللذان يفعلان الفاحشة والمراد به الزاني والزانية بطريق التغليب ﴿فآذوهما﴾ أي بالتوبيخ والتقريع والضرب بالنعال ﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهمآ﴾ أي فإن تابا عن الفاحشة وأصلحا سيرتهما فكفوا عن الإيذاء لهما ﴿إن الله كان توابا رحيما﴾ أي مبالغا في قبول التوبة واسع الرحمة. قال

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١٦٣/١

الفخر الرازي: «خص الحبس في البيت بالمرأة وخص الإيذاء بالرجل لأن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبروز فإذا حبست في البيت انقطعت مادة هذه المعصية، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبسه في البيت لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فلا جرخ جعلت عقوبتهما مختلفة» ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السواء بجهالة﴾ أي إنما التوبة التي كتب الله على نفسه قبولها هي توبة من فعل المعصية سفها وجهالة مقدرا قبح المعصية وسوء عاقبتها ثم ندم وأناب ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ أي يتوبون سريعا قبل مفاجأة الموت ﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ أي يتقبل الله توبتهم ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ أي عليما بخلقه حكيما في شرعه ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ أي وليس قبول التوبة ممن ارتكب المعاصي واستمر عليها حتى إذا فاجأه الموت تاب وأناب فهذه توبة المضطر." (١)

٢٩٤. "المناسبة: لما ذكر تعالى صفات المؤمنين وما نالوه من الدرجات الرفعية، أعقبها ببيان أن طاعة الرسول من طاعة الله، وأمر الرسول من أمر الله، ثم ذكرهم تعالى بالنعمة العظمى وهي بعثة السراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم .

اللغة: ﴿الخيرة﴾ مصدر بمعنى الاختيار من تخير **على غير قياس** مثل الطيرة من تطير. ﴿مبديه﴾ أبدى الشيء: أظهره. ﴿وطرا﴾ الوطر: الحاجة التي هي في النفس، قال الزجاج: الوطر الحاجة التي لك فيها همة فإذا بلغها الإنسان يقال: قضى وطره، وقال المبرد: الوطر الشهوة ياقلأ:." (٢)

٢٩٥. "اللغة: ﴿يتفطرن﴾ يتشققن، والفطور: الشقوق ومنه ﴿هل ترى من فطور﴾ [الملك: ٣] ﴿فاطر﴾ خالد ومبدع ومخترع ﴿يوم الجمع﴾ يقوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه ﴿أم القرى﴾ مكة المكرمة ﴿يذرؤكم﴾ ينشئكم وكثركم ﴿مقاليد﴾ مفاتيح جمع إقليد **على غير قياس** ﴿شرع﴾ بين وسن وأوضح ﴿كبر﴾ عظم وشق ﴿ينيب﴾ يرجع ويتوب من ذنبه ﴿مريب﴾ موقع في الريبة والقلق ﴿داحضة﴾ باطلة وزائلة يقال: دحضت حجته أي بطلت، ودحضت رجله أي زلقت.

التفسير: ﴿حم عسق﴾ الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن، وإثارة انتباه الإنسان بحروف أولية، وبدء غير مألوف ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ أي مثل ما أوحى إليك ربك يا محمد هذا القرآن، أوحى إلى الرسل من قبلك في الكتب المنزلة، الله العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي ما له ما في الكون مالكا وخلقا وعبيدا ﴿وهو العلي العظيم﴾ أي هو المتعالي فوق خلقه، المنفرد بالكبرياء والعظمة ﴿تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن﴾ أي تكاد السموات يتشققن من عظمة الله وجلاله، ومن شناعة ما يقوله المشركون من اتخاذ

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ٢٤٣/١

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ٤٨٣/٢

الله الولد ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي والملائكة الأبرار دائبون في تسبيح الله، ينزهونه عما لا يليق به ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي ويطلبون المغفرة لذنوب من في الأرض من المؤمنين قال في التسهيل: والآية عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله تعالى ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر: ٧] ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ أي ألا فانتبهوا أيها القوم إن الله هو الغفور لذنوب عباده، الرحيم بها حيث لا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وعصيانهم قال القرطبي: هيب وعظم جل وعلا في الابتداء، وألطف وبشر في الانتهاء ﴿والذين اتخذوا من دونه أوليآء﴾ أي جعلوا له شركاء وأندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أي الله تعالى رقيب على أحوالهم وأعمالهم، لا يفوقه منها شيء، وهو محاسبهم عليها ﴿ومآ أنت عليهم بوكيل﴾ أي وما أنت يا محمد بموكل على أعمالهم حتى تقسرهم على الإيمان، إنما أنت منذر فحسب ﴿وكذلك أوحينآ إليك قرآنا عربيا﴾ أي وكما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك يا محمد قرآنا عربيا معجزا، بلسان العرب لا لبس فيه ولا غموض ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ أي لتنذر بهذا القرآن أهل مكة ومن حولها من البلدان قال الإمام الفخر: وأم القرى أصل القرى وهي مكة، وسميت بهذا الاسم إجلالا لها، لأن فيها البيت ومقام إبراهيم، والعرب تسمي أصل كل شيء أمه، حتى يقال: هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أي وتخوف الناس ذلك اليوم الرهيب، يوم اجتماع الخلائق للحساب في صعيد واحد ﴿لا ريب فيه﴾ أي لاشك في وقوعه، ولا محالة من حدوثه ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ أي فريق منهم في جنات النعيم وهو المؤمنون، وفريق منهم في دركات الجحيم وهم الكافرون، حيث ينقسمون بعد الحساب إلى أشيقاء وسعداء كقوله تعالى

﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ [هود: ١٠٥] ﴿ولو شآء الله لجعلهم." (١)

٢٩٦. "لطيفة: إنّ في استحضار الذات العليّة بوصف ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ دون اسمه العلم لما تتضمّنه الإضافة إلى العرش من الشأن الجليل الذي هو مطمع الآلهة في ابتغاء القربة والزلفى من سعة ما عنده تعالى على المعنى الأول، أو الذي هو مثار حسد الآلهة إياه وطمعهم في انتزاع ملكه تعالى على المعنى الثاني١.

مطلب: في بيان آية التسبيح وغايته:

- لمّا أقام الله - عزّ وجلّ - الدليل القاطع على كونه منزهاً عن الشركاء؛ وعلى أنّ القول بإثبات الآلهةقول باطل، أتبعه بما يدلّ ويؤكِّد على تنزيهه عن هذا القول وتلكم الفرية والبهتان فقال منزهاً ذاته وممجّدها ومقدّسها عمّا لا يليق بها ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ ٢.

- ولم يقتصر التنزيه على لفظة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ وإن كانت تؤدي إلى المعنى المراد؛ ولكنّما جيء بعدها

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١٢٣/٣

بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً٣ كَبِيراً﴾ ، وذلك لمزيد التأكيد لمعنى تنزيه الله عزّ وجلّ عن قولتهم الشنيعة في حقِّه العظيم وشأنه الجليل.

---

١ انظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥ ص١١٢.

٢ انظر: تفسير الطبري ج١٥ ص٦٥؛ تفسير القرطبي ج١٠ ص٢٦٦؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ ص٢١٧؛ تفسير ابن كثير ج٣ ص٤١؛ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٥ ص١١٣.

(علواً) مفعول مطلق عامله (تعالى) جيء به **على غير قياس** فعله للدلالة على أنّ التعالي هو الاتصاف بالعلوّ بحقّ لا بمجرد الادّعاء (التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٥ ص١١٣) .." [١]

٢٩٧. "بيت، ولا تمت بصلة كبيرة إلى المدينة القديمة التي كان العرب يطلقون عليها (أم البلاد) «٤٦» ، وبها مزار شريف «للإمام على» رضى الله عنه «٤٧» .

٣- مرو الشاهجان:

هذه مرو العظمى «٤٨» أشهر مدن خراسان والنسبة إليها مروزي **على غير قياس**. وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخا.

ومن مرو إلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا.

وقد أخرجت مرو من الأعيان وعلماء الدين أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم.

وقد زارها ياقوت «فرآها مدينة عظيمة بها كتب كثيرة وعشر خزائن لكتب الوقف» .

وبها قبور أربعة من الصحابة «٤٩» وقد تحول مقاتل من بلخ إلى مرو فأقام بها وتزوج منها «٥٠» .

وقد نسب مقاتل إلى بلخ ومرو وخراسان، فذكرته كتب التراجم بقولها: مقاتل ابن سليمان البلخي «٥١» المروزي «٥٢» الخراساني «٥٣» .

ومقاتل رجل طلعة نابغة صاحب ذكاء وفراسة ومعرفة، وقد تأثر بما دار حوله.

فقد ولد مقاتل فى بلخ ونشأ بها، ورأينا أن بلخ كانت مدينة الديانات. فقد كان فيها الزرادشتية والبوذية والمانوية والمسيحية، وظلت هذه الديانات متجاورة إلى الفتح العربي، وأن كانت الغلبة للبوذيين (الهندوكش) .

---

(٤٦) دائرة المعارف الاسلامية: مادة بلخ: ٤/ ٨١.

(٤٧) ياقوت: ١/ ٧١٣، ٤/ ٨١٧، ومن العجيب أن هذا المزار لم ينشأ الا فى القرن السادس الهجري

---

(١) تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية، عماد بن زهير حافظ ص/٣٤

ظلت بلخ مدينة المعابد والمزارات المقدسة.

(٤٨) تمييزا لها عن مرو الروز، وبينهما خمسة أيام. ولفظ مرو معناه الحجارة البيض التي يقتدح بها.

(٤٩) ياقوت: ٤/ ٥٠٧، وقد ذكر أسماء ثلاثة من الصحابة رأى قبورهم بمرو وهم: بريدة بن الحصيب، والحكم بن عمر الغفاري، وسليمان بريدة.

(٥٠) تهذيب الكمال المجلد العاشر، ترجمة مقاتل، مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٥١) تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٩- الجرح والتعديل للرازي: ٤/ ٣٥٥- تهذيب الكمال: المجلد العاشر- الأعلام: ٨/ ٢٠٦.

(٥٢) معجم المؤلفين: ١٢/ ٣١٧.

(٥٣) تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٩- تهذيب الكمال: المجلد العاشر، معجم المؤلفين: ١٢/ ٢١٧.." (١)

٢٩٨. "الجزيل، فإنكم مهما تفعلوا من ذلك وغيره من خير وعمل صالح ابتغاء مرضاتي وطلب ثوابي، فأنا به عالم، ولجميعه محص، حتى أوفيكم أجره، وأجازيكم عليه، فإني لا تخفى علي خافية، ولا ينكتم عني ما أردتم بأعمالكم، لأني مطلع على سرائركم، وعالم بضمائر نفوسكم.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾

قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يحجون بغير زاد، وكان بعضهم إذا أحرم رمى بما معه من الزاد واستأنف غيره من الأزودة، (١) فأمر الله جل ثناؤه من لم يكن يتزود منهم بالتزود لسفره، ومن كان منهم ذا زاد أن يحتفظ بزاده فلا يرمي به.

* ذكر الأخبار التي رويت في ذلك:

٣٧٢٩ - حدثني الحسين بن علي الصدائي، قال: حدثنا عمرو بن عبد الغفار، قال: حدثنا محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كانوا إذا أحرموا ومعهم أزودة رموا بها واستأنفوا زادا آخر، فأنزل الله:" وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتزودوا الكعك والدقيق والسويق.

٣٧٣٠ - حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا ورقاء، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كانوا يحجون ولا يتزودون، فنزلت:" وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" (٢)

---

(١) الأزودة: جمع زاد **على غير قياس**، وقياسه: أزواد.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل ٥/٣٢

(٢) الأثر: ٣٧٣٠ -محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي المخرمي (بضم الميم وفتح الخاء، وراء مشددة مكسورة) أبو جعفر البغدادي المدائني الحافظ، قاضي حلوان. مات سنة ٢٥٤ ببغداد، كان أحد الثقات جليل القدر. وكان في المطبوعة: "المخزومي" هو خطأ كما ترى.." [١]

٢٩٩. "١٧٧١٥- حدثنا بحر بن نصر الخولاني قال، حدثنا يحيى بن حسان قال، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال، حدثنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل، (١) قوم لم تصل بينهم أرحام متقاربة، (٢) تحابوا في الله، وتصافوا في الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، يفزع الناس فلا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. (٣)

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: "الولي" = أعني

---

(١) "أفناء الناس" أخلاطهم، ومن لا يدري من أي قبيلة هو. و"نوازع القبائل" جمع "نازع" **على غير قياس**، وهم الغرباء الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم. وإنما قلت: "جمع **على غير قياس** " لأن المشهور "نزاع القبائل" كما ورد في حديث آخر. و"فاعل" الصفة للمذكر، لا يجمع عندهم على "فواعل" إلا سماعا، نحو "فوارس" و"هوالك".

(٢) في المطبوعة: "لم يتصل "، والصواب من المخطوطة ومسند أحمد

(٣) الأثر: ١٧٧١٥- " بحر بن نصر بن سابق الخولاني المصري " شيخ الطبري، ثقة مضى برقم: ٣٨٤١، ١٠٥٨٨، ١٠٦٤٧، وكان في المطبوعة هنا " الحسن بن نصر الخولاني " لا أدري من أين جاء به هكذا، فأصاب بعض الصواب؟ وهذا عجب. أما المخطوطة، ففيها ا"لحسن بن الخولاني "، والصواب ما أثبت. وروايته عن "يحيى بن حسان" مضت برقم: ٢٦٤٣، إلا أنه وقع هناك خطأ أيضا في اسمه، فكتب " يحيى بن نصر"، وقد خبطنا في تصحيفه خبط عشواء، والصواب " بحر بن نصر " فليصحح هناك. و"يحيى بن حسان التنيسي المصري "، ثقة، مضى برقم: ٢٦٤٣، والراوي عنه هناك " بحر بن نصر" أيضا، كما سلف. و"عبد الحميد بن بهرام الفزاري "، ثقة، وثقه أحمد وغيره، مضى مرارا، آخرها رقم: ١٧٤١٧. و"شهر بن حوشب" مضى مرارا كثيرة، ومضى توثيقه، وثقه أخي أحمد السيد، رحمه الله وغفر له. و" عبد الرحمن بن غنم الأشعري "، مختلف في صحبته، ويعد من الطبقة الأولى من التابعين، بعثه عمر بن الخطاب يفقه الناس، ولازم معاذ بن جبل، وكان أفقه أهل الشام، وهو الذي فقه عامة التابعين بالشام، وكان له جلالة وقدر. وأبو مالك الأشعري " هو المشهور بكنيته، والمختلف

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ١٥٦/٤

في اسمه، صحابي، مترجم في الإصابة والتهذيب وسائر الكتب. وهذا خبر صحيح الإسناد. رواه أحمد في مسنده مطولا ٥: ٣٤٣، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ٣١٠، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي.." [1]

٣٠٠. "الذي يتعرض لك ولا يسألك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن، في هذه الآية: (وأطعموا القانع والمعتر) قال: القانع: الذي يقنع، والمعتر: الذي يعتريك. قال: وقال الكلبي: القانع: الذي يسألك؛ والمعتر: الذي يعتريك، يتعرض ولا يسألك.

حدثني نصر عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا المحاربي، عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، في قوله: (وأطعموا القانع والمعتر) قال: القانع: الذي يسألك، والمعتر: الذي يتعرض لك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، قال: قال سعيد بن جبير: القانع: السائل.

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثني غالب، قال: ثني شريك، عن فرات القزاز، عن سعيد بن جبير، في قوله: (القانع) قال هو السائل، ثم قال. أما سمعت قول الشماخ.

لمال المرء يصلحه فيغني ... مفاقره أعف من القنوع (١)

قال: من السؤال.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، أنه قال في قوله: (وأطعموا القانع والمعتر) قال: القانع: الذي يقنع إليك يسألك، والمعتر: الذي يريك نفسه ويتعرض لك ولا يسألك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشام، قال: أخبرنا منصور

---

(١) البيت للشماخ بن ضرار (لسان العرب: قنع) قال: وفي التنزيل: وأطعموا القانع والمعتر، فالقانع الذي يسأل والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل. قال الشماخ: " لمال المرء. . . . البيت " يعني من مسألة الناس. وقال ابن السكيت ومن العرب: من يجيز القنوع: بمعنى القناعة، وكلام العرب الجيد: هو الأول. ويروى: " من الكنوع " والكنوع: التقبض والتصاغر. وقيل القانع: السائل، وقيل: المتعفف وكل يصلح، والرجل: قانع وقنيع. وقال الفراء: هو الذي يسألك فما أعطيته قبله. وقيل: القنوع: الطمع. والفعل: قنع بالفتح يقنع قنوعا: ذل السؤال. وقيل: سأل. ومفاقرة: وجوه فقره، وقيل: جمع فقر **على غير قياس** كالمشابه والملامح. ويجوز أن تكون جمع مفقرة مصدر أفقره، أو جمع مفقر (اسم فاعل) .." [2]

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ١٢٢/١٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ٦٣٨/١٨

.٣٠١	"اسم من أسماء الله.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: (حم) : قسم أقسمه الله، وهو اسم من أسماء الله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله (حم) : من حروف أسماء الله.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (حم) قال: اسم من أسماء القرآن. وقال آخرون: هو حروف هجاء.

وقال آخرون: بل هو اسم، واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حم قبل التقدم (١)

ويقول الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا تقي ومعرب (٢)

وحدثت عن معمر بن المثنى أنه قال: قال يونس، يعني الجرمي: ومن قال هذا القول فهو منكر عليه، لأن السورة (حم) ساكنة الحروف، فخرجت مخرج التهجي، وهذه أسماء سور خرجت متحركات، وإذا سميت سورة بشيء

---

(١) البيت لشريح بن أوفى العبسي، كما قال أبو عبيد في مجاز القرآن (٢١٧ ب) وكما في (اللسان: حمم) وقال: وأنشده غير أبي عبيد للأشتر النخعي. وقال: قال ابن مسعود:" آل حاميم" ديباج القرآن. قال الفراء: هو كقولك آل فلان وآل فلان. وقال الجوهري: أما قول العامة" الحواميم" فليس من كلام العرب. قال أبو عبيد:" الحواميم": سور في القرآن، **على غير قياس**، وأنشد: وبالطواسين التي قد ثلثت ... وبالحواميم التي قد سبعت

قال: والأولى أن تجمع" بذوات حاميم". وأنشد أبو عبيد في" حاميم" لشريح بن أوفى العبسي:" يذكرني حاميم ... البيت" قال: وأنشده غيره للأشتر النخعي. والضمير في" يذكرني": هو لمحمد بن طلحة، وقتله الأشتر أو شريح. (أي في يوم الجمل) اهـ.

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي" مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨ - ١) وديوانه طبعه الموسوعات بالقاهرة ١٨. وآل حاميم وذوات حاميم: السور التي أولها" حم" نص الحريري في درة الغواص، على أنه

يقال: آل حاميم، وذوات حاميم، وآل طسم، ولا يقال: حواميم ولا طواسيم. اهـ. والآية هي هي قوله تعالى في سورة الشورى:" قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى". وفي سورة الأحزاب من آل حاميم:" إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا". والتقي: الساكت عن التفضيل، والمعرب: الناطق به، رواية البيت في مجاز القرآن: وجدنا لكم في حم آية ... وفي غيرها آي، وأي يعرب

ثنا قال: قال يونس: من قال بهذا القول، فهو منكر عليه، لأن السورة" حم" ساكنة الحروف، فخرجت مخرج حروف التهجي وهذه أسماء سور خرجن متحركات؛ وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف (كذا) ، دخلها الإعراب. اهـ. وقول المؤلف: يعني الجرمي: نبهنا عليه فيما مضى، لأن الجرمي اسمه صالح بن إسحاق أبو عمر.." (١)

٣٠٢. "(وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) .

أي ليس للرؤية المختلطة عندنا تأويل.

* * *

(وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون (٤٥)

أي بعد حين، وقرأ ابن عباس: واذكر بعد أمه، والأمه النسيان، يقال أمه يأمه أمها. هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة: أمه بسكون الميم، وليس ذلك بصحيح عنه، لأن المصدر أنه يأمه أمه لا غير.

وقرأ الحسن: أنا آتيكم بتأويله، وأكرهها، لخلاف المصحف.

(وادكر) أصله واذتكر، ولكن التاء أبدل منها الذال وأدغمت الذال في الدال.

ويجوز واذكر بالذال، والأجود الدال (١) .

وقوله - عز وجل -: (يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون (٤٦)

أراد يا يوسف، والنداء يجوز في المعرفة حذف يا منه، فتقول: يا زيد.

أقبل، وزيد أقبل.

قال الشاعر:

محمد تفد نفسك كل نفس. . . إذا ما خفت من أمر تبالا

أراد يا محمد.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، الطبري، أبو جعفر ٣٤٨/٢١

والصذيق المبالغ في الصدقة، والتصديق.

وقوله: (لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) .

أي لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك، ويجوز أن يكون: لعلهم يعلمون

---

(١) قال السمين:

قوله تعالى: ﴿وادكر﴾ : فيه وجهان، أظهرهما: أنها جملة حالية: إما من الموصول، وإما من عائده وهو فاعل «نجا» . والثاني: أنها عطف على «نجا» فلا محل لها لنسقها على ما لا محل له.

والعامة على «ادكر» بدال مهملة مشددة وأصلها: اذتكر افتعل من الذكر، فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فأبدلت دالا فاجتمع متقاربان فأبدل الأول من جنس الثاني وأدغم. وقرأ الحسن البصري بذال معجمة. ووجهوها بأنه أبدل التاء ذالا من جنس الأولى وأدغم، وكذا الحكم في ﴿مدكر﴾ [القمر: ١٥] كما سيأتي في سورته إن شاء الله تعالى.

والعامة على «أمة» بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة، وهي المدة الطويلة. وقرأ الأشهب العقيلي بكسر الهمزة، وفسروها بالنعمة، أي: بعد نعمة أنعم بها عليه وهي خلاصه من السجن ونجاته من القتل، وأنشد الزمخشري لعدي:

٢٧٩٨ ثم بعد الفلاح والملك والإم. . . مة وارتهم هناك القبور

وأنشد غيره:

٢٧٩٩ ألا لا أرى ذا إمة أصبحت به. . . فتتركه الأيام وهي كما هيا

وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وقتادة والضحاك وأبو رجاء «أمه» بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهاء منونة من الأمه، وهو النسيان، يقال: أمه يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها، والسكون غير مقيس.

وقرأ مجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة: «بعد أمه» بسكون الميم، وقد تقدم أنه مصدر لأمه على غير قياس. قال الزمخشري: «ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ» . قال الشيخ: «وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء» قلت: لم ينسب هو إليهم خطأ؛ وإنما حكى أن بعضهم خطأ هذا القارئ فإنه قال: «خطئ» بلفظ ما لم يسم فاعله، ولم يقل فقد أخطأ، على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى الخطأ إليه ألبتة. و «بعد» منصوب ب «ادكر» .

اهـ (الدر المصون) .." (١)

٣٠٣. "سورة قريش

(مكية)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، الزجاج ١١٣/٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: (لإِيلاف قريش (١)

فيه ثلاثة أوجه: (لإِلاف قريش) ، و (لإِيلاف قريش) ، ووجه ثالث " لإِلف قريش) .

وقد قرئ بالوجهين الأولين (١) .

* * *

وقوله: (إِيلافهم رحلة الشتاء والصيف (٢)

يجوز فيه ما جاز في " لايلاف " إِلا أنه قد قرئ في هذها إِلفهم "

و" إِيلافهم " ويجوز إِلافهم. وهذه اللام قال النحويون فيها ثلاثة أوجه، قيل هي موصولة بما قبلها، المعنى فجعلهم كعصف مأكول لإِلف قريش.

أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف.

وقال قوم: هذه لام التعجب فكان المعنى اعجبوا لإِيلاف قريش.

وقال النحويون الذين ترتضى عربيتهم: هذه اللام معناها متصل بما بعد فليعبدوا، والمعنى فليعبد هؤلاء رب هذا البيت لإِلفهم رحلة الشتاء والصيف.

والتأويل أن قريشا كانوا يرحلون في الشتاء إلى الشام وفي الصيف إلى

---

(١) قال السمين:

قوله: ﴿لإِيلاف قريش﴾ : في متعلق هذه اللام، أوجه، أحدها: أنه ما في السورة قبلها من قوله ﴿فجعلهم كعصف﴾ [قريش: ٥] . قال الزمخشري: «وهذا بمنزلة التضمين في الشعر» وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به، وهما في مصحف أبي سورة واحد بلا فصل. وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وفي الأولى بسورة «والتين» انتهى. وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش إلا أن الحوفي قال: «ورد هذا القول جماعة: بأنه لو كان كذا لكان» لإيلاف «بعض سورة» ألم تر «وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على عدم ذلك»

الثاني: أنه مضمر تقديره: فعلنا ذلك، أي: إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش. وقيل: تقديره اعجبوا.

الثالث: أنه قوله «فليعبدوا» .

وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط، أي: فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فإنها أظهر نعمه عليهم، قاله الزمخشري وهو قول الخليل قبله.

وقرأ ابن عامر «لإلاف» دون ياء قبل اللام الثانية، والباقون «لإيلاف» بياء قبلها، وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني، وهو «إيلافهم» ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول، مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطا، واتفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا، فهو أدل دليل على أن القراء متبعون الأثر والرواية لا مجرد الخط.

فأما قراءة ابن عامر ففيها وجهان، أحدهما: أنه مصدر ل ألف ثلاثيا يقال: ألفته إلافا، نحو: كتبته كتابا، يقال: ألفته إلفا وإلافا. وقد جمع الشاعر بينهما في قوله:

٤٦٤٧ زعمتم أن إخوتكم قريش. . . لهم إلف وليس لكم إلاف

والثاني: أنه مصدر آلف رباعيا نحو: قاتل قتالا. وقال الزمخشري: «أي: لمؤالفة قريش» .

وأما قراءة الباقين فمصدر آلف رباعيا بزنة أكرم يقال: آلفته أولفه إيلافا. قال الشاعر:

٤٦٤٨ من المؤلفات الرمل أدماء حرة. . . شعاع الضحى في متنها يتوضح

وقرأ عاصم في رواية «إإلافهم» بهمزتين: الأولى مسكورة والثانية ساكنة، وهي شاذة، لأنه يجب في مثله إبدال الثانية حرفا مجانسا كإيمان. وروي عنه أيضا بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة. وخرجت على أنه أشبع كسرة الهمزة الثانية فتولد منها ياء، وهذه أشذ من الأولى ونقل أبو البقاء أشذ منها فقال: «بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة، بعدها همزة مسكورة، وهو بعيد. ووجهها أنه أشبع الكسرة فنشأت الياء، وقصد بذلك الفصل بين الهمزتين كالألف في ﴿أأنذرتهم﴾ [البقرة: ٦] .

وقرأ أبو جعفر «لإلف قريش» بزنة قرد. وقد تقدم أنه مصدر لألف كقوله:

٤٦٤٩. . . . . لهم إلف وليس لكم إلاف

وعنه أيضا وعن ابن كثير «إلفهم» وعنه أيضا وعن ابن عامر «إلا فهم» مثل: كتابهم. وعنه أيضا «ليلاف» بياء ساكنة بعد اللام؛ وذلك أنه لما أبدل الثانية حذف الأولى على غير قياس. وقرأ عكرمة «لتألف قريش» فعلا مضارعا وعنه «ليألف على الأمر، واللام مكسورة، وعنه فتحها مع الأمر وهي لغية.

وقريش اسم لقبيلة. قيل: هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي دون كنانة، وهو الصحيح وقيل: هم ولد فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة. فمن لم يلده فهر فليس بقرشي، فوقع الوفاق على أن بني فهر قرشيون. وعلى أن كنانة ليسوا بقرشيين. ووقع الخلاف في النضر ومالك.

واختلف في اشتقاقه على أوجه، أحدها: أنه من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم. قال الشاعر:

٤٦٥٠ أبونا قصي كان يدعى مجمعا. . . به جمع الله القبائل من فهر

والثاني: أنه من القرش وهو الكسب. وكانت قريش تجارا. يقال: قرش يقرش أي: اكتسب. والثالث: أنه من التفتيش. يقال قرش يقرش عني، أي: فتش. وكانت قريش يفتشون على ذوي الخلان ليسدوا خلتهم. قال الشاعر:

٤٦٥١ أيها الشامت المقرش عنا. . . عند عمرو فهل له إبقاء

وقد سأل معاوية ابن عباس. فقال: سميت بدابة في البحر يقال لها: القرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى وأنشد قول تبع:

٤٦٥٢ وقريش هي التي تسكن البح. . . ر سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تت. . . رك فيها لذي جناحين ريشا

هكذا في البلاد حي قريش. . . يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي. . . يكثر القتل فيهم والخموشا

ثم قريش: إما أن يكون مصغرا من مزيد على الثلاثة، فيكون تصغيره تصغير ترخيم. فقيل: الأصل: مقرش. وقيل: قارش، وإما أن يكون مصغرا من ثلاثي نحو القرش. وأجمعوا على صرفه هنا مرادا به الحي ولو أريد به القبيلة لا متنعت من الصرف كقول الشاعر:

٤٦٥٣- غلب المساميح الوليد سماحة. . . وكفى قريش المعضلات وسادها

قال سيبويه في معد وقريش وثقيف وكنانة:» هذه للأحياء «وإن جعلتها اسما للقبائل فهو جائز حسن»

.

اهـ (الدر المصون) .." (١)

٣٠٤. "البصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

ثم قال تعالى: ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ ، أي: له مفاتيح خزائن السماوات والأرض. وواحد المقاليد إقليد وجمع على مقاليد على غير قياس كمحاسن، والواحد حسن. وقيل: واحدها مقليد. فهذا على لفظ الجمع.

فتحقيق المعنى: بيده خزائن الخير والبشر. فما يفتح من رحمته فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده /.

قال مجاهد: مقاليد: مفاتيح بالفارسية.

وقوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر﴾ ، أي: يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيق على من يشاء، يفعل ما يريد، ويعلم مصالح خلقه فيوسع على من لا تصلح حاله إلا (بالتوسيع) (ويضيق على من لا تصلح حاله إلا بالتضييق) .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، الزجاج ٥/٣٦٥

﴿إنه بكل شيء عليم﴾ ، أي عالم بأحوال خلقه وما يصلحهم.

ثم قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ (أي: بين الله لكم أيها." [١]

٣٠٥. "والأصل (السين) .

- ثم قال تعالى: ﴿مآ أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ .

" ما " ما جواب القسم. وهي نفي للجنون عن النبي A، لأن المشركين ر (موه) بالجنون مرة، وبالسحر مرة، وبالكهانة (مرة) . والجنون ستر العقل. ومنه قيل: جن عليه الليل وأجنة إذا ستره. ومنه: الجنين، لأنه كان مستورا في البطن، ومنه قيل للقبر: جنن منه سمي الجن حنا لاستتارهم عن أعين الناس. وسمع من العرب **على غير قياس**: أجن فهو مجنون. والقياس: مجن.

ثم قال تعالى: ﴿وإن لك لأجرا غير ممنون﴾ .

أي: إن لك، يا محمد، على صبرك على أذاهم لك ثوابا عظيما ﴿غير ممنون﴾ ، أي: غير منقوص ولا مقطوع، ومنه قيل حبل منين، أي: ضعيف.

وقيل: غير منقوص ولا مقطوع، ومنه قيل حبل منين، أي: ضعيف.

وقيل: ﴿غير ممنون﴾ أي: لا يمن به عليك.." [٢]

٣٠٦. "ورب الأرض ذات الصدع، أي: ذات الصدع بالنبات.

قال ابن عباس: ﴿ذات الرجع﴾ : " السحاب في المطر ".

وقال الحسن: " ترجع بأرزاق الناس كل عام ". وقاله قتادة.

وقال مجاهد: ﴿ذات الرجع﴾ : " السحاب يمطر ثم يرجع بالمطر ".

وقال ابن زيد: ﴿ذات الرجع﴾ : شمسها وقمرها ونجومها، يأتين من هاهنا. والرجع: تجمع على " رجعان " سماعا **على غير قياس**، وقياسه [أرجع] (ورجوع) .

قال ابن عباس: ﴿ذات الصدع﴾ أي: " ذات النبات ".

وقال قتادة: تنصدع عن النبات.

وقال ابن زيد: ﴿ذات الصدع﴾ أي: ذات الانشقاق للنبات.." [٣]

٣٠٧. "﴿كلا هدينا﴾ : وقف حسن، ﴿وإلياس﴾ : أيضا وقف عند أبي حاتم، ولا يحسن عند غيره، لأن بعده ﴿وإسماعيل﴾ معطوف عليه.

واختلف " الناس " في ﴿إلياس﴾ : فقيل: " هو " من ذرية هارون أخي موسى، بينهما ثلاثة آباء.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٦٥٦٦/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٧٦١٨/١٢

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٨١٩٩/١٢

وقال ابن مسعود: إلياس هو إدريس.

وإدريس جد نوح، بينهما أربعة آباء. فمحال أن ينسب إلى نوح وهو جده الأعلى، والذي عليه " أهل " الأنساب: أن إلياس غير إدريس.

و ﴿اليسع﴾ : اسم أعجمي، جرى **على غير قياس**. وقد قال أبو عمرو:." [١]

٣٠٨. "والوافي ما أشرف على الشيء، ومنه وفاء العهد، وأوفى على كدا، أي أشرف عليه، والوافر: ما لم ينقص منه شيء، ومنه الوفر، وسقاء أوفر لم ينقص من أديمه شيء والذرية: الأولاد الصغار والكبار، وقيل هي للصغار، وقيل أصله من الذر، وقالت الفراء: أصله من ذريت وذروت، وقال أبو عبيدة: أصله الهمز من ذرأ الله الخلق، فترك همزة **على غير قياس**، والإمام في الأصل: الختم به محقا كان أو مبطلا، منه قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ ، وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ ، وفي إطلاق الشرع اسم للمقتدي به، المقتدي بالشرع، وهو أعم من النبي والخليفة إذ كل نبي وخليفة: إمام، وليس كل إمام ونبي خليفة، والكلمات قد تقع على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تحتلها، فقوله: ﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته﴾ أي: قضيته وحكمه وقال: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي﴾ أي؟ للمعاني التي تبرز بالكلمات ولم يرد اللفظ، فإن ما يحصره اللفظ يحصره الخط، والكلمات التي ابتلى بها مبهمة محتملة، وذكر المفسرون لها وجوها يصح أن تكون كلها مراده، فقيل: هي عشر سنن، همس في الرأس المضمضة، والاستنشاق، والفرق، وقص الشارب، والسواك، وخمس في الجسد تقليم الأظافر، ونتف الأبط، والختان، وحلق العانة، والاستنجاء، وقيل: هي خصال محمودة ذكر بعضهما في سورة/ التوبة، وبعضها في سورة/ المؤمنون، وبعضهما في سورة/ سأل سائل، وقد تقدم ذكرها في قوله: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ وقيل: هي مناسك الحج المذكورة في قوله: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ الآية، وكل ذلك عن ابن عباس، وقيل: في ابتلاؤه بالكوكب وبالقمر والشمس، وقيل: امتحانه بإنفاق ماله، وهجر أوطانه، وذبح ولده، وإلقائه في النار فلما لم يؤثر على اختبار الله في شيء من ذلك قال فيه: (فأتمهن)." [٢]

٣٠٩. ""إبد"، أي تلد كل عام.

وقال بعضهم بسم - بضم بين كسرتين -.

والضم فيه لغة، وأنشد البيت بالوجهين، ثم سكن السين، إذ ليس في كلامهم خروج من كسر إلى ضم بناء لازما. وهذان القولان أشد موافقة للإمام، لأنه فيه بغير ألف.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٢٠٩١/٣

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني ٣٠٩/١

وفي الاسم لغات، اسم، واسم - بالضم -، وسم - بالكسر -.

وسم - بالضم -، وسمى مثل هدى، واشتقاقه من السمو، لأن الاسم

يسمو مسماه، ويعلوه، وأصله سمو كقنو وحنو، نقل الإعراب من اللام

إلى العين، وحذف اللام، ونقل سكون العين إلى الفاء **على غير قياس.**

فتعذر الابتداء به، لسكونه، فزيد في أوله ألف الوصل توصلا إلى النطق به.

وليكون جبرا له من حذف لامه، وإذا جمع رد إلى الأصل، وكذلك في

التصغير، تقول في الجمع: أسماء كأقناء وأحناء، وفي التصغير، سمي كقني

وحني.

وذهب الكوفيون إلى: أن اشتقاقه من السمة، وأصله وسم،." (١)

٣١٠. "والغريب: ما قيل: الفوم كل لقمة كبيرة، وقطعة من اللحم عظيمة.

(أدنى)

أقرب قيمة وأقل ثمنا، من قوله: "هذا شيء مقارب".

وقيل: أصله، أدناء - بالهمز - من الدناءة، وهي الخسة، وقرىء في الشواذ - بالهمز - فحذف همزه **على غير قياس**، وقيل: هو مقلوب أدون من الدون.

قوله: (والنصارى والصابئين) .

وقال في الحج: (والصابئين والنصارى) .

وقال في المائدة: (والصابئون والنصارى) .

لأن النصارى مقدم على الصابئين في الرتبة، لأنهم أهل كتاب.

فقدمهم في البقرة. والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان، لأنهم كانوا

قبلهم، فقدمهم في الحج. وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ

وأخرهم في التقدير، لأن تقديره عند البصريين، وأكثر الكوفيين التأخير على

معنى والصابئون كذلك، وأنشدوا:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله. . . فإني وقيار بها لغريب

أي فإني لغريب وقيار كذلك -

قوله: (قردة خاسئين) .

الجمهور على أنهم صاروا قردة، وكل شيء مسخ لم يأكل ولم يشرب

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، برهان الدين ٩٠/١

حتى مات. وقيل: عاشوا حتى صار لهم نسل وأولاد.

الغريب: قول مجاهد: مسخت قلوبهم، وإن هذا مثل." [١]

٣١١. "بـ (ينفقون) ، ويراعى في جواب (ماذا) المطابقة في الرفع رفعا وفي النصب نصبا.

قوله (في الدنيا) .

يجوز أن يتعلق ب "يتفكرون " ويجوز أن يتعلق بـ (يبين) .

قوله: (عن اليتامى)

جمع يتيم على غير قياس، والفعل منه يتم

- بالكسر - يتما ويتما، وحكى الفراء: يتم - بالضم -.

والغريب: أنه جمع يتمان، ويتمان كندمان ونديم.

قوله: (فإخوانكم) أي فهم إخوانكم.

قوله: (ولأمة مؤمنة خير) .

أي خير نكاحا من مشركة، أي في حرة مشركة، و (أمة) من بنات الواو، تقول: أمة بينة الأموة، ووزنها فعلة، كـ "أكمة".

وجمعها إماء كـ "إكام"، حذف لامه فوزنه على اللفظ فعة.

قوله: (عن المحيض) .

أي عن الحيض، تقول: حاضت تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا.

ومثله: كال يكيل كيلا ومكيلا ومكالا.

والحيض صالح للمصدر ولزمان الحيض ولمحل الحيض.

قوله: (حتى يطهرن) - بالتخفيف. ينقين بانقطاع الدم، - وبالتشديد - يغتسلن.

والغريب: أن يجعل المشدد بمعنى المخفف، كـ تقطع وانقطع وتكسر وانكسر، ويحمل على ما دون العشرة.

قوله: (من حيث أمركم الله)

أي أمركم باجتنابه، وقيل: أي في الطهر لا في الحيض.." [٢]

٣١٢. "﴿إنها عليهم مؤصدة (٨) في عمد ممددة (٩) ﴾

﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ مطبقة مغلقة. ﴿في عمد ممددة﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿في عمد﴾

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، برهان الدين ١/١٤٥

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، برهان الدين ١/٢١٣

بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما، كقوله تعالى: "رفع السموات بغير عمد ترونها" (الرعد -٢)

وهما جميعا جمع عمود، مثل: أديم وأدم [وأدم] (١) ، قاله الفراء (٢) .

وقال أبو عبيدة: جمع عماد، مثل: إهاب وأهب وأهب (٣) .

قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد.

[وقيل: "في عمد ممددة] : (٤) في أعناقهم الأغلال السلاسل.

[وقيل: "هي عمد ممددة": على باب جهنم] (٥) ، سدت عليهم بها الأبواب [لا يمكنهم الخروج] (٦)

.

وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار.

وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة، وهي في قراءة عبد الله "بعمد" بالباء.

قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.

---

(١) ساقط من "ب".

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٩١.

(٣) قال الفيومي في "المصباح المنير" ١ / ٢٨: "الإهاب: الجلد. . والجمع: أهب" بضمتين على القياس مثل: كتاب وكتب، وبفتحتين **على غير قياس**. قال بعضهم: وليس في كلام العرب فعال يجمع على فعل بفتحتين إلا إهاب وأهب، وعماد وعمد.

(٤) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٥) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٦) ما بين القوسين ساقط من "ب".." (١)

٣١٣. "- وذكر خبرا مطولا عند الآية أو كالذي مر على قرية ... [البقرة: ٢٥٩] .

- وذكر خبرا عند قوله تعالى: فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله ... [آل عمران: ٥٢] .

- وذكر خبر نزول المائدة وما فيها وما عليها عند قوله تعالى: قال الله إني منزلها عليكم ... [المائدة: ١١٥] .

---

(١) تفسير البغوي - طيبة، البغوي ، أبو محمد ٥٣١/٨

ترجمة الإمام البغوي (٤٣٦- ٥١٦)

١- التعريف به:

هو الإمام الجليل العلامة الحافظ المسند الفقيه المفسر المقرئ، صاحب المصنفات التي اشتهرت في الآفاق، أحد من قام في عصره بنشر علوم الإسلام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

٢- نسبته:

اشتهرت نسبته بالبغوي، وينسب أحيانا بالفراء أو ابن الفراء، نسبة لعمل أو بيع الفراء.

- أما نسبته البغوي، فهي إلى «بغ» أو «بغشور» والنسبة إلى بغشور **على غير قياس.**

- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ١/ ٤٦٧:

بغشور بليدة بين هراة ومرو الروذ، شهر بهم من آبار عذبة، وهم في برية ليس عندهم شجرة واحدة، ويقال لها بغ أيضا، رأيتها في شهور سنة ٦١٦ والخراب فيها ظاهر، وقد نسب إليها خلق كثير من الأعيان.

- وقال الفيروزآبادى: بغشور ... وهو معرب كوشور، أي الحفرة المالحة.

- وقال الزبيدي في «تاج العروس» ٢/ ٥٤:

وهذا تعريف غريب فإن- بغ- بالفارسية البستان، ولا ذكر للحفرة في الأصل، إلا أن يقال: إن أرض البستان دائما تكون محفورة.

٣

- ولادته ونشأته وحياته العلمية:

- ولد رحمه الله سنة ٤٣٣ بذلك جزم ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٤٦٧.

- نشأ في بلدته بغشور، وبها طلب العلم أولا، فما زال يجد ويجتهد في تحصيل علوم الشريعة، وبخاصة تفقهه بمذهب الشافعي حتى كان يميل فيه إلى الترجيح والتحقيق، من غير تعصب لمذهبه بل كان يطلع على أقوال باقي الأئمة، ويتعرف على أدلتهم.

- ومع ذلك كان يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة.

- ولم يكتف بما حصله من علوم في بلدته بل رحل في طلب المزيد، فرحل إلى مرو الروذ فالتقى هناك بالإمام الفقيه القاضي الحسين بن محمد المروروذي الشافعي فأخذ عنه، وتفقه عليه، ولازمه زمنا، وروى عنه.

- ثم رحل وطاف بلاد خراسان كطوس وسرخس وغير ذلك، وسمع خلقا كثيرا من الحفاظ الأثبات، وروى عنهم كتب الصحاح والسنن والمسانيد والأجزاء، وجالس علماء اللغة وحمل عنهم الكثير.." [١]

٣١٤. "[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٧٤ الى ٧٩]

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين (٧٤) وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين (٧٥) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (٧٧) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (٧٨)

إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (٧٩)

آزر اسم أبي إبراهيم عليه السلام. وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح. والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم، وهو عطف بيان لأبيه. وقرئ «آزر» بالضم على النداء. وقيل «آزر» اسم صنم، فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته، كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن، فقيل ابن قيس الرقيات. وفي شعر بعض المحدثين:

أدعى بأسماء نبزا في قبائلها ... كأن أسماء أضحت بعد أسمائى «١»

أو أريد عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقرئ ءأزر تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة، وهو اسم صنم. ومعناه: أتعبد آزرا على الإنكار؟ ثم قال: تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا، وهو داخل في حكم الإنكار، لأنه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه «٢»

---

(١) . يقول: ينادونني بلفظ «أسماء» شتما لي بين قبائلها: أى قبائل المحبوبة. ففيه استخدام. كأن أسماء، أى هذا اللفظ، أضحت: أى صارت بعض أسمائى. وأصل أسماء عند سيبويه: وسماء، من الوسامة وهي الحسن والجمال. قلبت واوه همزة **على غير قياس**. كما في أحد. وعند المبرد جمع اسم. وبين أسماء وأسمائى الجناس التام.

وعلى اعتبار ياء المتكلم فهو من الناقص.

(٢) . قال محمود: «قوله فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه ... الخ» قال أحمد: وفي

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث، البغوي ، أبو محمد ٢٧/١

الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتى من استدلال إبراهيم عليه السلام وأنه تبصير له من الله تعالى وتسديد. [.....]."[1]

٣١٥. "ومعناه: خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين، أحدهما: أن نبين قدرتنا. والثاني: أن نقر في الأرحام من نقر، حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم. ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس. ويحتمل: نخرج كل واحد منكم طفلا. الأشد: كمال القوة والعقل والتمييز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة «١» والقتود والأباطيل وغير ذلك، وكأنها شدة في غير شيء واحد، فبنيت لذلك على لفظ الجمع. وقرئ: ومنكم من يتوفى، أى يتوفاه الله أرذل العمر الهرم والخرف، حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته: ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم. بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام، فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهى به إلى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أى: ليصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك: من هذا؟ فتقول:

فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه. وقرأ أبو عمرو: العمر، بسكون الميم. الهامدة: الميتة اليابسة. وهذه دلالة ثانية على البعث، ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة، كررها الله في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت، وقرئ: ربأت، أى ارتفعت. البهيج:

الحسن السار للناظر إليه.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٦ الى ٧]

ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧)

أى: ذلك الذي ذكرنا من خلق بنى آدم وإحياء الأرض، مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف، حاصل بهذا وهو السبب في حصوله، ولولاه لم يتصور كونه، وهو بأن الله هو الحق أى الثابت الموجود، وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور، وأنه حكيم لا يخلف ميعاده، وقد وعد الساعة والبعث، فلا بد أن يفي بما وعد.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٨ الى ١٠]

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٣٩/٢

في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (٩) ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٠)

---

(١) . قوله «من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل» الذي في الصحاح «السد» بالفتح: واحد الأسدة وهي العيوب اه وهي مثل العمى والصمم والبكم **على غير قياس**، وكان قياسه: سدود.

والقتد: خشب الرحل، وجمعه: قتود وأقتاد. والباطل: ضد الحق، والجمع أباطيل **على غير قياس** كأنهم جمعوا إبطيلا. وفيه أيضا قوله تعالى حتى يبلغ أشده أى قوته وهو واحد جاء على بناء الجمع، مثل «آنك» وهو الأسرب، ولا نظير لهما، ويقال له: جمع لا واحد له من لفظه، مثل: أبابيل، وعباديد، ومذاكير. (ع)." [١]

٣١٦. "فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم. وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته. وقوله على ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للمفصل. والمعنى: على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه. وفيه إيذان باقتدار المذهب، وأنه لا يتعايى عليه شيء إذا أراده، وهو أبلغ في الإيعاد، من قوله: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم، ويخافوا نفارها إذا لم تشكر.

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ١٩ الى ٢٠]

فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (٢٠)

خص هذه الأنواع الثلاثة، لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع. ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين: بأنه فاكهة يتفكه بها، وطعام يؤكل رطبا ويابسا، رطبا وعنبا، وتمرا وزبيبا. والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا. ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم: يأكل فلان من حرفة يحترفها، ومن ضيعة يغتلها، ومن تجارة يتربح بها: يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه، كأنه قال: وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم، منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات. وقرئت مرفوعة على الابتداء، أى: ومما أنشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف إليه، كامرئ القيس، وكبعلبك، فيمن أضاف. فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ١٤٥/٣

للتعريف والعجمة أو التأنيث، لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء.
ومن فتح فلم يصرف، لأن الألف للتأنيث كصحراء. وقيل: هو جبل فلسطين. وقيل: بين مصر وأيلة. ومنه نودي موسى عليه السلام. وقرأ الأعمش: سينا على القصر بالدهن في موضع الحال، أى: تنبت وفيها الدهن. وقرئ: تنبت. وفيه وجهان، أحدهما: أن أنبت بمعنى نبت. وأنشد لزهير:
رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتي إذا أنبت البقل «١»

---

(١).
إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ... ونال كرام الناس في الجحرة الأكل
رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ... قطينا بها حتى إذا أنبت البقل
هنالك إن يستخولوا المال يخولوا ... وإن سئلوا يعطوا وإن يسروا يغلوا
وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل
لزهير بن أبى سلمي يمدح سنان بن أبى حارثة، والشهباء: الفرس يخالط سوادها بياض، شبه بها السنة المجدبة لكثرة بياض أرضها وخلوها عن سواد النبات والأمطار. أو لاختلاط نور الغنى فيها بظلمة الفقر. أجحفت بالناس:
أى ذهبت بهم ومحقت عنهم آثار الغنى، والاسناد مجاز عقلى. والجحرة- بتقديم الجيم المفتوحة-: السنة المجدبة وروى: في الحجرة. وأصلها بالتحريك، فسكونها لغة أو ضرورة وهي شدة الشقاء. ويجوز أن تقرأ بالضم بمعنى البيت، أى: ونال الأكل كرام الناس. ووصلهم داخل بيوتهم لبخلهم تلك السنة. ويروى: كرام المال. والمعنى أن كرائم الأموال نالها التأكل والتنقص في تلك السنة لجديها. ورأيت: جواب إذا. وذوى الحاجات: كناية عن الفقراء. حول بيوتهم: أى سنان وقومه. قطينا: أى مقيمين، فهو يطلق على الواحد والمتعدد. وقيل أنه جمع. ويروى قطينا لهم: أى مساكنين لهم عند البيوت، وذلك كناية عن كرمهم، حتى إذا أنبت البقل: أى نبت النبات الرطب وظهر الخصب، فهنالك: أى في ذلك الزمان إن يسألهم أحد أن يخولوه مالا كثيرا يخولوه: أى يولوه عليه. وإن سئلوا مالا قليلا يعطوا السائل. ويروى: إن يستخبلوا المال يخبلوا، بالموحدة، يستعر: أى منهم أحد إبلهم للانتفاع بألبانها وأوبارها زمن الجدب ثم يردها: أعاروه، وإن سألهم الإعطاء من غير رد أعطوه فلا يردون سائلا. وإن يسروا: أى لعبوا الميسر، يغلوا: أى يجعلوا الخطر غاليا كثيرا لعدم خوفهم على الفقراء لأن المال كثير بخلاف زمن الجدب. ويجوز أن يقرأ: وإن يسروا أى أعطوا بلا سؤال، يفلوا بالفاء. أى يتفقدوا الفقراء ويعطوهم، يقال: يسر كوعد: لعب الميسر، ويسر كترب وتعب: لأن ورق ورفق. وروى:
يسألوا وييسروا بالمضارع. والمقامات: المجامع من الناس. وروى: وجوهها. وعلى كل فالضمير للمقامات.

والأندية- جمع الندى- بمعنى الكرم، **على غير قياس**، ينتابها: أى يجرى عليها نوبة بعد نوبة قولهم وفعلهم.

أو يتداولها قول الناس وفعلهم. ويحتمل أنها جمع ناد بمعنى متحدث القوم. أو ندى على فعيل كذلك، ينتابها:

أى يجيئها نوبة بعد نوبة القول والفعل، أى: الصالحات.." (١)

٣١٧. "غضب الله في حرمته، وكيف بالغ في نفى التهمة عن حجابه. فإن قلت: إن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات «١» ؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لا حق به، وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت المرادة أولا.

والثاني: أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان، كما قال:

قدنى من نصر الخبيبين قدى «٢»

أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه، وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه، وكان مضعوفا «٣» ، وكنيته المشهورة أبو بكر، إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة. فإن قلت: ما معنى قوله هو الحق المبين؟ قلت: معناه ذو الحق البين، أى: العادل الظاهر العدل، الذي لا ظلم في حكمه، والمحق الذي لا يوصف بباطل. ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن، فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه.

---

(١) . قال محمود: «إن كانت عائشة هي المرادة، فلم جمع؟ قلت: المراد إما أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن، وإما عائشة وجمعت إرادة لها ولبناتها، كما قال:

قدنى من نصر الخبيبين قدى

يعنى عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان يكنى أبا خبيب» قال أحمد: والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه، لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات، فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم، على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت وأرادت يوسف، تهويلا عليه وإرجافا، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

(٢) .

قدنى من نصر الخبيبين قد ... ليس الامام بالشحيح الملحد

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ١٨٠/٣

ولا يوتن بالحجاز مفرد ... إن ير يوما بالقضاء يصطد

أو ينجحر فالجحر شر محكد

لحميد الأرقط. وقيل: لأبى بحدلة يخاطب عبد الملك بن مروان. وقدنى: بمعنى حسبي. وكرر للتوكيد. والخبيبين يروى بصيغة التثنية، يعنى عبد الله بن الزبير وابنه خبيب، وكانوا إذا ذموه كنوه بأبى خبيب بالتصغير. ويروى بصيغة الجمع، يعنى: عبد الله وشيعته، كان ادعى الخلافة فقال الشاعر: لا يكون الامام شحيحا أى بخيلا، ولا ملحدا أى محتكرا أو محاربا في الحرم. والإلحاد: الميل. والوتن بالسكون، والواتن بالمثناة، وبالمثلثة: الثابت الدائم، يوصف به الماء ونحوه. ويروى: يوبر، والوبر حيوان صغير ذليل لا ذنب له يحبس ويعلف، ومفرد: يروى بالفاء وبالقاف. وقرد الرجل: سكت من عي. وأفرد: سكن وتماوت. وأقردت الشيء: جمعته وصممته وهو منه. ويصطد: مبنى للمجهول، وهو يناسب رواية وبر. والانجحار: دخول الجحر. والمحكد. الملجأ والمهرب. وحاشا لابن الزبير أن يكون ملحدا.

(٣) . قوله «وكان مضعوفا» في الصحاح: أضعفت الشيء فهو مضعوف، **على غير قياس**. (ع)."

(١)

٣١٨. "ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين، وإذا ظن موسى عليه السلام كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا، فقد ظن أن في الوجود إلها غيره، ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين، بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم، ولما تعب في بنائه ما تعب، لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام، وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته، حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان، وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته، وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض. ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم: من أنهم راموا نيل أسباب السماوات بصرح يبنونه، وليت شعري، أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك سن عقولهم، حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك؟ أم كان في نفسه بتلك الصفة؟ وإن صح ما حكى من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم، فنهكم به بالفعل، كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة. ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين، كقوله:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج «١»

ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين، وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم.

أو لم تخف عليهم، ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه، وإنما قال فأوقد لي يا هامان

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٣/٢٢٤

. (١)

وكل تباريح المحب لقيتها ... سوى أنني لم ألق حتفي بمرصدى

نصحت لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهدى

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارس المسرد

لدريد بن الصمة، ينذر قومه بهجوم العدو. ودريد: هو معاوية بن الحرث بن بكر بن علقمة الجثمي: قتل مشركا يوم حنين، أى: كل الشدائد التي يلقاها المحب من محبوبه لقيتها. والحتف: الهلاك. والمرصد، والمرصاد:

الطريق، وفي إضافته لنفسه معنى لطيف، أى: لم أسلك طريقا فيه حتف لي، بل أسلك غيره فطر بقي لا ضرر فيه. ونصحه ونصح له: خلص وصفا. والشهد- بالتشديد: جمع شاهد. ودججه تدجيجا: غطاه تغطية. والدجة- بالتشديد-: الظلمة. والدج: المشي بتؤدة. والمدجج: التام السلاح. وقيل: هو بالفتح: الفرس، وبالكسر:

الفارس. والسراة: السادة الأشراف بفتح السين، وهي في الأصل: أعلى ظهر الحيوان، فاستعيرت لهم، وقد تضم، فوزنها «فعلة» جمع سرى وزن فعيل **على غير قياس**، إذ قياسه أفعلاء، وهو في الأصل: النهر الصغير:

استعير للخير الرئيس، والفارس: الدروع المعمولة بفارس. والسرد والتسريد: متابعة النسج، يقول: أيقنوا بهجوم جيش عظيم. والألفان: كناية عن الكثرة، أى: جيش كثير مغطى بالسلاح، أشرافه في الدروع الفارسية المتتابعة النسج. والظرفية دالة على سبوغ الدروع لهم. ويروى المسود بالواو وليس بذاك.." (١)

٣١٩. "يريد: ونفيت عنه الذئب. فإن قلت: لم قال جنتان؟ قلت: الخطاب للثقلين، فكأنه قيل: لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الإنسى، وجنة للخائف الجنى. ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي، لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل، كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة خص الأفنان بالذكر: وهي الغصنة «١» التي تتشعب من فروع الشجرة، لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتنى الثمار. وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قال:

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا ... لهوت به والعيش أخضر ناضر «٢»

عينان تجريان حيث شاءوا في الأعالي والأسافل. وقيل: تجريان من جبل من مسك.

وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال: إحداهما التسنيم، والأخرى: السلسبيل زوجان صنفان: قيل: صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب على المدح الخائفين. أو حال منهم، لأن من خاف في معنى

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٤١٤/٣

الجمع بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين، وإذا كانت البطائن من الإستبرق، فما ظنك بالظهائر؟ وقيل: ظهائرها من سندس. وقيل: من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم. وقرئ: وجنى، بكسر الجيم.

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٥٦ الى ٦١]
فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٥٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٧) كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الإحسان إلا الإحسان (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١)

---

(١) . قوله «وهي الغصنة» جمع غصن، كقرطة جمع قرط. أفاده الصحاح. (ع) [.....]
(٢) . الأفنان: جمع فنن، وهو الغصن كثير الورق، فيكون شبه اللذات والصبا: بروضة أو شجرة ذات أفنان على طريق المكنية. وإثبات الأفنان: تخييل. ويجوز أنه جمع فن، أى: نوع وصف **على غير قياس**، كصحب وأصحاب. واللذاذات: جمع لذاذة، وهي اللذة. ويروى: اللذاذة بالافراد. والصبا: الشباب أو هوى النفس.
ومن بمعنى بعض على طريقة الزمخشري، أى: وبعض الأفنان لهوت، أى: تمتعت به. والجمهور يجعلون نحو هذا مما حذف فيه الموصوف، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، لتقدم مجرور يدل عليه، فمن كل: خبر مقدم، ولهوت:
صفة لمحذوف مبتدأ مؤخر، أى: صنف لهوت به، لكن المعنى على الاخبار باللهو، فلا بد من المصير إلى رأى الزمخشري. أو جعل الجار والمجرور صفة للمبتدإ، ولهوت خبرا وإن لم يتقدم المجرور على الصفة. ويجوز أن «من كل» معمول لمحذوف يفسره المذكور، أى: تمنعت من كل الأفنان لهوت به، والواو للحال، أى: والحال أن العيش أخضر، أى رطب لين ناضر حسن، نشبه العش بروض يافع. والخضرة تخييل.." (١)

٣٢٠. "ويطلع على أحواله من هداه وضلاله، فيجازيه على حسب ذلك. وهذا وعيد. فإن قلت: ما متعلق أرأيت؟ قلت: الذي ينهى مع الجملة الشرطية، وهما في موضع المفعولين. فإن قلت: فأين جواب الشرط؟ قلت: هو محذوف، تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى. وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني. فإن قلت: فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط؟ قلت: كما صح في قولك: إن أكرمتك أتكرمني؟ وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟ فإن

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٤٥٢/٤

قلت: فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعول أرأيت؟

قلت: هي زائدة مكررة للتوكيد. وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع لأبى جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات، ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار.

والسفع: القبض على الشيء وجذبه بشدة. قال عمرو بن معديكرب:

قوم إذا يقع الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره أو سافع «١»

وقرئ: لنسفعن، بالنون المشددة. وقرأ ابن مسعود، لأسفعا. وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف، ولما علم أنها ناصية المذكور: اكتفى بلام العهد عن الإضافة ناصية بدل من الناصية، وجاز بدلها عن المعرفة، وهي نكرة، لأنها وصفت فاستقلت بفائدة. وقرئ: ناصية، على: هي ناصية. وناصية بالنصب. وكلاهما على الشتم.

ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازى. وهما في الحقيقة لصاحبها. وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ. والنادي: المجلس الذي ينتدى فيه القوم. أى يجتمعون. والمراد: أهل النادي. كما قال جرير:

لهم مجلس صهب السبال أذلة «٢»

---

(١) . لحميد بن ثور الهلالي الصحابي، أى: هم قوم إذا نفع الصريخ، أى: ارتفع الصياح للحرب أسرعوا إليها فتراهم دائرين بين ملجم مهره وسافع، أى: قابض بناصية مهره، ويجذبه إليه بسرعة. ومن زائدة، ولو كانت في الإثبات. وأو بمعنى الواو. ويروى: إذا يقع بالياء، أى: يحصل. ويروى: إذا هتف، أى: صاح، فيكون كجد جده. ويجوز أن الصريخ بمعنى الصارخ. ويروى: إذا سمعوا الصريخ فهو مفعول. ويروى: ما بين ملجم.

وهذا مما يؤيد أن «من» في تلك الرواية زائدة.

(٢) .

لهم مجلس صهب السبال أذلة ... على من يعاديهم أشداء فاعلم

يقول: لهم مجلس يجتمعون فيه. أو لهم قوم مجتمعون جالسون، ولا ترى ذلك إلا في الرؤساء الأشراف. وصهب للسبال: صفة لمرجع الضمير في لهم على الأول، وصفة لمجلس على الثاني، لأنه بمعنى الجالسين. والصهبة: حمرة ترهق السواد. والصهب: جمع أصهب. والسال: طرف الشارب جانب الفم، وتلك الصهبة من خواص الروم، وهو كناية عن الغلظة والشدة، وأذلة: أى فيما بينهم أشداء على من يعاديهم. وقدم المعمول للحصر، فاعلم ذلك وتيقنه فهو حق. ويروى بدل الشطر الثاني:

سواسية أحرارها وعبيدها

وسواسية كطواعية جمع سواء **على غير قياس**. وقيل: اسم جمع بمعنى مستوين. يعنى: أنهم مستوون في الشرف وكمال الأخلاق، ولولا مقام المدح لكان من قبيل التوجيه، لاحتماله لوجه الذم أيضا. وأما إن قرئ بالكسر والتشديد، فهو منسوب السواس وهو التمرين على حسن السير، يعنى أن جميعهم رؤساء، ولكن الأول أوجه. ومنه الحديث: «الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمى إلا بالتقوى» كما في ترجمة شرح القاموس.." (١)

٣٢١. "لا يكون إلا في الأسماء، أو ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما نحو الكاف في قول الأعشى:

[البسيط] .

أتنتهون ولا ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وحذفت الألف من بسم الله في الخط اختصارا وتخفيفا لكثرة الاستعمال. واختلف النحاة إذا كتب «باسم الرحمن وباسم القاهر» فقال الكسائي وسعيد الأخفش: «يحذف الألف» . وقال يحيى بن زياد: «لا تحذف إلا مع بسم الله فقط، لأن الاستعمال إنما كثر فيه» .

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: فأما في غير اسم الله تعالى فلا خلاف في ثبوت الألف. واسم أصله سمو بكسر السين أو سمو بضمها، وهو عند البصريين مشتق من السمو. يقال: سما يسمو، فعلى هذا تضم السين في قولك سمو ويقال: سمي يسمى فعلى هذا تكسر، وحذفت الواو من سمو، وكسرت السين من سم، كما قال الشاعر: [الرجز] .

باسم الذي في كل سورة سمه وسكنت السين من بسم اعتلالا **على غير قياس**، وإنما استدل على هذا الأصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير سمي، وفي الجمع أسماء، وفي جمع الجمع أسامي.

وقال الكوفيون: أصل اسم وسم من السمة، وهي العلامة. لأن الاسم علامة لمن وضع له، وحذفت فاؤه اعتلالا **على غير قياس**، والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي. وأما المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال في التصغير وسيم، وفي الجمع أوسام، لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها. وقد ذكر بعض المفسرين في هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد؟

وقال الطبري رحمه الله: إنه ليس بموضع للمسألة، وأنحى في خطبته على المتكلمين في هذه المسألة ونحوها، ولكن بحسب ما قد تدوول القول فيها، فلنقل إن الاسم كزيد وأسد وفرس قد يرد في الكلام ويراد به الذات، كقولك زيد قائم والأسد شجاع، وقد يراد به التسمية ذاتها، كقولك أسد ثلاثة أحرف،

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ٤/٧٧٨

ففي الأول يقال الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى وفي الثاني لا يراد به المسمى. ومن الورود الأول قولك يا رحمن اغفر لي، وقوله تعالى: الرحمن علم القرآن [الرحمن: ١] ومن الورود الثاني قولك: الرحمن وصف لله تعالى. وأما اسم الذي هو ألف وسين وميم، فقد يجري في لغة العرب مجرى الذات. يقال: ذات، ونفس، واسم، وعين، بمعنى. وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى:

سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى: ١] وقوله تعالى: تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام [الرحمن: ٧٨] . وقوله تعالى: ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم [يوسف: ٤٠] .

وعضدوا ذلك بقول لبيد: [الطويل] .

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر." (١)

٣٢٢. "وقالوا: إن لبيدا أراد التحية، وقد يجري «اسم» في اللغة مجرى ذات العبارة، وهو الأكثر من استعمالها، فمنه قوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها [البقرة: ٣١] على أشهر التأويلات فيه. ومنه قول النبي عليه السلام: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة» ، وعلى هذا النحو استعمل النحويون الاسم في تصريف أقوالهم فالذي يتنخل من هذا: أن الأسماء قد تجيء يراد بها ذوات المسميات، وفي هذا يقال الاسم هو المسمى، وقد تجيء يراد بها ذواتها نفسها لا مسمياتها. ومر بي أن مالكا رحمه الله سئل عن الاسم أهو المسمى؟ فقال: «ليس به ولا هو غيره» ، يريد دائما في كل موضع، وهذا موافق لما قلناه، والمكتوبة التي لفظها الله أبهر أسماء الله تعالى وأكثرها استعمالا، وهو المتقدم لسائرها في الأغلب، وإنما تجيء الأخر أوصافا، واختلف الناس في اشتقاقه، فقالت فرقة من أهل العلم: «هو اسم مرتجل، لا اشتقاق له من فعل، وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى، والألف واللام لازمة له لا لتعريف ولا لغيره، بل هكذا وضع الاسم» . وذهب كثير من أهل العلم إلى أنه مشتق من أله الرجل إذا عبد، وتأله إذا تنسك. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

لله در الغانيات المده ... سبحن واسترجعن من تألهي

ومن ذلك قول الله تعالى: ويذرك وآلهتك [الأعراف: ١٢٧] على هذه القراءة فإن ابن عباس وغيره قال: وعبادتك، قالوا: فاسم الله مشتق من هذا الفعل، لأنه الذي يألهه كل خلق ويعبده، حكاه النقاش في صدر سورة آل عمران فإلاه فعال من هذا.

واختلف كيف تعلل إله حتى جاء الله، فقيل: حذفت الهمزة حذفا على غير قياس ودخلت الألف واللام للتعظيم على لاه، وقيل بل دخلتا على اله ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فجاء اللاه ثم أدغمت اللام في اللام. وقيل إن أصل الكلمة لاه، وعليه دخلت الألف واللام، والأول أقوى.

وروي عن الخليل أن أصل إله ولاه وأن الهمزة مبدلة من واو كما هي في إشاح ووشاح وإسادة ووسادة،

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٦٢/١

وقيل إن أصل الكلمة ولاه كما قال الخليل إلا أنها مأخوذة من وله الرجل إذا تحير، لأنه- تعالى- تتحير الألباب في حقائق صفاته، والفكر في المعرفة به، وحذفت الألف الأخيرة من «الله» لئلا يشكل بخط اللات، وقيل طرحت تخفيفا، وقيل هي لغة فاستعملت في الخط ومنها قول الشاعر ابن الأعرابي: [الرجز]

أقبل سيل جاء من أمر الله ... يحرد حرد الجنة المغلة

والرحمن صفة مبالغة من الرحمة، ومعناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل على الانتهاء سكران وغضبان، وهي صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، وفعيل أبلغ من فاعل، لأن راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيما يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن النهاية في الرحمة. وقال بعض الناس: «الرحمن الرحيم» بمعنى واحد، كالندمان والنديم، وزعم أنهما من فعل واحد، ولكن أحدهما أبلغ من الآخر. وأما المفسرون فعبروا عن «الرحمن الرحيم» بعبارات، فمنها أن العرزمي قال:

«معناه: الرحمن بجميع خلقه في الأمطار، ونعم الحواس، والنعم العامة، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم» ومنها أن أبا سعيد الخدري وابن مسعود رويا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:." (١)

٣٢٣. "صلى الله عليه وسلم خطاب أمته، و «الولي» فعيل من ولي إذا جاور ولحق، فالناصر والمعين والقائم بالأمر والحافظ كلهم مجاور بوجه ما، و «النصير» فعيل من النصر، وهو أشد مبالغة من ناصر.

وقوله تعالى: أم تريدون: قالت فرقة: أم رد على الاستفهام الأول، فهي معادلته.

وقالت فرقة أم استفهام مقطوع من الأول، كأنه قال: أتريدون، وهذا موجود في كلام العرب.

وقالت فرقة: أم هنا بمعنى بل وألف الاستفهام، قال مكي وغيره: وهذا يضعف لأن «أم» لا تقع بمعنى بل إلا إذا اعترض المتكلم شك فيما يورده.

قال القاضي أبو محمد: وليس كما قال مكي رحمه الله، لأن «بل» قد تكون للإضراب عن اللفظ الأول لا عن معناه، وإنما يلزم ما قال على أحد معنيي «بل» وهو الإضراب عن اللفظ والمعنى، ونعم ما قال سيبويه: بل هي لترك كلام وأخذ في غيره.

وقال أبو العالية: إن هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني إسرائيل بتعجيل العقوبة في الدنيا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بني إسرائيل. وتلا: ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

. [النساء: ١١٠] .

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٦٣/١

قال القاضي أبو محمد: فتجيء إضافة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأمة على هذا حسب الأمر في نفسه وحسب إقرارهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن رافع بن حريملة اليهودي سأل النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك، وقيل: إن كفار قريش سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالله جهرة، وقيل: سألوه أن يأتي بالله والملائكة قبيلا، وقال مجاهد: سألوه أن يرد الصفا ذهبا، فقال لهم: خذوا ذلك كالمائدة لبني إسرائيل، فأبوا ونكصوا.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: فتجيء على هذه الأقوال إضافة الرسول إليهم حسب الأمر في نفسه، لا على إقرارهم، وكما سئل موسى عليه السلام هو أن يرى الله جهرة. وقرأ الحسن بن أبي الحسن وغيره «سيل» بكسر السين وياء وهي لغة، يقال: سلت أسال، ويحتمل أن يكون من همز أبدل الهمزة ياء **على غير قياس** ثم كسر السين من أجل الياء، وقرأ بعض القراء بتسهيل الهمزة بين الهمزة والياء مع ضم السين، وكني عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر بالتبدل، وقال أبو العالية: «الكفر هنا الشدة، والإيمان الرخاء» .

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، إلا أن يريدهما مستعارتين، أي الشدة على نفسه والرخاء لها عبارة عن العذاب والتنعيم، وأما المتعارف من شدة أمور الدنيا ورخائها فلا تفسر الآية به، وضل أخطأ الطريق، و «السواء» من كل شيء الوسط والمعظم، ومنه قوله تعالى في سواء الجحيم [الصافات: ٥٥] .." (١)

٣٢٤. "قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وهذا على من يجعل الأمر المنتظر أوامر الشرع أو قتل قريظة وإجلاء النضير، وأمر من يجعله آجال بني آدم فيترتب النسخ في هذه الآية بعينها، لأنه لا يختلف أن آيات الموادعة المطلقة قد نسخت كلها، والنسخ هو مجيء الأمر في هذه المقيدة، وقيل: مجيء الأمر هو فرض القتال، وقيل: قتل قريظة وإجلاء النضير، وقال أبو عبيدة في هذه الآية: إنها منسوخة بالقتال، لأن كل آية فيها ترك القتال فهي مكية منسوخة.

قال القاضي أبو محمد: وحكمه بأن هذه الآية مكية ضعيف، لأن معاندات اليهود إنما كانت بالمدينة، وقوله تعالى: إن الله على كل شيء قدير مقتضاه في هذا الموضوع وعد للمؤمنين.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١١٠ الى ١١٣]

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير (١١٠)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٩٥/١

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١١١) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١١٢) وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١١٣)

قالت فرقة من الفقهاء: إن قوله تعالى: وأقيموا الصلاة عموم، وقالت فرقة: هو من مجمل القرآن، والمرجح أن ذلك عموم من وجه ومجمل من وجه، فعموم من حيث الصلاة الدعاء، فحمله على مقتضاه ممكن، وخصصه الشرع بهيئات وأفعال وأقوال، ومجمل من حيث الأوقات، وعدد الركعات والسجدات لا يفهم من اللفظ، بل السامع فيه مفتقر إلى التفسير، وهذا كله في أقيموا الصلاة، وأما الزكاة فمجملة لا غير.

قال الطبري: إنما أمر الله هنا بالصلاة والزكاة لتحط ما تقدم من ميلهم إلى أقوال اليهود راعنا [البقرة: ١٠٤] ، لأن ذلك نهي عن نوعه، ثم أمر المؤمنين بما يحطه، والخير المقدم منقض لأنه فعل، فمعنى تجدوه تجدوا ثوابه وجزاءه، وذلك بمنزلة وجوده.

وقوله تعالى: إن الله بما تعملون بصير خبر في اللفظ معناه الوعد والوعيد.

وقوله تعالى: وقالوا لن يدخل الجنة معناه قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقال النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فجمع قولهم، ودل تفريق نوعيهم على تفرق قوليهم، وهذا هو الإيجاز واللف، وهود جمع هائد، مثل عائد وعود، ومعناه التائب الراجع، ومثله في الجمع بازل وبزل وحائل وحول وبائر وبور، وقيل هو مصدر يوصف به الواحد والجمع كفطر وعدل ورضا، وقال الفراء: أصله يهودي حذفت ياءاه **على غير قياس**." (١)

٣٢٥. "فكأنها إشارة إلى العدالة: وقوله تعالى: من رجالكم نص في رفض الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم. واختلف العلماء فيهم فقال شريح وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل: شهادة العبد جائزة إذا كان عدلا، وغلبوا لفظ الآية. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وجمهور العلماء: لا تجوز شهادة العبد، وغلبوا نقص الرق، واسم كان الضمير الذي في قوله يكونا.

والمعنى في قول الجمهور، فإن لم يكن المستشهد رجلين أي إن أغفل ذلك صاحب الحق أو قصده لعذر ما، وقال قوم: بل المعنى فإن لم يوجد رجلان، ولا يجوز استشهاد المرأتين إلا مع عدم الرجال، وهذا قول ضعيف، ولفظ الآية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور، وقوله: فرجل وامرأتان مرتفع بأحد ثلاثة أشياء، إما أن تقدر فليستشهد رجل وامرأتان، وإما فليكن رجل وامرأتان ويصح أن تكون يكونا هذه التامة والناقصة، ولكن التامة أشبه، لأنه يقل الإضمار، وإما فرجل وامرأتان يشهدون، وعلى كل وجه فالمقدر هو العامل في قوله: أن تضل إحداهما وروى حميد بن عبد الرحمن عن بعض أهل مكة أنهم قرؤوا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٩٧/١

«وامرأتان» بهمز الألف ساكنة.

قال ابن جني: لا نظير لتسكين الهمزة المتحركة **على غير قياس** وإنما خففوا الهمزة فقربت من الساكن، ثم بالغوا في ذلك فصارت الهمزة ألفا ساكنة كما قال الشاعر: [الطويل] .

يقولون جهلا ليس للشيخ عيل ... لعمري لقد أعيلت وأن رقوب

يريد «وأنا» ، ثم بعد ذلك يدخلون الهمزة على هذه الألف كما هي. وهي ساكنة وفي هذا نظر، ومنه قراءة ابن كثير «عن ساقيها» وقولهم يا ذو خاتم قال أبو الفتح: فإن قيل شبهت الهمزة بالألف في أنها ساوتها في الجهر والزيادة والبدل والحذف وقرب المخرج وفي الخفاء فقول مخشوب لا صنعة فيه، ولا يكاد يقنع بمثله، وقوله تعالى: ممن ترضون من الشهداء رفع في موضع الصفة لقوله عز وجل: فرجل وامرأتان.

قال أبو علي: ولا يدخل في هذه الصفة قوله: شهيدين اختلاف الإعراب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا حكم لفظي، وأما المعنى فالرضى شرط في الشهيدين كما هو في الرجل والمرأتين.

قال ابن بكير وغيره: قوله ممن ترضون مخاطبة للحكام.

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير نبيل، إنما الخطاب لجميع الناس، لكن المتلبس بهذه القضية إنما هم الحكام، وهذا كثير في كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض، وفي قوله: ممن ترضون دليل على أن في الشهود من لا يرضى، فيجيء من ذلك أن الناس ليسوا بمحمولين على العدالة حتى تثبت لهم. وقرأ حمزة وحده: «إن تضل» بكسر الألف وفتح التاء وكسر الضاد «فتذكر» بفتح الذال ورفع الراء وهي قراءة الأعمش. وقرأها الباقون «أن تضل» بفتح الألف «فتذكر» بنصب الراء. غير أن ابن كثير وأبا عمرو خففا الذال والكاف، وشددها الباقون، وقد تقدم القول فيما هو العامل في قوله: أن تضل، وأن مفعول من أجله والشهادة لم تقع لأن تضل إحداهما. وإنما وقع إشهاد امرأتين لأن تذكر." (١)

٣٢٦. "فإن أبا المرء أحمى له ... ومولى الكلالة لا يغضب

فالأب والابن هما عمودا النسب، وسائر القرابة يكللون، وقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وسليم بن عبيد وقتادة والحكم وابن زيد والزهري وأبو إسحاق السبيعي: «الكلالة» خلو الميت عن الولد والوالد، وهذا هو الصحيح، وقالت طائفة: هي خلو الميت من الولد فقط، وروي ذلك عن أبي بكر الصديق وعن عمر، ثم رجعا عنه، وروي عن ابن عباس، وذلك مستقرا من قوله في الإخوة مع الوالدين: إنهم يحطون الأم ويأخذون ما يحطونها.

قال القاضي أبو محمد: هكذا حكى الطبري. ويلزم على قول ابن عباس إذ ورثهم بأن الفريضة «كلالة» أن يعطيهم الثلث بالنص، وقالت طائفة منهم الحكم بن عتيبة: «الكلالة» الخلو من الوالد، وهذان

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١/٣٨١

القولان ضعيفان، لأن من بقي والده أو ولده، فهو موروث بجزم نسب لا بتكلل، وأجمعت الآن الأمة على أن الإخوة لا يرثون مع ابن ولا مع أب، وعلى هذا مضت الأمصار والأعصار، وقرأ جمهور الناس- «يورث» بفتح الراء، وقرأ الأعمش وأبو رجاء- «يورث» - بكسر الراء وتشديدها، قال أبو الفتح بن جني: قرأ الحسن «يورث» من أورث، وعيسى «يورث» بشد الراء من ورث، والمفعولان على كلتا القراءتين محذوفان، التقدير: يورث وارثه ماله كلالة، ونصب كلالة على الحال، واختلفوا في «الكلالة» فيما وقعت عليه في هذه الآية، فقال عمر وابن عباس: «الكلالة» الميت الموروث إذا لم يكن له أب، ونصبها على خبر كان، وقال ابن زيد: «الكلالة» الوارثة بجملتها، الميت والأحياء كلهم «كلالة» ، ونصبها على الحال أو على النعت لمصدر محذوف تقديره وراثة «كلالة» ، ويصح على هذا أن تكون كان تامة بمعنى وقع، ويصح أن تكون ناقصة وخبرها يورث وقال عطاء: «الكلالة» المال، ونصب على المفعول الثاني.

قال القاضي أبو محمد: والاشتقاق في معنى الكلالة يفسد تسمية المال بها، وقالت طائفة: الكلالة الورثة، وهذا يستقيم على قراءة «يورث» بكسر الراء، فينصب كلالة على المفعول، واحتج هؤلاء بحديث جابر بن عبد الله، إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنما يرثني «كلالة» أفأوصي بمالي كله؟ وحكى بعضهم: أن تكون «الكلالة» الورثة، ونصبها على خبر كان، وذلك بحذف مضاف، تقديره ذا كلالة، ويستقيم سائر التأويلات على كسر الراء، وقوله أو امرأة عطف على الرجل، وقوله تعالى: وله أخ أو أخت الآية، الضمير في له عائد على الرجل، واكتفى بإعادته عليه دون المرأة، إذ المعنى فيهما واحد، والحكم قد ضبطه العطف الأول، وأصل أخت: أخوة، كما أصل بنت: بنية، فضم أول أخت إذ المحذوف منها واو، وكسر أول بنت إذ المحذوف ياء، وهذا الحذف والتعليل **على غير قياس**، وأجمع العلماء على أن الإخوة في هذه الآية الإخوة لأم، لأن حكمهم منصوص في هذه الآية على صفة، وحكم سائر الإخوة مخالف له، وهو الذي في كلالة آخر السورة، وقرأ سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت لأمه» والأنثى والذكر في هذه النازلة سواء، وشركتهم في الثلث متساوية وإن كثروا، هذا إجماع، فإن ماتت امرأة وتركت زوجا وأما وإخوة أشقاء، فللزوج النصف، وللأم السدس وما بقي فللإخوة، فإن كانوا لأم فقط، فلهم الثلث، فإن تركت الميتة زوجا وأما وأخوين لأم وإخوة لأب وأم، فهذه الحمارية، قال قوم: فيها للإخوة للأم الثلث، ولا شيء للإخوة الأشقاء، كما لو مات رجل وخلف أخوين لأم، وخلف مائة أخ لأب." (١)

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢/١٩

٣٢٧. "قرأها بألف ساكنة وحذف الهمزة، وهذا تخفيف على غير قياس، والكاف في أرأيتك زيدا و «أرأيتكم» ليست باسم وإنما هي مجردة للخطاب كما هي في ذلك، وأبصرك زيدا ونحوه، ويدل على ذلك أن رأيت بمعنى العلم، إنما تدخل على الابتداء والخبر، فالأول من مفعوليها هو الثاني بعينه، والكاف في أرأيتك زيدا ليست المفعول الثاني كقوله تعالى: أرأيتك هذا الذي كرمت علي [الإسراء: ٦٢] فإذا لم تكن اسما صح أنها مجردة للخطاب وإذا تجردت للخطاب صح أن التاء ليست للخطاب كما هي في أنت لأن علامتي خطاب لا تجتمعان على كلمة كما لا تجتمع علامتا تأنيث ولا علامتا استفهام فلما تجردت التاء من الخطاب وبقيت علامة الفاعل فقط استغني عن إظهار تغيير الجمع فيها والتأنيث لظهور ذلك في الكاف وبقيت التاء على حد واحد في الإفراد والتثنية والجمع والتأنيث وروي عن بعض بني كلاب أنه قال: أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة، فهذه الكاف صلة في الخطاب وأتاكم عذاب الله معناه أتاكم خوفه وأماراته وأوائله مثل الجدب والبأساء والأمراض ونحوها التي يخاف منها الهلاك، ويدعو إلى هذا التأويل أنا لو قدرنا إتيان العذاب وحلوله لم يترتب أن يقول بعد ذلك فيكشف ما تدعون لأن ما قد صح حلوله ومضى على البشر لا يصح كشفه، ويحتمل أن يراد ب الساعة في هذه الآية موت الإنسان، وقوله تعالى: بل إياه تدعون الآية، المعنى بل لا ملجأ لكم إلا الله، وأصنامكم مطرحة منسية، وما بمعنى الذي تدعون إليه من أجله، ويصح أن تكون ما ظرفية، ويصح أن تكون مصدرية على حذف في الكلام، قال الزجاج هو مثل وسئل القرية [يوسف: ٨٢] والضمير في إليه يحتمل أن يعود إلى الله تعالى بتقدير فيكشف ما تدعون إليه، وإن شاء استثناء لأن المحنة إذا أظلت عليهم فدعوا إليه في كشفها وصرفها فهو لا إله إلا هو كاشف إن شاء ومصيب إن شاء لا يجب عليه شيء، وتقدم معنى تنسون وإياه اسم مضمر أجري مجرى المظهرات في أنه يضاف أبدا، وقيل هو مبهم وليس بالقوي لأن الأسماء المبهمة مضمنة الإشارة إلى حاضر نحو ذاك وتلك وهؤلاء، و «ايا» ليس فيه معنى الإشارة.

قوله عز وجل:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٤٢ الى ٤٥]

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤٣) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥)

في الكلام حذف يدل عليه الظاهر تقديره فكذبوا فأخذناهم، ومعناه لازمناهم وتابعناهم الشيء بعد

الشيء، «البأساء» المصائب في الأموال، والضراء في الأبدان، هذا قول الأكثر، وقيل قد يوضع كل واحد بدل الآخر، ويؤدب الله تعالى عباده بالبأساء والضراء، ومن هنالك أدب العباد نفوسهم بالبأساء في تفريق المال، والضراء في الحمل على البدن في جوع وعري، والترجي في «لعل» في هذا الموضع إنما هو على معتقد البشر أي لو رأى أحد ذلك لرجا تضرعهم بسببه، والتضرع التذلل والاستكانة، وفي المثل." (١)

٣٢٨. "كحرف من الفعل فقبح العطف عليه لشبهه بالحرف، وكذلك كقولك: قمت وزيد، لأن تأكيده فيه يبين معنى الاسمية، ويذهب عنه شبه الحرف، وحسن عند سيبويه العطف في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لما طال الكلام، ب لا، فكان معنى الاسمية اتضح واقتضت- لا ما يعطف بعدها وقوله تعالى: قل هل عندكم من علم الآية: المعنى قل يا محمد للكفرة: هل عندكم من علم من قبل الله تعالى فتبينوه حتى تقوم به الحجة، ومن في قوله من علم زائدة مؤكدة وجاءت زيادتها لأن الاستفهام داخل في غير الواجب، إن تتبعون إلا الظن أي لا شيء عندكم إلا الظن وهو أكذب الحديث.

وقرأ جمهور الناس: «تتبعون» على المخاطبة، وقرأ النخعي وإبراهيم وابن وثاب: «إن يتبعوا» بالياء حكاية عنهم.

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وهذه قراءة شاذة يضعفها قوله وإن أنتم وتخرصون معناه: تقدرون وتظنون وترجمون.

قوله عز وجل:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٤٩ الى ١٥٠]

قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩) قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠)

ثم أعقب تعالى أمره نبيه صلى الله عليه وسلم بتوقيف المشركين على موضع عجزهم بأمره إياه بأن يقول مبينا مفصحا فلله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد في الأمر الذي يحتج فيه، ثم أعلم بأنه لو شاء لهدى العالم بأسره.

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وهذه الآية ترد على المعتزلة في قولهم إن الهداية والإيمان إنما هي من العبد لا من الله، فإن قالوا معنى لهداكم لاضطركم إلى الهدى فسد ذلك بمعتقدهم أن الإيمان الذي يريد الله من عباده ويثيب عليه ليس الذي يضطر إليه العبد، وإنما هو عندهم الذي يقع من العبد وحده،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢/٢٩١

وهلم معناها هات، وهي حينئذ متعدية، وقد تكون بمعنى أقبل، فهي حينئذ لا تتعدى، وبعض العرب يجعلها اسما للفعل كرويدك، فيخاطب بها الواحد والجميع والمذكر والمؤنث على حد واحد، وبعض العرب يجعلها فعلا فيركب عليها الضمائر فيقول هلم يا زيد وهلموا أيها الناس وهلمي يا هند ونحو هذا، وذكر اللغتين أبو علي في الإغفال، وقال أبو عبيدة اللغة الأولى لأهل العالية واللغة الثانية لأهل نجد، وقال سيبويه والخليل: أصلها هالم، وقال بعضهم: أصلها هالمم، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين فجاء هلمم فحذف من قال أصلها هالم وأدغم من قال أصلها هلمم **على غير قياس**، ومعنى هذه الآية قل هاتوا شهداءكم على تحريم الله ما زعمتم أنه حرمه، ثم قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فإن شهدوا أي فإن افترى لهم أحدا وزور شهادة أو خبرا عن نبوة ونحو ذلك فتجنب أنت ذلك ولا تشهد معهم.." (١)

٣٢٩. "قال القاضي أبو محمد: ويحتمل عندي أنه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول ما اطلع ولم يعن به التوبة من شيء معين ولكنه لفظ يصلح لذلك المقام.

قال القاضي أبو محمد: والذي يتحرز منه أهل السنة أن تكون توبة من سؤال المحال كما زعمت المعتزلة، وقرأ نافع وأنا بإثبات الألف في الإدراج، قال الزهراوي والأولى حذفها في الإدراج وإثباتها لغة شاذة خارجة عن القياس، وقوله أول إما أن يريد من قومه بني إسرائيل، وهو قول ابن عباس ومجاهد أو من أهل زمانه ان كان الكفر قد طبق الآفاق وإما أن يريد أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا، قاله أبو العالية.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٤٤ الى ١٤٥]

قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (١٤٤) وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين (١٤٥)

ثم ان الله تعالى قرر موسى على آلائه عنده على جهة الإخبار وقنعه بها وأمره بالشكر عليها وكأنه قال ولا تتعدها إلى غيرها، و «اصطفى» أصله اصتفى وهو افتعل من صفا يصفو انقلبت التاء طاء لمكان الصاد، ومعناه تخيرتك وخصصتك، ولا تستعمل إلا في الخير والمنن، لا يقال اصطفاه لشر، وقوله على الناس عام والمراد الخصوص فيمن شارك موسى في الإرسال، فإن الأنبياء كلهم المرسلين مشاركون له بما هم رسل، والظاهر من الشريعة أن موسى مخصص بالكلام وإن كان قد روي في تكليم الله غيره أشياء بما يشاء من أعظمها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن آدم فقال هو نبي مكلم.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢/٣٦٠

قال القاضي أبو محمد: إلا أن ذلك قد تأول بأنه كان في الجنة فيتحفظ على هذا تخصيص موسى، ويصح أن يكون قوله على الناس عموما مطلقا في مجموع الدرجتين الرسالة والكلام. وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وابن عامر «برسالاتي» على الجمع إذ الذي أرسل به ضروب، وقرأ ابن كثير ونافع «برسالتي» على الإفراد الذي يراد به الجمع وتحل الرسالة هاهنا محل المصدر الذي هو الإرسال، وقرأ جمهور الناس و «بكلامي» ، وقرأ أبو رجاء «برسالتي وبكلمتي» ، وقرأ الأعمش «برسالاتي وبكلمي» ، وحكى عنه المهدوي «وتكليمي» على وزن تفعيلي، وقوله فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين تأديب وتقنيع وحمل على جادة السلامة ومثال لكل أحد في حاله، فإن جميع النعم من عنده بمقدار وكل الأمور بمرأى من الله ومسمع.

وقوله تعالى: وكتبنا له في الألواح الآية، الضمير في له عائد على موسى عليه السلام، والألف واللام في الألواح عوض من الضمير الذي يقدر وصله بين الألواح وموسى عليه السلام، تقديره في ألواحه، وهذا كقوله تعالى: فإن الجنة هي المأوى [النازعات: ٤١] مأواه وقيل: كانت الألواح اثنين، وقيل سبعة، وقال مجاهد وابن عباس: كانت الألواح من زمرد، وقال ابن جبير من ياقوت أحمر، وقال أبو العالية أيضا من برد، وقال الحسن من خشب، وقوله من كل شيء لفظه عموم والمراد به كل شيء ينفع في معنى الشرع ويحتاج إليه في المصلحة، وقوله لكل شيء مثله، قال ابن جبير: ما أمروا به ونهوا عنه، وقاله مجاهد: وقال السدي: الحلال والحرام. وقوله بقوة معناه بجد وصبر عليها واحتمال لمؤنها قاله ابن عباس والسدي، وقال الربيع بن أنس بقوة هنا بطاعة، وقال ابن عباس أمر موسى أن يأخذه بأشد مما أمر به قومه، و «خذ» أصله أؤخذ حذفت الهمزة التي هي فاء الفعل **على غير قياس** فاستغني عن الأول، وقوله." [(١)]

٣٣٠. "ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره النساء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحمه» . وقرأ جمهور الناس والسبعة «النسيء» كما تقدم، وقرأ ابن كثير فيما روي عنه وقوم معه في الشاذ «النسي» بشد الياء، وقرأ فيما روى عنه جعفر بن محمد والزهري «النسيء» ، وقرأ أيضا فيما روي عنه «النسء» على وزن النسع وقرأت فرقة «النسي» . فأما «النسيء» بالمد والهمز فقال أبو علي هو مصدر مثل النذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول لأنه يكون المعنى إنما المؤخر زيادة والمؤخر الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر.

قال القاضي أبو محمد: وقال أبو حاتم هو فعيل بمعنى مفعول، وينفصل عن إلزام أبي علي بأن يقدر مضاف كان المعنى إنما إنساء النسيء، وقال الطبري هو من معنى الزيادة أي زيادتهم في الأشهر، وقال أبو وائل كان النسيء رجلا من بني كنانة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وأما «النسي» فهو الأول بعينه خففت الهمزة وقيل قلبت الهمزة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢/٤٥٢

ياء وأدغمت الياء في الياء، وأما «النسء» هو مصدر من نسأ إذا أخر، وأما «النسي» فقيل تخفيف همزة النسيء وذلك **على غير قياس**، وقال الطبري هو مصدر من نسي ينسى إذا ترك.

قال القاضي أبو محمد: والنسيء هو فعل العرب في تأخيرهم الحرمة، وقوله زيادة في الكفر أي جار في كفرهم بالله وخلاف منهم للحق فالكفر متكثر بهذا الفعل الذي هو باطل في نفسه.

قال القاضي أبو محمد: ومما وجد في أشعارها من هذا المعنى قول بعضهم: [الوافر] ومنا منسيء الشهر القلمس وقال الآخر: [الكامل]

نسؤوا الشهور بها وكانوا أهلها ... من قبلكم والعز لم يتحول

ومنه قول جذل الطعان: [الوافر]

وقد علمت معد أن قومي ... كرام الناس أن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوتر ... وأي الناس لم تعلك لجاما

ألسنا الناسئين على معد ... شهور الحل نجعلها حراما

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر «يضل» بفتح الياء وكسر الضاد، وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون «يضل» بضم الياء وكسر الضاد فإما على معنى يضل الله وإما على معنى يضل به الذين كفروا أتباعهم، ف الذين في التأويل الأول في موضع نصب، وفي الثاني في موضع رفع، وقرأ عاصم أيضا وحمزة والكسائي وابن مسعود فيما روي عنه «يضل» بضم الياء وفتح الضاد على المفعول الذي لم يسم فاعله، ويؤيد ذلك قوله تعالى: زين للتناسب في اللفظ، وقرأ أبو رجاء «يضل» من ضل يضل على وزن فعل بكسر العين يفعل بفتحها وهي لغتان يقال ضل يضل وضل يضل والوزن الذي ذكرناه يفرق بينهما، وكذلك يروى قول النبي صلى الله عليه وسلم، «حتى يضل الرجل إن." (١)

٣٣١. "أفرد الجنة من حيث الوجود كذلك، إذ لا يدخلهما معا في وقت واحد، و «ظلمه لنفسه» : كفره وعقائده الفاسدة في الشك في البعث، فقد نص على ذلك قتادة وابن زيد، وفي شكه في حديث العالم إن كانت إشارته ب هذه إلى الهيئة من السماوات والأرض وأنواع المخلوقات، وإن كانت إشارته إلى جنته فقط، فإنما في الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل، وكأنه من شدة العجب بل والسرور أفرط في وصفها بهذا القول ثم قاس أيضا الآخرة على الدنيا، وظن أنه لم يمل له في دنياه إلا لكرامة يستوجبها في نفسه، قال: فإن كان ثم رجوع كما يزعم فستكون حالي كذا وكذا، وليست مقالة العاصي بن وائل لخباب على حد هذه، بل قصد العاصي الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابن الزبير، وثبت في مصاحف المدينة «منهما» يريد الجنتين المذكورتين أولا،

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٣٢/٣

وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والعامة، وكذلك هو مصحف أهل البصرة «منها» يريد الجنة المدخولة، وقوله قال له صاحبه حكاية أن المؤمن من الرجلين لما سمع كلام الكافر وقفه على جهة التوبيخ على كفر بالله تعالى، وقرأ أبي بن كعب: «وهو يخاصمه» ، وقرأ ثابت البناني، «ويلك أكفرت» ، ثم جعل يعظم الله تعالى عنده بأوصاف تضمنت النعم والدلائل على جواز البعث من القبور، وقوله من تراب إشارة إلى آدم عليه السلام، وقوله سواك رجلا كما تقول سواك شخصا أو حيا، أو نحو هذا من التأكيدات، وقد يحتمل أن قصد تخصيص الرجولة، على وجه تعديد النعمة، في أن لم يكن أنثى ولا خنثى، وذكر الطبري نحو هذا، واختلفت القراءة في قوله لكنا فقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيبي «لكنا» في الوصل والوقف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي «لكن» في الوصل و «لكنا» في الوقف، ورجحها الطبري، وهي رواية ورش وقالون عن نافع، وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب والحسن «لكن أنا هو الله ربي» ، وقرأ عيسى الثقفي والأعمش بخلاف «لكن هو الله ربي» فأما هذه الأخيرة فبين على الأمر والشأن، وأما الذي قبلها فعلى معنى لكن أنا أقول ومن هذه الفرقة، من قرأ «لكننا» ، على حذف الهمزة وتخفيف النونين، وفي هذا نظر، وأما من قرأ «لكننا» ، فأصله عنده لكن أنا: حذفت الهمزة على غير قياس، وأدغمت النون في النون، وقد قال بعض النحويين: نقلت حركة الهمزة إلى النون فجاء لكننا، ثم أدغمت بعد ذلك فجاء «لكنا» ، فرأى بعض القراء أن بالإدغام استغني عن الألف الأخيرة، فمنهم من حذفها في الوصل، ومنهم من أثبتها في الوصل والوقف، ليدل على أصل الكلمة، ويتوجه في لكنا أن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا وضربنا» ، ووقع الإدغام لاجتماع المثلين، ثم وجد في ربي على المعنى، ولو اتبع اللفظ لقال ربنا ذكره أبو علي، ويترجح بهذا التعليل قول من أثبت الألف في حال الوصل، والوقف، ويتوجه في لكنا أن تكون المشهورة من أخوات إن، المعنى: لكن قولي: هو الله ربي، أما أني لا أعرف من يقرأ بها وصلا ووقفا، وذلك يلزم من يوجه هذا الوجه، وروى هارون عن أبي." (١)

٣٣٢. "[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١٨ الى ٢٢]

ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم (١٩) يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢)

ألم تر تنبيه من رؤية القلب، وهذه آية إعلام بتسليم المخلوقات جمع لله وخضوعها، وذكر في الآية كل

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٥١٧/٣

ما عبد الناس إذ في المخلوقات أعظم مما قد ذكر كالرياح والهواء ف من في السماوات الملائكة، ومن في الأرض من عبد من البشر، والشمس كانت تعبدها حمير وهم قوم بلقيس، والقمر كانت كنانة تعبده قاله ابن عباس، وكانت تميم تعبد الدبران، وكانت لخم تعبد المشتري، وكانت طيء تعبد الثريا وكانت قريش تعبد الشعرى، وكانت أسد تعبد عطارد، وكانت ربيعة تعبد المرزم، والجبال والشجر منها النار وأصنام الحجارة والخشب، والدواب فيها البقر وغير ذلك مما عبد من الحيوان كالديك ونحوه، و «السجود» في هذه الآية هو بالخضوع والانقياد للأمر كما قال الشاعر «ترى الأكم فيه سجدا للحوافر» . وهذا مما يتعذر فيه السجود المتعارف، وقال مجاهد: سجود هذه الأشياء هو بظلالها، وقال بعضهم سجودها هو بظهور الصنعة فيها. ع: وهذا وهم وإنما خلط هذه الآية بآية التسبيح وهناك يحتمل أن يقال هي بآثار الصنعة، وقوله تعالى: وكثير حق عليه العذاب يحتمل أن يكون معطوفا على ما تقدم، أي وكثير حق عليه العذاب يسجد، أي كراهية وعلى رغمه إما بظله وإما بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك، قاله مجاهد، وقال: سجوده بظله ويحتمل أن يكون رفعا بالابتداء مقطوعا مما قبله وكأن الجملة معادلة لقوله وكثير من الناس لأن المعنى أنهم مرحومون بسجودهم ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك ومن يهن الله الآية وقرأ جمهور الناس «من مكرم» بكسر الراء، وقرأ ابن أبي عبلة بفتح الراء على معنى من موضع كرامة أو على أنه مصدر كمدخل، وقرأ الجمهور «والدواب» مشددة الباء، وقرأ الزهري وحده بتخفيف الباء وهي قليلة ضعيفة وهي تخفيف **على غير قياس** كما قالوا ظلت وأحست وكما قال علقمة: [البسيط]

كأن إبريقهم ظبي على شرف ... مفدم بسبا الكتان ملثوم

أراد بسبائب الكتان وأنشد أبو علي في مثله: [الكامل]

حتى إذا ما لم أجد غير الشر ... كنت امرأ من مالك بن جعفر

وهذا باب إنما يستعمل في الشعر فلذلك ضعفت هذه القراءة وقوله تعالى: هذان خصمان الآية، اختلف الناس في المشار إليه بقوله هذان فقال قيس بن عباد وهلال بن يساف: نزلت هذه الآية في المتبارزين يوم بدر وهم ستة: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، برزوا لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى، وأقسم أبو ذر على هذا القول ع ووقع أن الآية فيهم في صحيح البخاري، وقال ابن عباس: الإشارة." (١)

٣٣٣. "والمخبتين المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون وإذا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١١٣/٤

ظلموا لم ينتصروا.

قال القاضي أبو محمد: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر الله، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، وقرأ الجمهور «الصلاة» بالخفض، وقرأ ابن أبي إسحاق «الصلاة» بالنصب على توهم النون وأن حذفها للتخفيف، ورويت عن أبي عمرو، وقرأ الأعمش «والمقيمين الصلاة» بالنون والنصب في «الصلاة» ، وقرأ الضحاك «والمقيم الصلاة» ، وروي أن هذه الآية، قوله وبشر المخبتين نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

قوله عز وجل:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

البدن جمع بدنة وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة، قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن، وقيل بل هذا الاسم خاص بالإبل، وقالت فرقة البدن جمع بدن بفتح الدال والباء ثم اختلفت، فقال بعضها البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الإبل والبقر، ويقال للمسلمين من الرجال بدن، وقال بعضها البدن جمع بدنة كثمرة وثمر، وقرأ الجمهور «والبدن» ساكنة الدال، وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وابن أبي إسحاق «البدن» بضم الدال، فيحتمل أن يكون جمع بدنة كثمر، وعدد الله تعالى في هذه الآية نعمته على الناس في هذه البدن، وقد تقدم القول في «الشعائر» ، و «الخير» قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة، وقوله، عليها يريد عند نحرها، وقرأ جمهور الناس «صواف» بفتح الفاء وشدها جمع صافة أي مصطفة في قيامها، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري وشقيق وسليمان التيمي والأعرج «صوافي» جمع صافية أي خالصة لوجه الله تعالى لا شركة فيها لشيء كما كانت الجاهلية تشرك، وقرأ الحسن أيضا «صواف» بكسر الفاء وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت الياء تخفيفا على غير قياس وفي هذا نظر، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن علي «صوافن» بالنون جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب، والصافن من الخيل الرافع لفراهيته إحدى يديه وقيل إحدى رجنيه ومنه قوله تعالى: الصافنات الجياد [ص: ٣١] .

وقال عمرو بن كلثوم:

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا." [1]

٣٣٤.	"قوله عز وجل:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٠ الى ٤٤]

قال عما قليل ليصبحن نادمين (٤٠) فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين (٤١) ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (٤٢) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٤٣) ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون (٤٤)

المعنى قال الله لهذا النبي الداعي عما قليل يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم، ومن ذكر الصيحة ذهب الطبري إلى أنهم قوم ثمود، وقوله بالحق معناه بما استحقوا من أفعالهم وبما حق منا في عقوبتهم، و «الغثاء» ما يحمله السيل من زبده ومعتاده الذي لا ينتفع به فيشبه كل هامد وتالف بذلك و «بعدا» منصوب بفعل مضمر متروك إظهاره ثم أخبر تعالى عن أنه «أنشأ» بعد هؤلاء أمما كثيرة كل أمة بأجل في كتاب لا تتعداه في وجودها وعند موتها وتترا مصدر بمنزلة فعلى مثل الدعوى والعدوى ونحوها، وليس تترى بفعل وإنما هو مصدر من تواتر الشيء، وقرأ الجمهور «تترا» كما تقدم ووقفهم بالألف، وحمزة والكسائي يميلانها، قال أبو حاتم هي ألف تأنيث، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «تترا» بالتنوين ووقفهما بالألف وهي ألف إلحاق قال ابن سيده يقال جاءو «تترا وتترا» أي متواترين التاء مبدلة من الواو **على غير قياس** لأن قياس إبدال الواو تاء إنما هو في افتعل وذلك نحو اتزر واتجه، وقوله أتبعنا بعضهم بعضا أي في الإهلاك، وقوله وجعلناهم أحاديث يريد أحاديث مثل، وقلما يستعمل الجعل حديثا إلا في الشر.

قوله عز وجل:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٥ الى ٤٨]

ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين (٤٥) إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين (٤٦) فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٤٧) فكذبوهما فكانوا من المهلكين (٤٨)

ثم هنا على بابها لترتيب الأمور واقتضاء المهلة، و «الآيات» التي جاء بها موسى وهارون هي اليد والعصا اللتان اقترن بهما التحدي وهما «السلطان المبين» ، ويدخل في عموم اللفظ سائر آياتهما كالبحر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٢٢/٤

والمرسلات الست، وأما غير ذلك مما جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني إسرائيل. و «الملأ» هنا الجمع يعم الأشراف وغيرهم، و «استكبروا» ، معناه عن الإيمان بموسى وأخيه لأنهم أنفوا من ذلك، وعالين، معناه قاصدين للعلو بالظلم والكبرياء، وقوله عابدون معناه خامدون متذللون، ومن هنا قيل لعرب الحيرة العباد لأنهم دخلوا من بين العرب في طاعة كسرى، هذا أحد القولين في تسميتهم والطريق المعبد المذلل وعلو هؤلاء هو الذي ذكر الله تعالى في قوله تلك." (١)

٣٣٥. "يتحدثون بغزو العرب المدينة وبأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيغلب، ونحو هذا مما يرجفون به نفوس المؤمنين، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف مفترقة بعضها من بعض، ويحتمل أن تكون داخلة في جملة المنافقين، لكنه نص على هاتين الطائفتين وهو قد ضمهم عموم لفظة النفاق تنبيها عليهم وتشريدا بهم وغضا منهم، و «نغرينك» معناه نحضك عليهم بعد تعيينهم لك، قال ابن عباس المعنى لنسلطنك عليهم، وقال قتادة لنحرشنك بهم، وقوله تعالى: ثم لا يجاورونك فيها أي بعد الإغراء لأنك تنفيهم بالإخافة والقتل، وقوله إلا قليلا يحتمل أن يريد إلا جوارا قليلا أو وقتا قليلا، ويحتمل أن يريد إلا عددا قليلا، كأنه قال إلا أقلاء، وقوله تعالى: ملعونين يجوز أن ينتصب على الذم قاله الطبري، ويجوز أن يكون بدلا من أقلاء الذي قدرناه قبل في أحد التأويلات، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يجاورونك كأنه قال ينتفون ملعونين، فلما تقدر لا يجاورونك تقدير ينتفون، حسن هذا، واللعنة الإبعاد، وثقفوا معناه حصروا وقدر عليهم، وأخذوا معناه أسروا، والأخيذ الأسير ومنه قول العرب أكذب من الأخيذ الصيحان، وقرأ جمهور الناس «وقتلوا» بشد التاء، ويؤيد هذا المصدر بعدها، وقرأت فرقة بتخفيف التاء والمصدر على هذه القراءة **على غير قياس**، قال الأعمش كل ما في القرآن غير هذا الموضع فهو «قتلوا» بالتخفيف، وقوله تعالى: سنة الله نصب على المصدر، ويجوز فيه الإغراء على بعد، والذين خلوا هم منافقو الأمم وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا أي من مغالب يستقر تبديله فيخرج على هذا تبديل العصاة والكفرة، ويخرج عنه أيضا ما يبدله الله من سنة بسنة بالنسخ.

قوله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٣ الى ٦٨]

يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤) خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٤/١٤٤

ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨)
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة متى هي فلم يجب في ذلك بشيء، ونزلت الآية آمرة بأن يرد العلم فيها إلى الله تعالى إذ هي من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، ثم توعد العالم بقربها في قوله وما يدريك الآية، أي فينبغي أن تحذر، وقريبا ظرف لفظه واحد جمعا، وإفرادا، ومذكرا ومؤنثا، ولو كان صفة للساعة لكان قريبة، ثم توعد تعالى الكافرين بعذاب لا ولي لهم منه ولا ناصر، وقوله تعالى: يوم يجوز أن يكون متعلقا بما قبله والعامل يجدون، وهذا تقدير الطبري، ويجوز أن يكون العامل فيه يقولون ويكون ظرفا للقول.
وقرأ الجمهور «تقلب وجوههم» على المفعول الذي لم يسم فاعله بضم التاء وشد اللام المفتوحة، وقرأ أبو حيوة «تقلب» بفتح التاء بمعنى تتقلب، وقرأ ابن أبي عبلة «تتقلب» بتاءين، وقرأ خارجة وأبو حيوة «نقلب» بالنون، وقرأ عيسى بن عمر الكوفي «تقلب» بكسر اللام وضم التاء أي تقلب السعير. وبنصب الوجوه في." (١)

٣٣٦. "كأن السحاب دوين السما ... نعام تعلق بالأرجل

وقرأ أبو عمرو بخلاف وعيسى «الإبل» بشد اللام وهي السحاب فيما ذكر قوم من اللغويين والنقاش، وقرأ الجمهور «خلقت» بفتح القاف وضم الخاء، وقرأ علي بن أبي طالب «خلقت» بفتح الخاء وسكون القاف على فعل التكلم، وكذلك رفعت ونصبت «وسطحت» ، وقرأ أبو حيوة «رفعت» و «نصبت» و «سطحت» بالتشديد فيها، ونصبت معناه: أثبتت قائمة في الهواء لا تنتطح، وقرأ الجمهور «سطحت» ، وقرأ هارون الرشيد «سطحت» بشد الطاء على المبالغة، وهي قراءة الحسن، وظاهر هذه الآية أن الأرض سطح لا كرة، وهو الذي عليه أهل العلم، والقول بكريتها وإن كان لا ينقص ركنا من أركان الشرع، فهو قول لا يثبته علماء الشرع، ثم أمر تعالى نبيه بالتذكير بهذه الآية ونحوها، ثم نفى أن يكون مصيطرا على الناس، أي قاهرا جاهدا لهم مع تكبر تسلطا عليهم، يقال تسيطر علينا فلان، وقرأ بعض الناس «بمسيطر» بالسين وبعضهم بالصاد، وقد تقدم وقرأ هارون «بمصيطر» بفتح الطاء وهي لغة تميم وليس في كلام العرب على هذا البناء غير مسيطر ومبيطر ومبيقر ومهيمن. وقوله تعالى: إلا من تولى وكفر قال بعض المتأولين الاستثناء متصل والمعنى إلا من تولى فإنك مصيطر عليه فالآية على هذا لا نسخ فيها وقال آخرون منهم:
الاستثناء منفصل، والمعنى لست عليهم بمصيطر وتم الكلام. وهي آية موادعة منسوخة بالسيف ثم قال إلا من تولى وكفر فيعذبه الله، وهذا هو القول الصحيح لأن السورة مكية، والقتال إنما نزل بالمدينة، ومن بمعنى الذي. وقرأ ابن عباس وزيد بن أسلم وقتادة وزيد بن على «ألا من تولى» بفتح الهمزة على معنى:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٤٠٠/٤

استفتاح الكلام، ومن على هذه القراءة شرطية، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة لأنهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقتل وغيره، وقرأ ابن مسعود «فإنه يعذبه الله» وقرأ الجمهور «إيابهم» مصدر من آب يؤوب إذا رجع، وهو الحشر، والمراد إلى الله، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «إيابهم» بشد الياء على وزن فعال بكسر الفاء أصله فيعال من أيب فعل أصله فيعل، ويصح أن يكون أوب فيجيء إيوابا، وسهلت الهمزة وكان اللازم في الإدغام يردها أوابا، لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس**. (انتهى) .." [(١)]

٣٣٧. "الذي لا يكون إلا في الأسماء. الثالث: ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما، نحو الكاف في قول الشاعر «١» :

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا

أي بمثل ابن الماء أو ما كان مثله. الخامسة عشر ايم، وزنه افع، والذاهب منه الواو لأنه من سموت، وجمعه أسماء، وتصغيره سمي. واختلف في تقدير أصله، فقيل: فعل، وقيل: فعل. قال الجوهري: وأسماء يكون جمعا لهذا الوزن، وهو مثل جذع وأجذع، وقفل وأقفال، وهذا لا تدرك صيغته إلا بالسماع. وفيه أربع لغات: إسم بالكسر، وأسم بالضم. قال أحمد بن يحيى: من ضم الألف أخذه من سموت أسمو، ومن كسر أخذ من سمت أسمي. ويقال: سم وسم، وينشد:

والله أسماك سما مباركا ... آثرك الله به إيثاركا

وقال آخر:

وعامنا أعجبنا مقدمه ... يدعى أبا السمح وقرضاب سمه

مبتركا «٢» لكل عظم يلحمه

قرصب الرجل: إذا أكل شيئا يابسا، فهو قرضاب." سمه" بالضم والكسر جميعا. ومنه قول الآخر:

باسم الذي في كل سورة سمه

وسكنت السين من" باسم" اعتلالا «٣» **على غير قياس**، وألفه ألف وصل، وربما جعلها الشاعر ألف قطع للضرورة، كقول الأحوص:

وما أنا بالمخسوس في جذم مالك ... ولا من تسمى ثم يلتزم الاسما «٤»

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٥/٤٧٥

(١) . هو امر القيس. وتمام البيت وشرحه يأتي في ص ٢١١ من هذا الجزء.

(٢) . رجل مبترك: معتمد على الشيء ملح. ويلحمه: ينزع عنه اللحم.

(٣) . كان الأصل اسم نقاب حركة الهمزة إلى السين ثم حذفت الهمزة ولما وصلت الباء به سكنت السين تخفيفا.

(٤) . المخسوس: المرذول. وجذم كل شي: أصله. ومالك: جد أعلى للشاعر. [.....]."[١]

٣٣٨. "وسيئت. وكذلك روى هشام عن ابن عباس «١» ، ورويس «٢» عن يعقوب. وأشم منها نافع سيئ وسيئت خاصة. وزاد ابن ذكوان: حيل وسيق، وكسر الباقون في الجميع. فأما هذيل وبنو دبير من أسد وبني فقعس فيقولون:" قول" بواو ساكنة. قوله: (لا تفسدوا) " لا" نهي. والفساد ضد الصلاح، وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها. فسد الشيء يفسد فسادا وفسودا وهو فاسد وفسيد. والمعنى في الآية: لا تفسدوا في الأرض بالكفر وموالاة أهله، وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. وقيل: كانت الأرض قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيها الفساد، ويفعل فيها بالمعاصي، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع الفساد وصلحت الأرض. فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، كما قال في آية أخرى:" ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها «٣» " [الأعراف: ٥٦] . قوله:" في الأرض" الأرض مؤنثة، وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال أرضة، ولكنهم لم يقولوا. والجمع أرضات، لأنهم قد يجمعون المؤنث الذي ليست فيه هاء التأنيث بالتاء كقولهم: عرسات. ثم قالوا أرضون فجمعوا بالواو والنون، والمؤنث لا يجمع بالواو والنون إلا أن يكون منقوصا كثبة وظبة، ولكنهم جعلوا الواو والنون عوضا من حذفهم الألف والتاء وتركوا فتحة الراء على حالها، وربما سكنت. وقد تجمع على أروض. وزعم أبو الخطاب أنهم يقولون: أرض وآراض، كما قالوا: أهل وآهال. والأراضي أيضا **على غير قياس**، كأنهم جمعوا آرضا. وكل ما سفل فهو أرض. وأرض أريضة، أي زكية بينة الأراضة. وقد أرضت بالضم، أي زكت. قال أبو عمرو: نزلنا أرضا أريضة، أي معجبة للعين، ويقال: لا أرض لك، كما يقال: لا أم لك. والأرض: أسفل قوائم الدابة، قال حميد يصف فرسا:

ولم يقلب أرضها البيطار ... ولا لحبليه بها حبار

---

(١) . في نسخة: (ابن عامر) . [.....]

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١/١٠٠

(٢) . رويس (كزبير) محمد بن المتوكل القارئ، راوي يعقوب ابن إسحاق.

(٣) . راجع ج ٧ ص ٢٢٦." [١]

٣٣٩. "[سورة النحل (١٦) : آية ١١]

ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١)

قوله تعالى: (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) قرأ أبو بكر عن عاصم" ننبت" بالنون على التعظيم. العامة بالياء على معنى ينبت الله لكم، يقال: ينبت الأرض وأنبتت بمعنى، ونبت البقل وأنبت بمعنى. وأنشد الفراء:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا بها حتى إذا أنبت البقل

أي نبت. وأنبته الله فهو منبوت، **على غير قياس**. وأنبت الغلام نبتت عانته. ونبت الشجر غرسه «١» ، يقال: نبت أجلك بين عينيك. ونبت الصبي تنبيتا ربيته. والمنبت موضع النبات، يقال: ما أحسن نابتة بني فلان، أي ما ينبت عليه أموالهم وأولادهم. ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار. وإن بني فلان لنابتة شر. والنوابت من الاحادث الأغمار. والنبيت حي «٢» من اليمن. والينبوت «٣» شجر، كله عن الجوهري. (والزيتون) جمع زيتونة. ويقال للشجرة نفسها: زيتونة، وللثمرة زيتونة. وقد مضى في سورة" الأنعام" «٤» حكم زكاة هذه الثمار فلا معنى للإعادة. (إن في ذلك) الإنزال والإنبات. (لآية) أي دلالة (لقوم يتفكرون) .

[سورة النحل (١٦) : آية ١٢]

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢)

قوله تعالى: (وسخر لكم الليل والنهار) أي للسكون والأعمال، كما قال:" ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله «٥» ". (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار والزرع والاهتداء بالنجوم في الظلمات. وقرا (ابن عباس «٦» و) ابن عامر وأهل الشام" والشمس والقمر والنجوم مسخرات"

---

(١) . في ج: بنبت الشجر غرسته. [.....]

(٢) . أبو حي من اليمن واسمه عمرو بن مالك.

(٣) . الذي في القاموس: الينبوت شجر الخشخاش أو شجر آخر الخروب.

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١/٢٠٢

(٤) . راجع ج ٧ ص ٩٩ فما بعدها.

(٥) . راجع ج ١٣ ص ٣٠٨.

(٦) . في ج.." [1]

٣٤٠. "حديثها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار". ففي هذا الحديث ما يدل على أن البنات بلية، ثم أخبر أن في الصبر عليهن والإحسان إليهن ما يقي من النار. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" إن الله عز وجل قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار". وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو" وضم أصابعه، خرجهما أيضا مسلم رحمه الله! وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من كانت له بنت فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له سترا أو حجابا من النار". وخطب إلى عقيل بن علفة ابنته الجرباء فقال:

إني وإن سيق إلي المهر ... ألف وعبدان وخور «١» عشر

أحب أصهاري إلي القبر

وقال عبد الله بن طاهر:

لكل أبي بنت يراعى شئونها ... ثلاثة أصهار إذا حمد الصهر

فبعل يراعيها وخدر يكنها ... وقبر يواريها وخيرهم القبر

(ألا ساء ما يحكمون) أي في إضافة البنات إلى خالقهم وإضافة البنين إليهم. نظيره" ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذا قسمة ضيزى " أي جائرة، وسيأتي «٢» .

---

(١) . الخور: جمع خوارة **على غير قياس،**. هي الناقة الغزيرة اللبن.

(٢) . راجع ج ١٧ ص ١٠٢.." [2]

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٠/٨٣

(٢) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٠/١١٨

٣٤١. "وجدنا أبانا كان حل ببلدة

البيت. وقيل:" مكانا سوى ٢٠: ٥٨" أي قصدا، وأنشد صاحب هذا القول:

لو تمنت حبيبتي ما عدتني ... أو تمنيت ما عدوت سواها

وتقول: مررت برجل سواك وسواك وسوائك أي غيرك. وهما في هذا الأمر سواء وإن شئت سواءان. وهم سواء للجميع وهم أسواء، وهم سواسية مثل ثمانية **على غير قياس**. وانتصب" مكانا" على المفعول الثاني ل"- جعل". ولا يحسن انتصابه بالموعد على أنه مفعول أو ظرف له، لأن الموعد قد وصف، والأسماء التي تعمل عمل الأفعال إذا وصفت أو صغرت لم ينبغ «١» أن تعمل لخروجها عن شبه الفعل، ولم يحسن حمله على أنه ظرف وقع موقع المفعول الثاني، لأن الموعد إذا وقع بعده ظرف لم تجره العرب مجرى المصادر مع الظروف، لكنهم يتسعون فيه كقوله تعالى:" إن موعدهم الصبح" «٢» [هود: ٨١] و" موعدكم يوم الزينة ٢٠: ٥٩". واختلف في يوم الزينة، فقيل هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه، قاله قتادة والسدي وغيرهما. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: كان يوم عاشوراء. وقال سعيد بن المسيب: يوم سوق كان لهم يتزينون فيها، وقاله قتادة أيضا. وقال الضحاك: يوم السبت. وقيل: يوم النيروز، ذكره الثعلبي. وقيل: يوم يكسر فيه الخليج، وذلك أنهم كانوا يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون، وعند ذلك تأمن الديار المصرية من قبل النيل. وقرأ الحسن والأعمش وعيسى الثقفي والسلمي وهبيرة عن حفص" يوم الزينة" بالنصب. ورويت عن أبي عمرو، أي في يوم الزينة إنجاز موعدنا. والباقون بالرفع على أنه خبر الابتداء. (وأن يحشر الناس ضحى) ٢٠: ٥٩ أي وجمع الناس، ف"- أن" في موضع رفع على قراءة من قرأ:" يوم" بالرفع. وعطف" وأن يحشر ٢٠: ٥٩" يقوي قراءة الرفع، لأن" أن" لا تكون ظرفا، وإن كان المصدر الصريح يكون ظرفا كمقدم الحاج، لأن من قال: آتيك مقدم الحاج لم يقل آتيك أن يقدم الحاج. النحاس: وأولى من هذا أن يكون في موضع خفض عطفا على الزينة. والضحى مؤنثة تصغرها العرب بغير هاء لئلا يشبه تصغيرها ضحوة، قاله النحاس. وقال الجوهري:

---

(١) . كذا في جميع الأصول.

(٢) . راجع ج ٩ ص ٢٨١.." [1]

٣٤٢. "الثانية- اختلف العلماء في البدن هل تطلق على غير الإبل من البقر أم لا، فقال ابن مسعود وعطاء والشافعي: لا. وقال مالك وأبو حنيفة: نعم. وفائدة الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد البدنة أو لم يقدر عليها وقدر على البقرة، فهل تجزيه أم لا، فعلى مذهب الشافعي وعطاء لا تجزيه. وعلى مذهب

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١١/٢١٣

مالك تجزيه. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء، لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة: (من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة) الحديث. فتفريقه عليه السلام بين البقرة والبدنة يدل على أن البقرة لا يقال عليها بدنة، والله أعلم. وأيضا قوله تعالى:" فإذا وجبت جنوبها" يدل على ذلك، فإن الوصف خاص بالإبل. والبقر يضجع ويذبح كالغنم، على ما يأتي. ودليلنا أن البدنة مأخوذة من البدانة وهو الضخامة، والضخامة توجد فيهما جميعا. وأيضا فإن البقرة في التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم بمنزلة الإبل، حتى تجوز البقرة في الضحايا على سبعة كالإبل. وهذا حجة لأبي حنيفة حيث وافقه الشافعي على ذلك، وليس ذلك في مذهبنا. وحكى ابن شجرة أنه يقال في الغنم بدنة، وهو قول شاذ. والبدن هي الإبل التي تهدى إلى الكعبة. والهدي عام في الإبل والبقر والغنم. الثالثة- قوله تعالى: (من شعائر الله) نص في أنها بعض الشعائر. وقوله: (لكم فيها خير) يريد به المنافع التي تقدم ذكرها. والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة. الرابعة- قوله تعالى: (فاذكروا اسم الله عليها صواف) أي انحروها على اسم الله. و" صواف" أي قد صفت قوائمها. والإبل تنحر قياما معقولة. وأصل هذا الوصف في الخيل، يقال: صفن الفرس فهو صافن إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبك الرابعة، والسنبك طرف الحافر. والبعير إذا أرادوا نحره تعقل إحدى يديه فيقوم على ثلاث قوائم. وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري:" صوافي" أي خوالص لله عز وجل لا يشركون به في التسمية على نحرها أحدا. وعن الحسن أيضا" صواف" بكسر الفاء وتنوينها مخففة، وهي بمعنى التي قبلها، لكن حذفت الياء تخفيفا **على غير قياس**.." (١)

٣٤٣. "الركن فأمر بها فدسمت بالقباطي «١» والمطارف حتى نزحوها، فلما نزحوها انفجرت عليهم. وأخرجه عن أبي الطفيل أن غلاما وقع في بئر زمزم فنزحت. وهذا يحتمل أن يكون الماء تغير، والله أعلم. وروى. شعبة عن مغيرة عن إبراهيم أنه كان يقول: كل نفس سائلة لا يتوضأ منها، ولكن رخص في الخنفساء والعقرب والجراد والجدجد «٢» إذا وقعن في الركاء «٣» فلا بأس به. قال شعبة: وأظنه قد ذكر الوزغة. أخرجه الدارقطني، حدثنا الحسين بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة ... ، فذكره. الثامنة- ذهب الجمهور من الصحابة وفقهاء الأمصار وسائر التابعين بالحجاز والعراق أن ما ولغ فيه الهر من الماء طاهر، وأنه لا بأس بالوضوء بسؤره، لحديث أبي قتادة، أخرجه مالك وغيره. وقد روي عن أبي هريرة فيه خلاف. وروي عن عطاء بن أبي رباح وسعيد ابن المسيب ومحمد بن سيرين أنهم أمروا بإراقة ماء ولغ فيه الهر وغسل الإناء منه. واختلف في ذلك عن الحسن. ويحتمل أن كون الحسن رأى في فمه نجاسة ليصح مخرج الروايتين عنه. قال الترمذي لما ذكر

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٦١/١٢

حديث مالك:" وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة، هذا حديث حسن صحيح، وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم، مثل الشافعي وأحمد وإسحاق، لم يروا بسؤر الهرة بأسا. وهذا أحسن شي في الباب، وقد جود مالك هذا الحديث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، ولم يأت به أحد أتم من مالك" قال الحافظ أبو عمر: الحجة عند التنازع والاختلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صح من حديث أبي قتادة أنه أصغى لها الإناء حتى شربت. الحديث. وعليه اعتماد الفقهاء في كل مصر إلا أبا حنيفة ومن قال بقوله، فإنه كان يكره سؤره. وقال: إن توضأ به أحد أجزأه، ولا أعلم حجة لمن كره الوضوء بسؤر الهرة أحسن من أنه لم يبلغه حديث أبي قتادة، وبلغه حديث أبي هريرة في الكلب فقاس الهر عليه، وقد فرقت

السنة بينهما في باب

(١) . دسم الشيء يدسمه دسما: سده. والقباطي (بالضم) : ثياب من كتان رقيق يعمل بمصر، نسبة إلى القبط **على غير قياس**. والمطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام.

(٢) . الجدجد كهدهد طوير شبه الجرادة.

(٣) . الركاء (جمع ركوة) : إباء صغير من جلد يشرب فيه الماء.." [١]

٣٤٤. "وقال القرظي: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه. وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: الطاء طور سيناء والسين إسكندرية والميم مكة. وقال جعفر بن محمد بن علي: الطاء شجرة طوبى، والسين سدرة المنتهى، والميم محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: الطاء من الطاهر والسين من القدوس- وقيل: من السميع وقيل: من السلام- والميم من المجيد. وقيل: من الرحيم. وقيل: من الملك. وقد مضى هذا المعنى في أول سورة" البقرة" «١» . والطواسيم والطواسين سور في القرآن جمعت **على غير قياس**. وأنشد أبو عبيدة:

وبالطواسيم التي قد ثلثت ... وبالحواميم التي قد سبعت

قال الجوهري: والصواب أن تجمع بذوات وتضاف إلى واحد، فيقال: ذوات طسم وذوات حم. قوله تعالى: (تلك آيات الكتاب المبين) رفع على إضمار مبتدأ أي هذه" تلك آيات الكتاب المبين" التي كنتم وعدتم بها، لأنهم قد وعدوا في التوراة والإنجيل بإنزال القرآن. وقيل:" تلك" بمعنى هذه. (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك ومهلكها. وقد مضى في" الكهف" «٢» بيانه. (ألا يكونوا مؤمنين) أي لتركهم الإيمان. قال الفراء:" أن" في موضع نصب، لأنها جزاء. قال النحاس: وإنما يقال: بإن مكسورة لأنها جزاء، كذا المتعارف. والقول في هذا ما قاله أبو إسحاق في كتابه في القرآن، قال:" أن"

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٤٧/١٣

في موضع نصب مفعول من أجله، والمعنى لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان. (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية) أس معجزة ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية، ولكن سبق القضاء بأن تكون المعارف نظرية وقال أبو حمزة الثمالي في هذه الآية: صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان، تخرج به العواتق من البيوت وتضج له الأرض. وهذا فيه بعد، لأن المراد قريش لا غيرهم. (فظلت أعناقهم) أي فتظل أعناقهم (لها خاضعين) قال مجاهد: أعناقهم كبراؤهم، وقال النحاس: ومعروف في اللغة، يقال: جاءني عنق من الناس أي رؤساء منهم. أبو زيد والأخفش:" أعناقهم" جماعاتهم،

---

(١) . راجع ج ١ ص ١٥٤.

(٢) . راجع ج ١٠ ص ٣٤٨.." (١)

٣٤٥. "وأصلها من: نسأت الغنم أي زجرتها وسقتها، فسميت العصا بذلك لأنه يزجر بها الشيء ويساق. وقال طرفة:

أمون كألواح الإران نسأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد «١»

فسكن همزها. قال النحاس: واشتقاقها يدل على أنها مهموزة، لأنها مشتقة من نسأته أي أخرته ودفعته فقيل لها منسأة لأنها يدفع بها الشيء ويؤخر. وقال مجاهد وعكرمة

: هي العصا، ثم قرأ" منساته" أبدل من الهمزة ألفا، فإن قيل: البدل من الهمزة قبيح جدا وإنما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ، وأبو عمرو بن العلاء لا يغيب عنه مثل هذا لا سيما وأهل المدينة على هذه القراءة. فالجواب على هذا أن العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها هكذا كما يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه حتى قال أبو عمور: ولست أدري ممن هو إلا أنها غير مهموزة لأن ما كان مهموزا فقد يترك همزه وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه. المهدوي: ومن قرأ بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد، لأن هاء التأنيث لا يكون ما قبلها إلا متحركا أو ألفا، لكنه يجوز أن يكون ما سكن من المفتوح استخفافا، ويجوز أن يكون لما أبدل الهمزة ألفا **على غير قياس** قلب الألف همزة كما قلبوها في قولهم العألم والخأتم، وروي عن صعيد بن جبير" من" مفصولة" سأته" مهموزة مكسورة التاء، فقيل: إنه من سئة القوس في لغة من همزها، وقد روي همزسية القوس عن رؤبة. قال الجوهري: سية القوس ما عطف من طرفيها، والجمع سيات، والهاء عوض من الواو، والنسبة إليها سيوي. قال أبو عبيدة: كان رؤبة يهمز" سية القوس" وسائر العرب لا يهمزونها. وفي دابة الأرض قولان: أحدهما- أنها أرضة، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وقد قرئ" دابة الأرض" بفتح الراء، وهو «٢» جمع الأرضة، ذكره الماوردي.

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٨٩/١٣

الثاني- أنها دابة تأكل العيدان. قال الجوهري: والأرضة (بالتحريك) : دويبة تأكل الخشب، يقال: أرضت الخشبة تؤرض أرضا (بالتسكين) فهي مأروضة إذا أكلتها.

---

(١) . الأمون: التي يؤمن عثارها. والاران: تابوت الموتى. واللاحب: الطريق الواضح والبرجد: كساء مخطط

(٢) . في نسخ الأصل: (وهو واحد) .." [1]

٣٤٦. "السلام له ستمائة جناح. وعن الزهري أن جبريل عليه السلام قال له: (يا محمد، لو رأيت إسرافيل إن له لاثني عشر ألف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش لعلى كاهله وإنه في الأحايين ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع والوصع عصفور صغير حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته (. و" أولو" اسم جمع لذو، كما أن هؤلاء اسم جمع لذا، ونظيرهما في المتمكنة: المخاض «١» والخلفة. وقد مضى الكلام في" مثنى وثلاث ورباع" في" النساء" «٢» وأنه غير منصرف. (يزيد في الخلق ما يشاء) أي في خلق الملائكة، في قول أكثر المفسرين، ذكره المهدوي. وقال الحسن:" يزيد في الخلق" أي في أجنحة الملائكة ما يشاء. وقال الزهري وابن جريج: يعني حسن الصوت. وقد مضى القول فيه في مقدمة الكتاب «٣» . وقال الهيثم الفارسي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي، فقال: (أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك جزاك الله خيرا) . وقال قتادة:" يزيد في الخلق ما يشاء" الملاحة في العينين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم. وقيل: الخط الحسن. وقال مهاجر الكلاعي قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا) . وقيل: الوجه الحسن. وقيل في الخبر في هذه الآية: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن، ذكره القشيري. النقاش: هو الشعر الجعد «٤» . وقيل: العقل والتمييز. وقيل: العلوم والصنائع. (إن الله على كل شيء قدير) من النقصان والزيادة. الزمخشري: والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأت «٥» في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف.

---

(١) . المخاض: الحوامل من النوق واحدتها خلقة على غير قياس ولا واحد لها من لفظها كما قالوا لواحدة النساء: امرأة ولواحدة الإبل: ناقة أو بعير.

(٢) . راجع ج ٥ ص ١٥ فما بعد.

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٤/٢٨٠

(٣) . راجع (باب كيفية التلاوة ولكتاب الله تعالى) .

(٤) . ما فيه التواء وتقبض. أو القصير منه.

(٥) . تأتي فلان لحاجته: إذا ترفق لها وأتاها من وجهها.." (١)

٣٤٧. "وقد قال الله عز وجل:" فهي إلى الأذقان" فقد علم أنه يراد به الأيدي." فهم مقمحون" أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق، لأن من علت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه. روى عبد الله بن يحيى: أن علي بن أبي طالب عليه السلام أراهم الإقماح، فجعل يديه تحت لحيته وألصقهما ورفع رأسه. قال النحاس، وهذا أجل ما روي فيه وهو مأخوذ مما حكاه الأصمعي. قال: يقال أقمحت الدابة إذا جذبت لجامها لترفع رأسها. قال النحاس: والقاف مبدلة من الكاف لقربها منها. كما يقال: قهرته وكهرته. قال الأصمعي: يقال أكمحت الدابة إذا جذبت عنانها حتى ينتصب رأسها. ومنه قول الشاعر:

... والرأس مكمح «١»

ويقال: أكمحتها وأكفحتها وكبحتها، هذه وحدها بلا ألف عن الأصمعي. وقمح البعير قموحا إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب، فهو بعير قامح وقمح، يقال: شرب فتقمح وانقمح بمعنى إذا رفع رأسه وترك الشرب ريا. وقد قامحت إبلك: إذا وردت ولم تشرب، ورفعت رأسها من داء يكون بها أو برد. وهي إبل مقامحة، وبعير مقامح، وناقة مقامح أيضا، والجمع قماح **على غير قياس**، قال بشر يصف سفينة:

ونحن على جوانبها قعود ... ونغض الطرف كالإبل القماح

والإقماح: رفع الرأس وغض البصر، يقال: أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعا من ضيقه. وشهرا قماح: أشد ما يكون من البرد، وهما الكانونان

سميا بذلك، لأن الإبل إذا وردت آذاها برد الماء فقامحت رءوسها، ومنه قمحت «٢» السويق. وقيل: هو مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم من الهدى كامتناع المغلول، قال يحيى بن سلام وأبو عبيدة. وكما يقال: فلان حمار، أي لا يبصر الهدى. وكما قال:

لهم عن الرشد أغلال وأقياد

---

(١) . للبيت الذي الرمة وتمامه:

تمور بضبعيها وترمى بجوزها ... وحذارا من الإيعاد والرأس مكمح

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٤/٣٢٠

(٢) . قمح السويق (بكسر الميم) إذا استفه.." (١)

٣٤٨. "وهي السويق وليس من قبيل القوة، قاله الترمذي الحكيم" فأقبلوا إليه يزفون" قرأ حمزة" يزفون" بضم الياء. الباقون بفتحها. أي يسرعون، قاله ابن زيد. قتادة والسدي: يمشون. وقيل: المعنى يمشون بجمعهم على مهل آمنين أن يصيب أحد آلهتهم بسوء. وقيل: المعنى يتسللون تسللا بين المشي والعدو، ومنه زفيف النعامة. وقال الضحاك: يسعون وحكى يحيى بن سلام: يرعدون غضبا. وقيل: يختالون وهو مشي الخيلاء، قاله مجاهد. ومنه أ، خذ زفاف العروس إلى زوجها. وقال الفرزدق:

وجاء قريع الشول قبل إفالها ... ويزف وجاءت خلفه وهي زفف «١»

ومن قرأ" يزفون" فمعناه يزفون غيرهم أي يحملونهم على التزفيف. وعلى هذا فالمفعول محذوف. قال الأصمعي: أزففت الإبل أي حملتها على أن تزف. وقيل: هما لغتان يقال: زف القوم وأزفوا، وزففت العروس وأزففتها وازدففتها بمعنى، والمزفة: المحفة التي تزف فيها العروس، حكى ذلك عن الخليل. النحاس:" ويزفون" بضم الياء. زعم أبو حاتم أنه لا يعرف هذه اللغة، وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم: أطردت الرجل أي صيرته إلى ذلك. وطردته نحيته، وأنشد هو وغيره:

تمنى حصين أن يسود جذاعة ... وفأمسى حصين قد أذل وأقهرا «٢»

أي صير إلى ذلك، فكذلك" يزفون" يصيرون إلى الزفيف. قال محمد بن زيد: الزفيف الإسراع. وقال أبو إسحاق: الزفيف أول عدو النعام. وقال أبو حاتم: وزعم الكسائي أن قوما قرءوا" فأقبلوا إليه يزفون" خفيفة، من وزف يزف، مثل وزن يزن. قال النحاس: فهذه حكاية أبي حاتم وأبو حاتم لم يسمع من الكسائي شيئا. وروى الفراء وهو صاحب الكسائي عن الكسائي أنه لا يعرف" يزفون" مخففة. قال الفراء: وأنا لا أعرفها. قال

---

(١) . القريع: الفحل المختار للضراب. الشول من النوق جمع شائلة **على غير قياس**. وهى الناقة التي أتى عليها، حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها. وإفالها: صغارها. ويزف: يعدو. يريد أن القريع يفر من شدة البرد وكذا الافال.

(٢) . البيت للمخبل السعدي يهجو الزبرقان وقومه، وهم المعروفون بالجذاع. والأصمعي يرويه كما في اللسان مادة قهر، قد أذل وأقهرا بالبناء للمعلوم، أي صار أمره الى الذل والقمر.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٨/١٥

(٢) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٩٥/١٥

٣٤٩. "[تفسير سورة غافر]

تفسير سورة غافر وهي سورة المؤمن، وتسمى سورة الطول وهي مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. وعن الحسن إلا قوله:" وسبح بحمد ربك" [غافر: ٥٥] لأن الصلوات نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما" إن الذين يجادلون في آيات الله" [غافر: ٥٦] والتي بعدها. وهي خمس وثمانون آية. وفي مسند الدارمي قال: حدثنا جعفر بن عون عن مسعر عن سعد بن إبراهيم قال: كن الحواميم يسمين العرائس. وروي من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الحواميم ديباج القرآن" وروي عن ابن مسعود مثله. وقال الجوهري وأبو عبيدة: وآل حم سور في القرآن. قال ابن مسعود: آل حم ديباج القرآن. قال الفراء: إنما هو كقولك آل فلان وآل فلان كأنه نسب السورة كلها إلى حم، قال الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية ... - تأولها منا تقي ومعزب «١»

قال أبو عبيدة: هكذا رواها الأموي بالزاي، وكان أبو عمرو يرويها بالراء. فأما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب. وقال أبو عبيدة: الحواميم سور في القرآن **على غير قياس**، وأنشد

وبالحواميم التي قد سبغت «٢»

قال: والأولى أن تجمع بذوات حم. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لكل شي ثمرة وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضا ت حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم". وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب" ذكرها الثعلبي. وقال أبو عبيد: وحدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال: رأى رجل سبع جوار حسان مزينات في النوم فقال لمن أنتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن قرأنا نحن الحواميم.

---

(١) . الآية التي ذكرها هي قوله تعالى" قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " يقول الشاعر: من تأول هذه الآية لم يسعه الا التشيع لال النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم، وإبداء. المودة. وتقى: ساكت عنه للتقية. ويروى: تقى معرب، كمكلم أي مبين لما في نفسه.

(٢) . صدره:

وبالطواسين التي قد ثلثت.." [1]

٣٥٠. "أسماء الله الحسنى (، وكفى في هذا قوله الحق:" ليس كمثله شيء". وقد قال بعض العلماء المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات. وزاد الواسطي رحمه الله بيانا

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٥/٢٨٨

فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة. وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة. رضي الله عنهم!

[سورة الشورى (٤٢) : آية ١٢]

له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)

قوله تعالى:" له مقاليد السماوات والأرض" تقدم في" الزمر" «١» بيانه. النحاس: والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن، يقال للمفتاح: إقليد، وجمعه **على غير قياس**، كمحاسن والواحد حسن." يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم" تقدم أيضا في غير موضع «٢» .

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ١٣ الى ١٤]

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)

---

(١) . راجع ج ١٥ ص ٢٧٤.

(٢) . راجع ج ١ ص ٦٢ ١ طبعة ثانية أو ثالثة. وج ٩ ص ٣١٤." [(١)]

٣٥١. "الناس. وأبو مالك عمرو بن كركرة رجل من علماء اللغة. قال أبو عبيد: وأما الأفلاذ فإن واحدها فلذ، وهي القطعة من الكبد. قال أعشى باهلة:

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويروي شربه الغمر «١»

وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر رضي الله عنه قال: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي للآخرة. ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير! فقال خالد ابن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال: لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام، وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا. وفي صحيح مسلم وغيره أن عمر رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربته «٢» حين هجر نساءه قال: فالتفت فلم أر شيئا يرد البصر إلا أهبا «٣» جلودا معطونة قد

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٩/١٦

سطع ريحها، فقلت: يا رسول الله، أنت رسول الله وخيرته، وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير؟ قال: فاستوى جالسا وقال: (أفي شك أنت يا بن الخطاب. أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا) فقلت: استغفر لي! فقال: (اللهم اغفر له) . وقال حفص بن أبي العاص: كنت أتغدى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت، والخبز والخل، والخبز واللبن، والخبز والقديد، وأقل ذلك اللحم الغريض «٤» . وكان يقول: لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله، فجئ بخبز متفلع «٥» غليظ، فجعل يأكل ويقول: كلوا، فجعلنا لا نأكل، فقال: ما لكم لا تأكلون؟ فقلنا: والله يا أمير المؤمنين نرجع إلى طعام ألين من طعامك هذا، فقال: يا بن أبي العاص أما ترى بأني عالم أن لو أمرت بعناق «٦» سمينة فيلقى عنها شعرها ثم تخرج مصلية «٧» كأنها كذا وكذا،

---

(١) . الغمر (بضم الأول وفتح الثاني) : القدح الصغير.

(٢) . المشربة (بفتح الميم والراء) : الموضع الذي يشرب منه الناس. (بضم الراء وفتحها) : الغرفة.

(٣) . بضم الهمزة والهاء، وبفتحهما **على غير قياس**، جمع إهاب، وهو الجلد.

(٤) . الغريض: الطري.

(٥) . في نسخة من الأصل:" متقلع" بالقاف. والمتفلع: المشقق. [.....]

(٦) . العناق: الأنثى من ولد المعز، والجمع أعنق وعنوق.

(٧) . الصلاء (بالكسر) : الشواء.." [١]

٣٥٢. "قوله تعالى: (ذواتا أفنان) قال ابن عباس وغيره: أي ذواتا ألوان من الفاكهة الواحد فن. وقال مجاهد: الأفنان الأغصان واحدها فنن، قال النابغة:

بكاء حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني «١»

وقال آخر يصف طائرين:

باتا على غصن بان في ذرى فنن ... يرددان لحونا ذات ألوان

أراد باللحون اللغات. وقال آخر:

ما هاج شوقك من هديل حمامة ... تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف ضاريا ... ذا مخلبين من الصقور قطاما

والفنن جمعه أفنان ثم الأفانين، وقال يصف رحى:

لها زمام من أفانين الشجر

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٦/٢٠١

وشجرة فناء أي ذات أفنان وفنواء أيضا **على غير قياس**. وفي الحديث: (إن أهل الجنة مرد مكحلون أولو أفانين) يريد أولو فنن وهو جمع أفنان، وأفنان جمع فنن [وهو الخصلة «٢»] من الشعر شبه بالغصن. ذكره الهروي. وقيل: (ذواتا أفنان) أي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما، قاله قتادة. وعن مجاهد أيضا وعكرمة: إن الأفنان ظل الأغصان على الحيطان. قوله تعالى: (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية. قال ابن عباس: تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة. وعن ابن عباس أيضا والحسن: تجريان بالماء الزلال، إحدى العينين التسنيم والأخرى السلسبيل. وعنه أيضا:

---

(١) . قبل هذا البيت:

أسائلها وقد سفحت دموعي ... كأن مفيضهن غروب شن

(٢) . الزيادة من النهاية لابن الأثير.." [(١)]

٣٥٣. "سائل، وهو قول زيد بن ثابت. قال الثعلبي: والأول أحسن، كقول الأعشى «١» في تخفيف الهمزة:

سالتاني الطلاق إذ رأتاني ... قل مالي قد جئتماني بنكر

وفي الصحاح: قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. وقد تخفف همزته فيقال: سال يسال. وقال:

ومرهق سال إمتاعا بأصدته ... لم يستعن وحوامي الموت تغشاه «٢»

المرهق: الذي أدرك ليقتل. والأصدة بالضم: قميص صغير يلبس تحت الثوب. المهدوي: من قرأ" سال" جاز أن يكون خفف الهمزة بإبدالها ألفا، وهو البدل **على غير قياس**. وجاز أن تكون الألف منقلبة عن واو على لغة من قال: سلت أسال، كخفت أخاف. النحاس: حكى سيبويه سلت أسال، مثل خفت أخاف، بمعنى سألت. وأنشد:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب «٣»

ويقال: هما يتساولان. المهدوي: وجاز أن تكون مبدلة من ياء، من سال يسيل. ويكون سائل واديا في جهنم، فهمزه سائل على القول الأول أصلية، وعلى الثاني بدل من واو، وعلى الثالث بدل من ياء. القشيري: وسائل مهموز، لأنه إن كان من سأل بالهمز فهو مهموز، وإن كان من غير الهمز كان مهموزا أيضا، نحو قائل وخائف، لأن العين اعتل في الفعل واعتل في اسم الفاعل أيضا. ولم يكن الاعتلال

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٧/١٧٨

بالحذف لخوف الالتباس، فكان بالقلب إلى الهمزة، ولك تخفيف الهمزة حتى تكون بين بين. واقع أي يقع بالكفار بين

---

(١) . لم تجد البيت في شعر الاعشين. وفى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٢٩١، ج ٢ ص ١٧٠) أنه لزيد بن عمرو ابن نفيل القرشي. وعلق عليه الأعلم الشنتمرى أنه يروى لنبيه بن الحجاج.

(٢) . لم يستعن، أي لم يحلق عانته. وحوامي الموت وحوائمه: أسبابه. قال ابن برى: أنشده أبو على الباهلي غيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف رجلا شريفا، ارتث في بعض المعارك فسألهم أن يمتعوه بقميصه، أي لا يسلب. [.....]

(٣) . البيت لحسان بن ثابت.." [1]

٣٥٤. "نصب نعت لمصدر، أي سؤالا كما. و" موسى " في موضع رفع على ما لم يسم فاعله." من قبل": سؤالهم إياه أن يريهم الله جهرة، وسألوا محمدا أن يأتي بالله والملائكة قبيلا. عن ابن عباس ومجاهد: سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبا. وقرأ الحسن" كما سيل"، وهذا على لغة من قال: سلت أسأل، ويجوز أن يكون على بدل الهمزة ياء ساكنة **على غير قياس** فانكسرت السين قبلها. قال النحاس: بدل الهمزة بعيد. والسواء من كل شي: الوسط. قاله أبو عبيدة معمر بن المثنى، ومنه قوله:" في سواء الجحيم". وحكى عيسى بن عمر قال: ما زلت أكتب حتى انقطع سوائي، وأنشد قول حسان يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا ويح أصحاب النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد

وقيل: السواء القصد، عن الفراء، أي ذهب عن قصد الطريق وسمته، أي طريق طاعة الله عز وجل. وعن ابن عباس أيضا أن سبب نزول هذه الآية أن رافع بن خزيمة ووهب بن زيد قالا للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بكتاب من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارا نتبعك.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٠٩ الى ١١٠]

ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير (١٠٩) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير (١١٠)

قوله تعالى:" ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق". فيه مسألتان: الأولى-" ود" تمني، وقد تقدم «١» ." كفارا" مفعول ثان ب"

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٨/ ٢٨٠

يردونكم"." من عند أنفسهم" قيل: هو متعلق ب" ود". وقيل: ب" حسدا"، فالوقف على قوله:" كفارا". و" حسدا" مفعول له، أي ود. ذلك للحسد، أو مصدر دل على ما قبله على الفعل. ومعنى" من عند أنفسهم" أي من

---

(١) . راجع ص ٣٤ من هذا الجزء.." (١)

٣٥٥. "مكة، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شي «١» ، أما ما زاد في طوله فأقره، وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه، فنقضه وأعاده إلى بنائه. في رواية: قال عبد الملك: ما كنت أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها، قال الحارث بن عبد الله: بلى، أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه «٢» فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع (. في أخرى: قال عبد الملك: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير. فهذا ما جاء في بناء الكعبة من الآثار. وروي أن الرشيد ذكر لمالك بن أنس أنه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة، وأن يرده على بناء ابن الزبير لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وامتثله ابن الزبير، فقال له مالك: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك، لا يشاء أحد منهم إلا نقض البيت وبناه، فتذهب هيبته من صدور الناس. وذكر الواقدي: حدثنا معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة يقول،: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد الحميري، وهو تبع، وهو أول من كسا البيت، وهو تبع الآخر. قال ابن إسحاق: كانت تكسى القباطي «٣» ثم كسيت البرد، وأول من كساها الديباج الحجاج. قال العلماء: ولا ينبغي أن يؤخذ من كسوة الكعبة شي، فإنه مهدي إليها، ولا ينقص منها شي. روي عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى به، وكان إذا رأى الخادم يأخذ منه قفدها قفدة «٤» لا يألو أن يوجعها. وقال عطاء: كان أحدنا إذا أراد أن يستشفي به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم أخذه.

---

(١) . قوله: إنا لسنا ... إلخ، قال النووي:" يريد بذلك سبه وعيب فعله، يقال: لطخته أي رميته بأمر قبيح".

(٢) . كان في صحيح مسلم. وفى نسخ الأصل:" تمامه".

(٣) . القباطي (جمع القبطية القاف) : ثياب كتاب بيض رقاق تعمل بمصر، وهى منسوبة إلى القبط

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٧٠/٢

على غير قياس.

(٤) . القفد (بفتح فسكون) : صفع الرأس ببسط الكف من قبل القفا.." [١]

٣٥٦. "يكتب كله. وقيل: معنى" لن يضروا الله شيئا" أي لن يضروا أولياء الله حين تركوا نصرهم إذ كان الله عز وجل ناصرهم. قوله تعالى: (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم) أي نصيبا. والحظ النصيب والجد. يقال: فلان أحظ من فلان، وهو محظوظ. وجمع الحظ أحاظ على غير قياس «١» . قال أبو زيد: يقال رجل حظيظ، أي جديد إذا كان ذا حظ من الرزق. وحظظت في الأمر أحظ. وربما جمع الحظ أحظا. أي لا يجعل لهم نصيبا في الجنة. وهو نص في أن الخير والشر بإرادة الله تعالى.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٧٧]

إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم (١٧٧)

قوله تعالى: (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) تقدم في البقرة «٢» . (لن يضروا الله شيئا) كرر للتأكيد. وقيل: أي من سوء تدبيره استبدال الإيمان بالكفر وبيعه به، فلا يخاف جانبه ولا تدبيره. وانتصب" شيئا" في الموضعين لوقوعه موقع المصدر، كأنه قال: لن يضروا الله ضررا قليلا ولا كثيرا. ويجوز انتصابه على تقدير حذف الباء، كأنه قال: لن يضروا الله بشيء.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٧٨]

ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين (١٧٨)

قوله تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم) الإملاء طول العمر ورغد العيش. والمعنى: لا يحسبن هؤلاء الذين يخوفون المسلمين، فإن الله قادر

---

(١) . قال الجوهري: كأنه جمع أحظ. قال ابن برى: وقوله" أحاظ على غير قياس" وهم منه، بل أحاظ جمع أحظ، وأصله أحظظ فقلبت الظاء الثانية ياء فصارت أحظ، ثم جمعت على أحاظ. (عن اللسان) .

(٢) . راجع ج ١ ص ٢١٠.." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢/١٢٥

(٢) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٤/٢٨٦

٣٥٧. "الثامنة والعشرون- ذكر الله عز وجل في كتابه الكلالة في موضعين آخر السورة وهنا، ولم يذكر في الموضعين وارثا غير الإخوة. فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عنى بها الإخوة للأم، لقوله تعالى: (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) . وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ (وله أخ أو أخت من أمه) . ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة للأب والأم أو الأب ليس ميراثهم كهذا، فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في آخر السورة هم إخوة المتوفى لأبيه وأمه أو لأبيه، لقوله عز وجل (وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين «١») . ولم يختلفوا أن ميراث الإخوة للأم ليس هكذا، فدلت الآيتان أن الإخوة كلهم جميعا كلالة. وقال الشعبي: (الكلالة ما كان سوى الولد والوالد من الورثة إخوة أو غيرهم من العصبة) . كذلك قال علي وابن مسعود وزيد وابن عباس، وهو القول الأول الذي بدأنا به. قال الطبري: والصواب أن الكلالة هم الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده، لصحة خبر جابر: فقلت يا رسول الله إنما يرثني كلالة، أفأوصي بمالي كله؟ قال: (لا) . التاسعة والعشرون- قال أهل اللغة: يقال رجل كلالة وامرأة كلالة. ولا يثنى ولا يجمع، لأنه مصدر كالوكالة والدلالة والسماحة والشجاعة. وأعاد ضمير مفرد في قوله: (وله أخ) ولم يقل لهما. ومضى ذكر الرجل والمرأة على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما وربما أضافت إليهما جميعا، تقول: من كان عنده غلام وجارية فليحسن إليه وإليها وإليهما وإليهم، قال الله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة «٢») . وقال تعالى: (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما «٣») ويجوز أولى بهم، عن الفراء وغيره. ويقال في امرأة: مرأة، وهو الأصل. وأخ أصله أخو، يدل عليه أخوان، فحذف منه وغير **على غير قياس**. قال الفراء ضم أول أخت، لأن المحذوف منها واو، وكسر أول بنت، لأن المحذوف منها ياء. وهذا الحذف والتعليل **على غير قياس** أيضا.

---

(١) . راجع ج ٦ ص ٢٨.
(٢) . راجع ج ١ ص ٣٧١. [.....]
(٣) . راجع ص ٤١٠ من هذا الجزء.." [١]

٣٥٨. "وأخراهم. وأما القول الثالث فخاص، وأخص منه القول الرابع. وأما الخامس فيأباه ظاهر اللفظ وإن كان المعنى صحيحا، فإن العقل لكل فضيلة أس، ولكل أدب ينبوع، وهو الذي جعله الله للدين أصلا وللدنيا عمادا، فأوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، والعاقل أقرب إلى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل. وروى هذا المعنى عن ابن عباس. وزعم قوم أن المراد بأولي

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٥/٧٨

الأمر علي والأئمة المعصومون. ولو كان كذلك ما كان لقوله: (فردوه إلى الله والرسول) معنى، بل كان يقول فردوه إلى الإمام وأولي الأمر، فإن قوله عند هؤلاء هو المحكم على الكتاب والسنة. وهذا قول مهجور مخالف لما عليه الجمهور. وحقيقة الطاعة امتثال الأمر، كما أن المعصية ضدها وهي مخالفة الأمر. والطاعة مأخوذة من أطاع إذا انقاد، والمعصية مأخوذة من عصى إذا اشتد. و (أولو) واحدهم (ذو) على غير قياس كالنساء والإبل والخيل، كل واحد اسم الجمع ولا واحد له من لفظه. وقد قيل في واحد الخيل: خائل وقد تقدم «١» . الثانية- قوله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء) أي تجادلتم واختلفتم، فكأن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها. والنزع الجذب. والمنازعة مجاذبة الحجج، ومنه الحديث (وأنا أقول ما لي ينازعني القرآن «٢») . وقال الأعشى:

نازعتم قضب الريحان متكئا ... وقهوة مزة راووقها «٣» خضل

[الخضل النبات الناعم والخضيلة الروضة «٤»] (في شيء) أي من أمر دينكم. (فردوه إلى الله والرسول) أي ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى رسوله بالسؤال في حياته، أو بالنظر في سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة، وهو الصحيح. ومن لم ير هذا اختل إيمانه، لقوله تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) . وقيل: المعنى قولوا الله ورسوله أعلم، فهذا هو الرد. وهذا

---

(١) . راجع ج ٤ ص ٢٢.

(٢) . في نهاية ابن الأثير ولسان العرب: (مالي أنازع القرآن) . وينازعني: يجاذبني في القراءة، ذلك أن بعض المأمومين جهر خلفه فنازعه قراءته فشغله، فنهاه عن الجهر بالقراءة في الصلاة خلفه.

(٣) . الراووق: المصفاة.

(٤) . الزيادة في ج.." [(١)]

٣٥٩. "وامرأة خمصانة. وقد تقدم «١» . (في سبيل الله) أي في طاعته. (ولا يطؤن موطئا) أي أرضا. (يغيظ الكفار) أي بوطئهم أيا ها، وهو في موضع نصب لأنه نعت للموطئ، أي غائظا. (ولا ينالون من عدو نيلا) أي قتلا وهزيمة. وأصله من نلت الشيء أنال أي أصبت. قال الكسائي: هو من قولهم أمر منيل منه، وليس هو من التناول، إنما التناول من نلته العطية «٢» . قال غيره: نلت أنول من العطية، من الواو والنيل من الياء، تقول: نلته فأنا نائل، أي أدركته. (ولا يقطعون واديا) العرب تقول: واد وأودية على غير قياس. قال النحاس: ولا يعرف فيما علمت فاعل وأفعلة سواه والقياس أن يجمع ووادي فاستثقلوا الجمع بين واوين وهم قد يستثقلون واحدة حتى قالوا: أقتت في وقتت. وحكى الخليل وسيبويه في تصغير واصل اسم رجل أو يصل فلا يقولون غيره. وحكى الفراء في جمع واد أو داء. قلت:

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٥/٢٦١

وقد جمع أوداه قال جرير:

عرفت ببرقة الأوداه رسما ... محيلا طال عهدك من رسوم «٣»

(إلا كتب لهم به عمل صالح) قال ابن عباس: بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعون ألف حسنة. وفي الصحيح: (الخيل ثلاثة ... - وفيه- وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج «٤» أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ...) . الحديث. هذا وهي في مواضعها فكيف إذا أدرب بها «٥» .

الرابعة- استدل بعض «٦» العلماء بهذه الآية على أن الغنيمة تستحق بالإدراب والكون في بلاد العدو فإن مات بعد ذلك فله سهمه وهو قول أشهب وعبد الملك وأحد قولي الشافعي. وقال مالك وابن القاسم: لا شي له لأن الله عز وجل إنما ذكر في هذه الآية الأجر ولم يذكر السهم.

---

(١) . راجع ج ٦ ص ٦٤.

(٢) . في ب وع وك وهـ: بالعطية. هما لغتان.

(٣) . في ديوانه ومعجم البلدان لياقوت: (ببرقة الوداء) والوداء: واد أعلاه لبني العدوية والتيم وأسفله لبني كليب وضبة.

(٤) . المرج: مرعى الدواب.

(٥) . أدرب القوم: دخلوا أرض العدو.

(٦) . سقط بعض من ب وع وك وهـ.." [1]

٣٦٠. "يحزنون

الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول، وما مزيدة أكدت به إن ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب، والمعنى: إن يأتينكم مني هدى بإنزال أو إرسال، فمن تبعه منكم نجا وفاز، وإنما جيء بحرف الشك، وإتيان الهدى كائن لا محالة لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا، وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني أعم من الأول، وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل، أي: فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن أن يحل بهم مكروه، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه، فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه. وقرئ «هدى» على لغة هذيل و «لا خوف» بالفتح.

[سورة البقرة (٢) : آية ٣٩]

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢٩١/٨

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع إلى آخره قسيم له كأنه قال: ومن لم يتبع بل كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أو كفروا بالآيات جنانا، وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور. والآية في الاصل العلامة الظاهرة، ويقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل، واشتقاقها من آي لأنها تبين آيا من أي أو من أوى إليه، وأصلها أية أو أوية كتمرة، فأبدلت عينها ألفا **على غير قياس**. أو أيية. أو أوية كرمكة فأعلت. أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا. والمراد بآياتنا الآيات المنزلة، أو ما يعمها والمعقولة. وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه:

الأول: أن آدم صلوات الله عليه كان نبيا، وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص.

والثاني: أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى: ألا لعنة الله على الظالمين.

والثالث: أنه تعالى أسند إليه العصيان، فقال وعصى آدم ربه فغوى.

والرابع: أنه تعالى لقنه التوبة، وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه.

والخامس: اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله تعالى إياه بقوله: وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة.

والسادس: أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى. والجواب من وجوه.

الأول: أنه لم يكن نبيا حينئذ، والمدعي مطالب بالبيان.

والثاني: أن النهي للتنزيه، وإنما سمي ظالما وخاسرا لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له. وأما إسناد الغي والعصيان إليه، فسيأتي الجواب عنه في موضعه إن شاء الله تعالى. وإنما أمر بالتوبة تلافيا لما فات عنه، وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الأولى، ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه.

والثالث: أنه فعله ناسيا لقوله سبحانه وتعالى: فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان، ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم كما

قال عليه الصلاة والسلام «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل»

. أو أدى فعله إلى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله، كتناول السم على الجاهل بشأنه. لا يقال إنه باطل لقوله تعالى: ما نهاكما ربكما، وقاسمهما الآيتين، لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ما قال له إبليس، فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا، ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أن نسي ذلك، وزال المانع فحمله الطبع عليه.." [1]

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٧٤/١

٣٦١. "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين أي إذا داين بعضكم بعضا، تقول: داينته إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا. وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال، وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه إلى أجل مسمى معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج.

فاكتبوه لأنه أوثق وادفع للنزاع، والجمهور على أنه استحباب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم) . وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب السوية لا يزيد ولا ينقص، وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع.

ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب. أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق، أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله: وأحسن كما أحسن الله إليك. فليكتب تلك الكتابة المعلمة. أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيدا، ويجوز أن تتعلق الكاف بالأمر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الأمر بها مقيدة. وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لأنه المقر المشهود عليه، والإملال والإملاء واحد. وليتق الله ربه أي المملي. أو الكاتب. ولا يبخس ولا ينقص. منه شيئا أي من الحق، أو مما أملى عليه. فإن كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا. أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا. أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملال بنفسه لخرس أو جهل باللغة. فليملل وليه بالعدل أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم إن كان صبيا أو مختل العقل، أو وكيل أو مترجم إن كان غير مستطيع. وهو دليل جريان النيابة في الإقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل. واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان. من رجالكم من رجال المسلمين، وهو دليل اشتراط إسلام الشهود وإليه ذهب عامة العلماء وقال أبو حنيفة: تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض. فإن لم يكونا رجلين فإن لم يكن الشاهدان رجلين. فرجل وامرأتان فليشهد أو فليستشهد رجل وامرأتان، وهذا مخصوص بالأموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة. ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم. أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى علة اعتبار العدد أي لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى، والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم: أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه، وكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن. وقرأ حمزة أن تضل على الشرط «فتذكر» بالرفع. وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتذكر من الإذكار. ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة أو التحمل.

وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة. ولا تسئموا أن تكتبوه ولا تملوا من

كثرة مداييناتكم أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب. وقيل كنى بالسأم عن الكسل لأنه صفة المنافق، ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام «لا يقول المؤمن كسلت»

صغيرا أو كبيرا صغيرا كان الحق أو كبيرا، أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا. إلى أجله إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون. ذلكم إشارة إلى أن تكتبوه. أقسط عند الله أكثر قسطا. وأقوم للشهادة وأثبت لها وأعون على إقامتها، وهما مبنيان من أقسط وأقام **على غير قياس**، أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم، وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده. وأدنى ألا ترتابوا وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك. إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها استثناء من الأمر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين، وإدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد أي: إلا أن تتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا، لبعده عن التنازع والنسيان. ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله:

بني أسد هل تعلمون بلاءنا ... إذا كان يوماذا كواكب أشنعا." (١)

٣٦٢. "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلوا كما خلوا بالموت أو القتل. أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم إنكارا لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به. وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته.

روي (أنه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه، فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل، فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو إلي عباد الله فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون، وقال بعضهم: ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما: يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه، ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ إليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل) فنزلت

. ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه. وسيجزي الله الشاكرين على نعمة

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ١٦٤/١

الإسلام بالثبات عليه كأنس وأضرابه.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٤٥]

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين (١٤٥)

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله إلا بمشيئة الله تعالى أو بإذنه لملك الموت عليه الصلاة والسلام في قبض روحه، والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالإحجام عن القتال والإقدام عليه. وفيه تحريض وتشجيع على القتال، ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الأجل. كتابا مصدر مؤكد إذ المعنى كتب الموت كتابا. مؤجلا صفة له أي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر. ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد، فإن المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون، فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم. ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي من ثوابها. وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٤٦]

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦)

وكأين أصله أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس. وقرأ ابن كثير «وكائن» ككاعن ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري، فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى ألفا كما أبدلت من طائي من نبي بيان له.

قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء أتقياء، أو عابدون لربهم. وقيل جماعات والربى منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب «قتل» ، وإسناده إلى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الأول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الأصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر. فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم. وما ضعفوا عن العدو أو في الدين. وما استكانوا وما خضعوا للعدو، وأصله

استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده، والألف من إشباع الفتحة أو استكون من." (١)

٣٦٣. "ولعل أصله المحل بمعنى القحط. وقيل فعال من المحل بمعنى القوة. وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل **على غير قياس** ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال، ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم: فساعد الله أشد وموساه أحد.

[سورة الرعد (١٣) : آية ١٤]

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٤)

له دعوة الحق الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه، ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة ال دعوة لما بينهما من الملابسة، أو على تأويل دعوة المدعو الحق. وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء إليه دعوة الحق، والمراد بالجملتين إن كانت الآية في أربد وعامر أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله إجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم أو دلالة على أنه على الحق، وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم، أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم. والذين يدعون أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون، فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه. لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات. إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه. إلى الماء ليبلغ فاه يطلب منه أن يبلغه. وما هو ببالغه لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم. وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه. وقرئ «تدعون» بالتاء وباسط بالتنوين. وما دعاء الكافرين إلا في ضلال في ضياع وخسار وباطل.

[سورة الرعد (١٣) : آية ١٥]

ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال (١٥)

ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين، طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٤١/٢

وظلالهم بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده منهم شاؤوا أو كرهوا، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله: بالغدو والآصال ظرف ل يسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال، وتخصيص الوقتين لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما، والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة، والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قد قرئ و «الإيصال» وهو الدخول في الأصيل.

[سورة الرعد (١٣) : آية ١٦]

قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار (١٦)

قل من رب السماوات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما. قل الله أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه، ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به. قل أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل. أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه، وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم. قل هل يستوي الأعمى والبصير المشرك." (١)

٣٦٤. "عبادي الشكور

المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه، لأن توفيقه الشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا إلى نهايته، ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ١٤ الى ١٥]

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (١٤) لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (١٥)

فلما قضينا عليه الموت أي على سليمان. ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله. إلا دابة الأرض أي الأرضة أضيفت إلى فعلها، وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال: أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا. تأكل منسأته عصاه من نسأت

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ١٨٤/٣

البعير إذا طردته لأنها يطرد بها، وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا **على غير قياس** إذ القياس إخراجها بين بين، و «منساءته» على مفعالة كميضاءة في ميضأة و «من سأته» أي طرف عصاه مستعار من سأت القوس، وفيه لغتان كما في قحة وقحة، وقرأ نافع وأبو عمرو منسأته بألف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة إذا وقف جعلها بين بين. فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم.

أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره إلى أن خر، أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب. وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه، فوصى به إلى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله وأعلم به، فأراد أن يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب، فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة، وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة، وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه. لقد كان لسبإ لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة، وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب. فى مساكنهم في مواضع سكناهم، وهي باليمن يقال لها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث، وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح، والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع. آية علامة دالة على وجود الصانع المختار، وأنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام. جنتان بدل من آية أو خبر محذوف تقديره الآية جنتان، وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين.

عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامهما كأنها جنة واحدة، أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله. كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم، أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك. بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة على موجب الشكر، أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره. وقرئ الكل بالنصب على المدح. قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ١٦ الى ١٧]

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (١٧)." [١]

٣٦٥. "وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب، ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق، ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب، أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس، وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف.

يقول الإنسان يومئذ أين المفر أي القرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني، وقرئ بالكسر وهو المكان.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١١ الى ١٣]

كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣)

كلا ردع عن طلب المفر. لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل.

إلى ربك يومئذ المستقر

إليه وحده استقرار العباد، أو إلى حكمه استقرار أمرهم، أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار.

ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده، أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه، أو بأول عمله وآخره.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٤ الى ١٩]

بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)

ثم إن علينا بيانه (١٩)

بل الإنسان على نفسه بصيرة

حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها، وصفها بالبصارة على المجاز، أو عين بصيرة فلا يحتاج إلى الإنباء.

ولو ألقى معاذيره

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٢٤٤/٤

ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر، أو جمع معذرة **على غير قياس** كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر.

لا تحرك

يا محمد، به

بالقرآن. لسانك

قبل أن يتم وحيه. لتعجل به

لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك.

إن علينا جمعه

في صدرك. وقرآنه

وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي.

فإذا قرأناه

بلسان جبريل عليك. فاتبع قرآنه

قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك.

ثم إن علينا بيانه بيان ما أشكل عليك من معانيه، وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره، أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات. وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا، فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته، فإذا قرأناه فاتبع قراءته بالإقرار أو التأمل فيه، ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ٢٠ الى ٢٣]

كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)

كلا ردع للرسول عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل. بل تحبون العاجلة.

وتذرون الآخرة تعميم للخطاب إشعارا بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب." (١)

٣٦٦. "(٩٧) سورة القدر

مختلف فيها، وآيها خمس آيات

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٢٦٦/٥

[سورة القدر (٩٧) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر (١) وما أدراك ما ليلة القدر (٢) ليلة القدر خير من ألف شهر (٣)

إنا أنزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند نزله إليه، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله:

وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها، أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة، ثم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة. وقيل المعنى أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان، ولعلها السابعة منها. والداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها ليالي كثيرة، وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله سبحانه وتعالى: فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الألف إما للتكثير، أو لما

روي أنه عليه الصلاة والسلام ذكر إسرائيليا يلبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة القدر هي خير من مدة ذلك الغازي.

[سورة القدر (٩٧) : الآيات ٤ الى ٥]

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر (٤) سلام هي حتى مطلع الفجر (٥)

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض، أو إلى السماء الدنيا أو تقربهم إلى المؤمنين. من كل أمر من أجل كل أمر قدر في تلك السنة، وقرئ «من كل امرئ» أي من أجل كل إنسان.

سلام هي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة، ويقضي في غيرها السلامة والبلاء، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين. حتى مطلع الفجر أي وقت مطلعه أي طلوعه. وقرأ الكسائي بالكسر على أنه كالمرجع أو اسم زمان **على غير قياس** كالمشرق.

عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر» .." (١)

٣٦٧. "ولم يدغم (١) ، وعثراً وهو كثير ولا ينبغي أن يُحمل على الأقل ما قدّرا على الأكثر.

وقول من قال: إنّه وصْفٌ بالمصدر (٢) فيه بُعْدٌ، إذْ لو كان كذلك لم يُثَنّ ولم يُجْمع، ومَنْ ثنّى مثل هذا في المصادر ثنّاه على القياس، والقياسُ في فَعْل أفْعُلُ نحو كفٍّ وأكُفٌّ، فكونه قد جمع على أرْبابٍ يدل

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي ٣٢٧/٥

على بُعدِ هذا القول. (٧) .

الإعلال في "نَسْتَعِين "

قال في توجيه الإعلال في كلمة "نستعين" من الآية: (إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نستعين)

ونَسْتَعين اعتْلّ، لأنَّ ماضِيهُ اعتْلّ بالحمل على الثلاث وأصلهُ نَسْتَعْوِن ثم اعتُل بنقل حركة العين إلى الفاء، وتقلبُ الواو ياء للكسرَة التي قبلها، وهذا الإعلالُ مُطِّرِدٌ وقياسيٌ في هذا النوع وما جرى مجراه. فإن جاء صحيحاً **فعلى غير قياس**، نحو: اسْتَنْوَقَ الجملُ، واستَتْيَسَت الشاة، فهذا يحفظ ولا يقاس عليه. (٤) .

الإعلال في " بالغيب "

وقال في بيان الإعلال في كلمة "الغيب لما من الآية الكريمة: (الَّذينَ يؤمون بالغيب) (٣) :

الغيب يُمكنُ أن يكون وزْنُهُ فَعْلاً، ويكونُ مَصدراً لِغابَ يغيبُ غيباً، ولذلك يقال للمُطْئِنُّ مِن الأرض غيباً لانخفاضه، ويمكن أن يكون الغيبُ وَزْنهً فَيعَلٌ بمنزلة سَيِّدٌ وميتٌ فحذفت الياءُ المتحركة طلباً للتخفيف وإن كانت أصلاً، لأنك لوْ حَذفْتَ الساكنة

---

(١) لأنه لا وجه للإدغام.

(٢) القول هنا للزمخشرى كما في الكشاف ٥٣/١.

(٣) سورة البقرة آية:٣.." [1]

٣٦٨. "وفي "إياك" قراءات، منها:

هيّاك أبدَلَ من الهمزة هاءً ١.

ومنها: أيَاك بفتح الهمزة ٢.

ومنها: إيَاك، بكسر الهمزة والتّخفيف ٣؛ وهذه كلُّها لم يُقرَأ بها في السّبع.

ومعنى نَعْبُدُ: نَتَذَلَّلُ، يُقالُ طَرِيْقُ مُعَبَّدة إذا كان يسار عَلَيْها كثيراً، والمعنى: مُذَلَّلٌ ثم قالَ جلَّ ذكْرُهُ: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ) .

معنى نستعين نَطْلُبُ العَوْنَ على عبادَتِك، وقُدِّمت العبادةُ على الاسْتِعَانة، لأنّ الاسْتِعَانَةَ يُتَوَسَّلُ بها إلى العبادة فَهِيَ أَوْلَى بالتّقديم، وَكُلَّ فِعْلٍ مُضارعٍ أَوَّلَ ماضِيه أَلفِ وَصْلٍ لَكَ أَنْ تكْسِرَ حرفَ المضارع منه عَدَى الياء فإنها لا تُكسرُ، فتقولُ: أنا إنطَلِق، وأَنْتَ تِنْطَلِق، وَنحنُ نِنْطَلِق، وَلاَ تَقولُ هذا في الياء، وكذلِكَ كلّ فعلُ مُضَارعٍ ماضيه على فَعل لك أن تكسر أَوّلَ المضارع منه عدا الياء، وبيان علة ذلك في العربية ٤.

---

(١) تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، ابن أبي الرَّبيع ص/٣٣٤

(ونَسْتَعِين) : اعتل لِأن ماضيه قد اعتل بالحمل على الثلاثي، وأصله، "نَسْتَعْوِن" ثم أعل بنقل حركة العين إلى الفاء وانقلبت الواو للكسرة التي قبلها، وهذا الاعتلال مُطّرِدٌ قياسيٌّ في هذا النّوع وما جرى مجراه، فإنْ جاء صحيحاً **فعلى غير قياس**، نحو: اسْتنوقْ الجمل، واسْتَسْيَسَت الشّاة، فهذا يحفظ ولا يقاس عليه، وسيأتي الكلام في مصدر نستعين وفي اعتِلاله وفي المحذوف بعد إن شاء الله.

١القراءة لأبي الثوار الغنوى كما في المحتسب ١/٣٩، ومختصر شواذ القراءات: ا، والمحرر الوجيز ١/١١٧.

٢قرأ بها الفضل بن زياد الرقاشي. المصادر السابقة.

٣هذه القراءة تعزى لعمرو بن فائد في المحتسب ١/ ٤٠، ومختصر شواذ القراءات: ا.

٤ العلة في ذلك هي ثقل الابتداء بالياء مكسورة في الفعل المضارع، ومع هذا فقد أورده سيبويه على أنّها لغة، قالوا في حبّ: يحبَّ، حق علم يعلمُ وأكثر ما جاء هذا في المثال الواوي الذي ماضيه على فعِل بكسر العين، نحو: وجع يجع، ووجع يجع، ومنه قول متم بن نويره:

قعيدك ألا تسمعيني ملامة ... ولا تنكىء جرح الفوءاد فَييجعا

ينظر الكتاب ٤/ ١٠٩-١٢٠، والمصنف ١/ ٢٠٥ ط ٢٠، وشرح عيون سيبويه ٢٦٢.." (١)

٣٦٩. "العقول في شأنه، وقيل: أصله إله من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوله **على غير قياس**، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وقيل: أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى، وفخم للتعظيم إلا إذا كان قبله كسرة الثامنة: الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل وقيل: إرادة الإحسان، فهي صفة ذات التاسعة:

الرحمن الرحيم على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة، وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين لقوله: وكان بالمؤمنين رحيما فالرحمن أعم وأبلغ، وقيل: الرحمن أبلغ لوقوعه بعده، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى العاشرة إنما قدم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات. انتهى والله أعلم.." (٢)

٣٧٠. "والأول أظهر وأرجح من عند أنفسهم يتعلق بحسدا وقيل: بيود فاعفوا منسوخ بالسيف بأمره يعني إباحة قتالهم أو وصول آجالهم وقالوا لن يدخل الجنة الآية: أي قالت اليهود:

لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا هودا يعني اليهود، وهذه الكلمة جمع هائد أو مصدر وصف به، وقال الفراء: حذفت منه يا هودا **على غير قياس**

---

(١) تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، ابن أَبي الرَّبيع ص/٣٩٠

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٤٩/١

أمانيهم أكاذيبهم أو ما يتمنونه هاتوا أمر على وجه التعجيز، والرد عليهم، وهو من: هاتي، يهاتي، ولم ينطق به، وقيل: أصله آتوا، وأبدل من الهمزة هاء بلى إيجاب لما نفوا أي يدخلها من ليس يهوديا، ولا نصرانيا من أسلم وجهه لله أي دخل في الإسلام وأخلص، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان وقالت اليهود الآية: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة فذمت كل طائفة الأخرى وهم يتلون تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب الذين لا يعلمون المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم منع مساجد الله لفظه الاستفهام ومعناه: لا أحد أظلم منه حيث وقع قريش منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم خائفين في حق قريش لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يحج بعد هذا العام مشرك «١» في حق النصارى حربهم عند بيت المقدس أو الجزية خزي في حق قريش غلبتهم وفتح مكة، وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس أو الجزية فأينما تولوا في الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت، وقيل: هي في نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته، وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها: أي إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم، وقيل: إنما احتجاج على من أنكر تحويل القبلة، فهي كقوله بعد هذا: قل لله المشرق والمغرب الآية والقول الأول هو الصحيح، ويؤخذ منه أن من أخطأ القبلة، فلا تجب عليه الإعادة، وهو مذهب مالك وجه الله المراد به هنا رضاه كقوله: ابتغاء وجه الله أي رضاه، وقيل: معناه الجهة التي وجهه إليها، وأما قوله:

---

(١) . رواه أحمد في مسنده عن أبي بكر الصديق ص ٤ رقم ٤.." [1]

٣٧١. "وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين: الأول: أن: كنت بمعنى أنت، والثاني: قيل: إن النبي صلى الله عليه واله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب التي كنت عليها مفعول بجعلنا، أو صفة للقبلة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة، وأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب، لأنهم كانوا يعظمون الكعبة، أو فتنة لمن أنكر تحويلها، وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة، أما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة لنعلم أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله ينقلب على عقبيه عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء وإن كانت إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهي التحول عن القبلة إيمانكم قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان، وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٩٤/١

تقلب وجهك كان النبي صلى الله عليه واله وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة شطر المسجد جهة وما أنت بتابع قبلتهم خبر يتضمن النهي ووحدت قبلتهم، وإن كانت جهتين لاتحادهم في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض لأن اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق يعرفونه أي يعرفون القرآن أو النبي صلى الله عليه واله وسلم أو أمر القبلة كما يعرفون أبناءهم مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام معرفتي بالنبي صلى الله عليه واله وسلم أشد من معرفتي بابني لأن ابني قد يمكن فيه الشك لكل

أي لكل أحد أو لكل طائفةجهة

أي جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل: إنه مصدر، وثبت فيه الواو **على غير قياس** ومؤليها

أي موليها وجهه وقرئ مولاها أي ولاه الله إليها والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلةاستبقوا الخيرات

أي بادروا إلى الأعمال الصالحات أت بكم الله

أي." (١)

٣٧٢. "تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة، الثاني الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة، الثالث العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها هي أشد وطئا يحتمل معنيين أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اشدد وطأتك على مضر «١» ، والأثقل أعظم أجرا، فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر. الثاني أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة. أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن

إن لك في النهار سبحا طويلا السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال، والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك، وقيل: المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك واذكر اسم ربك قيل: معناه قل: بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك.

واللفظ أعم من ذلك وتبتل إليه تبتيلا أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده. وقيل:

التبتل رفض الدنيا. وتبتيلا مصدر **على غير قياس** فاتخذه وكيلا الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء، فهو أمر بالتوكل على الله.

واصبر على ما يقولون أي على ما يقول الكفار. والآية منسوخة بالسيف وقيل:

إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله: اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به في كل وقت وذرني

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ١/١٠٠

والمكذبين هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف أولي النعمة أي التنعم في الدنيا، وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا أنكالا جمع نكل وهو القيد من الحديد. روي أنها قيود سود من نار وطعاما ذا غصة شجرة الزقوم ومعنى ذا غصة: أي يغص به آكلوه وقيل: هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج، وروي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق يوم ترجف الأرض أي تهتز وتتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو «إن لدينا أنكالا» وكانت الجبال كثيبا مهيلا الكثيب كدس الرمل، والمهيل اللين الرخو، الذي تهيله الريح أي تنشره وزنه مفعول، والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب إنا أرسلنا إليكم رسولا خطاب لجميع الناس، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة، وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة

(١) . رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير ج ٣ ص ٢٣٤ عن أبي هريرة.." [1]

٣٧٣. "الأرض، ولا يسيل في كل الأودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد. فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير. وقال ابن عباس: أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالأودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور، والبيان بنزول المطر لأن المطر إذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالأودية، لأن الأودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الإيمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها، وهذا خاص بالمؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء نفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم، وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله، وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فباغمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش، وأما قوله وكان منها أجادب فالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين، وهي الأرض التي لا تنبت الكلأ جمع جدب **على غير قياس** وقياسه أجدب، والجدب ضد الخصب. وقال الخطابي: هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي أخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع أخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء، وقوله: ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي، ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي ٢/٤٢٤

بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الأرض، وقوله: فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه فهم الأحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى، والعلم بالأرض التي أصابها المطر. قال العلماء: والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لأنهم منها خلقوا، فالنوع الأول من أنواع الأرض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه الهدى من غير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره. قال مسروق: صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالأخاذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم. النوع الثاني من أنواع الأرض: أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها، وهي إمساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة، لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيء المحتاج إليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره، النوع الثالث: من أنواع الأرض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة، ولا أفهام ثاقبة فإذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم. وقوله تعالى فاحتمل السيل زبدا الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة، كالحبب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث

من ذلك الماء زبدا رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه، وها هنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى ومما يوقدون عليه في النار الإيقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء ليذوب ابتغاء حلية يعني لطلب زينة، والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة، وإن لم يكونا مذكورين لأن الحلية لا تطلب إلا منهما أو متاع يعني أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الأواني وغيرها مما ينتفع له، والمتاع كل ما ويتمتع به. ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الأواني: متاع زبد مثله يعني أن ذلك الذي يوقد عليه في النار إذا أذيب، فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق. والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو." (١)

٣٧٤. "[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٣٤ الى ٤٣]

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون (٣٤) كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٣٥) وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون (٣٦) خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون (٣٧)

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ١٣/٣

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٣٨)

لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون (٣٩) بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون (٤٠) ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن (٤١) قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون (٤٢) أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون (٤٣)

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقاء في الدنيا أفإن مت فهم الخالدون نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته، فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشرا لا أنت ولا هم فإن مت أنت أفيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

كل نفس ذائقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعالى: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فإن الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت. والذوق ها هنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله ونبلوكم أي نختبركم بالشر والخير أي بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر، وقيل مما تحبون وما تكرهون فتنة أي ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون وإلينا ترجعون أي للحساب والجزاء. قوله عز وجل وإذا رآك الذين كفروا إن أي ما يتخذونك إلا هزوا أي سخريا قيل نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف أهذا الذي يذكر آلهتكم أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يعيب ألهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب قوله تعالى خلق الإنسان من عجل، قيل معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع، وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلا إلى ثمار الجنة، فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه، لأن خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس، وقيل خلق بسرعة وتعجيل **على غير قياس** خلق بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا أطوارا طورا بعد طور وقيل خلق الإنسان من عجل أي من طين قال الشاعر:

والنخل ينبت بين الماء والعجل

أي بين الماء والطين. وقيل أراد بالإنسان النوع الإنساني يدل عليه قوله سأريكم آياتي فلا تستعجلون وذلك أن المشركين كانوا يستعجلون العذاب، وقيل نزلت في النضر بن الحرث، ومعنى سأريكم آياتي أي

مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر، وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ويقولون يعني المشركين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على." [(١)]
(١)

٣٧٥. "[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٥٩ الى ٦٦]

بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠) وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون (٦١) الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل (٦٢) له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون (٦٣)

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (٦٤) ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (٦٥) بل الله فاعبد وكن من الشاكرين (٦٦)

بلى قد جاءتك آياتي يعني القرآن فكذبت بها أي قلت ليست من الله واستكبرت أي تكبرت عن الإيمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله أي زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد أليس في جهنم مثوى للمتكبرين أي عن الإيمان.

قوله تعالى: وينجي الله الذين اتقوا أي الشرك بمفازتهم أي الطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أن ينجيهم بفوزهم بالأعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء أي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء أي مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة وهو على كل شيء وكيل أي إن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها له مقاليد السماوات والأرض أي مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل إقليد **على غير قياس** قيل هو فارسي معرب قال الراجز:

لم يؤذها الديك بصوت تغريد ... ولم يعالج غلقها بإقليد

والمعنى أن الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذي يملك مقاليدها، وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الأرض النبات والذين كفروا بآيات الله أي جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة أولئك هم الخاسرون قوله عز وجل: قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه فوصفهم بالجهل لأن الدليل القاطع قد قام بأنه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك أي الذي عملته قبل الشرك، وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأن الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٣/٢٢٥

ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين أي لإنعامه عليك.

قوله تعالى.

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٦٧ الى ٦٨]

وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (٦٧) ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (٦٨)

وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع." (١)

٣٧٦. "الإعراب، وزعم أن قراءة أبي عمرو لحن، وما ذهب إليه ليس بشيء، لأن أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولغة العرب توافقه على ذلك، فإنكار المبرد لذلك منكر، وقال الشاعر:

فاليوم أشرب غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

وقال آخر:

رحت وفي رجليك ما فيهما ... وقد بدا هنك من المئزر

وقال آخر:

أو نهر تيرى فما تعرفكم العرب وقد خلط المفسرون هنا في الرد على أبي العباس، فأنشدوا ما يدل على التسكين مما ليست حركته حركة إعراب. قال الفارسي: أما حركة البناء فلم يختلف النحاة في جواز تسكينها، ومما يدل على صحة قراءة أبي عمرو ما حكاه أبو زيد من قوله تعالى: ورسلنا لديهم يكتبون «١» . وقراءة مسلمة بن محارب: وبعولتهن أحق بردهن في ذلك «٢» .

وذكر أبو عمرو: أن لغة تميم تسكين المرفوع من يعلمه ونحوه، ومثل تسكين بارئكم، قراءة حمزة، ومكر السيئ «٣» . وقرأ الزهري: باريكم، بكسر الياء من غير همز، وروي ذلك عن نافع. ولهذه القراءة تخريجان أحدهما: أن الأصل الهمز، وأنه من برأ، فخففت الهمزة بالإبدال المحض **على غير قياس**، إذ قياس هذا التخفيف جعلها بين بين. والثاني:

أن يكون الأصل باريكم، بالياء من غير همز، ويكون مأخوذا من قولهم: بريت القلم، إذا أصلحته، أو

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ٦٣/٤

من البري: وهو التراب، ثم حرك حرف العلة، وإن كان قياسه تقديرا لحركة في مثل هذا رفعا وجرا، وقال الشاعر:

ويوما توافينا الهوى غير ماضي وقال آخر:

ولم تختضب سمر العوالي بالدم وقال آخر:

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣/ ٨٠.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٢٨.

(٣) سورة فاطر: ٣٥/ ٤٣.." [(١)]

٣٧٧. "القياس فيه أن يفتح، لأن وسطه حرف حلق، كما جاء الكسر في ينزع وقياسه أيضا الفتح. القرية: المدينة، من قريت: أي جمعت. سميت بذلك لأنها مجتمع الناس على طريق المساكنة. وقيل: إن قلوا قيل لها قرية، وإن كثروا قيل لها مدينة. وقيل: أقل العدد الذي تسمى به قرية ثلاثة فما فوقها، ومنه، قريت الماء في الحوض، والمقراة: الحوض، ومنه القرى: وهو الضيافة، والقري: المجرى، والقرى: الظهر. ولغة أهل اليمن: القرية، بكسر القاف، ويجمعونها على قرى بكسر القاف نحو: رشوة ورشا. وأما قرية بالفتح فجمعت على قرى بضم القاف، وهو جمع **على غير قياس**. قيل: ولم يسمع من فعله المعتل اللام إلا قرية وقرى، وتروة وترى، وشهوة وشهى. الباب: معروف، وهو المكان الذي يدخل منه، وجمعه أبواب، وهو قياس مطرد، وجاء جمعه على أبوبة في قوله:

هتاك أخبية ولاج أبوبة لتشاكل أخبية، كما قالوا: لا دريت ولا تليت، وأصله تلوت، فقلبت الواو ياء لتشاكل دريت. سجدا: جمع ساجد، وهو قياس مطرد في فاعل وفاعلة الوصفين الصحيحي اللام. وقولوا: كل أمر من ثلاثي اعتلت عينه فانقلبت ألفا في الماضي، تسقط تلك العين منه إذا أسند لمفرد مذكر نحو: قل وبع، أو لضمير مؤنث نحو: قلن وبعن، فإن اتصل به ضمير الواحدة نحو: قولي، أو ضمير الاثنين نحو: قولا، أو ضمير الذكور نحو: قولوا، ثبتت تلك العين، وعلة الحذف والإثبات مذكورة في النحو. وقد جاء حذفها في الشعر، فجاء قوله: قلى وعشا. حطة: على وزن فعلة من الحط، وهو مصدر كالحط، وقيل: هو هيئة وحال: كالجلسة والقعدة، والحط: الإزالة، حططت عنه الخراج: أزلته عنه.

والنزول: حططت. وحكي: بفناء زيد نزلت به، والنقل من علو إلى أسفل، ومنه انحطاط القدر. وقال أحمد بن يحيى، وأبان بن تغلب، الحطة: التوبة. وأنشدوا:

فاز بالحطة التي جعل الله ... بها ذنب عبده مغفورا

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٣٤/١

أي فاز بالتوبة، وتفسيرهما الحطة بالتوبة إنما هو تفسير باللازم لا بالمرادف، لأن من حط عنه الذنب فقد تيب عليه. الغفر والغفران: الستر، وفعله غفر يغفر، بفتح الغين في الماضي وكسرها في المضارع. والغيرة: المغفرة، والغفارة: السحاب وما يلبس به سية القوس، وخرقة تلبس تحت الخمار، ومثله المغفر والجماء، الغفير: أي جماعة يستر بعضهم بعضا من الكثرة. وقوله عمر لمن قال له: لم حصبت المسجد؟ هو أغفر للنخامة، كل هذا راجع لمعنى الستر والتغطية. الخطيئة: فعيلة من الخطأ، والخطأ: العدول عن." (١)

٣٧٨. "وتنقاس إضافته إلى اسم جنس، وفي إضافته إلى مضمر خلاف، وقد يضاف إلى العلم وجوبا، إذا اقترنا وضعا، كقولهم: ذو جدن، وذو يزن، وذو رعين، وذو الكلاع، وإن لم يقترنا وضعا، فقد يجوز، كقولهم: في عمرو، وقطري: ذو عمرو، وذو قطري، ويعنون به صاحب هذا الاسم. وإضافته إلى العلم في وجهته مسموع، وكذلك: أنا ذو بكة، واللهم صل على محمد وعلى ذويه. ومما أضيف إلى العلم، وأريد به معنى: ذي مال، ومما أضيف إلى ضمير العلم، وأضيف أيضا إلى ضمير المخاطب، قال الشاعر:

وإنا لنرجو عاجلا منك مثل ما ... رجونا قدما من ذويك الأفاضل

وقد أتت ذو في لغة طي موصولة، ولها أحكام في النحو. القربى: مصدر كالرجعى، والألف فيه للتأنيث، وهي قرابة الرحم والصلب، قال طرفة:

وقربت بالقربى وجدك أنه ... متى يك أمر للنكيثة أشهد

وقال أيضا:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على الحر من وقع الحسام المهند

اليتامى: فعالى، وهو جمع لا ينصرف، لأن الألف فيه للتأنيث، ومفرده: يتيم، كنديم، وهو جمع على غير قياس، وكذا جمعه على أيتام. وقال الأصمعي: اليتم في بني آدم من قبل الأب، وفي غيرهم من قبل الأم. وحكى الماوردي: أن اليتم في بني آدم يقال: من فقد الأم، والأول هو المعروف، وأصله الانفراد. فمعنى صبي يتيم: أي منفرد عن أبيه، وسميت الدرة التي لا مثيل لها: يتيمة لانفرادها، قاله ثعلب. وقيل: أصل اليتم:

الغفلة، وسمي الصبي يتيما، لأنه يتغافل عن بره. وقيل: أصل اليتم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم، لأن البر يبطيء عنه، قاله أبو عمرو. المساكين: جمع مسكين، وهو مشتق من السكون، فالميم زائدة، كمحضير من الحضر. وقد روي: تمسكن فلان، والأصح في اللغة تسكن، أي صار مسكينا، وهو مرادف للفقير، وهو الذي لا شيء له. وقيل: هو الذي له أدنى شيء. الحسن والحسن، قيل: هما لغتان: كالبخل والبخل. والحسن: مصدر حسن، كالقبح مصدر قبح، مقابل حسن. القليل: اسم فاعل من قل، كما

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٥١/١

أن كثيرا مقابله اسم فاعل من كثر. يقال: قل يقل قلة وقلا وقلا، الإعراض: التولي، وقيل: التولي بالجسم، والإعراض بالقلب. والعرض: الناحية، فيمكن أن يكون قولك: أعرض زيد عن." (١)

٣٧٩. "وفعولة من الذر: ذرورة، وكذلك فعلولة، أبدلت الراء الآخرة في ذلك ياء كراهة التضعيف، كما قالوا في تسررت تسريت. وأما من كسر ذال ذرية، فيحتمل أن تكون فعيلة من ذرأ الله الخلق، كبطيخة، فأبدلت الهمزة ياء، وأدغمت في ياء المد، أو فعلية من الذر منسوبة **على غير قياس**، أو فعيلة من الذر أصله ذريرة، أو فعليل، كحلتيت. ويحتمل أن تكون ذريوة من ذروت، أو فعيلة ذريئة من ذريت. وأما من فتح ذال ذرية، فيحتمل أن تكون فعيلة من ذرأ، مثل سكينة، أو فعولة من هذا أيضا، كخروبة. فالأصل ذروءة، فأبدلت الهمزة ياء بدلا مسموعا، وقلبت الواو ياء وأدغمت. ويحتمل أن تكون فعلية من الذر غير منسوبة، كبرنية، أو منسوبة إلى الذر، أو فعولة، كخروبة من الذر أصلها ذرورة، ففعل بها ما تقدم، أو فعلولة، كبكولة، فالأصل ذرورة أيضا، أو فعيلة، كسكينة ذريرة، فقلبت الراء ياء في ذلك كله، ويحتمل أن يكون من ذروت فعيلة، كسكينة، فالأصل ذريوة، أو من ذريت ذريية، أو فعولة من ذروت أو ذريت. وأما من بناها على فعلة، كجفنة، وقال ذرية، فإنها من ذريت. النيل: الإدراك. نلت الشيء أناله نيلا، والنيل: العطاء. البيت:

معروف، وصار علما بالغلبة على الكعبة، كالنجم للثريا. الأمن: مصدر أمن يأمن، إذا لم يخف واطمأنت نفسه. المقام: مفعل من القيام، يحتمل المصدر والزمان والمكان.

إسماعيل: اسم أعجمي علم، ويقال إسماعيل باللام وإسماعين بالنون، قال:

قال جواري الحي لما جينا ... هذا ورب البيت إسماعينا

ومن غريب ما قيل في التسمية به أن إبراهيم كان يدعو أن يرزقه الله ولدا ويقول:

اسمع إيل، وإيل هو الله تعالى. التطهير: مصدر طهر، والتضعيف فيه للتعدية. يقال: طهر الشيء طهارة: نطف. الطائف: اسم فاعل من طاف به إذا دار به، ويقال أطاف: بمعنى طاف، قال:

أطافت به جيلان عند فطامه والعاكف: اسم فاعل من عكف بالشيء: أقام به ولازمه، قال:

عليه الطير ترقبه عكوفا وقال يعكفون على أصنام لهم: أي يقيمون على عبادتها. البلد: معروف، والبلد الصدر، وبه سمي البلد لأنه صدر القرى. يقال: وضعت الناقة بلدتها إذا بركت. وقيل:." (٢)

٣٨٠. "الرسول صلى الله عليه وسلم. فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا صدق ما جاءهم به.

وقرأ الجمهور: سأل بالهمز: أي دعا داع، من قولهم: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، فالباء على أصلها.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٥٣/١

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٩٧/١

وقيل: المعنى بحث باحث واستفهم. قيل: فالباء بمعنى عن.

وقرأ نافع وابن عامر: سال بألف، فيجوز أن يكون قد أبدلت همزته ألفا، وهو بدل **على غير قياس**، وإنما قياس هذا بين بين، ويجوز أن يكون على لغة من قال: سلت أسال، حكاها سيبويه. وقال الزمخشري: هي لغة قريش، يقولون: سلت تسال وهما يتسايلان. انتهى.

وينبغي أن يتثبت في قوله إنها لغة قريش. لأن ما جاء في القرآن من باب السؤال هو مهموز أو أصله الهمز، كقراءة من قرأ: وسلوا الله من فضله، إذ لا يجوز أن يكون من سال التي عينها واو، إذ كان يكون ذلك وسلوا الله مثل خافوا الأمر، فيبعد أن يجيء ذلك كله على لغة غير قريش، وهم الذين نزل القرآن بلغتهم إلا يسيرا فيه لغة غيرهم. ثم جاء في كلام الزمخشري: وهما يتسايلان بالياء، وأظنه من الناسخ، وإنما هو يتساولان بالواو. فإن توافقت النسخ بالياء، فيكون التحريف من الزمخشري وعلى تقدير أنه من السؤال، فسائل اسم فاعل منه، وتقدم ذكر الخلاف في السائل من هو. وقيل: سال من السيلان، ويؤيده قراءة ابن عباس: سال سايل. وقال زيد بن ثابت: في جهنم واد يسمى سايلا وأخبر هنا عنه. قال ابن عطية: ويحتمل إن لم يصح أمر الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه. وقال الزمخشري: والسيل مصدر في معنى السائل، كالغور بمعنى الغائر، والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب، فذهب بهم وأهلكهم. انتهى. وإذا كان السائل هم الكفار، فسؤالهم إنما كان على أنه كذب عندهم، فأخبر تعالى أنه واقع وعيدا لهم. وقرأ أبي وعبد الله: سال سال مثل مال بإلقاء صورة الهمزة وهي الياء من الخط تخفيفا. قيل: والمراد سائل. انتهى. ولم يحك هل قرأ بالهمز أو بإسقاطها البتة. فإن قرأ بالهمز فظاهر، وإن قرأ بحذفها فهو مثل شاك شايك، حذفت عينه واللام جرى فيها الإعراب، والظاهر تعلق بعذاب بسال. وقال أبو عبد الله الرازي: يتعلق بمصدر دل عليه فعله، كأنه قيل: ما سؤاله؟ فقيل: سؤاله بعذاب، والظاهر اتصال الكافرين بواقع فيكون متعلقا به، واللام للعلة، أي نازل بهم لأجلهم، أي لأجل كفرهم، أو على أن اللام بمعنى على، قاله بعض النحاة، ويؤيده قراءة أبي: على الكافرين، أو على أنه في موضع، أي واقع كائن للكافرين. وقال قتادة والحسن: المعنى:." (١)

٣٨١. "والأصمعي عن أبي عمرو: بإسكان الباء

وعلي وابن عباس: بشد اللام.

ورويت عن أبي عمرو وأبي جعفر والكسائي وقالوا: إنها السحاب، عن قوم من أهل اللغة. وقال الحسن: خص الإبل بالذكر لأنها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن، فقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة، وقال العرب: بعيدة العهد بالفيل، ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره. والإبل لا واحد

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٧١/١٠

له من لفظه وهو مؤنث، ولذلك إذا صغر دخلته التاء فقالوا:

أبيلة، وقالوا في الجمع: آبال. وقد اشتقوا من لفظه فقالوا: تأبل الرجل، وتعجبوا من هذا الفعل **على غير قياس** فقالوا: ما آبل زيدا. وإبل اسم جاء على فعل، ولم يحفظ سيبويه مما جاء على هذا الوزن غيره. وكيف خلقت: جملة استفهامية في موضع البدل من الإبل، وينظرون: تعدى إلى الإبل بواسطة إلى، وإلى كيف خلقت على سبيل التعليق، وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها كقولهم: عرفت زيدا أبو من هو على أصح الأقوال، على أن العرب قد أدخلت إلى على كيف، فحكى أنهم قالوا: انظر إلى كيف يصنع. وكيف سؤال عن حال والعامل فيها خلقت، وإذا علق الفعل عن ما فيه الاستفهام، لم يبق الاستفهام على حقيقته، وقد بينا ذلك في كتابنا المسمى بالتذكرة وفي غيره.

وقرأ الجمهور: خلقت: رفعت، نصبت سطحت بتاء التأنيث مبنيا للمفعول

وعلي وأبو حيوة وابن أبي عبلة: بتاء المتكلم مبنيا للفاعل

، والمفعول محذوف، أي خلقتها، رفعتها، نصبتها رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد، نصبت نصبا ثابتا لا تميل ولا تزول سطحت سطحا حتى صارت كالمهاد للمتقلب عليها. وقرأ الجمهور: سطحت خفيفة الطاء والحسن وهارون: بشدها. ولما حضهم على النظر، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتذكيرهم فقال: فذكر ولا يهمنك كونهم لا ينظرون. إنما أنت مذكر، كقوله تعالى: إن عليك إلا البلاغ «١» . لست عليهم بمصيطر: أي بمسلط، كقوله: وما أنت عليهم بجبار «٢» . وقرأ الجمهور: بالصاد وكسر الطاء، وابن عامر في رواية، ونطيق عن قنبل، وزرعان عن حفص: بالسين وحمزة في رواية: بإشمام الزاي وهارون: بفتح الطاء، وهي لغة تميم. وسيطر متعد عندهم ويدل عليه فعل المطاوعة وهو تسطر، وليس في الكلام على هذا الوزن إلا مسيطر ومهيمن ومبيطر ومبيقر، وهي أسماء فاعلين من سيطر وهيمن وبيطر. وجاء مجيمر اسم واد ومديبر، ويمكن أن يكون أصلهما مدبر ومجمر فصغرا. وقرأ الجمهور: إلا حرف استثناء فقيل متصل، أي فأنت مسيطر عليه. وقيل: متصل من فذكر،

---

(١) سورة الشورى: ٤٢/ ٤٨.

(٢) سورة ق: ٥٠/ ٤٥.." (١)

٣٨٢. "أي فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر، وما بينهما اعتراض. وقيل: منقطع، وهي آية موادعة نسخت بآية السيف. وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وقتادة وزيد بن أسلم: ألا حرف تنبيه واستفتاح، والعذاب الأكبر هو عذاب جهنم.

وقرأ الجمهور: إيابهم بتخفيف الياء مصدر آب وأبو جعفر وشيبة: بشدها مصدرا لفعيل من آب على

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٦٥/١٠

وزن فيعال، أو مصدرا كفوعل كحوقل على وزن فيعال أيضا كحيقال، أو مصدر الفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار فأصله أوواب فقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمع في هذا البناء والبناءين قبله واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغم ولم يمنع الإدغام من القلب لأن الواو والياء ليستا عينين من الفعل، بل الياء في فيعل والواو في فعول زائدتان. وقال صاحب اللوامح، وتبعه الزمخشري: يكون أصله إوابا مصدر أوب، نحو كذب كذابا، ثم قيل إوابا فقلبت الواو الأولى ياء لانكسار ما قبلها. قال الزمخشري: كديوان في دوان، ثم فعل به ما فعل بسيد، يعني أنه اجتمع ياء وواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الواو، فأما كونه مصدر أوب فإنه لا يجوز، لأنهم نصوا على أن الواو الأولى إذا كانت موضوعة على الإدغام وجاء ما قبلها مكسورا فلا تقلب الواو الأولى ياء لأجل الكسرة، ومثلوا باخرواط مصدر اخروط، ومثلوا أيضا بمصدر أوب نحو أوب إوابا، فهذه وضعت على الإدغام، فحصنها من الإبدال ولم تتأثر للكسر.

وأما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لأنهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة، فلم يقولوا دوان، ولولا الجمع على دواوين لم يعلم أن أصل هذه الياء واو، وأيضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره.

وقال ابن عطية: ويصح أن يكون من أأوب، فيجيء إيوابا، سهلت الهمزة، وكان اللازم في الإدغام يردها إوابا، لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس**، انتهى. فقوله: وكان اللازم في الإدغام بردها إوابا ليس بصحيح، بل اللازم إذا اعتبر الإدغام أن يكون إيابا، لأنه قد اجتمعت ياء وهي المبدلة من الهمزة بالتسهيل. وواو وهي عين الكلمة وإحداهما ساكنة، فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير إيابا.

ولما كان من مذهب الزمخشري أن تقديم المعمول يفيد الحصر، قال معناه: أن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه تعالى، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير، ومعنى الوجوب: الوجوب في الحكمة، والله أعلم.." (١)

٣٨٣. "بالأسفار التي إنما هي طلب كسب وعرض دنيا. وقال الخليل بن أحمد: تتعلق بقوله:

يعبدوا

، والمعنى لأن فعل الله بقريش هذا ومكنهم من إلفهم هذه النعمة.

يعبدوا

: أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلة. قال الزمخشري: فإن قلت: فلم دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط، لأن المعنى: إما لا فليعبدوا لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة، انتهى. وقرأ الجمهور:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤٦٦/١٠

لإيلاف قريش، مصدر آلف رباعيا وابن عامر: لإلاف على وزن فعال، مصدر ألف ثلاثيا. يقال: ألف الرجل الأمر إلفا وإلافا، وآلفه غيره إياه إيلافا، وقد يأتي آلف متعديا لواحد كألف، قال الشاعر:

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

ولم يختلف القراء السبعة في قراءة إيلافهم مصدرا للرباعي. وروي عن أبي بكر، عن عاصم أنه قرأ بهمزتين، فيهما الثانية ساكنة، وهذا شاذ، وإن كان الأصل أبدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين، ولم يبدلوا في نحو يؤلف على جهة اللزوم لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه، وهذا المروي عن عاصم هو من طريق الشمني عن الأعشى عن أبي بكر. وروى محمد بن داود النقار عن عاصم: إإيلافهم بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية لما أشبع كسرتها، والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية، وأنه قرأ كالجماعة. وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري: لإلف قريش وقرأ فيما حكى ابن عطية إلفهم. قال الشاعر:

زعمتم أن إخوتكم قريشا ... لهم إلف وليس لكم إلاف

جمع بين مصدري ألف الثلاثي. وعن أبي جعفر وابن عامر: إلافهم على وزن فعال. وعن أبي جعفر وابن كثير: إلفهم على وزن فعل، وبذلك قرأ عكرمة. وعن أبي جعفر أيضا: ليلاف بياء ساكنة بعد اللام أتبع، لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى حذفا **على غير قياس**. وعن عكرمة: ليألف قريش وعنه أيضا: لتألف قريش على الأمر، وعنه وعن هلال بن فتيان: بفتح لام الأمر، وأجمعوا هنا على صرف قريش، راعوا فيه معنى الحي، ويجوز منع صرفه ملحوظا فيه معنى القبيلة للتأنيث والعلمية. قال الشاعر: وكفى قريش المعضلات وسادها جعله اسما للقبيلة سيبويه في نحو معد وقريش وثقيف، وكينونة هذه للأحياء أكثر." (١)

٣٨٤. "ناكحها كما يقال باضعها، قيل: وقد جاء النكاح في أشعار العرب يراد به العقد خاصة، ومن ذلك قول الشاعر:

فلا تقربن جارة إن سرها ... عليك حرام، فانكحن أو تأبدا

أي فاعقد وتزوج، وإلا فاجتنب النساء وتوحش، لأنه قال: لا تقربن جارة على الوجه الذي يحرم. وجاء بمعنى المجامعة، كما قال:

الباركين على ظهور نسوتهم ... والناكحين بشاطئ دجلة البقرا

وقال أبو علي: فرقت العرب بين العقد والوطء بفرق لطيف، فإذا قالوا: نكح فلان فلانة، أرادوا به العقد لا غير، وإذا قالوا نكح امرأته أو زوجته فلا يريدون غير المجامعة.

الأمة: المملوكة من النساء، وهي ما حذف لامه، وهو واو يدل على ذلك ظهورها في الجمع قال

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٤٨/١٠

الكلابي:

أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنو الأموات بالعار

وفي المصدر: يقال أمة بينة الأموة، وأقرت بالأموة، أي بالعبودية. وجمعت أيضا على: إماء، وآم، نحو أكمة وآكام وأكم، وأصله أأمو، وجرى فيه ما يقتضيه التصريف، وفي الحديث: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» .

وقال الشاعر:

يمشي بها ريد النعا ... م تماشي الآم الدوافر

ووزنها أموة، فحذفت لامها **على غير قياس**، إذ كان قياسها أن تنقلب ألفا لتحركها، وانفتاح ما قبلها كقناة، وزعم أبو الهيثم: أن جمع الأمة أمو، وأن وزنها فعلة بسكون العين، فتكون مثل: نخلة ونخل، وبقلة وبقل، فأصلها: أموة فحذفوا لامها إذ كانت حرف لين، فلما جمعوها على مثال نخلة ونخل لزمهم أن يقولوا: أمة وأم، فكرهوا أن يجعلوها حرفين، وكرهوا أن يردوا الواو المحذوفة لما كانت آخر الاسم، فقدموا الواو، وجعلوه ألفا ما بين الألف والميم، وما زعمه أبو الهيثم ليس بشيء، إذ لو كان على ما زعم لكان الإعراب على الميم كما كان على لام نخل، ولكنه على الياء المحذوفة التي هي لام، إذ أصله ألامو، ثم عمل فيه ما عمل في قولهم: الأدلو، والأجرو، جمع: دلو، وجرو، وأبدلت الهمزة الثانية ألفا كما أبدلت في: آدم، ولذلك تقول: جاءت الآمي، ولو كان على ما زعم أبو الهيثم لكان: جاءت الآم، برفع الميم.." (١)

٣٨٥. "وقيل: وفي ظاهره رد على من زعم أن له الحكم بالاجتهاد، لأن ما يحكم به من السنة ينزل من الله عليه، فلا اجتهاد، وذكر: النعم، لا يراد به سردها على اللسان، وإنما المراد بالذكر الشكر عليها، لأن ذكر المسلم النعمة سبب لشكرها، فعبر بالسبب عن المسبب، فإن أريد بالنعمة المنعم به فيكون: عليكم، في موضع الحال، فيتعلق بمحذوف، أي: كائنة عليكم، ويكون في ذلك تنبيه على أن نعمته تعالى منسحبة علينا، قد استعلت وتجللت وصارت كالظلة لنا، وإن أريد بالنعمة الإنعام فيكون: عليكم، متعلقا بلفظ النعمة، ويكون إذ ذاك مصدرا من: أنعم، **على غير قياس**، كنبات من أنبت.

وعليكم، الثانية متعلقة بأنزل، و: من، في موضع الحال، أي: كائنا من الكتاب، ويكون حالا من ما أنزل أو من الضمير العائد على الموصول المحذوف، إذ تقديره: وما أنزل عليكم. ومن أثبت لمن معنى البيان للجنس جوز ذلك هنا، كأنه قيل: وما أنزله عليكم الذي هو الكتاب والسنة.

يعظكم به يذكركم به، والضمير عائد على: ما، من قوله: وما أنزل، وهي جملة حالية من الفاعل المستكن في: أنزل، والعامل فيها: أنزل، وجوزوا في: ما، من قوله:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢/٤٠١

وما أنزل، أن يكون مبتدأ. و: يعظكم، جملة في موضع الخبر، كأنه قيل: والمنزل الله من الكتاب والحكمة يعظكم به، وعطفه على النعمة أظهر.

واتقوا الله لما كان تعالى قد ذكر أوامر ونواهي، وذلك بسبب النساء اللاتي هن مظنة الإهمال وعدم الرعاية، أمر الله تعالى بالتقوى، وهي التي بحصولها يحصل الفلاح في الدنيا والآخرة، ثم عطف عليها ما يؤكد طلبها وهي قوله: واعلموا أن الله بكل شيء عليم والمعنى: بطلب العلم الديمومة عليه، إذ هم عالمون بذلك، وفي ذلك تنبيه على أنه يعلم نياتكم في المضارة والاعتداء، فلا تلبسوا على أنفسكم. وكرر اسم الله في قوله تعالى: واتقوا الله، واعلموا أن الله لكونه من جملتين، فتكريره أفخم، وترديده في النفوس أعظم.

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن قال ابن عباس، والزهري، والضحاك نزلت في كل من منع امرأة من نسائه عن النكاح بغيره إذا طلقها، وقيل: نزلت في ابنة عم جابر بن عبد الله، طلقها زوجها، وانقضت عدتها فأراد رجعتها، فأتى جابر وقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها؟ وكانت المرأة تريد زوجها، فنزلت. وقيل: في." [1]

٣٨٦. "لا يجيزون حذف خبر كان لا اقتصارا ولا اختصارا. وقرىء شاذا: وامرأتان، بهمزة ساكنة، وهو **على غير قياس**، ويمكن أن سكنها تخفيفا لكثرة توالي الحركات وجاء نظير تخفيف هذه الهمزة في قول الشاعر:

يقولون جهلا ليس للشيخ عيل ... لعمري لقد أعيلت وأن رقوب

يريد: وأنا رقوب، قيل: خفف الهمزة بإبدالها ألفا ثم همزة بعد ذلك، قالوا: الخأتم، والعألم.

وظاهر الآية يقتضي جواز شهادة المرأتين مع الرجل في سائر عقود المداينات، وهي كل عقد وقع على دين سواء كان بدلا أم بضعا، أم منافع أم دم عمد، فمن ادعى خروج شيء من العقود من الظاهر لم يسلم له ذلك إلا بدليل.

وقال الشافعي: لا تجوز شهادة النساء مع الرجال في غير الأموال، ولا يجوز في الوصية إلا الرجل، ويجوز في الوصية بالمال.

وقال الليث: تجوز شهادة النساء في الوصية والعتق، ولا تجوز في النكاح ولا الطلاق ولا قتل العمد الذي يقاد منه.

وقال الأوزاعي: لا تجوز شهادة رجل وامرأتين في نكاح. وقال الحسن بن حيي:

لا تجوز شهادتهن في الحدود. وقال الثوري: تجوز في كل شيء إلا الحدود.

وقال مالك لا تجوز في الحدود ولا القصاص، ولا الطلاق ولا النكاح، ولا الأنساب ولا الولاء ولا

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢/٤٩٢

الإحصان، وتجوز في الوكالة والوصية إذا لم يكن فيها عتق. وقال الحسن، والضحاك: لا تجوز شهادتهن إلا في الدين. وقال عمر، وعطاء، والشعبي: تجوز في الطلاق. وقال شريح: تجوز في العتق، وقال عمر، وابنه عبد الله: تجوز شهادة الرجل والمرأتين في النكاح.

وقال علي: تجوز في العقد

. وقال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، وزفر، وعثمان البتي: لا تقبل شهادة النساء مع الرجال في الحدود والقصاص، وتقبل فيما سوى ذلك من سائر الحقوق. وأدلة هذه الأقوال مذكورة في كتب الفقه.

وأما قبول شهادتهن مفردات فلا خلاف في قبولها في: الولادة، والبكارة، والاستهلال، وفي عيوب النساء الإماء وما يجري مجرى ذلك مما هو مخصوص بالنساء.

وأجاز أبو حنيفة شهادة الواحدة العادلة في رؤية الهلال إذ هو عنده من باب الإخبار، وكذلك شهادة القابلة مفردة.." (١)

٣٨٧. "بالإصر الذي حمله على من قبلهم، وهنا سألوا أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، وهو أعم من الإصر السابق لتخصيصه بالتشبيه. وعموم هذا، والتشديد في: ولا تحملنا، للتعدية.

وفي قراءة أبي في قوله: ولا تحمل علينا إصرا للتكثير في حمل: كجرحت زيدا وجرحته، وقيل: ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا أولا أن يعفيهم من التكاليف الشاقة بقوله: ولا تحمل علينا إصرا ثم ثانيا طلبوا أن يعفيهم عما نزل على أولئك من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها. انتهى.

والطاقة القدرة على الشيء، وهي مصدر جاء على غير قياس المصادر، والقياس طاقة، فهو نحو: جابة، من أجاب، و: غارة، من أغار. في ألفاظ سمعت لا يقاس عليها.

فلا يقال: أطال طالة، وهذا يحتمل وجهين.

أحدهما: أن يعني بما لا طاقة، ما لا قدرة لهم عليه ألبتة، وليس في وسعهم، وهو المعنى الذي وقع فيه الخلاف.

والثاني: أن يعني بالطاقة ما فيه المشقة الفادحة، وإن كان مستطاعا حملها.

فبالمعنى الأول يرجع إلى العقوبات وما أشبهها. وبالمعنى الثاني يرجع إلى التكاليف. قال ابن الأنباري: المعنى لا تحملنا حملا يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروه. خاطب العرب على حسب ما يعقل فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغضه: ما أطيق النظر إليه، وهو مطيق للنظر إليه لكنه يثقل عليه، ومثله ما كانوا يستطيعون السمع «١» .

واعف عنا واغفر لنا وارحمنا تقدم تفسير العفو والغفران والرحمة، طلبوا العفو وهو الصفح عن الذنب:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢/٧٢٩

وإسقاط العقاب، ثم ستره عليهم صونا لهم من عذاب التخجيل، لأن العفو عن الشيء لا يقتضي ستره فيقال: عفا عنه إذا وقفه على الذنب ثم أسقط عنه عقوبة ذلك الذنب، فسألوا الإسقاط للعقوبة أولا لأنه الأهم، إذ فيه التعذيب الجسماني والنعيم الروحاني بتجلي البارئ تعالى لهم. وقال الراغب: العفو إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنب وإظهار الإحسان بدله، فكأنه جمع بين تغطية ذنبه، وكشف الإحسان الذي غطى به. والرحمة إفاضة الإحسان إليه، فالثاني أبلغ من الأول، والثالث أبلغ من

---

(١) سورة هود: ١١/ ٢٠.." (١)

٣٨٨. "الدائرة: واحدة الدوائر، وهي صروف الدهر، ودوله، ونوازله. وقال الشاعر:

ويعلم أن الدائرات تدور اللعب معروف وهو مصدر **على غير قياس**، وفعله لعب يلعب. الإطفاء: الإخماد حتى لا يبقى أثر. الأفك: بفتح الهمزة مصدر أفكه يأفكه، أي قلبه وصرفه. ومنه: أجئتنا لتأفكنا «١» يؤفك عنه من أفك. قال عروة بن أذينة:

---

(١) سورة الأحقاف: ٤٦/ ٢٢.." (٢)

٣٨٩. "وكسر فتحة همزتها لغة سليم وهي عندي حرف بسيط لا مركب وجامد لا مشتق وذكر صاحب كتاب اللوامح أن أيان في الأصل كان أي أوان فلما كثر دوره حذفت الهمزة **على غير قياس** ولا عوض وقلبت الواو ياء فاجتمعت ثلاث ياءات فحذفت إحداها فصارت على ما رأيت انتهى، وزعم أبو الفتح أنه فعلان وفعلال مشتق من أي ومعناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه وامتنع أن يكون فعالا وفعالا من أين لأن أيان ظرف زمان وأين ظرف مكان فأوجب ذلك أن يكون من لفظ أي لزيادة النون ولأن أيان استفهام كما أن أيا كذلك والأصل عدم التركيب وفي أسماء الاستفهام والشرط الجمود كمتى وحيثما وأنى وإذا، رسا يرسو ثبت. الحفي المستقصي للشيء المحتفل به المعتني، وفلان حفي بي بار معتن. وقال الشاعر:

فلما التقينا بين السيف بيننا ... لسائلة عنا حفي سؤالها

وقال آخر:

سؤال حفي عن أخيه كأنه ... بذكرته وسنان أو متواسن

والإحفاء الاستقصاء ومنه إحفاء الشارب والحافي أي حفيت قدميه للاستقصاء في السير والحفاوة البر

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢/٧٦٦

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٤/٢٩٠

واللطف.

وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم أي جذبنا الجبل بشدة وفوقهم حال مقدرة والعامل فيها محذوف تقديره كائنا فوقهم إذ كانت حالة النتق لم تقارن الفوقية لكنه صار فوقهم، وقال الحوفي وأبو البقاء: فوقهم ظرف لنتقنا ولا يمكن ذلك إلا إن ضمن نتقنا معنى فعل يمكن أن يعمل في فوقهم أي رفعنا بالنتق الجبل فوقهم فيكون كقوله ورفعنا فوقهم الطور «١» والجملة من قوله كأنه ظلة في موضع الحال والمعنى كأنه عليهم ظلة والظلة ما أضلل من سقيفة أو سحاب وينبغي أن يحمل التشبيه على أنه بظلة مخصوصة لأنه إذا كان كل ما أظل يسمى ظلة فالجبل فوقهم صار ظلة وإذا صار ظلة فكيف يشبه بظلة فالمعنى والله أعلم كأنه حالة ارتفاعه عليهم ظلة من الغمام وهي الظلة التي ليست تحتها عمد بل إمساكها بالقدرة الإلهية وإن كانت أجراما بخلاف الظلة الأرضية فإنها لا تكون إلا على عمد فلما دانت هذه الظلمة الأرضية فوقهم بلا عمد شبهت بظلة الغمام التي ليست بلا عمد، وقيل: اعتاد البشر هذه الأجرام الأرضية ظللا إذ

(١) سورة النساء: ٤/ ١٥٤.." (١)

٣٩٠. "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون إحدى الطائفتين غير معينة والطائفتان هما كطائفة غير قريش وكانت فيهما تجارة عظيمة لهم ومعها أربعون راكبا فيها أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام وطائفة الذين استنفرهم أبو جهل وكانوا في العدد الذي ذكرناه وغير ذات الشوكة هي العير لأنها ليست ذات قتال وإنما هي غنيمة باردة ومعنى إثبات الحق تثبيته وإعلاؤه وبكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وبما ظهر ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال والمعنى أنكم ترغبون في إبقاء العاجلة وسلامة الأحوال وسفساف الأمور وإعلاء الحق والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم ذات الشوكة وأراكهم عيانا خذلهم ونصركم وأذلهم وأعزكم وحصل لكم ما أربى على دائرة العير وما أدناه خير منهما، وقرأ مسلمة بن محارب يعدكم بسكون الدال لتوالي الحركات وابن محيصن الله إحدى بإسقاط همزة إحدى **على غير قياس**، وعنه أيضا أحد على التذكير إذ تأنيث الطائفة مجاز، وأدغم أبو عمرو الشوكة تكون، وقرأ مسلم بن محارب بكلمته على التوحيد وحكاها ابن عطية عن شيبة وأبي جعفر ونافع بخلاف عنهم وأطلق المفرد مرادا به الجمع للعلم به أو أريد به كلمة تكوين الأشياء وهو كن قيل وكلماته هي ما وعد نبيه في سورة الدخان فقال:

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥/٢١٧

يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون «١» أي من أبي جهل وأصحابه، وقيل أوامره ونواهيه، وقيل مواعيده النصر والظفر والاستيلاء على إحدى الطائفتين، وقيل كلماته التي سبقت في الأزل.
ومعنى ليحق الحق ليظهر ما يجب إظهاره وهو الإسلام ويبطل الباطل فعل ذلك وقيل الحق القرآن والباطل إبليس وتتعلق هذه اللام بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك أي ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحوه وليس هذا بتكرير لاختلاف المعنيين الأول تبيين بين الإرادتين والثاني بيان لما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك على كثرتهم إلا لهذا المقصد الذي هو أسنى المقاصد وتقدير ما تعلق به متأخرا أحسن. قال الزمخشري ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه

---

(١) سورة الدخان: ٤٤/ ١٦.." (١)

٣٩١. "جمع تكسير لحديث على غير قياس، كما قالوا: أباطل وأباطيل، ولم يأت اسم جمع على هذا الوزن. وإذا كانوا يقولون في عباديد وينادير أنهما جمعا تكسير ولم يلفظ لهما بمفرد، فكيف لا يكون أحاديث وأباطيل جمعي تكسير؟.
ويتم نعمته عليك، وإتمامها بأنه تعالى وصل لهم نعمة الدنيا بأن جعلهم أنبياء وملوكا، بنعمة الآخرة بأن نقلهم إلى أعلى الدرجات في الجنة. وقال مقاتل: بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك، وقال الحسن: هذا شيء أعلمه الله يعقوب من أنه سيعطي يوسف النبوة. وقيل: بأن يحوج إخوتك إليك، فتقابل الذنب بالغفران، والإساءة بالإحسان.
وقيل: بإنجائك من كل مكروه. وآل يعقوب الظاهر أنهم أولاده ونسلهم أي: نجعل النبوة فيهم. وقال الزمخشري: هم نسلهم وغيرهم. وقيل: أهل دينه وأتباعهم، كما جاء
في الحديث: من آلك؟ فقال: «كل تقي»
وقيل: امرأته وأولاده الأحد عشر. وقيل: المراد يعقوب نفسه خاصة. وإتمام النعمة على إبراهيم بالخلة، والإنجاء من النار، وإهلاك عدوه نمروذ. وعلى إسحاق بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه. وسمي الجد وأبا الجد أبوين، لأنهما في عمود النسب كما قال: وإله آبائك «١» ولهذا يقولون: ابن فلان، وإن كان بينهما عدة في عمود النسب. إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء، حكيم يضع الأشياء مواضعها. وهذان الوصفان مناسبان لهذا الوعد الذي وعده يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام في قوله: وكذلك يجتبيك ربك قيل: وعلم يعقوب عليه السلام ذلك من دعوة إسحاق عليه السلام حين تشبه له بعيصو.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥/٢٧٧

لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين: آيات أي: علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عنهم وعرف قصتهم. وقيل: آيات على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد، ولا قراءة كتاب.

والذي يظهر أن الآيات الدلالات على صدق الرسول وعلى ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه، وصدق رؤياه، وصحة تأويله، وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الأمانة، وحدوث السرور بعد اليأس. وقيل: المعنى لمن سأل ولمن لم يسأل لقوله:

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٣٣.." (١)

٣٩٢. "المسك. وقال الكسائي أيضا: فيه اللغات الثلاث، وقد يكون بالفتح المجمر عند قضاعة. وقال أيضا: قد يكون في اللغات الثلاث الفالوذ المعقد. وقال الفضل: في اللغات الثلاث هو البزماورد، وكل ملفوف بلحم ورقاق. وقال أيضا: المتك بالضم المائدة، أو الخمر في لغة كندة. السكين: تذكر وتؤنث، قاله الفراء والكسائي. ولم يعرف الأصمعي فيه إلا التذكير. حاش: قال الفراء من العرب من يتمها، وفي لغة الحجاز: حاش لك، وبعض العرب: حشى زيد كأنه أراد حشى لزيد، وهي في أهل الحجاز انتهى. وقال الزمخشري:

حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشى زيد. قال:

حاشى أبي ثوبان أن لنا ... ضنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى حاش الله: براءة الله، وتنزيه الله انتهى. وما ذكر أنها تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء غير معروف عند النحويين، لا فرق بين قولك: قام القوم إلا زيدا، وقام القوم حاشى زيد. ولما مثل بقوله أساء القوم حاشى زيد، وفهم من هذا التمثيل براءة زيد من الإساءة، جعل ذلك مستفادا منها في كل موضع. وأما ما أنشده من قوله: حاشى أبي ثوبان، فكذا ينشده ابن عطية، وأكثر النحاة. وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر، وهما من بيتين وهما:

حاشى أبي ثوبان أن أبا ... ثوبان ليس ببكمة فدم

عمرو بن عبد الله إن به ... ضنا عن الملحاة والشتم

عصر العنب وغيره أخرج ما فيه من المائع بقوة. الخبز: معروف، وجمعه أخباز، ومعانيه خباز. البضع:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٦/٢٤٠

ما بين الثلاث إلى التسع قاله قتادة. وقال مجاهد: من الثلاثة إلى السبعة، وقال أبو عبيدة: البضع لا يبلغ العقد ولا نصف العقد، وإنما هو من الواحد إلى العشرة. وقال الفراء: ولا يذكر البضع إلا مع العشرات، ولا يذكر مع مائة ولا ألف.

السمن: معروف وهو مصدر سمن يسمن، واسم الفاعل سمين، والمصدر واسم الفاعل على غير قياس.

العجفاء: المهذولة جدا قال:

ورجال مكة مستنون عجاف الضغث أقل من الحزمة وأكثر من القبضة من النبات والعشب من جنس واحد أو، من أخلاط النبات والعشب فمن جنس واحد ما

روي في قوله: وخذ بيدك ضغثا فاضرب." (١)

٣٩٣. "فيقول: على هذا نعم البعير، الجمل لعمومه، ويمتنع على الأشهر لترادفه. وفي لغة تكسر باؤه، ويجمع في القلة على أبعرة، وفي الكثرة على بعران.

وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون: لما استثنى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها، تذكر الناجي من القتل وهو ساقي الملك يوسف، وتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه، وطلبه إليه ليذكره عند الملك. وادكر أي تذكر ما سبق له مع يوسف بعد أمة أي: مدة طويلة. والجملة من قوله وادكر حالية، وأصله: واذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت الذال فيها فصار ادكر، وهي قراءة الجمهور. وقرأ الحسن: واذكر بإبدال التاء ذالا، وإدغام الذال فيها. وقرأ الأشهب العقيلي: بعد إمة بكسر الهمزة أي: بعد نعمة أنعم عليه بالنجاة من القتل. وقال ابن عطية: بعد نعمة أنعم الله بها على يوسف في تقريب إطلاقه، والأمة النعمة قال:

ألا لا أرى ذا إمة أصبحت به ... فتتركه الأيام وهي كما هيا

قال الأعلم: الأمة النعمة، والحال الحسنة. وقرأ ابن عباس، وزيد بن علي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وشبيل بن عزرة الضبعي، وربيعة بن عمرو: بعد أمه بفتح الهمزة، والميم مخففة، وهاء، وكذلك قرأ ابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، واختلف عنهم. وقرأ عكرمة وأيضا مجاهد، وشبيل بن عزرة: بعد أمه بسكون الميم، مصدر أمه على غير قياس، وقال الزمخشري: ومن قرأ بسكون الميم فقد أخطأ انتهى. وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء. أنا أنبئكم بتأويله أي أخبركم به عمن عنده علمه لا من جهتي.

وقرأ الحسن أنا أتيكم مضارع أتى من الإتيان، وكذا في الإمام. وفي مصحف أبي:

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٦٥/٦

فأرسلون، أي ابعثوني إليه لأسأله، ومروني باستعباره، استأذن في المضي إلى يوسف.
فقال ابن عباس: كان في السجن في غير مدينة الملك، وقيل: كان فيها، ويرسم الناس اليوم سجن يوسف في موضع على النيل بينه وبين الفسطاط ثمانية أميال. وفي الكلام حذف التقدير: فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال: والصديق بناء مبالغة كالشريب والسكير، وكان." (١)

٣٩٤. "وقال الزمخشري: ومن الأول للابتداء والثانية للتبيين، وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن انتهى. ويحتمل أن تكون من في قوله من ذهب للتبعيض لا للتبيين. وقرأ أبان عن عاصم من أسورة من غير ألف وبزيادة هاء وهو جمع سوار. وقرأ أيضا أبان عن عاصم وابن أبي حماد عن أبي بكر: ويلبسون بكسر الباء. وقرأ ابن محيصن وإستبرق بوصل الألف وفتح القاف حيث وقع جعله فعلا ماضيا على وزن استفعل من البريق، ويكون استفعل فيه موافقا للمجرد الذي هو برق كما تقول: قر واستقر بفتح القاف ذكره الأهوازي في الإقناع عن ابن محيصن. قال ابن محيصن. وحده: وإستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه انتهى. فظاهره أنه ليس فعلا ماضيا بل هو اسم ممنوع الصرف. وقال ابن خالويه: جعله استفعل من البريق ابن محيصن فظاهره أنه فعل ماض وخالفهما صاحب اللوامح. قال ابن محيصن: وإستبرق بوصل الهمزة في جميع القرآن فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس**، ويجوز أنه جعله عربية من برق يبرق بريقا. وذلك إذا تلألأ الثوب لجدته ونضارته، فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما تسمى به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة، ومعاملة المتمكنة من الأسماء في الصرف والتنوين، وأكثر التفاسير على أنه عربية وليس بمستعرب دخل في كلامهم فأعربوه انتهى.
ويمكن أن يكون القولان روايتين عنه فتح القاف وصرفه التنوين، وذكر أبو الفتح بن جني قراءة فتح القاف، وقال: هذا سهو أو كالسهو انتهى. وإنما قال ذلك لأنه جعله اسما ومنعه من الصرف لا يجوز لأنه غير علم، وقد أمكن جعله فعلا ماضيا فلا تكون هذه القراءة سهوا. قال الزمخشري: وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج، وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين، وقدمت التحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب، وفي القيمة أغلى، وفي العين أحلى، وبناء فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله إشعارا بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم كما قال الشاعر:
غرائر في كن وصون ونعمة ... تحلين ياقوتا وشذرا مفقرا
وأسند اللباس إليهم لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا لو كان بادي العورة، ووصف الثياب بالخضرة لأنها أحسن الألوان والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها، وقد روي في ذلك أثر إنها تزيد في

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٨٤/٦

ضوء البصر وقال بعض الأدباء:

أربعة مذهبة لكل هم وحزن ... الماء والخضرة والبستان والوجه الحسن." (١)

٣٩٥. "وإخبار عنه به لأن معناه قد كفرت بالذي استدرك هو مخبرا عن نفسه، فقال لكنا هو الله ربي إقرار بتوحيد الله وأنه لا يشرك به غيره.

وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير ونافع في رواية ورش وقالون لكن بتشديد النون بغير ألف في الوصل وبألف في الوقف وأصله، ولكن أنا نقل حركة الهمزة إلى نون لكن وحذف الهمزة فالتقى مثلان فأدغم أحدهما في الآخر. وقيل: حذف الهمزة من أنا **على غير قياس** فالتقت نون لكن وهي ساكنة مع نون أنا فأدغمت فيها، وأما في الوقف فإنه أثبت ألف أنا وهو المشهور في الوقف على أنا، وأما في الوصل فالمشهور حذفها وقد أبدلها ألفا في الوقف أبو عمر وفي رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه. وقال ابن عطية:

وروى هارون عن أبي عمر ولكنه هو الله ربي بضمير لحق لكن. وقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيلي وزيد بن علي والحسن والزهري وأبو بحرية ويعقوب في رواية وأبو عمر وفي رواية وكردم وورش في رواية وأبو جعفر بإثبات الألف وقفا ووصلا، أما في الوقف فظاهر، وأما في الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه في الكلام وغيرهم في الاضطرار فجاء على لغة بني تميم. وعن أبي جعفر حذف الألف وصلا ووقفا وذلك من رواية الهاشمي، ودل إثباتها في الوصل أيضا على أن أصل ذلك لكن أنا.

وقال الزمخشري: وحسن ذلك يعني إثبات الألف في الوصل وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة انتهى. ويدل على ذلك أيضا قراءة فرقة لكننا بحذف الهمزة وتخفيف النونين. وقال أيضا الزمخشري ونحوه يعني ونحو إدغام نون لكن في نون أما بعد حذف الهمزة قول القائل:

وترميني بالطرف أي أنت مذنب ... وتقلينني لكن إياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك انتهى. ولا يتعين ما قاله في البيت لجواز أن يكون التقدير لكنني فحذف اسم لكن وذكروا أن حذفه فصيح إذا دل عليه الكلام، وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ... ولكن زنجي عظيم المشافر

أي ولكنك زنجي، وأجاز أبو علي أن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ووقع الإدغام لاجتماع المثلين ثم وحد في ربي على المعنى، ولو اتبع اللفظ لقال ربنا انتهى. وهو تأويل بعيد. وقال ابن عطية: ويتوجه في لكنا أن تكون المشهورة من أخوات إن المعنى لكن قولي هو الله ربي إلا أني لا أعرف من يقرأ بها وصلا ووقفا." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ١٧١/٧

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ١٧٨/٧

٣٩٦. "المطلق فتصلح لما هو بمعنى الإلجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت: أقمت زيدا فإنه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام. وأما قوله الإتراك لا تقول إلى آخره فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس أجاز لك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث قالوا: أجاء فيجيز ذلك، وأما تنظيره ذلك بآتي فهو تنظير غير صحيح لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية، وأن أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بني على أفعل وليس منقولا من أتى بمعنى جاء، إذ لو كان منقولا من أتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني، والفاعل هو الأول إذا عديته بالهمزة تقول: أتى المال زيدا، وآتى عمرا زيدا المال، فيختلف التركيب بالتعدية لأن زيدا عند النحويين هو المفعول الأول والمال هو المفعول الثاني. وعلى ما ذكره الزمخشري كان يكون العكس فدل على أنه ليس على ما قاله. وأيضا فآتى مرادف لأعطى فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى. وقوله: ولم تقل أتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل يقال: أتيت المكان كما تقول: جئت المكان. وقال الشاعر:

أتوا ناري فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال: أتانيه. وقرأ الجمهور فأجاءها أي ساقها. وقال الشاعر:

وجار سار معتمدا إليكم ... أجاءته المخافة والرجاء

وأما فتحة الجيم الأعمش وطلحة. وقرأ حماد بن سلمة عن عاصم. قال ابن عطية وشبيل بن عزرة فاجأها من المفاجأة. وقال صاحب اللوامح شبيل بن عزرة: فاجأها. فقيل:

هو من المفاجأة بوزن فاعلها فبدلت همزتها بألف تخفيف **على غير قياس**، ويحتمل أن تكون همزة بين بين غير مقلوبة. وروي عن مجاهد كقراءة حماد عن عاصم. وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بكسر الميم يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وتمخض الولد في بطنها: وإلى تتعلق بفاجأها، ومن قرأ فاجأها من المفاجأة فتتعلق بمحذوف أي مستندة أي في حال استنادها إلى النخلة، والمستفيض المشهور أن ميلاد عيسى عليه السلام كان بيت لحم، وأنها لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت به إلى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس، ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فعمدته فيه وهو اليوم الذي." (١)

٣٩٧. "الوني: الفتور، يقال: وني يني وهو فعل لازم، وإذا عدي فبعن وبفي وزعم بعض البغداديين أنه يأتي فعلا ناقصا من أخوات ما زال وبمعناها، واختاره ابن مالك وأنشد:

لا يني الخب شيمة الحب ... ما دام فلا تحسبنه ذا ارعواء

وقالوا: امرأة أناة أي فاترة عن النهوض، أبدلوا من واوها همزة **على غير قياس**. قال الشاعر:

فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر شت الأمر شتا وشتاتا تفرق، وأمر شت متفرق وشتى فعلى من الشت

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٥١/٧

وألفه للتأنيث جمع شتيت كمريض ومرضى، ومعناه متفرقة، وشتان اسم فاعل سحت: لغة الحجاز وأسحت لغة نجد وتميم، وأصله استقصاء الحلق للشعر. وقال الفرزدق وهو تميمي:

وعض زمان يا ابن مروان لم يك ... من المال إلا مسحت أو محلق

ثم استعمل في الإهلاك والإذهاب. الخيبة: عدم الظفر بالمطلوب. الصف: موضع المجمع قاله أبو عبيدة، وسمي المصلى الصف وعن بعض العرب الفصحاء ما استطعت أن آتي الصف أي المصلى، وقد يكون مصدرا ويقال جاؤوا صفا أي مصطفين. التخييل:

إبداء أمر لا حقيقة له، ومنه الخيال وهو الطيف الطارق في النوم. قال الشاعر:

ألا يا لقومي للخيال المشوق ... وللدار تنأى بالحبيب ونلتقي

اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من." (١)

٣٩٨. "السلالة: فعالة من سللت الشيء من الشيء إذا استخرجته منه. وقال أمية:

خلق البرية من سلالة منتن ... وإلى السلالة كلها ستعود

والولد سلالة أبيه كأنه انسل من ظهر أبيه. قال الشاعر:

فجاءت به عصب الأديم غضنفرا ... سلالة فرج كان غير حصين

وهو بناء يدل على القلة كالقلامة والنحاتة. سيناء وسينون: اسمان لبقعة، وجمهور العرب على فتح سين سيناء فالألف فيه للتأنيث كصحراء فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم، وكنانة تكسر السين فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم أيضا عند الكوفيين لأنهم يثبتون أن همزة فعلاء تكون للتأنيث، وعند البصريين يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة أو العلمية والتأنيث، لأن ألف فعلاء عندهم لا تكون للتأنيث بل للإلحاق كعلباء ودرحاء. قيل: وهو جبل فلسطين.

وقيل: بين مصر وأيلة. الدهن: عصارة الزيتون واللوز وما أشبههما مما فيه دسم، والدهن:

بفتح الدال مسح الشيء بالدهن. هيهات: اسم فعل يفيد الاستبعاد فمعناها بعد، وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب التكميل لشرح التسهيل، ويأتي منها ما قرئ به إن شاء الله.

الغثاء: الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله أبو عبيد. وقال الأخفش:

الغثاء والجفاء واحد، وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد. وقال الزجاج: البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل خالط زبده انتهى. وتشدد ثاؤه وتخفف، ويجمع على أغثاء شذوذا، وروى بيت امرئ

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٣٥/٧

القيس: من السيل والغثاء بالتخفيف والتشديد بالجمع. تترى واحدا بعد واحد. قال الأصمعي: وبينهما مهلة. وقال غيره: المواترة التتابع بغير مهلة، وتاؤه مبدلة من واو **على غير قياس**، إذ أصله الوتر كتاء تولج وتيقور الأصل وولج وو يقور لأنه من الولوج والوقار، وجمهور العرب على عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم وكنانة تنونه، وينبغي أن تكون الألف فيه للإلحاق كهي في علقى المنون، وكتبه بالياء يدل على ذلك، ومن زعم أن التنوين فيه كصبرا ونصرا فهو مخطئ لأنه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الإعراب في الراء، فتقول تتر في الرفع وتتر في الجر لكن ألف الإلحاق في المصدر نادر، ولا يلزم وجود النظير. وقيل: تترى اسم جمع كأسرى وشتى. المعين: الميم فيه زائدة." (١)

٣٩٩. "قاله قوم أو إرسال ملك، قاله قطرب وقوم، وهذا هو الظاهر لقوله: إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين. وأجمعوا على أنها لم تكن نبية، فإن كان الوحي بإرسال ملك، كما هو الظاهر، فهو كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى، وكما روي من تكليم الملائكة للناس. والظاهر أن هذا الإيحاء هو بعد الولادة، فيكون ثم جملة محذوفة، أي ووضعت موسى أمه في زمن الذبح وخافت عليه. وأوحينا، وأن تفسيرية، أو مصدرية.

وقيل: كان الوحي قبل الولادة. وقرأ عمرو بن عبد الواحد، وعمر بن عبد العزيز: أن ارضعيه، بكسر النون بعد حذف الهمزة **على غير قياس**، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة، وهي الفتحة، إلى النون، كقراءة ورش.

فإذا خفت عليه من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الأولاد، فألقيه في اليم. قال الجنيد: إذا خفت حفظه بواسطة، فسلميه إلينا بإلقائه في البحر، واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك. وزمان إرضاعه ثلاثة أشهر، أو أربعة، أو ثمانية، أقوال. واليم هنا: نيل مصر. ولا تخافي: أي من غرقه وضياعه، ومن التقاطه، فيقتل، ولا تحزني لمفارقتك إياه، إنا رادوه إليك، وعد صادق يسكن قلبها ويبشرها بحياته وجعله رسولا، وقد تقدم في سورة طه طرف من حديث التابوت ورميه في اليم وكيفية التقاطه، فأغنى عن إعادته. واستفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعرا فقالت: أبعد قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى الآية، فصاحة؟ وقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

فالتقطه آل فرعون: في الكلام حذف تقديره: ففعلت ما أمرت به من إرضاعه ومن إلقائه في اليم. واللام في ليكون للتعليل المجازي، لما كان مآل التقاطه وتربيته إلى كونه عدوا لهم وحزنا، وإن كانوا لم يلتقطوه إلا للتبني، وكونه يكون حبيبا لهم، ويعبر عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة. وقرأ الجمهور: وحزنا، بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش. وقرأ ابن وثاب، وطلحة، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وابن سعدان: بضم الحاء وإسكان الزاي. والخاطئ: المتعمد الخطأ، والمخطئ: الذي لا

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٤٤/٧

يتعمده. واحتمل أن يكون في الكلام حذف، وهو الظاهر، أي فكان لهم عدوا وحزنا، أي لأنهم كانوا خاطئين، لم يرجعوا إلى دينه، وتعمدوا الجرائم والكفر بالله. وقال المبرد:

خاطئين على أنفسهم بالتقاطه. وقيل: بقتل أولاد بني إسرائيل. وقيل: في تربية عدوهم.

وأضيف الجند هنا وفيما قبل إلى فرعون وهامان، وإن كان هامان لا جنود له، لأن أمر الجنود لا يستقيم إلا بالملك والوزير، إذ بالوزير تحصل الأموال، وبالملك وقهره يتوصل." (١)

٤٠٠. "إلى ظل جدار لا سقف له. وقيل: جعل ظهره يلي ما كان يلي وجهه من الشمس. فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، قال المفسرون: تعرض لما يطعمه، لما ناله من الجوع، ولم يصرح بالسؤال وأنزلت هنا بمعنى تنزل. وقال الزمخشري: وعدي باللام فقير، لأنه ضمن معنى سائل وطالب. ويحتمل أن يريد، أي فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين، وهو النجاة من الظالمين، لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة، قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له. وقال الحسن: سأل الزيادة في العلم والحكمة..

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء: في الكلام حذف، والتقدير: فذهبتا إلى أبيهما من غير إبطاء في السقي، وقصتا عليه أمر الذي سقى لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له. فجاءته إحداهما. قرأ ابن محيصن: فجاءته احداهما، بحذف الهمزة، تخفيفا **على غير قياس**، مثل: ويل امه في ويل أمه، ويا با فلان، والقياس أن يجعل بين بين، وإحداهما مبهم. فقيل: الكبرى، وقيل: كانتا توأمتين، ولدت الأولى قبل الأخرى بنصف نهار. وعلى استحياء: في موضع الحال، أي مستحيية متحفزة. قال عمر بن الخطاب: قد سترت وجهها بكم درعها والجمهور: على أن الداعي أباهما هو شعيب عليه السلام، وهما ابنتاه. وقال الحسن: هو ابن أخي شعيب، واسمه مروان. وقال أبو عبيدة: هارون.

وقيل: هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب. وقيل: كان عمهما صاحب الغنم، وهو المزوج، عبرت عنه بالأب، إذ كان بمثابته. ليجزيك أجر ما سقيت لنا، في ذلك ما كان عليه شعيب من الإحسان والمكافأة لمن عمل له عملا، وإن لم يقصد العالم المكافأة.

فلما جاءه: أي فذهب معهما إلى أبيهما، وفي هذا دليل على اعتماد أخبار المرأة، إذ ذهب معها موسى، كما يعتمد على أخبارها في باب الرواية. وقص عليه القصص: أي ما جرى له من خروجه من مصر، وسبب ذلك. قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين: أي قبل الله دعاءك في قولك: رب نجني من القوم الظالمين، أو أخبره بنجاته منهم، فأنسه بقوله: لا تخف،

وقرب إليه طعاما، فقال له موسى: إنا أهل بيت، لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا، فقال له شعيب: ليس هذا عوض السقي، ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف وإطعام الطعام فحينئذ أكل موسى

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٨٧/٨

عليه السلام.

قالت إحداهما: أبهم القائلة، وهي الذاهبة والقائلة والمتزوجة، يا أبت استأجره: أي لرعي الغنم وسقيها. ووصفته بالقوة: لكونه رفع الصخرة عن البئر وحده،." (١)

٤٠١. "الإسلام فما بعده، عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين، إذ أشار الرسول بأمر وقع منهم الإباء له، فأنكر عليهم، إذ طاعته، عليه السلام، من طاعة الله، وأمره من أمره.

والخيرة: مصدر من تخير **على غير قياس**، كالطيرة من تطير. وقرئ: بسكون الياء، ذكره عيسى بن سليمان. وقرأ الحرميان، والعربيان، وأبو جعفر، وشيبة، والأعرج، وعيسى: أن تكون، بتاء التأنيث والكوفيون، والحسن، والأعمش، والسلمي: بالياء.

ولما كان قوله: لمؤمن ولا مؤمنة، يعم في سياق النفي، جاء الضمير مجموعا على المعنى في قوله: لهم، مغلبا فيه المذكر على المؤنث. وقال الزمخشري: كان من حق الضمير أن يوحد، كما تقول: ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا. انتهى.

ليس كما ذكر، لأن هذا عطف بالواو، فلا يجوز إفراد الضمير إلا على تأويل الحذف، أي:

ما جاءني من رجل إلا كان من شأنه كذا، وتقول: ما جاء زيد ولا عمرو إلا ضربا خالدا، ولا يجوز إلا ضرب إلا على الحذف، كما قلنا.

وإذ تقول: الخطاب للرسول، عليه السلام. للذي أنعم الله عليه، بالإسلام، وهو أجل النعم، وهو زيد بن حارثة الذي كان الرسول تبناه. وأنعمت عليه: وهو عتقه، وتقدم طرف من قصته في أوائل السورة.

أمسك عليك زوجك: وهي زينب بنت جحش، وتقدم أن الرسول كان خطبها له.

وقيل: أنعم الله عليه بصحبتك ومودتك، وأنعمت عليه بتبنيه. فجاء زيد فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال:

«أرابك منها شيء؟» قال: لا والله ولكنها تعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال:

«أمسك عليك زوجك» ، أي لا تطلقها، وهو أمر ندب، «واتق الله في معاشرتها» .

فطلقها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد انقضاء عدتها.

وعلل تزويجه إياها بقوله: لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أن يتزوجوا زوجات من كانوا تبنوه إذا فارقوهن، وأن هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله: وحلائل أبنائكم «١» .

وقال علي بن الحسين: كان قد أوحى الله إليه أن زيدا سيطلقها، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها. فلما شكا زيد خلقها، وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له:

«أمسك عليك زوجك واتق الله»

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٢٩٨/٨

، على طريق الأدب والوصية، وهو يعلم أنه سيطلقها.

وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أنه يأمره بالطلاق.

ولما علم من أنه سيطلقها،

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٢٣.." (١)

٤٠٢. "لا يجاورونك، كما قال ابن عطية. قال الزمخشري: وهذا نصه ملعونين، نصب على الشتم أو الحال، أي لا يجاورونك، إلا ملعونين. دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا، كما مر في قول: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولا يصح أن ينتصب من أخذوا، لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. انتهى. وتقدم الكلام معه في مجيء الحال مما قبل إلا مذكورة بعد ما استثنى بإلا، فيكون الاستثناء منصبا عليهما، وأن جمهور البصريين منعوا من ذلك. وأما تجويز ابن عطية أن يكون بدلا، فالبدل بالمشتق قليل. وأما قول الزمخشري: لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها، فليس هذا مجمعا عليه، لأن ما بعد كلمة الشرط شيئان: فعل الشرط والجواب. فأما فعل الشرط، فأجاز الكسائي تقديم معموله على الكلمة، أجاز زيد أن يضرب اضربه، وأما الجواب فقد أجاز أيضا تقديم معموله عليه نحو: إن يقم زيد عمرا يضرب. وقد حكي عن بعض النحويين أنه قال: المعنى: أينما ثقفوا: أخذوا ملعونين، والصحيح أن ملعونين صفة لقليل، أي إلا قليلين ملعونين، ويكون قليلا مستثنى من الواو في لا يجاورونك، والجملة الشرطية صفة أيضا، أي مقهورين مغلوبا عليهم. ومعنى ثقفوا: حصروا وظفر بهم، ومعنى أخذوا: أسروا، والأخيذ: الأسير. وقرأ الجمهور: قتلوا، بتشديد التاء وفرقة: بتخفيفها، فيكون تقتيلا مصدرا **على غير قياس** المصدر.

والظاهر أن المنافقين انتهوا عما كانوا يؤذون به الرسول والمؤمنين، وتستر جميعهم، وكفوا خوفا من أن يقع بهم ما وقع القسم عليه، وهو الإغراء والجلاء والأخذ والقتل.

وقيل: لم يمتثلوا للانتهاء جملة، ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا. ألا ترى إلى إخراجهم من المسجد، ونهيه عن الصلاة عليهم، وما نزل فيهم في سورة براءة؟ وأبعد من ذهب إلى أنه لم ينته هؤلاء الأصناف، ولم ينفذ الله الوعيد عليهم، ففيه دليل على بطلان القول بإنفاذ الوعيد في الآخرة، ويكون هذا الوعيد مفروضا ومشروطا بالمشيئة.

سنة الله: مصدر مؤكد، أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ظفر بهم. وعن مقاتل: كما قتل أهل بدر وأسروا، فالذين خلوا يشمل أتباع الأنبياء الذين نافقوا، ومن قتل يوم بدر. يسئلك الناس: أي المشركون، عن وقت قيام الساعة، استعجالا على سبيل الهزء، واليهود على سبيل الامتحان،

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٨/٤٨١

إذ كانت معمى وقتها في التوراة، فنزلت الآية بأن يرد العلم إلى الله، إذ لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا. ولما ذكر حالهم في الدنيا أنهم ملعونون مهانون مقتولون، بين حالهم في الآخرة. وما يدريك:." (١)

٤٠٣. "يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم، وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور.

الظاهر أن وقال ماض لفظا ومعنى، أي وقال الذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا، ويحتمل أن يكون معنى وقال: ويقول، ويوم القيامة معمول لو يقولوا، أي ويقولوا في ذلك اليوم لما عاينوا ما حل بالكفار وأهليهم.

الظاهر أنهم الذين كانوا أهليهم في الدنيا، فإن كانوا معهم في النار فقد خسروهم، أي لا ينتفعون بهم وإن كانوا في الجنة لكونهم كانوا في الجنة لكونهم كانوا مؤمنين، كآسية امرأة فرعون، فهم لا ينتفعون بهم أيضا. وقيل: أهلوهم ما كان أعد لهم من الحور لو كانوا آمنوا، والظاهر أن قوله: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم من كلام المؤمنين وقيل:

استئناف إخبار من الله تعالى.

من قبل أن يأتي يوم، قيل: هو يوم ورود الموت، والظاهر أنه يوم القيامة. ومن الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما مر، أي لا يرد ذلك اليوم من ما حكم الله به فيه. وقال الزمخشري: من الله: من صلة للامرد. انتهى، وليس الجيد، إذ لو كان من صلته لكان معمولا له، فكان يكون معربا منونا. وقيل: من الله يتعلق بقوله: يأتي، من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده. ما لكم من ملجإ تلجأون إليه، فتتخلصون من العذاب، وما لكم من إنكار شيء من أعمالكم التي توردكم النار، والنكير مصدر أنكر على غير قياس. قيل: ويحتمل أن يكون اسم فاعل للمبالغة، وفيه بعد، لأن نكر معناه لم يميز.

فإن أعرضوا الآية: تسلية للرسول وتأنيس له، وإزالة لهمه بهم. والإنسان: يراد به الجنس، ولذلك جاء: وإن تصبهم سيئة. وجاء جواب الشرط فإن الإنسان ولم يأت فإنه، ولا فإنهم، ليدل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال: إن الإنسان لظلوم كفار «١» ، إن الإنسان لربه لكنود «٢» .

ولما ذكر أنه يكفر النعم، أتبع ذلك بأن له ملك العالم العلوي والسفلي، وأنه يفعل

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٥٠٦/٨

(١) سورة إبراهيم: ١٤/ ٣٤.

(٢) سورة العاديات: ١٠٠/ ٦.." (١)

٤٠٤. "البدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلى غير سنته، إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته: لكم دينكم ولنا ديننا. لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم، بل يقولون لهم هذا: براءة منهم ومن بدعتهم. وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان.

فهذا ما فتح الله العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة، والنبذة المثيرة إلى عظمة هذه السورة، وجلالتها ومقصودها، وبديع نظمها من غير استعانة بتفسير، ولا تتبع لهذه الكلمات من مظان توجد فيه، بل هي استجلاء مما علمه الله وألهمه، بفضله وكرمه، والله يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها، وبالغت في استحسانها. وعسى الله، المانّ بفضله الواسع العطاء الذي عطاؤه **على غير قياس** المخلوقين: أن يعين على تعليق تفسير على هذا النمط وهذا الأسلوب.

وقد كتبت على مواضع متفرقة من القرآن بحسب ما يسنح من هذا النمط وقت مقامي بمكة وبالبيت المقدس. والله المرجو إتمام نعمته.." (٢)

٤٠٥. "٣٩٩ - خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا

واختلف النحويون في وزنها: فمذهب سيبويه والخليل أنها فعلة، والأصل: أيية بفتح العين، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، وهذا شاذ، لأنه إذا اجتمع حرفا علة أعل الأخير، لأنه محل التغيير نحو: هوى وحوى، ومثلها في الشذوذ: غاية وطاية وراية.

ومذهب الكسائي أن وزنها آيية على وزن فاعلة، فكان القياس أن يدغم فيقال: آية كدابة إلا أنه ترك ذلك تخفيفا، فحذفوا عينها كما خففوا كينونة والأصل: كينونة بتشديد الياء، وضعفوا هذا بأن بناء كينونة أثقل فناسب التخفيف بخلاف هذه.

ومذهب الفراء أنها فعلة بسكون العين، واختاره أبو البقاء قال: «لأنها من تأيا القوم أي اجتمعوا، وقالوا في الجمع: آياء، فظهرت الياء [الأولى] ، والهمزة الأخيرة بدل من ياء، ووزنه أفعال، والألف الثانية بدل من همزة هي فاء الكلمة، ولو كانت عينها واوا لقالوا في الجمع، آواء، ثم إنهم قلبوا الياء الساكنة ألفا **على غير قياس**» انتهى. يعني أن حرف العلة لا يقلب حتى يتحرك وينفتح ما قبله.." (٣)

٤٠٦. "مهموزا فوزنها فعيلة والأصل: ذريئة فخففت الهمزة بأن أبدلت ياء كهمزة خطيئة والنسيء، ثم أدغمت الياء الزائدة في الياء المبدلة من الهمزة.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي ٣٤٧/٩

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم، ابن القيم ص/٥٩٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٣٠٨/١

وإن كانت من الذر فيجوز في وزنها أربعة أوجه، أحدها: فعلية وتحتمل هذه الياء أن تكون للنسب وغيروا الذال من الفتح إلى الضم كما قالوا في النسب إلى الدهر: دهري وإلى السهل: سهلي بضم الدال والسين، وأن تكون لغير النسب فتكون كقمرية. الثاني: أن يكون: فعيلة كمريقة، والأصل: ذريرة، فقلبت الراء الأخيرة ياء لتوالي الأمثال، كما قالوا تسريت وتظنيت في تسررت وتظننت. الثالث: أن تكون فعولة كقدوس وسبوح، والأصل: ذرورة، فقلبت الراء لما تقدم، فصار ذروية، فاجتمع واو وياء، فجاء القلب والإدغام كما تقدم. الرابع: أن تكون فعلولة والأصل: ذرورة، ففعل بها ما تقدم في الوجه الذي قبله.

وأما ذرية بكسر الذال فإن كانت من ذروت فوزنها فعيلة، والأصل: ذريوة، فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء بعدها، فإن كانت من ذريت فوزنها فعيلة أيضا، وإن كانت من ذرأ فوزنها فعيلة أيضا كبطيخة، والأصل ذريئة ففعل فيها ما تقدم في المضمومة الدال، وإن كانت من الذر فتحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون وزنها فعلية نسبة إلى الذر **على غير قياس** في المضمومة. الثاني: أن تكون فعيلة، الثالث: أن تكون فعليلة كحلتيت والأصل فيها: ذريرة ففعل فيهما ما تقدم من إبدال الراء الأخيرة ياء والإدغام فيها.

وأما «ذرية» بفتح الذال: فإن كانت من ذروت أو ذريت فوزنها: فعيلة كسكينة، والأصل: ذريوة أو ذريية، أو فعولة والأصل: ذرووة أو ذروية." (١)

٤٠٧. "امرأته أو زوجته فلا يريدون غير المجامعة وهل إطلاقه عليهما بطريق الحقيقة فيكون من باب الاشتراك أو بطريق الحقيقة والمجاز؟ الظاهر: الثاني: فإن المجاز خير من الاشتراك، وإذا قيل بالحقيقة والمجاز فإنهما حقيقة: ذهب قوم إلى أنه حقيقة في الوطء وذهب قوم إلى العكس. قال الراغب:» أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع، ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد، لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباحهم تعاطيه، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه. قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النسآء﴾ [النساء: ٣] قوله: ﴿حتى يؤمن﴾ / «حتى» بمعنى «إلى» فقط، والفعل بعدها منصوب بإضمار «أن» أي: إلى أن يؤمن، وهو مبني على المشهور لاتصاله بنون الإناث، والأصل: يؤمنن، فأدغمت لام الفعل في نون الإناث.

قوله: ﴿ولأمة مؤمنة خير﴾ سوغ الابتداء ب «أمة» شيئان: لام الابتداء والوصف «وأصل» أمة «: أمو، فحذفت لامها **على غير قياس**، وعوض منها تاء التأنيث ك» قلة «و» ثبة «يدل على أن لامها واو رجوعها في الجمع. قال الكلابي:." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١٠٢/٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٤١٥/٢

٤٠٨. "٩٤٩ – أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنون الإموان بالعار
ولظهورها في المصدر أيضا، قالوا: أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة. وهل وزنها» فعلة «بتحريك العين أو» فعلة «بسكونها؟ قولان، أظهرهما الأول، وكان قياسها على هذا أن تقلب لأمها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها كفتاة وقناة، ولكن حذفت على غير قياس.
والثاني: قال به أبو الهيثم، فإنه زعم أن جمع الأمة أمو، وأن وزنها فعلة بسكون العين فيكون مثل نخل ونخلة فأصلها أموة، فحذفوا لامها إذ كانت حرف لين، فلما جمعوها على مثل نخلة ونخل لزمهم أن يقولوا: أمة وأم، فكرهوا أن يجعلوها حرفين، وكرهوا أن يردوا الواو المحذوفة لما كانت [آخر] الاسم، فقدموا الواو وجعلوا ألفا بين الهمزة والميم فقالوا: أام. وما زعمه ليس بشيء إذ كان يلزم أن يكون الإعراب على الميم كما كان على لام «نخل» وراء «تمر» ، ولكنه على التاء المحذوفة مقدر كما سيأتي بيانه. وجمعت على «إموان» كما تقدم، وعلى إماء، والأصل: إماؤ، نحو رقبة ورقاب، فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة ككساء. وفي الحديث: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» وعلى آم، قال الشاعر:
٩٥٠ – تمشي بها ربد النعا ... م تماشي الآم الزوافر
والأصل «أأمو» بهمزتين، الأولى مفتوحة زائدة، والثانية ساكنة هي فاء." (١)
٤٠٩. "للجملة المنفية وإن صار معناها الإثبات اعتبارا باللفظ لا بالمعنى، وهذا من قسم ما اعتبر فيه جانب اللفظ دون المعنى، نحو: ﴿سوآء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ [البقرة: ٦] وقد تقدم تحقيقه.
قوله: ﴿ليطمئن﴾ اللام لام كي، فالفعل منصوب بعدها بإضمار «أن» ، وهو مبني لاتصاله بنون التوكيد، واللام متعلقة بمحذوف بعد «لكن» تقديره: ولكن سألتك كيفية الإحياء للاطمئنان، ولا بد من تقدير حذف آخر قبل «لكن» حتى يصح معه الاستدراك والتقدير: بلى آمنت وما سألت غير مؤمن، ولكن سألت ليطمئن قلبي.
والطمأنينة «السكون، وهي مصدر» اطمأن «بوزن اقشعر، وهي على غير قياس المصادر، إذ قياس» اطمأن «أن يكون مصدره على الاطمئنان. واختلف في» اطمأن «هل هو مقلوب أم لا؟ فمذهب سيبويه أنه مقلوب من» طأمن «، فالفاء طاء، والعين همزة، واللام ميم، فقدمت اللام على العين فوزنه: افلعل بدليل قولهم: طامنته فتطامن. ومذهب الجرمي أنه غير مقلوب، وكأنه يقول: إن اطمأن وطأمن مادتان مستقلتان، وهو ظاهر كلام أبي البقاء، فإنه قال:» والهمزة في «ليطمئن» أصل، ووزنه يفعلل، ولذلك جاء ﴿فإذا اطمأننتم﴾ [النساء: ١٠٣] مثل: اقشعررتم «. انتهى. فوزنه على الأصل دون

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٢/٤١٦

القلب، وهذا غير بعيد، ألا ترى أنهم في جبذ وجذب قالوا: ليس أحدهما مقلوبا من الآخر لاستواء المادتين في الاستعمال. ولترجيح كل من المذهبين موضع غير هذا.." (١)

٤١٠. "قوله تعالى: ﴿واللاتي﴾ : اللاتي: جمع «التي» في المعنى لا في اللفظ؛ لأن هذه صيغ موضوعة للتثنية والجمع، وليست بتثنية ولا جمع حقيقة. وقال أبو البقاء: «اللاتي جمع» التي «على غير قياس»، وقيل: هي صيغة موضوعة للجمع» ومثل هذا لا ينبغي أن يعده خلافا. ولها جموع كثيرة: ثلاث عشرة لفظة، وهي: اللاتي واللواتي واللائي، وبلا ياءات فهذه ست، واللاي بالياء من غير همز، واللا من غير ياء ولا همز، واللواء بالمد، واللوا بالقصر، و «الألى» كقوله:." (٢)

٤١١. "وأن يفعل ذلك، وأصيلان عنده شاذ فلا يقاس عليه، وفي عبارة مكي قال: «وأيضا فإنه يلزمهم أن يصغروا أشياء على شويات أو على شييئات وذلك لم يقله أحد» قلت: قوله «شويات» ليس بجيد، فإنه هذا ليس موضع قلب الياء واوا/، ألا ترى أنك إذا صغرت بيتا قلت: بييتا لا بويتا، إلا أن الكوفيين يجيزون ذلك فيمكن أن يرى رأيهم وقد رد مكي أيضا مذهب الفراء والأخفش بشيئين، أحدهما: أنه يلزم منه عدم النظير إذ لم يقع أفعلاء جمعا ل فيعل فيكون هذا نظيره، وهين وأهوناء شاذ لا يقاس عليه. والثاني: أن حذفه واعتلاله مجرى على غير قياس، فهذا القول خارج في جمعه اعتلاله عن القياس والسماع «.

المذهب الرابع - وهو قول الكسائي وأبي خاتم - أنها جمع شيء على أفعال ك» بيت «و» أبيات «و» ضيف «و» أضياف «واعترض الناس هذا القول بأنه يلزم منه منع الصرف بغير علته إذ لو كان على» أفعال «لا نصرف كأبيات. قال الزجاج:» أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ، وألزموه ألا يصرف أنباء وأسماء «قلت: والكسائي قد استشعر بهذا الرد فاعتذر عنه ولكن بما لا يقبل، قال الكسائي - رحمه الله-:» هي - أي أشياء - على وزن أفعال ولكنها كثرت في الكلام فأشبهت فعلاء فلم تصرف كما لم يصرف حمراء «قال:» وجمعوها أشاوى كما جمعوا عذراء وعذارى، وصحراء وصحارى، وأشياوات كما قيل حمراوات «، يعني أنهم عاملوا» أشياء «وإن كانت على أفعال معاملة حمراء وعذراء في جمعي التكسير والتصحيح. إلا أن." (٣)

٤١٢. "والفصيح فتح همزتها وهي قراءة العامة. وقرأ السلمي بكسرها وهي لغة سليم. واختلف النحويون في «أيان» : هل هي بسيطة أم مركبة؟ فذهب بعضهم إلى أن أصلها: أي أوان فحذفت الهمزة على غير قياس ولم يعوض منها شيء، وقلبت الواو ياء على غير قياس، فاجتمع ثلاث ياءات

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٢/٥٧٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٣/٦١٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٤/٤٣٨

فاستثقل ذلك فحذفت إحداهن، وبنيت الكلمة على الفتح فصارت أيان. واختلفوا فيها أيضا: هل هي مشتقة أم لا؟ فذهب أبو الفتح إلى أنها مشتقة من أويت إليه، لأن البعض آو إلى الكل، والمعنى: أي وقت وأي فعل، ووزنه فعلان أو فعلان بحسب اللغتين، ومنع أن يكون وزنه فعالا مشتقة من «أين» ، لأن أين ظرف مكان وأيان ظرف زمان.

ومرساها يجوز أن يكون اسم مصدر وأن يكون اسم زمان، قال الزمخشري: «مرساها» إرساؤها أو وقت إرسائها، أي: إثباتها وإقرارها «. قال الشيخ» وتقديره: وقت إرسائها ليس بجيد، لأن «أيان» استفهام عن الزمان فلا يصح أن يكون خبرا عن الوقت إلا بمجاز لأنه يكون التقدير: في أي وقت وقت إرسائها «وهو كلام حسن، ويقال: رسا يرسو: ثبت، ولا يقال إلا في الشيء الثقيل نحو: رست السفينة ترسو، وأرسيتها.

قوله: ﴿علمها﴾ مصدر مضاف للمفعول والظرف خبره. وقوله: «في السماوات» يجوز فيها وجهان، أحدهما: أن تكون «في» بمعنى على، أي: على أهل السماوات أو هي ثقيلة على نفس السماوات والأرض لانشقاق هذه وزلزال ذي. والثاني: أنها على بابها من الظرفية، والمعنى: حصل ثقلها وهو شدتها أو المبالغة في إخفائها في هذين الظرفين.." (١)

٤١٣. "قوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم﴾ : «إذ» منصوب بفعل مقدر أي: اذكر إذ. والجمهور على رفع الدال لأنه مضارع مرفوع. وقرأ/ مسلم ابن محارب بسكونها على التخفيف لتوالي الحركات. وقرأ ابن محيصن «يعدكم الله احدى» بوصل همزة «إحدى» تخفيفا **على غير قياس**، وهي نظير قراءة من قرأ: «إنها لاحدى» بإسقاط الهمزة، أجرى همزة القطع مجرى همزة الوصل. وقرأ أيضا «أحد» بالتذكير، لأن الطائفة مؤنث مجازي. وقرأ مسلم بن محارب «بكلمته» على التوحيد، والمراد به اسم الجنس، فيؤدي مؤدى الجمع.." (٢)

٤١٤. "قوله تعالى: ﴿سمان﴾ : صفة لبقرات وهو جمع سمينة، ويجمع سمين أيضا عليه يقال: رجال سمان كما يقال نساء كرام ورجال كرام. و «السمن» مصدر سمن يسمن فهو سمين فالمصدر واسم [الفاعل] جاءا **على غير قياس**، إذ قياسهما «سمن» بفتح الميم، فهو سمن بكسرها، نحو فرح فرحا فهو فرح.

قال الزمخشري: «هل من فرق بين إيقاع» سمان «صفة للمميز وهو» بقرات «دون المميز وهو» سبع «، وأن يقال: سبع بقرات سمانا؟ قلت: إذا أوقعتها صفة ل» بقرات «فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهو السمان منهن لا بجنسهن، ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥/٥٣٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥/٥٦٤

البقرات لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن. فإن قلت: هلا قيل» سبع عجاف «على الإضافة. قلت: التمييز موضوع لبيان الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده. فإن قلت فقد يقولون: ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب. قلت: الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها. ألا تراك لا تقول: عندي ثلاثة ضخام ولا أربعة غلاظ. فإن قلت: ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل» وبقرات سبع عجاف «لوقوع العلم بأن المراد البقرات. قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل، وقد وقع الاستغناء عن قولك» سبع عجاف «عما تقترحه من التمييز بالوصف» .." (١)

٤١٥. "نعمة أنعم بها عليه وهي خلاصه من السجن ونجاته من القتل، وأنشد الزمخشري لعدي:

٢٧٩٨ - ثم بعد الفلاح والملك والإم ... مة وارتهم هناك القبور

وأنشد غيره:

٢٧٩٩ - ألا لا أرى ذا إمة أصبحت به ... فتتركه الأيام وهي كما هيا

وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وقتادة والضحاك وأبو رجاء «أمه» بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهاء منونة من الأمه، وهو النسيان، يقال: أمه يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها، والسكون غير مقيس.

وقرأ مجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة: «بعد أمه» بسكون الميم، وقد تقدم أنه مصدر لأمه **على غير قياس**. قال الزمخشري: «ومن قرأ بسكون الميم فقد خطىء» . قال الشيخ: «وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء» قلت: لم ينسب هو إليهم خطأ؛ وإنما حكى أن بعضهم خطأ هذا القارىء فإنه قال: «خطىء» بلفظ ما لم يسم فاعله، ولم يقل فقد أخطأ، على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى الخطأ إليه البتة. و «بعد» منصوب ب «ادكر» .

قوله: ﴿أنا أنبئكم﴾ هذه الجملة هي المحكية بالقول. وقرأ العامة من." (٢)

٤١٦. "قوله تعالى: ﴿وما لنآ ألا﴾ : كقوله: ﴿وما لنآ ألا نقاتل﴾ [البقرة: ٢٤٦] وقد تقدم و «لنصبرن» جواب قسم. وقوله: «ما آذيتمونا» يجوز أن تكون «ما» مصدرية، وهو الأرجح لعدم الحاجة إلى رابط ادعي حذفه **على غير قياس** والثاني أنها موصولة اسمية، والعائد محذوف على التدريج، إذ الأصل: آذيتمونا به، ثم حذفت الباء، فوصل الفعل إليه بنفسه.

وقرأ الحسن بكسر لام الأمر في «فليتوكل» وهو الأصل.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥٠١/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥٠٨/٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٧٦/٧

٤١٧. "القرآن، فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس**، ويجوز أنه جعله عربيا من برق يبرق بريقا، ووزنه استفعل، فلما سمي به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة، ومعاملة الممتكنة من الأسماء في الصرف والتنوين، وأكثر التفاسير على أنه عربية وليس بمستعرب، دخل في كلامهم فاعربوه» .

قوله: «متكئين» حال والأرائك: جمع أريكة وهي الأسرة بشرط أن تكون في الحجال فإن لم تكن لم تسم أريكة. وقيل: الأرائك: الفرش في الحجال أيضا. وقال الارغب: «الأريكة: حجلة على سرير، وتسميتها بذلك: إما لكونها في الأرض متخذة من أراك، أو من كونها مكانا للإقامة من قولهم: أرك بالمكان أروكا، وأصل الأروك الإقامة على رعي الأراك، ثم تجوز به في غيره من الإقامات» .

وقرأ ابن محيصن: «علرائك» وذلك: أنه نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف فالتقى مثلان: لام «على» - فإن ألفها حذفت لالتقاء الساكنين- ولام التعريف، واعتد بحركة النقل فأدغم اللام في اللام، فصار اللفظ كما ترى، ومثله قول الشاعر:

٣١٥ - ٧- فما أصبحت علرض نفس بريئة ... ولا غيرها إلا سليمان نالها

يريد «على الأرض» . وقد تقدم قراءة قريبة من هذه أول البقرة: بما أنزليك «، أي: أنزل إليك.." [1]

٤١٨. "قوله: ﴿أن أرضعيه﴾ : يجوز أن تكون المفسرة والمصدرية. وقرأ عمر بن عبد العزيز وعمر بن عبد الواحد بكسر النون على التقاء الساكنين كأنه حذف همزة القطع **على غير قياس**، فالتقى ساكنان، فكسر أولهما.." [2]

٤١٩. "قوله: ﴿فجآءته إحداهما﴾ : قرأ ابن محيصن «فجاءته حداهما» بحذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس** كقولهم: يا با فلان، وقوله:

٣٥٩٧ - يا با المغيرة رب أمر معضل ... فرجته بالمكر مني والدها

و «ويلمه» أي: ويل لأمه. قال:

٣٥٩٨ - ويلمها خلة لو أنها صدقت ... .

و «تمشي» حال، و «على استحياء» حال أخرى: إما من «جاءت» ، وإما من «تمشي» .." [3]

٤٢٠. "قوله: ﴿يروا كيف﴾ : قرأ الأخوان وأبو بكر بالخطاب، على خطاب إبراهيم لقومه بذلك. والباقون بالغيبة ردا على الأمم المكذبة.

قوله: «كيف يبدئ» العامة على ضم الياء من أبدأ. والزبيري وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنه «يبدأ» مضارع بدأ. وقد صرح بماضيه هنا حيث قال: ﴿كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت: ٢٠] وقرأ الزهري:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٤٨٥/٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٦٥١/٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٦٦٤/٨

«كيف بدا» بألف صريحة، وهو تخفيف على غير قياس. وقياسه بين بين، وهو في الشذوذ كقوله:

٣٦٣٦ -. . . . . فارعي فزارة لا هناك المرتع." (١)

٤٢١. "الثور ولشوكة الديك: صيصية. والصياصي أيضا: شوك الحاكة ويتخذ من حديد قال دريد بن الصمة:

٣٦٩٠ -. . . . .كوقع الصياصي في النسيج الممدد

قوله: «فريقا تقتلون» «فريقا» منصوب بما بعده. وكذلك «فريقا» منصوب بما قبله. والجملة مبينة ومقررة لقذف الله الرعب في قلوبهم. والعامة على الخطاب في الفعلين. وابن ذكوان في رواية بالغيبة فيهما. واليماني بالغيبة في الأول فقط. وأبو حيوة «تأسرون» بضم السين.

قوله: «لم تطؤوها» الجملة صفة ل «أرضا» . والعامة على همزة مضمومة ثم واو ساكنة مضارع وطئ. وزيد بن علي «تطوها» بواو بعد طاء مفتوحة. ووجهها: أنها أبدل الهمزة ألفا على غير قياس كقوله:." (٢)

٤٢٢. "قوله: ﴿مسكنهم﴾ : قرأ حمزة وحفص «مسكنهم» بفتح الكاف مفردا، والكسائي كذلك، إلا أنه كسر الكاف، والباقون «مساكنهم» جمعا. فأما الإفراد فلعدم اللبس؛ لأن المراد الجمع، كقوله:

٣٧٣٥ - كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... .

والفتح هو القياس؛ لأن الفعل متى ضمت عين مضارعه أو فتحت جاء المفعل منه زمانا ومكانا ومصدرا بالفتح، والكسر مسموع على غير قياس. وقال." (٣)

٤٢٣. "قوله: ﴿ولو ألقى﴾ : هذه الجملة حالية. وقد تقدم نظيرها غير مرة. والمعاذير/: جمع معذرة على غير قياس، كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر. وللنحويين في مثل هذا قولان، أحدهما: أنه جمع لملفوظ به، وهو لقحة وذكر. والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر أي: ملقحة ومذكار. وقال الزمخشري: «فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن يجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليست بجمع معذرة، بل اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر» . قال الشيخ: «وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جموع التكسير» انتهى، وهو صحيح. وقيل: معاذير: جمع معذار، وهو الستر، فالمعنى: ولو أرخى ستوره. والمعاذير: الستور بلغة اليمن، قاله الضحاك والسدي وأنشد على

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١٥/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١١٤/٩

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١٦٩/٩

ذلك:

٤٤١٤ - ولكنها ضنت بمنزل ساعة ... علينا وأطت فوقها بالمعاذر

وقد حذف الياء من «المعاذير» ضرورة. وقال الزمخشري: «فإن." [١]

٤٢٤. "الإدغام بردها إوابا، لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس»** انتهى. وهذا ليس بجيد لما عرفت أنه لما قلبت الهمزة ياء فالقياس أن يفعل ما تقدم من قلب الواو إلى الياء من دون عكس، وإنما ذكرت هذه الأوجه مشروحة لصعوبتها مع عدم من يمعن النظر من المعربين في مثل هذه المواضع القلقة القليلة الاستعمال. وقدم الخبر في قوله «إلينا» و «علينا» مبالغة في التشديد والوعيد.." [٢]

٤٢٥. "وقرأ أبو جعفر «لإلف قريش» بزنة قرد. وقد تقدم أنه مصدر لألف كقوله:

٤٦٤٩ -. . . . . لهم إلف وليس لكم إلاف

وعنه أيضا وعن ابن كثير «إلفهم» وعنه أيضا وعن ابن عامر «إلا فهم» مثل: كتابهم. وعنه أيضا «ليلاف» بياء ساكنة بعد اللام؛ وذلك أنه لما أبدل الثانية حذف الأولى **على غير قياس**. وقرأ عكرمة «لتألف قريش» فعلا مضارعا وعنه «ليألف على الأمر، واللام مكسورة، وعنه فتحها مع الأمر وهي لغية.

وقريش اسم لقبيلة. قيل: هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي دون كنانة، وهو الصحيح وقيل: هم ولد فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة. فمن لم يلده فهر فليس بقرشي، فوقع الوفاق على أن بني فهر قرشيون. وعلى أن كنانة ليسوا بقرشيين. ووقع الخلاف في النضر ومالك.

واختلف في اشتقاقه على أوجه، أحدها: أنه من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم. قال الشاعر:

٤٦٥٠ - أبونا قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر." [٣]

٤٢٦. "سميت بذلك؛ لأنها تجمع حروفا من القرآن، فيكون من قولهم، «خرج بنو فلان بآيتهم» أي: بجماعتهم؛ قال: [الطويل]

٤٢٣ - خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا

واختلف النحويون في وزنها: فمذهب «سيبويه والخليل» أنها «فعلة» والأصل: «أيية» - بفتح العين - تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا، وهو شاذ؛ لأنه إذا اجتمع حرفا علة أعل الأخير؛ لأنه محل التغيير نحو: هوى وحوى، ومثلها في الشذوذ: «غاية، وطاية، وراية» .

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٥٧٢/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ٧٧٥/١٠

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١١٤/١١

ومذهب «الكسائي» أن أصلها: «آيية» على وزن «فاعلة» ، فكان القياس أن يدغم فيقال: آية ك «دابة» ، إلا أنه ترك ذلك تخفيفا، فحذوفوا عينها، كما خففوا «كينونة» والأصل: «كينونة» بتشديد الياء، وضعفوا هذا بأن «كينونة» أثقل فناسب التخفيف بخلاف هذه.

ومذهب «الفراء» أنها فعلة «بسكون العين، واختاره أبو» البقاء «قال: لأنها من تايا القوم، إذا اجتمعوا، وقالوا في الجمع: آياء، فظهرت الياء الأولى، والهمزة الأخير بدل من ياء، ووزنه» أفعال «والألف الثانية بدل من همزة هي فاء الكلمة، ولو كانت عينها» واو «لقالوا في الجمع:» آواء «ثم إنهم قلبوا» الياء «الساكنة» ألفا «**على غير قياس**.

يعني: أن حرف العلة لا يقلب حتى يتحرك وينفتح ما قبله.

وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها» آيية «بكسر العين مثل» نبقة «فأعل، وهو في الشذوذ كمذهب» سيبويه والخليل «.

وقيل: وزنها» فعلة «بضم العين، وقيل: أصلها: أياة» بإعلال الثاني، فقلبت: بأن قدمت الازم، وأخرت العين، وهو ضعيف. فهذه ستة مذاهب لا يسلم واحد منها من شذوذ.

فصل في معنى «الصحبة»

الصحبة: الاقتران بالشيء في حالة ما، في زمان ما، فإن كانت الملازمة والخلطة فهي كمال الصحبة.." (١)

٤٢٧. "أمها بفتح الميم وسكونها، والسكون غير مقيس؛ قال الشاعر: [الوافر]

٣١١٢ - أمهت وكنت لا أنسى حديثا ... كذاك الدهر يودي بالعقول

وقرأ مجاهد، وشبل بن عزرة: بعد أمه بسكون الميم، وتقدم أنه مصدر ل «أمه» **على غير قياس**.

قال الزمخشري: «ومن قرأ بسكون الميم، فقد خطىء» .

قال أبو حيان: «وهذه على عادته في نسبة الخطأ إلى القراء» .

قال شهاب الدين رحمه الله: لم يسنب إليهم خطأ؛ وإنما حكى أن بعضهم خطأ هذا القارىء؛ فإنه قال: «خطىء» بلفظ ما لم يسم فاعله ولم يقل: فقد أخطأ، على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى نسبة الخطأ إليه ألبتة.

وبعد منصوب ب «ادكر» وقوله أنا أنبئكم هذه الجملة هي المحكية بالقول.

وقرأ العامة أنبئكم من الإنباء، وقرأ الحسن أنا آتيكم مضارع أتى من الإتيان، وهو قريب من الأول.

فصل

لما اعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب، فذكر الشرابي قول يوسف ﴿اذكرني عند ربك﴾

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٥٨٧/١

[يوسف: ٤٢] ، ﴿بعد أمة﴾ بعد حين، بعد سبع سنين، وذلك أن الحين أنما يحصل عند اجتماع الأيام الكثيرة، كما أن الأمة إنما تحصل عند اجتماع الجمع العظيم، فالحين كان أمة من الأيام والساعات.

فإن قيل: قوله ﴿وادكر بعد أمة﴾ يدل على أن الناسي هو الشرابي، وأنتم تقولونك إن الناسي هو يوسف عليه السلام.

فالجواب: قال ابن الأنباري: ادكر بمعنى: ذكر وأخبر، فهذا لا يدل على سبق النسيان، فلعل الساقي إنما لم يذكر يوسف عليه السلام عند الملك، خوفا عليه من أن يكون ادكارا لذنبه الذي من أجله حبس، فترك للشر، ويحتمل أن يكون حصل النسيان ليوسف صلوات الله وسلامه عليه [وحصل] أيضا لذلك الشرابي.

روي أن الغلام جثا بين يدي الملك، وقال إن بالسجن رجلا يعبر الرؤيا.." (١)

٤٢٨. "أحدهما: ما تقدم في نظيرتها على أن تكون هي المخففة لا الناصبة، واسمها ضمير الشأن، وشذ عدم الفصل بينها، وبين الجملة الفعلية.

والثاني: أنها ناصبة، ولكن أهلمت حملا على «ما» المصدرية كقراء: ﴿أن يتم﴾ [البقرة: ٢٣٣] . برفع «يتم» وقد تقدم القول فيه.

قوله تعالى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ الآية لما حكمة عن الكفارم طعنهم في النبوة حكى عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جابهم فقالوا: ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ سلموا أن الأمر كذكل لكنهم بينوا أن التماثل في البشرية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة؛ لأن هذا المنصب يمن الله به على من يشاء من عباده، وإذا كان كذلك سقطت شبهتكم.

وأما الجواب عن شبهة التقليد وهي قولهم: إطباق السلف لذلك الدين يدل على كونه حقا، فجوابه عين الجواب المذكور، وهو أنه لا يبعد أ، يظهر الرجل الواحد مالم يظهر للخلق الكثير؛ لأن التمييز بين الحق، والباطل، والصدق، والكذب عطية من الله وفضل منه؛ فلا يبعد أن يخص عبده بهذه العطية، ويحرم الجمع العظيم منها.

وأما الجواب عن الشهبة الثالثة وهي قولهم: إنا لا نرضى بهذه المعجزات التي أتيتم بها، وإنما نريد معجزات قاهرة أوقى منها، فأجابوا عنها بقولهم: ﴿وما كان لنآ أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ أي: أن المعجزة التي أتينا بها حجة قاطعة قوية ودليل تام، وأما الأشياء التي تطلبتموها، فأمور زائدة والحكم فيه لله تعالى فإن أظهرها فله الفضل، وإن لم يظهرها فله العدل، ولا يحكم بعد ظهور قدر الكفاية.

قوله: ﴿وما كان لنآ أن نأتيكم﴾ يجوز أن يكون خبر: «كان» «لنا» ، و: «إن نأيتكم» أسمها، أي: وما كان لنا إتيانكم بسورة، و ﴿إلا بإذن الله﴾ حال، ويجوز أن يكون الخبر ﴿إلا بإذن الله﴾ ، و «لنا»

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٢٠/١١

تبين.

والظاهر أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لما أجابوا عن شبهاتهم بهذا الجواب أخذ القوم التخويف، والوعيد فعند ذلك قال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا نخاف من تخويفكم بعد أن تولكنا على الله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ .

قوله: ﴿وما لنآ ألا نتوكل على الله﴾ كقوله سبحانه: ﴿وما لنآ ألا نقاتل في سبيل الله﴾ [البقرة: ٢٤٦]

.

والمعنى: ما لنا أن لا نتوكل على الله، وقد عرفنا أنه لاينال شيء إلا بقضائه وقدره: ﴿على مآ آذيتمونا﴾ بين لنا الرشد وبصرنا النجاة.

قوله: «ولنصبرن، جواب قسم، وقوله: ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ يجوز أن تكون» ما «مصدرية، وهو الأرجح لعدم الحاجة إلى رابط ادعي حذفه على غير قياس.." (١)

٤٢٩. "٣٥٢١ - تراهن يلبسن المشاعر مرة ... وإستبرق الديباج طورا لباسها

وهو صالح لما تقدم، وقال ابن حجر: «الإستبرق: ما نسج بالذهب» .

ووزن سندس: فعلل، ونونه أصلية.

وقرأ ابن محيصن «واستبرق» بوصل الهمزة وفتح القاف غير منونة، فقال ابن جني: «هذا سهو، أو كالسهو» قال شهاب الدين: كأنه زعم أنه منعه الصرف، ولا وجه لمنعه؛ لأن شرط منع الاسم الأعجمي: أن يكون علما، وهذا اسم جنس، وقد وجهها غيره على أنه جعلها فعلا ماضيا من «البريق» و «استفعل» بمعنى «فعل» المجرد؛ نحو: قر، واستقر. وقال الأهوازي في «الإقناع» : «واستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه» وظاهر هذا أنه اسم، وليس بفعل، وليس لمنعه وجه؛ كما تقدم عن ابن جني، وصاحب «اللوامح» لما ذكر وصل الهمزة، لم يزد على ذلك، بل نص على بقائه منصرفا، ولم يذكر فتح القاف أيضا، وقال ابن محيصن: «واستبرق» بوصل الهمزة في جميع القرآن، فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفا؛ على غير قياس، ويجوز أنه جعله عربيا من برق يبرق بريقا، ووزنه استفعل، فلما سمي به، عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة، ومعاملة التمكين من الأسماء في الصرف والتنوين، وأكثر التفاسير على أنه عربية، وليس بمستعرب، دخل في كلامهم، فأعربوه «.

قوله:» متكئين «حال، والأرائك: جمع أريكة، وهي الأسرة، بشرط أن تكون في الحجال، فإن لم تكن لم تسم أريكة، وقيل: الأرائك: الفرش في الحجال أيضا، وقال الراغب:» الأريكة: حجلة على سرير، فتسميتها بذلك: إما لكونها في الأرض متخذة من أراك، أو من كونها مكانا للإقامة؛ من قولهم: أرك بالمكان أروكا، وأصل الأروك الإقامة على رعي الأراك، ثم تجوز به في غيره من الإقامات «.

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٥٣/١١

وقرأ ابن محيصن» علرائك «وذلك: أنه نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف، فالتقى مثلان: لام» على «– فإن ألفها حذفت؛ لالتقاء الساكنين – ولام التعريف، واعتد بحركة النقل، فأدغم اللام في اللام؛ فصار اللفظ كما ترى، ومثله قول الشاعر: [الطويل]

٣٥٢٢ – فما أصبحت علرض نفس بريئة ... ولا غيرها إلا سليمان نالها

يريد» على الأرض «وقد تقدم قراءة قريبة من هذه أول البقرة:» بما أنزليك «، أي:." [١]

٤٣٠. "العزيز وعمر بن عبد الواحد بكسر النون على التقاء الساكنين، وكأنه حذف همزة القطع **على غير قياس** فالتقى ساكنان، فكسر أولهما.

فصل." [٢]

٤٣١. "فصل

«لما أنزلت» متعلق ب «فقير» قال الزمخشري: عدي فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين، وهو النجاة من الظالمين.

يعني أن افتقر يتعدى ب «من» ، فإما أن نجعله من باب التضمين، وإما أن متعلقه محذوف و «أنزلت» قيل ماض على أصله، ويعني بالخير ما تقدم من خير الدين، وقيل: بمعنى المستقبل. قال أهل اللغة: اللام بمعنى إلى، يقال: فقير له، وفقير إليه، فإن قيل: كيف ساغ بنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه السعي بالماشية فالجواب: أن الناس اختلفوا فيه: هل هو شعيب أو غيره كما تقدم، وإن سلمنا أنه شعيب لكن لا مفسدة فيه، لأن الدين لا يأباه، وأحوال أهل البادية يغر أحوال أهل الحضر سيما إذا كانت الحال حالة ضرورة.

فصل

قال ابن عباس: سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه. قال الباقر: لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق تمرة، وقال سعيد بن جبير: قال ابن عباس: لقد قال ﴿فقال رب إني لمآ أنزلت إلي من خير فقير﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلي شق تمرة، وقيل: إنما قال ذلك في نفسه مع ربه، وهو اللائق بموسى عليه السلام فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما: ما أعجلكما: قالتا: وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي، قوله «فجاءته إحداهما» قرأ ابن محيصن: «فجاءته حداهما» بحذف الهمزة تخفيفا **على غير قياس**، كقوله: يا با فلان، وقوله:." [٣]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤٨٢/١٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢١٦/١٥

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢٣٨/١٥

٤٣٢. "عمرو بخلاف عنه يبدأ مضارع بدأ. وقد صرح بماضيه هنا حيث قال: ﴿كيف بدأ الخلق﴾ ، وقرأ الزهري: «كيف بيدأ» بألف (صريحة وهو تخفيف على غير قياس، وقياسه بين بين وهو في الشذوذ كقوله:

٤٠٢٧ - ... ... فارعي فزارة لا هناك المرتع

فصل

المعنى: أو لم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقه، ثم مضغة.

فإن قيل: متى رأى الإنسان بدء الخلق، حتى يقال: ﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق﴾ ؟

فالجواب: إن المراد بالرؤية العلم الواضح الذي كالرؤية، والعاقل يعلم أن البدء من الله لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق، وإلا لما كان الخلق الأول خلقا أول، فهو من الله، هذا غن قلنا: إن المراد إتيان نفس الخلق وغطن قلنا: إن المراد بالمبتدأ خلق الآدمي أولا، وبالإعادة خلقه ثانيا، فنقول: العاقل لا يخفى عليه أن خلق نفسه ليس إلا قادر حكيم يصور الأولاد في الأرحام، والخلقة من نظفة في غاية الإتقان والإحام فذاك الذي خلق أولا معلوم ظاهر، فأطلق على ذلك العلم لفظ الرؤية، وقال: ﴿أو لم يروا﴾ أي أو لم يعلموا علما ظاهرا واضحا كيف يبدأ الله الخلق وهو من غذاء هو من ماء وتراب يجمعه فكذلك يجمع أجزاءه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو أسهل بالنسب إليكم فإن من نحت حجارة حتى صارت أصناما ثم كسرها وفرقها فإن وضعه شيئا بجنب شيء في هذه النوبة أسهل، لأن الحجارة منحوته معلومة.

فإن قيل: علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق، ولم يقل: أو لم يروا أن الله خلق او بدأ الخلق والكيفية غير معلومة.

فالجواب: هذا القدر من الكيفية معلوم وهو أنه خلقه ولم يك شيئا مذكورا، وأنه خلقه من نطفة من غذاء هو من ماء وتراب، وهذا القدر كاف في حصول العلم بإمكان الإعادة.." (١)

٤٣٣. "والفتح هو القياس لأن الفعل متى ضمت عين مضارعة أو فتحت جاء المفعل منه زمانا أو مكانا أو مصدرا بالفتح والكسر مسموع على غير قياس، وقال أبو الحسن: كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم والكسر لغة الحجاز وهي قليلة وقال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة.

و «مسكنهم» يحتمل أن يراد به المكان، وأن يراد به المصدر أي السكنى، ورجح بعضهم الثاني، قال: لأن المصدر يشمل الكل، فليس فيه وضع مفرد موضع جمع بخلاف الأول فإن فيه وضع المفرد موضع الجمع، كما تقرر، لكن سيبويه يأباه إلا ضرورة كقوله:

٤١٢٦ - ... ... قد عض أعناقهم جلد الجواميس

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٥/٣٣٠

أي جلود، وأما الجمع فهو الظاهر لأن كل واحد مسكن، ورسم في المصاحف دون ألف بعد الكاف فلذلك احتمل القراءات المذكورة.

فصل

لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان وبين حال الكافرين بأنعمه، بحكاية أهل «سبأ» وقرئ سبأ بالفتح على أنه اسم بقعة، وبالجر مع التنوين على أنه." (١)

٤٣٤. "قوله تعالى: «ذواتا» . صفة ل «جنتان» ، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: «هما ذواتا» .

وفي تثنية «ذات» لغتان:

الرد إلى الأصل، فإن أصلها «ذوية» ، فالعين واو، واللام ياء؛ لأنها مؤنثة «ذو» .

الثانية: التثنية على اللفظ. فيقال: «ذواتا» .

و «الأفنان» : فيه وجهان.

أحدهما: أنه جمع «فنن» ك «طلل» ، وهو الغصن.

قال النابغة الذبياني: [الوافر]

٤٦٥٢ - بكاء حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني

وقال آخر: [الرمل]

٤٦٥٣ - رب ورقاء هتوف بالضحى ... ذات شجو صدحت في فنن

وقال آخر: [الطويل]

٤٦٥٤ - ... ... على كل أفنان العضاه تروق

و «الفنن» : جمعه أفنان ثم الأفانين.

قال الشاعر يصف رحى: [الرجز]

٤٦٥٥ - لها زمام من أفانين الشجر ... وشجرة فناء: أي ذات أفنان، وفنواء أيضا **على غير قياس**.

وفي الحديث: «أن أهل الجنة مرد مكحلون أولو أفانين» .

وهو جمع أفنان، وأفنان: جمع «فنن» من الشعر، شبه بالغصن. ذكره الهروي.

وقيل: «ذواتا أفنان» أي: ذواتا سعة وفضل على ما سواهما. قاله قتادة.." (٢)

٤٣٥. "قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ . هذه الجملة حالية، وقد تقدم نظيرها مرارا.

والمعاذير: جمع معذرة **على غير قياس** ك» ملاقيح ومذاكير «جمع لقحة وذكر.

وللنحويين في مثل هذا قولان:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٦/٣٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٨/٣٤٣

أحدهما: أنه جمع لملفوظ به وهو لقحة وذكر.
والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر، أي ملقحة ومذكار.
وقال الزمخشري:» فإن قلت: أليس قياس «المعذرة» أن تجمع على معاذر لا معاذير؟ .
قلت: «المعاذير» ليست جمع «معذرة» بل اسم جمع لها، ونحوه: «المناكير» في المنكر «.
قال أبو حيان:» وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جموع التكسير «انتهى.
وقيل:» معاذير «جمع معذار، وهو الستر، والمعنى: ولو أرخى ستوره، والمعاذير: الستور بلغة» اليمن «، قاله الضحاك والسدي، وأنشد: [الطويل]
٤٩٩٣ - ولكنها ضنت بمنزل ساعة ... علينا وأطت فوقها بالمعاذر
قال الزجاج: المعاذير: الستور، والواحد: معذار.
أي وإن أرخى ستوره يريد أن يخفى عمله فنفسه شاهدة عليه، وقد حذف الياء من «المعاذر» ضرورة.
وقال الزمخشري: «فإن صح - يعني أن المعاذير: الستور - فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب» . وهذا القول منه يحتمل أن يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير: الستور والاعتذارات، وأن يكون بيانا للعلاقة المسوغة في التجويز.
فصل في معنى الآية
قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء والسدي: المعنى: ولو اعتذر وقال: لم أفعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره «.." (١)

٤٣٦. "التي هي لام الكلمة، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت فيها ياء المد.
وإن كانت من ذريت لغة في ذروت فيجوز فيها أيضا أن يكون وزنها «فعولة» أو فعيلة كما تقدم، وإن كانت «فعولة» فالأصل «ذروية» ففعل به ما تقدم من القلب والإدغام.
وإن كانت «فعيلة» فالأصل «ذريية» ، فأدغمت الياء الزائدة في الياء التي هي لام. وإن كانت من ذرأ مهموزا، فوزنها، «فعيلة» ، والأصل: «ذريئة» فخففت الهمزة بأن أبدلت ياء كهمزة «خطيئة» والنسيء «، ثم أدغمت الياء الزائدة في الياء المبدلة من الهمزة.
وإن كانت من» الذر «فيجوز في وزنها أربعة أوجه:
أحدها:» فعلية «وتحتمل هذه الياء أن تكون للنسب، وغيروا الذال من الفتح إلى الضم كما قالوا في النسب إلى الدهر: دهري، وإلى السهل سهلي بضم الدال والسين، وأن تكون الغير النسب فتكون ك» قمرية «.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٩/٥٥٧

الثاني: أن تكون» فعيلة «ك» مريقة «والأصل» ذريرة «، فقلبت الراء الآخيةر ياء لتوالي الأمثال، كما قالوا: تسريت وتظنيت في تسررت وتظننت.

الثالث: أن تكون» فعولة «ك» قدوس «و» سبوح «، والأصل:» ذرورة «فقلبت الراء ياء لما تقدم، فصار ذروية فاجتمع واو وياء، فجاء القلب والإدغام كما تقدم.

الرابع: أن تكون فعلولة، والأصل: ذرورة، ففعل بها ما تقدم في الوجه الذي قبله.

وأما ذرية بكسر الذال فإن كانت من ذروت فوزنها فعيلة، والأصل: ذريوة، فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء بعدها، فإ، كانت من ذريت فوزنها فعلية أيضا، وإن كانت من ذرأ فوزنها فعيلة أيضا كبطيخة، والأصل ذريئة، ففعل فيها ما تقدم في المضمومة الذال. وإن كانت من الذر فتحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون وزنها فعلية نسبة إلى الذر **على غير قياس** في المضمومة.

الثاني: أن تكون» فعيلة «.

اثالث: أن تكون» فعليلة «ك» حلتيت «والأصل فيها: ذريرة ففعل فيهما من إبدال الراء الآخيرة ياء والإدغام فيها.

وأما» ذرية «بفتح الذال: فإن كانت من ذروت أو ذريت فوزنها: فعيلة ك» سكينة «والأصل» ذريوة أو ذريية أو فعولة والأصل ذرورة أو ذروية، ففعل به ما تقدم في نظيره.

وإن كانت من ذرأ فوزنها: إما فعيلة ك «سكينة» ، والأصل ذريئة وإما فعولة ك «خروية» والأصل: ذروءة ففعل به ما تقدم في نظيره.

وإن كانت من الذر ففي وزنها أيضا أربعة أوجه:." (١)

٤٣٧. "وذهب مكي إلى نحو من هذا، فقال: وأصل الياء: واو، ولكن انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، وكان يلزم من شدد أن يقول: إواهم؛ لأنه من الواو، أو يقول: إيواهم، فيبدل من الأول المشدد ياء، كما قالوا «ديوان» وأصله: «دوان» . انتهى.

وقيل: هو مصدر ل «أوب» بزنة: «أكرم» من الأوب، والأصل «إواب» ، ك «إكرام» ، فأبدلت الهمزة الثانية ياء لسكونها بعد همزة مكسورة، فصار اللفظ «إيوابا» ، اجتمعت الواو والياء على ما تقدم فقلب وأدغم ووزنه: «إفعال» وهذا واضح.

وقال ابن عطية في هذا الوجه: سهلت الهمزة وكان الإدغام يردها «إوابا» لكن استحسنت فيه الياء **على غير قياس**. انتهى.

وهذا ليس بجيد، لما عرفت من أنه لما قلبت الهمزة ياء، فالقياس أن تفعل ما تقدم منقلب الواو إلى الياء من دون عكس.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢/٤٥٤

قال شعاب الدين: «وإنما ذكرت هذه الأوجه مشروحة، لصعوبتها، وعدم من يمعن النظر في مثل هذه المواضع القلقة، وقدم الخبر في قوله:» إلينا، وعلينا «مبالغة في التشديد في الوعيد» . والله أعلم.

روى الثعلبي في تفسيره عن أبي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا» .." (١)

٤٣٨. "وعنه أيضا، وعن ابن كثير: «إلفهم» ، وهي ساكنة اللام بغير ياء، وهي قراءة مجاهد وحميد.

وروت أسماء – رضي الله عنها – أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: «إلفهم» ، وهو مروي أيضا عن ابن عباس وغيره.

وعنه أيضا وعن ابن عامر: «إلافهم» مثل «كتابهم» .

وعنه أيضا: «ليلافهم» بياء ساكنة بعد اللام، وذلك أنه لما أبدل الثانية حذف الأولى **على غير قياس.**

وقرأ عكرمة: «ليألف قريش» فعلا مضارعا.

وعنه أيضا: «لتألف قريش» على الأمر واللام مكسورة، وعنه فتحها مع الأمر وهي لغة.

فصل في اتصال السورة بما قبلها

تقدم أن هذه السورة، متصلة بما قبلها في المعنى، أي: أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش، أي: لتأليف قريش أو لتنفق قريش، أو لتأمن قريش فتؤلف رحلتيها.

قال ابن الخطيب: فإن قيل: إنما كان الإهلاك لكفرهم.

قلنا: جزاء الكفور يكون يوم القيامة، يجزي كل نفس بما كسبت للأمرين معا، ولكن لا تكون اللام لام العاقبة، أو يكون المعنى: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؛ لإيلاف قريش» ، أي: كل ما تضمنته السورة «لإيلافهم» ، أو تكون اللام بمعنى «إلى» ، أي: وجعلنا هذه النعم مضافا إلى قريش.

وقال الكسائي والأخفش: اللام في ﴿لإيلاف قريش﴾ لام التعجب. أي اعجبوا لإيلاف قريش، نقله القرطبي.

قال الفراء: هذه السورة متصلة بالسورة الأولى؛ لأنه ذكر أهل «مكة» عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، ثم قال – جلا وعلا –: ﴿لإيلاف قريش﴾ . فعلنا بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش، وذلك أن قريشا كانت تخرج في تجارتها، فلا يغار عليها في الجاهلية، يقولون: هم أهل بيت الله تعالى حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة فأهلكه الله تعالى، فذكرهم نعمته، أي: فجعل الله تعالى ذلك ﴿لإيلاف قريش﴾ أي:." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٠٦/٢٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٥٠٥/٢٠

٤٣٩. "الإسلام، وإذا كان كذلك احتجت الكرامية بهذه الآية على أن الإيمان عبارة عن مجرد الإقرار؛ لأنه غيا التحريم إلى الإيمان، وهو هنا الإقرار؛ فثبت أن الإيمان في عرف الشرع عبارة عن الإقرار، وأجيبوا بوجوه:

منها: قوله تعالى:

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ [البقرة: ٨] .

ومنها: قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات: ١٤] ؛ ولو كان الإيمان عبارة عن مجرد الإقرار، لكان قوله «قل لم تؤمنوا» كذبا. وأجيبوا عن التمسك بهذه الآية بأن التصديق الذي في القلب لا يمكن الاطلاع عليه، فأقيم الإقرار باللسان مقام التصديق بالقلب.

قوله: ﴿ولأمة مؤمنة خير﴾ . قال أبو مسلم: اللام في قوله: «ولأمة» تشبه لام القسم في إفادة التوكيد. سوغ الابتداء ب «أمة» شيئان: لام الابتداء والوصف. وأصل «أمة» : أمو، فحذفت لامها **على غير قياس**، وعوض منها تاء التأنيث ك «قلة» ، و «ثبة» يدل على أن لامها واو رجوعها في الجمع؛ قال الكلابي: [البسيط]

١٠٧٧ - أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنو الإموان بالعار

ولظهورها في المصدر أيضا، قالوا: أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة. وهل وزنها «فعلة» بتحريك العين، أو «فعلة» بسكونها؟ قولان، أظهرهما الأول، وكان قياسها على هذا أن تقلب لامها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها كفتاة وقناة، ولكن حذفت **على غير قياس**.

والثاني: قال به أبو الهيثم، فإنه زعم أن جمع الأمة أمو، وأن وزنها فعلة بسكون العين، فيكون مثل نخل، ونخلة، فأصلها أموة، فحذفوا لامها إذ كانت حرف لين، فلما جمعوها على مثل: نخلة ونخل لزمهم أن يقولوا: أمة، وأم، فكرهوا أن يجعلوها حرفين، وكرهوا أن يردوا الواو المحذوفة لما كانت آخر الاسم، فقدموا الواو وجعلوه ألفا بين الهمزة والميم، فقالوا: أام. وما زعمه ليس بشيء إذ كان يلزم أن يكون الإعراب على الميم، كما كان على لام «نخل» ، وراء «تمر» ، ولكنه على التاء المحذوفة مقدر كما سيأتي بيانه. وجمعت على «إموان» كما تقدم، وعلى إماء، والأصل: إماو، نحو رقبة، ورقاب، فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة ككساء. وفي الحديث: «لا." (١)

٤٤٠. "بالمعنى، وهذا من قسم ما اعتبر فيه جانب اللفظ دون المعنى، نحو: ﴿سوآء عليهم أأنذرتهم﴾ [البقرة: ٦] وقد تقدم تحقيقه والله أعلم.

قوله: ﴿ليطمئن﴾ اللام لام كي، فالفعل منصوب بعدها، بإضمار «أن» ، وهو مبني لاتصاله بنون

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤/٥٨

التوكيد واللام متعلقة بمحذوف بعد «لكن» تقديره «ولكن سألتك كيفية الإحياء للاطمئنان، ولا بد من تقدير حذف آخر، قبل» لكن «؛ حتى يصح معه الاستدراك، والتقدير: بلى آمنت، وما سألت غير مؤمن، ولكن سألت ليطمئن قلبي ليحصل الفرق بين المعلوم بالبرهان وبين المعلوم عيانا.

قال السدي، وابن جبير: ﴿أولم تؤمن﴾ بأنك خليلي ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ بالخلة.

والطمأنينة: السكون، وهي مصدر» اطمأن «بوزن: اقشعر، وهي **على غير قياس** المصادر، إذ قياس» اطمأن «أن يكون مصدره على الاطمئنان. واختلف في» اطمأن «هل هو مقلوب؛ أم لا؟ فمذهب سيبويه – رحمه الله – أنه مقلوب من» طأمن «، فالفاء طاء، والعين همزة، واللام ميم، فقدمت اللام على العين فوزنه: افلعل بدليل قولهم: طامنته، فتطامن. ومذهب الجرمي: أنه غير مقلوب، وكأنه يقول: إن اطمأن وطأمن مادتان مستقلتان، وهو ظاهر كلام أبي البقاء فإنه قال: والهمزة في» ليطمئن «أصل، ووزنه يفعلل، ولذلك جاء ﴿فإذا اطمأننتم﴾ [النساء: ١٠٣] مثل:» اقشعررتم «. انتهى. فوزنه على الأصل دون القلب، وهذا غير بعيد؛ ألا ترى أنهم في» جبذ، وجذب، قالوا: ليس أحدهما مقلوبا من الآخر لاستواء المادتين في الاستعمال.

ولترجيح كل من المذهبين موضع غير هذا.

فصل في الداعي على السؤال

ذكروا في سبب سؤال إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وجوها:

أحدها: قال الحسن، والضحاك، وقتادة، وعطاء، وابن جريج: أنه رأى جيفة مطروحة على شط البحر، قال ابن جريج: جيفة حمار، بساحل البحر وقال عطاء: بحيرة طبرية؛ فإذا مد البحر أكل منها دواب البحر، وإذا جزر البحر، جاءت السباع وأكلت، وإذا ذهب السابع، جاءت الطيور، فأكلت وطارت، فقال إبراهيم: رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع، والطيور، ودواب البحر؟ فقيل: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن المطلوب من السؤال أن يصير العلم الاستدلالي ضروريا.." (١)

٤٤١. "لما أمر تعالى في الآية المتقدمة بالإحسان إلى النساء أمر هنا بالتغليظ عليهن فيما يأتينه من الفاحشة فإن ذلك إحسان إليهن في الحقيقة.

وأيضا وكما يستوفي لخلقه فكذلك يستوفي عليهم وليس في إحكامه محاباة.

وأيضا فلا يجعل أمر الله بالإحسان إليهن سببا لترك إقامة الحدود عليهن فيصير ذلك سببا لوقوعهن في أنواع المفاسد.

قوله: ﴿واللاتي﴾ جمع «التي» في المعنى لا في اللفظ، لأن هذه صيغ [موضوعة للتثنية والجمع، وليس بتثنية ولا جمع حقيقة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤/٣٦٦

وقال أبو البقاء: «اللاتي» جمع «التي» **على غير قياس**.

وقيل: هي صيغة] موضوعة للجمع، ومثل هذا لا ينبغي أن يعده خلافا، ولها جموع كثيرة: ثلاثة عشر لفظة، وهي: اللاتي واللواتي، واللائي، وبلا ياءات فهذه ست، واللاي بالياء من غير همز، واللاء من غير ياء ولا همز، واللواء، بالمد، واللوا بالقصر و «الألى» كقوله: [الطويل]

١٧٦٨ - فأما اللى يسكن غور تهامة ... فكل فتاة تترك الحجل أفصما

إلا أن الكثير أن تكون جمع «الذي» و «اللات» مكسورا مطلقا أو معربا إعراب جمع المؤنث السالم كقوله: [الطويل]." (١)

٤٤٢. "يلزمهم أن يصغروا» أشياء «على» شويات «، أو على» شييئات «، وذلك لم يقله أحد» .

قال شهاب الدين: قوله «شويات» ليس بجيد؛ فإن هذا ليس موضع قلب الياء واوا، ألا ترى أنك إذا صغرت بيتا، قلت: بييتا لا بويتا، إلا أن الكوفيين يجيزون ذلك، فيمكن أن يرى رأيهم، وقد رد مكي أيضا مذهب الفراء والأخفش بشيئين:

أحدهما: أنه يلزم منه عدم النظير؛ إذ لم يقع «أفعلاء» جمعا ل «فيعل» فيكون هذا نظيره، وهين وأهوناء شاذ لا يقاس عليه.

والثاني: أن حذفه واعتلاله مجرى **على غير قياس**، فهذا القول خارج في جمعه واعتلاله عن القياس والسماع.

المذهب الرابع - وهو قول الكسائي وأبي حاتم -: أنها جمع شيء على أفعال ك «بيت» و «أبيات» و «ضيف» و «أضياف» ، واعترض الناس هذا القول؛ بأنه يلزم منه منع الصرف بغير علته؛ إذ لو كان على «أفعال» ، لانصرف كأبيات، قال الزجاج «أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ، وألزموه ألا يصرف أبناء وأسماء» . قال شهاب الدين: والكسائي قد استشعر بهذا الرد، فاعتذر عنه، ولكن بما لا يقبل، قال الكسائي - رحمه الله -: «هي - أي أشياء - على وزن أفعال، ولكنها كثرت في الكلام، فأشبهت فعلاء، فلم تصرف كما لم يصرف حمراء» ، قال: «وجمعوها أشاوى، كما جمعوا عذراء وعذارى، وصحراء وصحارى، وأشياوات كما قيل حمراوات» ، يعني أنهم عاملوا «أشياء» ، وإن كانت على أفعال معاملة حمراء وعذراء في جمعي التكسير والتصحيح، إلا أن الفراء والزجاج اعترضا على هذا الاعتذار، فقال الفراء: «لو كان كما قال، لكان أملك الوجهين أن تجرى؛ لأن الحرف إذا كثر في الكلام، خف وجاز أن يجرى كما كثرت التسمية ب» يزيد «، وأجروه في النكرة، وفيه ياء زائدة تمنع من الإجراء» . والمراد بالإجراء الصرف، وقال الزجاج: «أجمع البصريون وأكثر الكوفيين» وقد تقدم آنفا، وقال مكي: «وقال الكسائي وأبو عبيد: لم تنصرف - أي أشياء -؛ لأنها

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٦/٢٣٦

أشبهت» حمراء «؛ لأن العرب تقول:» أشياوات «كما تقول:» حمراوات «قال:» ويلزمهما ألا يصرفا في الجمع أسماء وأبناء لقول العرب فيهما: أسماوات وأبناوات «، وقد تقدم شرح هذا، ثم إن مكيا – رحمه الله – بعد أن ذكر عن الكسائي ما تقدم، ونقل مذهب الأخفش والفراء، قال:» قال أبو حاتم: أشياء أفعال جمع شيء كأبيات «فهذا يوهم أن مذهب الكسائي المتقدم غير هذا المذهب، وليس كذلك، بل هو هو، وقد أجاب بعضهم عن الكسائي بأن النحويين قد اعتبروا في باب ما لا ينصرف الشبه اللفظي،." (١)

٤٤٣. "٢٦٤١ – إيان تقضي حاجتي أيانا ... أما ترى لفعلها أبانا

وقد تأتي شرطية جازمة لفعلين.

قال الشاعر: [البسيط]

٢٦٤٢ – أيان نؤمنك تأمن غيرنا وإذا ... لم تدرك الأمن منا لم تزل حذرا

وقال آخر: [الطويل]

٢٦٤٣ – إذا النعجة الأذناء كانت بقفرة ... فأيان ما تعدل بها الريح تنزل

والفصيح فتح همزتها، وهي قراءة العامة.

وقرأ السلمي بكسرها، وهيلغة سليم.

فصل

واختلف النحويون في أيان هل هي بسيطة أم مركبة؟ فذهب بعضهم إلى أن أصلها أي أوان فحذفت الهمزة **على غير قياس**، ولم يعوض منها شيء، وقلبت الواو ياء **على غير قياس**؛ فاجتمع ثلاث ياءات فاستثقل ذلك فحذفت إحداهن وبنيت الكلمة على الفتح فصارت أيان.

واختلفوا فيها أيضا هل هي مشتقة أم لا؟ فذهب أبو الفتح إلى أنها مشتقة من «أويت إليه» ؛ لأن البضع آو إلى الكل، والمعنى: أي وقت، وأي فعل؟ ووزنه فعلان أو فعلان بحسب اللغتين ومنع أن يكون ومنه فعالا مشتقة من: «أين» ؛ لأن «أين» ظرف مكان، وأيان ظرف زمان. ومرساها يجوز أن يكون اسم مصدر، وأن يكون اسم زمان.

وقال الزمخشري: مرساها إرساؤها، أو وقت إرسائها: أي: إثباتها وإقرارها.

قال أبو حيان: وتقديره: وقت إرسائها ليس بجيد؛ لأن أيان استفهام عن الزمان فلا يصح أن يكون خبرا عن الوقت إلا بمجاز، لأنه يكون التقدير: في أي وقت وقت إرسائها وهو حسن.

ويقال: رسا يرسو: أي ثبت، ولا يقال إلا في الشيء الثقيل، نحو: رست السفينة." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٥٤٥/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤١٠/٩

٤٤٤. "وقرأ ابن محيصن «يعدكم الله احدى» يوصل همزة أحدى تخفيفا **على غير قياس**، وهي نظير قراءة من قرأ: ﴿إنها لإحدى﴾ [المدثر: ٣٥] بإسقاط الهمزة أجرى همزة القطع مجرى همزة الوصل، وقرأ أيضا أحد بالتذكير؛ لأن الطائفة مؤنث مجازي.

فصل

إحدى الطائفتين أي: الفرقتين:

أحدهما: أبو سفيان مع العير، الأخرى أبو جهل مع النفير، و «أنها لكم» منصوب المحل على البدل من إحدى أي: يعدكم أن إحدى الطائفتين كائنة لكم، أي: تتسلطون عليها تسلط الملاك، فهي بدل اشتمال وتودون تريدون: ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ يعني: العير التي ليس فيها قتال والشوكة: السلاح كسنان الرمح، والنصل والسيف، وأصلها من النبت الحديد الطرف، ك: «شوك السعدان» ، يقال منه: رجل شائك، فالهمزة من «واو» ، ك: قائم، ويجوز قلبه بتأخير عينه بعد لامه، فيقال: شاك، فيصير ك: غاز، ووزنه حينئذ فال.

قال زهير: [الطويل]

٢٦٧٢ - لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

ويوصف السلاح: بالشاكي، كما يوصف به الرجل، فيقال: رجل شاك، وشاك، وسلاح شاك، وشاك.

فأما «شاك» غير معتل الآخر، وألفه منقلبة عن عين الكلمة، ووزنه في الأصل على فعل بكسر العين، ولكن قلبت ألفا، كما قالوا: كبش صاف أي صوف، وكذلك «شاك» أي: شوك.

ويحتمل أن يكون حذوف العين، وأصله «شائك» ، فحذفت العين، فبقي «شاكا» فألفه زائدة، ووزنه على هذا «فال» .

وأما: «شاك» فمنقوص، وطريقته بالقلب كما تقدم ومن وصف السلاح بالشاك قوله: [الوافر]

٢٦٧٣ - وألبس من رضاه في طريقي ... سلاحا يذعر الأبطال شاكا

فهذا يحتمل أن يكون محذوف العين، وأن يكون أصله «شوكا» ، ك: صوف. ويقال أيضا: هو شاك في السلاح، بتشديد الكاف، من «الشكة» ، وهي السلام أجمع، نقله الهروي، والراغب.." (١)

٤٤٥. "[سورة البقرة (٢) : الآيات ٥٨ الى ٥٩]

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٥٩)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٩/٤٥٧

القراآت:

يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء: أبو جعفر ونافع وجبلة.

تغفر لكم بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء: ابن عامر وأبو زيد عن المفضل. الباقون تغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القرآن: أبو عمرو. خطاياكم وبابه بالإمالة: علي قولا غير بالإخفاء: يزيد وأبو نشيط عن قالون، وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة أو أولها.

الوقوف:

خطاياكم (ط) المحسنين (هـ) يفسقون (هـ) .

التفسير:

القرية مجتمع الناس من قرأت الماء في الحوض أي جمعت. وبهذا الاعتبار كثيرا ما تطلق القرية على البلدة، والجمع القرى **على غير قياس**. وإنما قياسه من المعتل اللام «فعال» نحو: ركوة وركاء، وظبية وظباء، والنسبة إليها قروي. وهو على القياس عند يونس حيث قال: ظبوي في النسبة إلى ظبية، وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان: ظبي على مثال الصحيح. والقرية بيت المقدس، وقيل: أريحا من قرى الشام. أمروا بدخولها بعد التيه. والباب باب القرية، وقيل: باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى. وقيل: السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بإخبات وخشوع. وقيل: طؤطىء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوا ودخلوا متزحفين على أوراكهم من الزحف وهو المشي على الأوراك. وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة، أو أمرك وأصله النصب معناه: اللهم حط عنا ذنوبنا حطة، فرفعت لإفادة الثبوت كقوله:

شكا إلي جملي طول السرى ... يا جملي ليس إلي المشتكى

صبر جميل فكلانا مبتلى الأصل صبرا أي أصبر صبرا. كان القوم أمروا أن يدخلوا الباب على وجه الخضوع، وأن يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع." (١)

٤٤٦. "والحاصل أنه جمع لهم بين الأمرين الإيلام والإهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعني أن هذا العذاب الشديد إنما حصل بمجموع الأمرين:

الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الإيمان بها. قال الواحدي وكنتم عن آياته تستكبرون أي لا تصلون له

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٩٣/١

لقوله صلى الله عليه وسلم «من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد بريء من الكبر» .

ولقد جئتمونا يحتمل أن يكون معطوفا على قول الملائكة أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة إما الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم، وإما الملائكة الموكلون بعذابهم، ويحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى إن جوزنا أنه يتكلم مع الكفار فرادى جمع ينون ولا ينون واحده. قيل: فرد **على غير قياس**. وقيل: فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة. وقيل: فريد كرديف وردا في وهم الحداة والأعوان لأنه إذا أعيا أحدهم خلفه الآخر كما خلقناكم أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد، أو مجيئا مثل خلقنا لكم. أول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لأنهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا إلى تحصيل أمرين: أحدهما المال والجاه، والثاني أنهم عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة، وذلك أن النفس الإنسانية إنما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة لها في اكتساب المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة، فإذا فارقت البدن ولم يحصل لها هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى أي منفردين عما يجب من الأعمال والعقائد. ثم إنها مع ذلك اكتسبت أشياء قد علق الرجاء بها لأنه أفنى العمر في تحصيلها وأنها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع بقوله وتركتم ما خولناكم أي أعطينا وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني أنها كالشيء الذي يبقى وراء ظهر الإنسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقي معوج الرأس بسبب التفاته إليه وما نرى معكم شفعاءكم أي ليسوا معكم حتى يروا، أو ليسوا معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الآية. من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الأسباب [البقرة: ١٦٦] يقال: جمع بين الشيئين أي وقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره. وقيل: المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم إذا كان غدا فأتني أي إذا كان الرجاء أو البلاء غدا فأتني فأضمر لدلالة الحال، ومن قرأ بالرفع فلأنه أسند الفعل إلى الظرف اتساعا كما تقول: قوتل خلفكم وأمامكم، أو لأن المراد بالبين الوصل وإنما حسن استعماله في معنى الوصلة مع أن أصله الافتراق والتباين لأنه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه." (١)

٤٤٧. "﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيره﴾ جَمْع مَعْذِرَة **عَلَى غَيْر قِيَاس** أَيْ لَوْ جَاءَ بِكُلِّ مَعْذِرَة مَا قبلت منه ١ -." (٢)

٤٤٨. "بقوله مشيرا إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفته مؤكدا لذلك: ﴿إنه هو﴾ أي وحده ﴿الغفور﴾ أي البالغ في صفة الستر لكل من يريد ﴿الرحيم*﴾ أي العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية، ولأجل أن هذه صفته، رده إلى فرعون وقومه حين أرسله إليهم فلم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين القمي ١٢٣/٣

(٢) تفسير الجلالين، المحلي، جلال الدين ص/٧٧٩

يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن نجاه منهم قبل الرسالة **على غير قياس.**
ولما أنعم عليه سبحانه بالإجابة إلى سؤله، تشوف السامع إلى شكره عليها فأجيب بقوله: ﴿قال رب﴾ أي أيها المحسن إلي بكل جميل. ولما كان جعل الشيء عوضا لشيء أثبت له وأجدر بإمضاء العزم عليه قال: ﴿بما أنعمت علي﴾ أي بسبب إنعامك علي بالمغفرة وغيرها. ولما كان في سياق التعظيم للنعمة، كرر حرف السبب تأكيدا للكلام، وتعريفا أن المقرون به مسبب عن الإنعام، وقرنه بأداة النفي الدالة على التأكيد فقال: ﴿فلن أكون ظهيرا﴾ أي عشيرا أو خليطا أو معينا ﴿للمجرمين*﴾ أي القاطعين لما أمر الله به أن يوصل، أي لا أكون بين ظهراني القبط، فإن فسادهم كثير، وظلمهم لعبادك أبناء أوليائك متواصل وكبير، لا قدرة لي على ترك نصرتهم، وذلك يجر إلى أمثال هذه الفعلة، فلا أصلح من المهاجرة لهم، وهذا." (١)

٤٤٩. "لعاقل التوقف في أمره ﴿ورسوله﴾ الذي لا يعرف قضاؤه إلا به ﴿أمرا﴾ أي أي أمر كان.
ولما كان المراد كل مؤمن، والعبارة صالحة له، وكان النفي عن المجموع كله نفيا عما قل عنه من باب الأولى، قال: ﴿أن تكون﴾ أي كونا راسخا على قراءة الجماعة بالفوقانية، وفي غاية الرسوخ على قراءة الكوفيين بالتحتانية ﴿لهم﴾ أي خاصة ﴿الخيرة﴾ مصدر من تخير كالطيرة من تطير **على غير قياس** ﴿من أمرهم﴾ أي الخاص بهم باستخارة لله ولا بغيرها ليفعلوا خلاف ذلك القضاء، فإن المراد بالاستخارة ظن ما اختاره الله، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم قطعي الدلالة على ما اختاره الله تعالى، وفي هذا عتاب لزينب رضي الله عنها على تعليق الإجابة للنبي صلى الله عليه وسلم عند ما خطبها لنفسه الشريفة على الاستخارة، وعلى كراهتها عند ما خطبها لزيد مولاه، ولكنها لما قدمت بعد نزول الآية خيرته صلى الله عليه وسلم في تزويجها من زيد رضي الله عنهما على خيرتها، عوضها الله أن صيرها لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعه في الجنة في أعلى الدرجات، فالخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينطق عن الهوى، فمن فعل غير ذلك فقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم،." (٢)

٤٥٠. "عاطفا على ما تقديره: فإن يصدقوك فهم جديرون بالتصديق لما قام على ذلك من الدلائل، وشهد به من المقاصد والوسائل: ﴿وإن يكذبوك﴾ أي عنادا وقلة اكتراث بالعواقب فتأس بإخوانك ﴿فقد﴾ أي بسبب أنه قد ﴿كذبت رسل﴾ أي يا لهم من رسل! وبني الفعل للمجهول لأن التسلية محطها، وقوع التكذيب لا تعيين المكذب، ونفى أن يرسل غيره بعد وجوده بقوله: ﴿من قبلك﴾ وأفرد التكذيب بالذكر اهتماما بالتسلية تنبيها على أن الأكثر يكذب، قال القشيري: وفي هذا إشارة للحكماء وأرباب القلوب مع العوام والأجانب من هذه الطريقة فإنهم لا يقبلون منهم إلا القليل، وأهل الحقائق

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ٢٥٨/١٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ٣٥٥/١٥

أبدا منهم في مقاساة الأذية، والعوام أقرب إلى هذه الطريقة من القراء المتقشفين.

ولما كان التقدير نفيا للتعجب من التكذيب الجاري **على غير قياس** صحيح: فمن الله الذي لا أمر لأحد معه تصدر الأمور، عطف عليه قوله مهددا لمن خالف أمره: ﴿وإلى الله﴾ أي وحده له الأمور كلها ﴿ترجع الأمور *﴾ أي حسا ومعنى، فاصبر ورد الأمر إلينا بترك الأسباب إلا ما نأمرك به كما فعل إخوانك من الرسل.

ولما أشعر هذا الختام باليوم الموعود، وهو الأصل الثابت قال مهددا به محذرا منه: ﴿يا أيها الناس﴾ أي الذين عندهم أهليه." (١)

٤٥١. "أي: تملوا من ﴿أن تكتبوه﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوعه أو تكسلوا من أن تكتبوه فكني عن السآمة التي تكون بعد الشروع للكثرة بالكسل الذي يكون ابتداء لكونها من لوازمه؛ لأن الكسل صفة المنافق. قال تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ (النساء، ١٤٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يقول المؤمن كسلت» ﴿صغيرا﴾ كان ذلك الحق ﴿أو كبيرا﴾ قليلا أو كثيرا وقوله تعالى: ﴿إلى أجله﴾ أي: وقت حلوله الذي أقر به المديون حال من الهاء في تكتبوه ﴿ذلكم﴾ أي: الكتب ﴿أقسط﴾ أي: أعدل ﴿عند الله وأقوم للشهادة﴾ أي: أعون على إقامتها لأنه يذكرها.

تنبيه: يجوز على مذهب سيبويه أن يكون أقسط وأقوم مبنيين من أقسط وأقام، وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط وأقوم من قويم أو هما مبنيان من أقسط وأقام لا من قسط وقام؛ لأن قسط بمعنى جار، والمعنى هنا على العدل والفعل منه أقسط فلزم أن يكون أقسط في الآية من المزيد لقصد الزيادة في المقسط قال تعالى: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ (المائدة، ٤٢) لا من المجرد؛ لأن معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر قال تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ (الجن، ١٥) وكذا أقوم معناه أشد إقامة لا قياما وبناؤهما من ذلك **على غير قياس**، والقياس أن يكون البناء من المجرد لا من المزيد ويجوز أن يكون بناؤهما من قاسط بمعنى ذي قسط أي: عدل وبمعنى قويم أي: ذي استقامة على طريقة النسب كلابن وتامر فيكون أفعل لا فعل له، وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده ﴿وأدنى﴾ أي: وأقرب إلى ﴿أن لا ترتابوا﴾ أي: تشكوا في قدر الحق وجنسه والشهود والأجل ونحو ذلك ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة﴾ وهي تعم المبايعة بدين أو عين ﴿تديرونها بينكم﴾ أي: تتعاطونها يدا بيد ﴿فليس عليكم جناح﴾ أي: لا بأس إذا تبايعتم يدا بيد ﴿أن لا تكتبوها﴾ فهو استثناء من الأمر بالكتابة لبعده حينئذ عن التنازع والنسيان، وقرأ عاصم بنصب التاء فيهما على أن تجارة هي الخبر والاسم مضمر تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، والباقون بالرفع فيهما على أن تجارة هي الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة ﴿وأشهدوا﴾ أي: ندبا ﴿إذا تبايعتم﴾

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ١٠/١٦

عليه سواء كان ناجزا أو كالئا فإنه أدفع للاختلاف فهو تعميم بعد تخصيص احتياطا في جميع المبتاعات، ويجوز أن يراد هذا التبايع الذي هو التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة وقوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ أصله يضار أدغمت إحدى الراءين في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، واختلفوا فمنهم من قال

أصله يضارر بكسر الراء الأولى وجعل الفعل للكاتب والشهيد ومعناه نهيهما عن ترك الإجابة وعن التحريف والتغيير في الكتابة والشهادة، ومنهم من قال: أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشاهد مفعولين ومعناه النهي عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله ولا الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان، والمنهي حينئذ المتبايعان، فالآية محتملة للبناء للفاعل وللبناء للمفعول فتحمل عليهما معا أو على كل منهما والأولى أولى.

﴿وإن تفعلوا﴾ ما نهيتم عنه من الضرار ﴿فإنه فسوق بكم﴾ أي: معصية وخروج عن الأمر ﴿واتقوا الله﴾." (١)

٤٥٢. "كأنس وأضرابه.

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ أي: بقضائه ومشيئته أو بإذنه لملك الموت في قبضه روحه وقوله تعالى: ﴿كتابا﴾ مصدر أي: كتب الله ذلك ﴿مؤجلا﴾ أي: مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة.

ونزل في الذين تركوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة ﴿ومن يرد﴾ أي: بعمله ﴿ثواب الدنيا نؤته منها﴾ ما نشاء مما قدرناه له كما قال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ وفي الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ﴿ومن يرد﴾ أي: بعمله ﴿ثواب الآخرة نؤته منها﴾ أي: من ثوابها ﴿وسنجزي الشاكرين﴾ أي: الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» وقوله تعالى:

﴿وكأين﴾ أصله أي: دخلت الكاف عليها فصارت مركبة من كاف التشبيه ومن أي: وحدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ومثلها في التركيب وإفهام التكثير كذا في قولهم: عندي

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ١/١٨٨

كذا كذا درهما وأصله كاف التشبيه، وذا الذي هو إسم إشارة فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير فكم الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى واحد، والنون تنوين في المعنى أثبت في الخط **على غير قياس**. قال البغوي: لم يقع للتنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة وقرأ ابن كثير بألف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة، والباقون بهمزة بعد الكاف مفتوحة بعدها ياء مشددة، ووقف أبو عمرو على الياء والباقون على النون وسهل حمزة الهمزة وحققها الباقون وقوله تعالى: ﴿من نبي﴾ تمييز لكأين لأنها مثل كم الخبرية وقوله تعالى: ﴿قتل﴾ قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم القاف وكسر التاء ولا ألف بين القاف والتاء والباقون بفتح القاف والتاء وألف بين القاف والتاء وقوله تعالى: ﴿معه﴾ خبر مبتدؤه ﴿ربيون﴾ وهم جمع ربي وهو العالم المتقي منسوب إلى الرب، وإنما كسرت راؤه تغييرا في النسب وقيل: لا تغيير فيه وهو منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقوله تعالى: ﴿كثير﴾ صفة لربيون وإن كان بلفظ الإفراد لأن معناه جمع ﴿فما وهنوا﴾ أي: ضعفوا ﴿لما أصابهم في سبيل الله﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وما ضعفوا﴾ عن الجهاد ﴿وما استكانوا﴾ أي: خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل: قتل نبيكم ﴿والله يحب الصابرين﴾ على الشدائد فيثيبهم ويعظم أجرهم.

﴿وما كان قولهم﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم وكونهم ربانيين ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا﴾ أي: تجاوزنا الحد وقولهم: ﴿في أمرنا﴾ إيذان بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لأنفسهم ﴿وثبت أقدامنا﴾ أي: بالقوة على الجهاد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ أي: فهلا قلتم وفعلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ أي: بالنصر والغنيمة والعز وحسن الذكر ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ أي: بالجنة والنعيم المقيم وخص ثوابها." (١)

٤٥٣. "قيل إنه السامري والقبطي طباخ فرعون فكان القبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى المطبخ، وقال سعيد بن جبير: عن ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل غزوا لمكان موسى لكونه ربيب الملك مع أن مرضعته منهم لا يظنون أن سبب ذلك إلا الإرضاع ﴿فاستغاثه﴾ أي: طلب منه ﴿الذي من شيعته﴾ أن يغيثه ﴿على الذي من عدوه﴾ فغضب موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للفرعوني خل سبيله فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى عليه السلام قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش ﴿فوكزه موسى﴾ أي: دفعه بجمع كفه، والفرق بين الوكز واللكز: أن الأول: بجمع الكف والثاني: بأطراف

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٢٥٣/١

الأصابع، وقيل: بالعكس، وقيل اللكز في الصدر والوكز في الظهر ﴿فقضى﴾ أي: فأوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت الذي لا ينجو منه مخلوق ﴿عليه﴾ فقتله وفرغ منه، وكل شيء فرغت منه

فقد قضيته وقضيت عليه وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به أحد فندم موسى عليه السلام عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل.

﴿قال هذا﴾ أي: قتله ﴿من عمل الشيطان﴾ أي: لأني لم أومر به على الخصوص ولم يكن من قصدي وإن كان المقتول كافرا حربيا، ثم أخبر عن حال الشيطان ليحذر منه بقوله ﴿إنه عدو﴾ فينبغي الحذر منه ﴿مضل﴾ لا يقود إلى خير أصلا ﴿مبين﴾ أي: عداوته وإضلاله في غاية البيان ما في شيء منهما خفاء ولما لم يكن في قتله إلا الندم لعدم إذن خاص.

﴿قال رب﴾ أي: أيها المحسن إلي ﴿إني ظلمت نفسي﴾ أي: بالإقدام على ما لم تأمرني به بالخصوص وإن كان مباحا ﴿فاغفر لي﴾ أي: امح هذه الهفوة عينها وأثرها ﴿لي﴾ أي: لأجلي لا تؤاخذني ﴿فغفر﴾ أي: أوقع المحو لذلك كما سأل إكراما ﴿له إنه هو﴾ أي: وحده ﴿الغفور﴾ أي: البالغ في صفة الستر لكل من يريد ﴿الرحيم﴾ أي: العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية ولأجل أن هذه صفته رده إلى فرعون وقومه حين أرسله إليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن نجا منهم قبل إرساله **على غير قياس**، ثم شكر ربه على هذه النعمة التي أنعم بها عليه بأن.

﴿قال رب﴾ أي: أيها المحسن إلي ﴿بما أنعمت علي﴾ أي: بسبب إنعامك علي بالمغفرة ﴿فلن أكون﴾ أي: إن عصمتني ﴿ظهيرا﴾ أي: عونا وعشيرا وخليطا ﴿للمجرمين﴾ قال ابن عباس: للكافرين وهو إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكسيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون، وإما مظاهرة من تؤل مظاهرته إلى الجرم والإثم كما في مظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يؤمر به وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ (هود: ١١٣)

وعن عطاء أن رجلا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية.

وفي الحديث: «ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه." (١)

٤٥٤. "شيء ﴿لهم مغفرة﴾ أي: لما اقترفوه من الصغائر لأنها مكفرات بفعل الطاعات، والآية عامة وفضل الله تعالى واسع.

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٨٨/٣

ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز أتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله تعالى: ﴿وأجرا عظيما﴾ أي: على طاعتهم، والآية وعد لهن ولأمثالهن بالإثابة على الطاعة والتدرع بهذه الخصال، وروي أن سبب نزول هذه الآية: «أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به؟ إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل الله تعالى هذه الآية» .

روي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن قلن: لا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال: ومم ذاك قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال» فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقيل: لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء فنزلت.

تنبيه: عطف الإناث على الذكور لاختلاف جنسهما، والعطف فيه ضروري لاختلافهما ذاتا، وعطف الزوجين وهو مجموع المؤمنين والمؤمنات على الزوجين، وهو مجموع المسلمين والمسلمات لتغاير وصفيهما. وليس العطف فيه بضروري بخلافه في الأول؛ لأن اختلاف الجنس أشد من اختلاف الصفة، وفائدة العطف عند تغاير الأوصاف الدلالة على أن أعداد المعد من المغفرة والأجر العظيم أي: تهيئته للمذكورين للجمع بين هذه الصفات، فصار المعنى: أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر أعد الله تعالى لهم مغفرة وأجرا عظيما.

وقوله تعالى:

﴿وما كان﴾ أي: وما صح ﴿لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا﴾ أي: إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيم أمره، والإشعار بأنه قضاء الله تعالى. نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش، وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم «لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة، وكان اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها» ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف، وقيل: في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ﴿أن تكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ أي: أن يختاروا من أمرهم شيئا، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم

تنبيه: الخيرة: مصدر من تخير كالطيرة من تطير **على غير قياس**، وجمع الضمير في قوله تعالى: ﴿لهم﴾ وفي قوله تعالى: ﴿من أمرهم﴾ لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث أنها في سياق النفي، ويجوز أن يكون

الضمير في من أمرهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجمع للتعظيم كما جرى عليه البيضاوي، وقرأ أن يكون الكوفيون وهشام بالياء التحتية والباقون بالفوقية، ولأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ومن يعص الله﴾ أي: الذي لا أمر لأحد معه ﴿ورسوله﴾ أي: الذي معصيته معصية الله تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما أرسل به إليهم.." (١)

٤٥٥. "أين المفر من جهنم حذرا منها. ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين: أحدهما: أن يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه تعالى. والثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها. وقيل: أبو جهل خاصة.

وقوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردع عن طلب المفر ﴿لا وزر﴾ أي: لا ملجأ ولا حصن استعير من الجبل. قال السدي: كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال، فقال الله تعالى لهم: لا وزر يعصمكم مني يومئذ واشتقاقه من الوزر وهو الثقل ﴿إلى ربك﴾ أي: المحسن إليك بأنواع الإحسان لا إلى شيء غيره ﴿يومئذ﴾ أي: إذ كانت هذه الأمور ﴿المستقر﴾ أي: استقرار الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم ومكان قرارهم وزمانه إلى حكمه سبحانه ومشيئته ظاهرا وباطنا لا حكم لغيره بوجه من الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا. وقال ابن مسعود: المصير والمرجع، قال الله تعالى ﴿إلى ربك الرجعى﴾ (العلق: ٨)

و ﴿إليه المصير﴾ (المائدة: ١٨)

وقال السدي: المنتهى، نظيره ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ (النجم: ٤٢)

﴿ينبأ﴾ أي: يخبر تخبيرا عظيما ﴿الإنسان يومئذ﴾ أي: إذا كان الزلزال الأكبر ﴿بما قدم﴾ قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء ﴿وأخر﴾ بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. وقال ابن عطية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة، وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه. وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره. وقال يزيد بن أسلم: بما قدم من أموال نفسه وما أخر خلفة للورثة، والأولى أن يقال ينبأ بجميع ذلك إذ لا منافاة بين هذه الأقوال.

﴿بل الإنسان﴾ أي: كل واحد من هذا النوع ﴿على نفسه﴾ أي: خاصة ﴿بصيرة﴾ أي: حجة بينة على أعماله والهاء للمبالغة يعني: أنه في غاية المعرفة بأحوال نفسه، فيشهد عليه بعمله سمعه وبصره

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٢٤٨/٣

وجوارحه قال الله تعالى: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (الإسراء: ١٤)

k.

قال البغوي: ويحتمل أن يكون معناه: بل للإنسان على نفسه يعني جوارحه، فحذف حرف الجر كقوله تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ (البقرة: ٣٣)

أي: لأولادكم، ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث أي: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة.

﴿ولو ألقى﴾ أي: ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتملق. وقوله تعالى: ﴿معاذيره﴾ جمع معذرة **على غير قياس** قاله الجلال المحلي. أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه. وقال الزمخشري: المعاذير ليس بجمع معذرة، وإنما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر ا. هـ. قال أبو حيان: وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وإنما هو من أبنية جموع التكسير ا. هـ. وقيل: معاذير جمع معذار وهو الستر، والمعنى: ولو أرخى ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك. وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أي: ولو تجرد من ثيابه.

ولما كان صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن ينفلت منه أمره الله تعالى بأن ينصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي الله تعالى وحيه ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه بقوله تعالى:

﴿لا تحرك به﴾ أي: بالقرآن ﴿لسانك﴾ ما دام جبريل عليه السلام يقرؤه ﴿لتعجل به﴾ أي:." [1]

٤٥٦. "على ذلك من غروب الشمس ﴿حتى﴾ أي: إلى ﴿مطلع الفجر﴾ أي: وقت مطلعه، أي: طلوعه. وقرأ الكسائي بكسر اللام على أنه كالمرجع، واسم زمان **على غير قياس** كالمشرق، والباقون بفتحها.

ومن فضائلها أن من قامها غفرت له ذنوبه ففي الصحيحين: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» . قال النووي في «شرح مسلم» : ولا ينال فضلها إلا من أطلعه الله تعالى عليها فلو قامها إنسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها. قال الأذرعي وكلام المتولي ينازعه حيث قال: يستحب التعبد في كل ليالي العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين اه.

وهذا أولى نعم حال من أطلق أكمل إذا قام بوظائفها. وعن أبي هريرة مرفوعا «من صلى العشاء الأخيرة في جماعة من رمضان فقد أدرك ليلة القدر» ، أي: أخذ حظا منها. ويسن لمن رآها أن يكتمها، ويسن

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٤٤١/٤

أن يكثر الدعاء والتعبد في ليالي رمضان وأن يكون من دعائه: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني» .

ومن علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها، رواه مسلم عن أبي بن كعب وعن ابن مسعود: قال: «إن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان إلا صبيحة ليلة القدر فإنها تطلع يومئذ بيضاء ليس لها شعاع» . فإن قيل: لا فائدة في هذه العلامة فإنها قد انقضت. أجيب: بأنه يستحب أن يجتهد في ليلتها ويبقى يعرفها كما مر عن الشافعي أنها تلزم ليلة واحدة. وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر» حديث موضوع.

سورة لم يكن

وتسمى القيامة، وتسمى المنفكين مكية في قول يحيى بن سلام، ومدنية في قول الجمهور، وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاث مائة وتسعون حرفا.

﴿بسم الله﴾ الذي لا يخرج شيء عن مراده ﴿الرحمن﴾ الذي عم بنعمه جميع عباده ﴿الرحيم﴾ الذي خص أولياءه بإسعاده.

ولما كان الكفار جنسين أهل كتاب ومشركين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه:

﴿لم يكن الذين كفروا﴾ أي: في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال ﴿من أهل الكتاب﴾ أي: من اليهود والنصارى الذين كان أصل دينهم حقا فألحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى، ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع وموافقته في الأصول فكذبوا. ﴿والمشركين﴾ أي: بعبادة الأصنام والنار والشمس، ونحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له أصل في الحق، بأن لم يكن لهم كتاب.

تنبيه: من للبيان. وقوله تعالى: ﴿منفكين﴾ خبر يكن، أي: منفصلين وزائلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا تبقى لهم به علقة، ويثبتون على ذلك الانفكاك، وأصل الفك الفتح والانفصال لما كان ملتحما من فك الكتاب والختم والعظم إذا أزيل ما كان ملتصقا أو متصلا به، أو عن الموعد باتباع الحق إذا جاءهم الرسول المبشر به، فإن أهل الكتاب كانوا يستفتحون به، والمشركين كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من." (١)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني ٥٦٩/٤

٤٥٧. "الفعل وإحداثه أي إفاضة القدرة المفسرة عند الأصوليين من أصحابنا بما يتمكن به العبد من أداء مالزمه المنقسمة إلى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة بإياك نستعين وتارة أخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فإنه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الإستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم وإلا فالمتبادر من قولنا بالله عند الإطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الإستعانة الأولى إن قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما أن التبرك لا يكون إلا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر إلا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال إرادة المسمى ويتعين حمل الباء على الإستعانة الثانية أو التبرك وإنما لم يكتب الألف لكثرة الإستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها

و ﴿الله﴾ أصله الإله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبيء عنه وجوب الإدغام وتعويض الألف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يالله بالقطع فإن المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج إلى التدارك بما ذكر من الإدغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الإدغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بمالا يوجد فيه من نعوت الكمال والإله في الأصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل أي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق وأما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره أصلا واشتقاقه من الإلاهة والألوهة والألوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على أنه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب لا على أنه صفة منها بدليل أنه يوصف ولا يوصف به حيث يقال إله واحد ولا يقال شيء إله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما أن الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية أصلا ومن معنى معين قائم بها على أن ملاك الأمر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح إطلاق الصفة عليها كما في الأفعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من إله بمعنى تحير لأنه سبحانه يحار في شأنه العقول والأفهام وأما أله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الإله المشتق من إله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من أله إلى فلان أي سكن إليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الأرواح إلى معرفته وقيل من أله إذا فزع من أمر نزل به وآلهه غيره إذا أجاره إذ العائذ به تعالى يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو في زعمه وقيل أصله لاه على أنه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع أطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار أمر التوحيد في قولنا لا إله إلا الله ولا

يخفى أن اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن إطلاقه على غيره أصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد أن كان اسم جنس في الأصل وقيل هو وصف الأصل لكنه لما." (١)

٤٥٨. "البقرة (٤٠)

بجماعتهم قال

خرجنا من البيتين لاحى مثلنا ... بآيتنا نزجي النعاج المطافلا

واشتقاقها من أي لأنها تبين أيا من أي أو أوى إليه أي رجع وأصلها أوية أو أية فأبدلت عينها ألفا على غير قياس أو أوية أو أبيه كرمكه فأعلت أو آتية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا

﴿أولئك﴾ إشارة إلى الموصوف باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه إشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للإشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل

﴿أصحاب النار﴾ أي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول أو اسم الإشارة بدل من الموصول أو عطف بيان له وأصحاب النار خبر له وقوله تعالى

﴿هم فيها خالدون﴾ في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى ﴿أصحاب النار خالدين فيها﴾ وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو في محل الرفع على أنه خبر آخر لأئلك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الأصل المكث الطويل وقد انعقد الإجماع على أن المراد به الدوام." (٢)

٤٥٩. "من المسلمين

﴿حتى يؤمن﴾ والمراد بهن إما ما يعم الكتابيات أيضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأما غير الكتابيات فهي ثابتة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقال هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت

﴿ولأمة مؤمنة﴾ تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١٠/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٩٤/١

بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار وأصل أمة أمو حذفت لامها **على غير قياس** وعوض منه تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجعوها في الجمع قال الكلابي

أما الإماء فلا يدعونني ولدا ... إذا تداعى بنو الأموات بالعار

وظهورها في المصدر يقال هي أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف أي ولأمة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر

﴿خير﴾ بحسب الدين والدنيا

﴿من مشركة﴾ أي امرأة مشركة مع مالها من شرف الحرية ورفعة الشأن

﴿ولو أعجبتكم﴾ قد مر أن كلمة لو في أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه من انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم أنها لاستقصاء الأحوال على وجه الإجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو أعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة إذ المآل ولأمة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها وحال إعجابها إياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الإعجاب وموجبات الرغبة فيها أي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخيرية تنبيها على أنها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره أولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق أنها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز أن تكون الجملة الأولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر

﴿ولا تنكحوا المشركين﴾ من الإنكاح والمراد بهم الكفار على الإطلاق لما مر أي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أو إماء

﴿حتى يؤمنوا﴾ ويتركوا ماهم فيه من الكفر

﴿ولعبد مؤمن﴾ مع ما به من ذل المملوكية

﴿خير من مشرك﴾ مع ماله من عز المالكية

﴿ولو أعجبكم﴾ مما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة إلى ذاته وصفاته

﴿أولئك﴾ استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين أي أولئك المذكورون من المشركات والمشركين

﴿يدعون﴾ من يقارنهم ويعاشرهم

﴿إلى النار﴾ أي إلى ما يؤدي إليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم

﴿والله يدعو﴾ بواسطة عباده." (١)

٤٦٠. "﴿وكأين﴾ كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي إحداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كأن مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى

﴿من نبي﴾ تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله ... أطرد اليأس بالرجاء فكأين ... أملاحم يسره بعد عسره ...

وقوله تعالى

﴿قاتل معه ربيون كثير﴾ خبر لها على أن الفعل مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها أيضا على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أي كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الأخيرتين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي قتلوا أو قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وأيده بأن مدار التوبيخ انخذالهم للإرجاف بقتله عليه السلام أي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل أو في القتال ربيون الخ وقوله تعالى

﴿فما وهنوا﴾ عطف عل قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله أي فما فتروا وما انكسرت همتهم

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ١/٢٢١

﴿لما أصابهم﴾ في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعلته قوله تعالى
﴿فى سبيل الله﴾ فإن كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة أو موصوفة فإن جعل الضميران لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية." (١)

٤٦١. "﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ شروع في بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام المواريث والآتى جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع **على غير قياس** والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحه والإتيان الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالإتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم أي من أزواجكم كما في قوله تعالى ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ وقوله تعالى ﴿من نسائكم اللاتى دخلتم بهن﴾ وبه قال السدي ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم أي فاطلبوا أن يشهد عليهن بإتيانها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم
﴿فإن شهدوا﴾ عليهن بذلك
﴿فأمسكوهن فى البيوت﴾ أي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن
﴿حتى يتوفاهن﴾ أي إلى أن يستوفي أرواحهن
﴿الموت﴾ وفيه تهويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى قبض الأرواح." (٢)

٤٦٢. "الرعد ١٤ ١٥ المحل بمعنى القوة وقيل محول من الحول أو الحيلة أعل **على غير قياس** ويعضده أنه قرىء بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد." (٣)

٤٦٣. "﴿سلام هى﴾ أي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان **على غير قياس** كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٢/٩٥
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٢/١٥٤
(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٥/١١

بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأسورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر." (١)

٤٦٤. "النفي اهـ. فانظر ما بين أول كلامه وآخره من التنافر وأصحاب النار سكان النار ويراد بهم الكفار في الأكثر كما يخص الصاحب بالوزير، وهو إما جمع صاحب على خلاف القياس أو جمع صحب الذي هو جمع صاحب أو مخففة وإذا أطلق الكفر تبادر منه الكفر بالله فإن أريد هنا فظاهر وبآياتنا متعلق بكذبوا وان لم يرد تنازع الفعلان الجار والمجرور فالكفر بالآيات إنكارها بالقلب والتكذيب إنكارها باللسان فلا تكرار.

قوله: (والآية في الأصل العلامة الظاهرة) قال الراغب: هي العلامة الظاهرة وحقيقتها كل شيء ظاهر هو ملازم لشيء آخر لا يظهر ظهوره فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته إذ كان حي كمهما سواء وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات

لمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ثم وجد العلم علم أنه وجد الطريق وكذا إذا علم شيئا مصنوعا علم أنه لا بد له من صانع اص. وفي أصلها ووزنها ستة أقوال فمذهب سيبويه والخليل اق أصلها أيية بفتحات قلبت ياؤها الأولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس لأنه إذا اجتمع حرفا علة أعل الآخر لأنه محل التغيير نحو جوى وهوى ومثله في الشذوذ غاية وراية ومذهب الكسائي إن وزنها آثية على وزن فاعله فكان القياس أن تدغم كداية إلا أنه ترك ذلك تخفيفا فحذفوا عينها كما خففوا كينونة ومذهب الفراء أنها فعلة بسكون العين من تأيا القوم إذا اجتمعوا، وقالوا في الجمع آياء فظهرت الياء والهمزة الأخيرة بدل من ياء ووزنه أفعال والألف الثانية بدل من همزة هي فاء الكلمة ولو كانت عينها واوا لقالوا في الجمع آواء، ثم إنهمءقلبوا الياء الساكنة ألفا على غير قياس لأن حرف العلة لا يقلب حتى يتحرك وينفتح ما قبله وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها أيية كنبقة فأعل وهو في الشذوذ كمذهب سيبويه والخليل وقيل: وزنها فعلة بضم العين وقيل: اصلها إياة فقدمت اللام وأخرت العين وهو ضعيف فهذه ستة مذاهب لا يخلو واحد منها من شذوذ. قال ابن الأنباري في الزاهي: وفي آية القرآن قولان فقيل: إنها بمعنى العلامة لأنها علامة لانقطاع الكلام الذي بعدها والذي قبلها قال الأحوص: ومن رسم آيات عفون ومنزل قديم يعفيه الأعاصر محول

وقيل: لأنها جماعة من القرآن وطائفة من الحروف، قال أبو عمرو: يقال: خرج القوم لآيتهم أي بجماعتهم وهو باعتبار الأكثر الأغلب، فلا يرد عليه أنها تكون كلمة واحدة كمدهامتان كما قيل: وفيها قول ثالث وهو أن تكون سميت آية لأنها عجب يتعجب من إعجازه كما يقال فلان آية من الآيات اهـ وقول المصنف رحمه الله: من حيث إنها تدل إشارة إلى القول الأول وقوله لكل طائفة

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٩/١٨٣

إشارة إلى الثاني فكان عليه أن يميز بين القولين ولذلك اعترض عليه بأنه لم يصب في خلطهما. وقوله واشتقاقها من أي بتشديد الياء عينه ولامه ياء، وقوله: لأنها تبين أيا من أي بالتشديد أيضا قيل معناه شيء يسئل عنه بأفي أي جوابه أي تميز أمرا مجهولا من آخر التيس هذا هو المراد، وقيل: إن العبارة آيا من آي بالمد أي شخصا من شخص وشيئا من شيء لأن الآي بالمد بمعنى الشخص وفيه نظر، وقوله أو من أوى إليه لأنها بمنزلة المنزل الذي ياوي إليه القارئ فعينها واو وقوله وأصلها آية على القول الأول وأوية على القول الثاني وكونها على خلاف القياس لما مر والآيات إما آيات القرآن أو مطلق الدوال وهو ظاهر لكن التكذيب يأباه إلا بأن ينزل المعقول منزله الملفوظ ولذا أخره المصنف رحمه الله عنه، والرمكة أنثى البراذين. نوله:) وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) الحشوية بسكون الشين وفتحها قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة، قال السبكي في شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل وعميت أبصارهم يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد سموا بذلك لأنهم كانوا في

حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة فنسبوا إلى حشافهم حشوية بفتح الشين، وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة أو هم والجسم حشو فعلى هذا القياس فيه الحشوية." (١)

٤٦٥. "خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمر إذ ليست مذكرة هي الناسية إلا أن تجعل إحداهما الثانية في موقع المفعول ولا يجوز لتقدم المفعول على الفاعل في موضع الإلباس نعم يصح أن يقال: فتذكرها الأخرى فلا بد للعدول من نكتة. (أقول) : قالوا إن النكتة الإبهام لأن كل واحد من المرأتين يجوز عليها ما يجوز على صاحبتها من الإضلال والإذكار والمعنى إن ضلت هذه أذكرتها هذه فدخل الكلام معنى العموم وأنه من وضع الظاهر موضع المضمر وتقدير فتذكرها، وهذا يدل على أن إحداهما الثانية مفعول مقدم وإنما يمتنع التقديم إذا وقع الباس يغير المعنى فإن لم يكن الباس نحو كسر العصا موسى لم يمتنع، قال أبو البقاء رحمه الله: وهذا من هذا القبيل لأن الإذكار والنسيان لا يتعين في واحدة

منهما ومقتضاه أنه يجوز ذلك في نحو ضمارب موسى عيسى إذ لا يتغير المعنى فهو إجمال لا لب! وفي الكشاف من بدع التفاسير فتذكر فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر، وقد قيل: إن المضارع في جواب الشرط يقترن بالفاء من غير تقدير مبتدأ. قوله: (وسموا شهداء الخ) تقدم وجه آخر ولما كان السأم الملل وإنما يكون بعد المباشرة حمله أولا على حقيقته وثانيا أوله بالكسل فجعل كناية عنه وإنما كني عنه لأنه وقع في القرآن صفة للمنافقين كقوله تعالى: ﴿وإذا قاموا

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ١٤٢/٢

إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٢] ولذا وقع في الحديث: " لا يقول المؤمن من كسلت وأنما يقول ثقلت " وتقديم الصغير هنا لم مر في آية الكرسي والمشبع بالباء الموحدة بزنة اسم المفعول مجاز بمعنى المطول، وقوله: صغيرا كان الحق ناظر إلى جعل ضمير تكتبوه للحق وما بعده إلى كونه للكتاب، وقوله: إلى وقت حلوله الخ وفي الكشاف إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته وقوله: إشارة إلى أن تكتبوه أي أو إلى المذكور مطلقا. قوله: (وهما مبنيان الخ الما كان أقسط أفعل من القسط بمعنى العدل وفعله أقسط وأما قسط فبمعنى جار وكذا أقوم ليس من القيام الثلاثي أجاب بأنه من الأفعال وسيبويه رحمه الله يجيز بناء أفعل منه أو أنه **على غير قياس** شذوذ أو جواب آخر أنه ماخوذ من قاسط وقويم لا بمعنى اسم الفاعل لأن قاسطا بمعنى جائر بل بمعنى النسب كلابن وتامر فيكون اشتقاقا من الجامد كاحنك، وقال أبو حيان رحمه الله: قسط يكون بمعنى جار وعدل وأقسط بالألف بمعنى عدل لا غير حكاه ابن القطاع فلا حاجة لما ذكر وقيل: هو من قسط بوزن كرم صار ذا قسط أي عدل وقويم بمعنى بمستقيم، وقوله: وإنما صحت الواو يعني قيل: أقوم ولم يقل أقام لأنها تقلب في فعل التعجب نحو ما أقومه لجموده إذ هو لا يتصرف وأفعل التفضيل مناسب له معنى فحمل عليه وقيل: إن قوله لجموده ضميره لأفعل التفضيل أي لعدم تصرفهم في أفعل من الذي هو أصله وفيه نظر، وقوله: وأدنى الخ قيل: وهذا حكمة خلق اللوح المحفوظ والكرام الكاتبين مع أنه الغني عن كل شيء تعليما للعباد وارشادا للحكام

وحرف الجر مقدر هنا فقيل: اللام وقيل: إلى وقيل: من وقيل: في ولكل وجهة. قوله: (استثناء عن الأمر بالكتابة الخ) في هذا الاستثناء قولان أحدهما أنه من الاستشهاد وهو متصل فأمر بالاستشهاد في كل حال إلا ني حال حضور التجارة والثاني أنه منه ومن الكتابة وهو منقطع أي لكن التجارة الحاضرة يجوز فيها عدم الاستشهاد والكتابة كذا في الدر المصون والمصنف رحمه الله جعله من الأمر بالكتابة في قوله: أول الآية فاكتبوه لذكر الإشهاد بعده فهو متصل، وقوله: وليكتب إلى هنا جمل معترضة فلا فصل ولا بعد وفسر التجارة الحاضرة بالواقعة بينهم أعم من أن تكون بدين أو عين والإدارة بكونها يدا بيد ليكون تأسيسا وهو محصل ما في الكشاف ولا غبار عليه وقوله: إلا أن تتبايعوا بيد بيان لمحصل المعنى، وقوله: فلا بأس تفسير عدم الجناح ووقع في نسخة إلا تتبايعوا بدون أن والصحيح رواية ودراية الأولى وهذه من تحريف الكتبة فلا حاجة إلى تكلف توجيهها. قوله: (والاسم مضمر تقديره الخ) قدره غيره المداينة والمعاملة وعليه فالتجارة مصدر لئلا يلزم الإخبار عن المعنى بالعين وجعله المصنف رحمه الله كالزمخشري والقراء ضمير التجارة والخبر يفسره والضمير يعود على متأخر لفظا ومعنى ومثله جار في فصيح الكلام." (١)

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٢/ ٣٥٠

٤٦٦. "بمشابهتهم فلا وجه لما قيل كان عليه أن يؤخره إلى قوله ذئم الخ، وإنما ذكر كونهم أشد وأقوى ليعلم إنهم أصابهم ما أصابهم مع ذلك فأنتم أولى وأحق به، والخلاق النصيب المقدر من الخلق بمعنى التقدير، وهو أصل معناه لغة، والملاذ بالتشديد اللذات جمع لذة **على غير قياس** كالمحاسن. قوله:) ذم الأولين الخ (إشارة إلى ما في الكشاف من أن هنا تشبيهين، أحدهما مجرى على ظاهره، وهو خضتم كالذي خاضوا وثانيهما فيه أطناب لأن أصله فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم فأقي فائدة في زيادة قوله فاستمتعوا بخلاقهم، وأجاب عنه بأن الزيادة للتوطئة، والتمهيد للتمثيل لمزيد تقبيح الاستمتاع بشهوات الدنيا ولذاتها وتثبيته في قلب السامع إجمالا وتفصيلا فإما أن يقدر مثله في الثاني لعطفه عليه أو لا يقدر إشارة إلى الاغتناء بالأول، والمخدج بمعنى الناقص وقوله التهائهم هو افتعال من اللهو. قوله: (دخلتم في الباطل الخ (الخوض الشروع في دخول الماء ويستعار لمباشرة الأمور وأكثر ما يستعمل في الذم في القرآن فلذا خصه بالباطل، وقوله: (كالذين خاضوا) يعني أنه جمع وأصله الذين فحذفت نونه تخفيفا كما في قوله:

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

ويحتمل أن يريد أنه مفرد واقع موقع الجمع والعائد إلى الموصول محذوف أي خاضوه وأصله خاضوا فيه فحذف تدريجا لأن العائد المجرور لا يحذف إلا بشروط كجر الموصول بمثله، أو الذي صفة لمفرد اللفظ مجموع المعنى كالفريق والفوج، أو هو صفة مصدر أي كالخوض الذي خاضوه والضمير للمصدر، ورجح بعدم التكلف فيه، وقال الفراء: إن الذي تكون مصدرية وخرج هذا عليه. قوله: (لم يستحقوا الخ) الحبط السقوط والبطلان والاضمحلال وكونها حابطة في الآخرة ظاهر، وفي الدنيا لما لهم من الذل والهوان وغير ذلك، وقوله خسروا الدنيا والآخرة تفسير له بما يتوجه به الحصر ويتضح. قوله: (وعاد وثمود الخ) غير الأسلوب لأنهم لم يستهزؤوا بنبيهم، وقيل لأن كثيرا منهم آمنوا ونمروذ بالذال

المعجمة، وقوله وأهلك أصحابه لم يبين هلاكهم لأنه كان بإبادتهم بعد هلاك ملكهم لا بسبب سماوقي كغيرهم. قوله: (أهلكوا بالنار يوم الظلة (هي غمامة أطبقت عليهم قيل الذين أهلكوا بالنار يوم الظلة هم أصحاب الأيكة من قوم شعيب عليه الصلاة والسلام، وأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة والرجفة وأجيب بأنه على قول قتادة وأما على قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فأهل مدين أهلكوا بالنار يوم الظلة، ورجفت بهم الأرض وتفصيله في تفسير البغوي في سورة الأعراف، وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى مبني عليه. قوله:) والمؤتفكات الخ (معطوف على أهل مدين وأصل معنى الائتفاك الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفل بالخسف، وهو قد وقع في قريات قوم لوط عليه الصلاة والسلام فإن كانت مرادة به فهي على حقيقتها وإن كان المراد مطلق قرى المكذبين، وهي لم تخسف بأجمعها فيكون المراد به مجازا انقلاب حالها من الخير تشبيها له بالخسف على طريق الاستعارة كقول ابن الرومي:

وما الخسف أن تلقى أسافل بلدة أعاليها بل أن تسود الأراذل

وقريات بالتصغير جمع قرية لأن جمع المكبر قرى. قوله:) يعئي الكل) أي جميع ما ذكر لا المؤتفكات فقط كما قيل لأن جمع الرسل على تفسيرها الأول يحتاج إلى التأويل برسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والدعاة لهم وإن صح على الثاني بغير تتأويل. قوله:) أي لم يك وفي نسخة لم يكن من عادته الخ) قيل إنه من الإيجاز بالحذف، وأصله فكذبوهم فأهلكهم فما كان الخ وهو رد على قول الزمخشرقي في قوله فما صح منه أن يظلمهم، وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وهو مبني على مذهبه، وقوله: (من عادته (أخذه من المضارع المفيد للاستمرار، ولو حمل على استمرار النفي كان أبلغ كما مر في قوله لا يستأذنك يعني أنه لا يصدر ذلك، وتسميته ظلما لمشابهته له لو كان أو لأنه يسمى ظلما بالنسبة إلى العباد الفاعلين له فلو وقع منه لم يكن ظلما على مذهبنا، وقوله عرضوها بمعنى جعلوها عرضة ومستحقة له. قوله:) في مقابلة قوله المنافقون الخ) وبعضهم." (١)

٤٦٧. "فهو مجاز عن وجدان ما يورث النقمة أي يقتضيها والى ذلك أشار المصنف، وقدم الأول لاستغنائه عن التأويل، وتريب منه تأويله بالإرادة ومحاويج جمع محتاج **على غير قياس**، والضنك ضيق في المعيشة وقلة الرزق، والعيش ما يتعيش به كالمأكل وغيره، وقدمهم بفتح القاف وكسر الدال المخففة على الحذف والإيصال أي قدم عليهم أو استولى عليهم كقوله تعالى: ﴿يقدم قومه﴾ وأثروا استغنوا من الثراء وهو الغنى والدية عشرة آلاف فزيادة ألفين على عادتهم في الزيادة تكرما وكانوا يسمونها شنقا بفتح الشين المعجمة، ونون وقاف، وهو ما زاد على الدية والمولى بمعنى القريب أو المعتق

الذي له إرثه وقيل ضمير أغناهم الله للمسلمين أي ما غاظهم إلا إغناء الله للمؤمنين. قوله:) والاستثناء مفرغ الخ) يعني إن المعنى ما كرهوا وعابوا شيئأ إلا إغناء الله إياهم فهو مفعول به، أو مفعول له والمفعول محذوف أي ما نقموا الإيمان لأجل شيء إلا لأجل إغناء الله، وهو على حذ قولهم ما لي عندك ذنب إلا أني أحسنت إليك وقوله:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إذ غضبوا

وهو متصل على ادعاء دخوله إذ ألاستثناء المفرغ لا يكون منقطعا، كما مر وفيه تهكم وتأكيد الشيء بخلافه. فوله: (هو الذي حمل الجلاس الخ (ضمير هو لما يفهم من الكلام، أي نزول هذا حمله على التوبة بعدما كان يخاف من عدم قبولها فكانت سببا لحسن إسلامه لطفا من الله به، وحمله على كذا أي كان سببا له والحامل على الشيء سببه، وهو من المجاز المشهور وجعل الضمير للتوب بمعنى التوبة لتذكير الضمير وان كان تأنيث المصادر قد يغتفر، وقوله بالإصرار على النفاق يعني المراد بإعراضهم وتوليهم عن إخلاص الإيمان، والدوام عليه كما في يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد مز تحقيقه، وقوله بالقتل

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٣٤٢/٤

والنار لف ونشر مرتب، والمراد بالقتل أنهم يقتلون إن أظهروا الكفر لأن الإصرار مظنة الإظهار فلا ينافي ما مر من أنهم لا يقتلون، وإن جهادهم بمعنى إلزام الحجة، وقيل عذاب النار هنا متاعب النفاق أو عذاب القبر أو ما يشاهدونه عند الموت فلا إشكال. قوله تعالى: ﴿وما لهم في الأرض﴾
بن حاطب ويقال ابن أبي حاطب الأنصاري الذي ذكره ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار وليس هو ابن عمرو الأنصاري البدري لأنه استشهد بأحد ولأنه مجقيد قال: " لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية ") ١ (ومن كان بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه فينزل فيه ما نزل فهو غيره كما قال ابن حجر في الإصابة: وإن كان البدري هو المشهور بهذا الاسم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقوله: (لا تطيقه) بتقدير مضاف أي لا تطيق شكره والشكر أداء حقوقه وهذا من معجزاته إذ كان كما قال: وقوله: (كل ذي حق حقه (أي أو في صرف حقوق الله منه إن رزقني، وقوله: (فتمت (أي زادت، والدود بدالين مهملتين معروف وهو إذا حصل في شيء يتضاعف بسرعة وقوله: يا ويح ثعلبة ويح كلمة ترحم لما ناله من فتنة الدنيا، والمنادى محذوف أي يا ناس أو يا زائدة للتنبيه أو المنادى ويح كقوله يا حسرتي كأنه نادى ترحمه عليه ليحضر، وقوله لا يسعه واد أي واد واحد بل أودية ومصدقين بتخفيف الصاد المفتوحة وتشديد الدال المهملة المكسورة، وهم الذين يأخذون الصدقات، وقوله: (فاستقبلهما (وفي نسخة استقبلهم، وباء بصدقاتهم للتعدية أو المصاحبة وكتاب الفرائض أي ما فرض من الزكاة، ومجيء ثعلبة وحثوه التراب ليس للتوبة من نفاقه بل للعار من عدم." (١)

٤٦٨. "والمظلومين معا، وهذا أيضا إذا لم يكن القضاء السابق في الدنيا كما مر.

قوله: (تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب الخ (يعني أن هذا تذييل لما سبق، وتأكيد واستدلال على ما سبق ذكره بأن من يملك جميع الكائنات وله الترصرف فيها قادر على ما ذكر، وعلى انجاز ما وعد لأنه لا يخلف ما وعد رسوله به من نصره وعقاب من لم يتبعه فلا يرد على المصنف رحمه الله أنه وعيد والخلف فيه جائز كما تقرر عندهم فالتعبير بالوعد في الاية ليس تنليبا كما يتوهم، وهذا يعرفه من يتدبر الأمور لا من يغتر بالحياة، ويدري ظاهرها فيظن أنها باقية وذكر القدر على الأمانة استطرادقي لا دخل له في الاستدلال على النشر وقوله لأن القادر لذاته بيان لما تقرر من أن القادر بالذات لا يزول بغيره، والقدرة صفة ذاتية عندنا، وعين الذات عند بعضهم كما هو معلوم في الأصول. قوله: (﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة﴾ الخ) الخطاب عام، وقيل لقريش ومن ربكم متعلق بجاء أو وصفة موعظة ومن للابتداء والموعظة والشفاء للمؤمنين والهداية بمعنى الدلالة مطلقا عامة وبمعنى الموصلة خاصة أيضا. قوله: (أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الخ) يعني أن المراد القرآن وأن قوله موعظة إشارة

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٣٤٥/٤

للعمليات لأن الوعظ ترغيب وترهيب فيحث على محاسن الأعمال ويزجر عن قبائح الأفعال وما بعده إشارة إلى الكمال العلمي بالعقائد الحقة ويتقنها بتصفية الباطن لها حتى تشرق بنور الهداية وتصعد من درجات اليقين إلى أعلى عليين وفيه إشارة إلى أن للنفس الإنسانية مراتب كمال من تمسك بالقرآن فاز بها إحداها تهذيب الظاهر عن فعل ما لا ينبغي واليه الإشارة بالموعظة لأنها الزجر عن المعاصي، وثانيها تهذيب الباطن عن العقائد الفاسدة والملكات الردية، وهو شفاء ما في الصدور وثالثها تحلي النفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة ولا يحصل ذلك إلا بالهدى، ورابعها تجلي أنوار الرحمة الإلهية وتختص بالنفوس الكاملة وقد وردت الآية مرتبة على هذا الترتيب الأنيق وبتلك الكمالات تحصل مناسبة بين المؤثر والمتأثر ليستعد بها لفيض إحسانه فلذا لم يحصل له ذلك ابتداء بل في آخر أحواله، وذهاب ظلمة الهيولى التي يتضح بها نور الهداية، وقال الإمام الموعظة إشارة إلى تطهر ظواهر الخلق عما لا ينبغي، وهو الشريعة والشفاء تطهر الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى ظهور الحق في قلوب الصديقين، وهو الحقيقة والرحمة إشارة إلى بلوغ الكمال والإشراق حتى يكمل غيره ويفيض عليه وهي النبوة والخلافة فهذه درجات ستة لا يمكن فيها تقديم ولا تأخير واليه الإشارة في الحديث: " كان خلقه القرآن " فتدبر، والمحاسن والمقابح جمع حسن وقبح **على غير قياس**، وقوله وهدى مرفوع على كتاب وكذا قوله ورحمة والوصف بهذه، وجعلها عينه للمبالغة، وقوله والتنكير فيها أي في هذه المذكورات لا في رحمة فقط كما قيل. قوله: (بإنزال القرآن (الباء للسببية متعلق بفضل الله ورحمته أي ذلك بسبب نزول وهدايتكم به أو هو بدل منه مفسر له أي المراد بفضل الله ورحمته ذلك ويناسب الثاني قول مجاهد رحمه الله الفضل والرحمة القرآن والأول تفسيرهما بالجنة، والنجاة من النار والتوفيق والعصمة إلى غير ذلك من التفاسير. قوله: (والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليرحوا (يعني فليفرحوا من قوله فبذلك فليفرحوا، وقيل جعل المجموع مفسرا لأنه لولا ذكر المتعلق لم يكن مفسرا بل عاملا فيه فالمفسر في زيدا ضربته ضربته بتمامه إذ لولا الضمير لكان عاملا. قوله:) فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير الخ (يعني أنه من باب الاشتغال وشرطه اشتغال العامل بضمير المعمول واسم الإشارة يقوم مقام الضمير فاشتغاله به بمنزلة الاشتغال بضميره وذلك إشارة إليهما باعتبار ما ذكره في قوله عوان بين ذلك وهو مشهور في اسم الإشارة، وهذا من غريب العربية فإن المعروف في الاشتغال اشتغاله بالضمير وكونه باسم الإشارة لم يذكره النحاة.

قوله: (نقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا الخ (يعني المقدر إما من لفظه أو من معناه كما في زيدأ ضربت غلامه أي أهنت زيدا وهذا مما يجوز إذا دلت عليه القرينة وقد صرح به النحاة والقرينة قائمة هنا لأن ما

يسر به يكون مما يعتني ويهتم بشأنه وتقديم المعمول لاعتناء مؤيد لذلك فقول أبي حيان رحمه الله إن هذا إضمار." (١)

٤٦٩. "بالنصب أي أغذ غذة وأموت موتا وسلولية امرأة من سلول، وهي التي نزل عندها وسلول من أخس قبائل العرب كباهلة، وقوله فنزلت وهي إحدى الروايات في سبب النزول، وفيه روايات أخر، والذي في البخاري عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالدا رضي الله عنه في سبعين راكبا إلى قومه " وهو مخالف لما هنا. قوله: (المماحلة والمكايدة) المماحلة بالجز عطف بيان للمحال بكسر الميم إشارة إلى أنهما مصدران كالقتال، والمقاتلة والمكايدة عطف تفسير للمماحة، ومحل بالتخقيف، وقوله تكلف لأن التفعيل يكون للتكلف وكونه من المحل بمعنى القحط، والميم أصلية ذكره الراغب فعذه معنى آخر في القاموس لا ينافيه كما توهم، وقوله فعال من المحل بمعنى القؤة أي اسم لا مصدر، وا) صحل بمعنى القوة فمعناه شديد. قوله:) وقيل مفعل من الحول (بمعنى القوة أو من الحيلة المعروفة والميم زائدة على هذا، وقوله أعل **على غير قياس** إذ كان القياس فيه صحة الواو كمحور ومرود ومقود، وقوله ويعضده أي يعضد زيادة الميم لكنه على هذا من الحيلة، وإنما عضده أي قواه لأن الأصل توافق القراءتين. قوله: (ويجوز أن يكون بمعنى الفقار) وهو عمود الظهر وسلسلة العظم التي فيه مركبا بعضها ببعض، وبها قوام البدن فيكون مثلا في القوة أي

استعارة ومجازا فيها، قال في الأساس يقال فرس قوفي المحال، وهو الفقار الواحدة محالة والميم أصلية والفقار بفتح الفاء واحده فقارة ويجمع على فقارات. قوله: (فساعد الله أشد وموساه أحد) هو حديث صحيح، وفي نهاية ابن الأثير رحمه الله تعالى في حديث البحيرة فساعد الله أشد، وموساه أحد أي لو أراد الله تحريمها بشق أذنها لخلقها كذلك فإنه تعالى يقول لما أراد كن فيكون فلذا قيل كان ينبغي للمصنف رحمه الله أن يقول كقول النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموسى بضم الميم وسكون الواو والسين المهملة وألف مقصورة آلة الحلق المعروفة، ووزنها فعلى من أوساه بمعنى حلقه وقطعه، وأما موسى علم النبي صلى الله عليه وسلم فمعرب. قوله: (الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد الخ) يعني أن الدعوة بمعنى الدعاء أي لطلب الإقبال، والمراد به العبادة لأنه يطلق عليها لاشتمالها عليه، وكلامه بيان لحاصل المعنى وتصوير له با! إضافته إلى الحق لاختصاص عبادته به دون عبادة غيره، وقيل إنه ذهب إلى المذهب المرجوح في جواز إضافة الموصوف للصفة لعدم تكلفه هنا لكن يأباه جعل إضافته للملابسة، فإن المتبادر منها خلاف ما ذكر وعلى هذا تجعل الملابسة شاملة للملابسة الجارية بين الموصوف وصفته، وهو الذي صرحوا به كما ستراه. قوله: (الذي يحق أن يعبد ويدعي الخ) وفي نسخة أو بأو الفاصلة فقيل إنه يثير إلى أن المراد بالدعاء العبادة كما مر وأن تقديم له لإفادة الاختصاص، وقيل إنه على نسخة الواو بيان

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٣٩/٥

لأن الدعوة المتعدية بإلى بمعنى الدعاء على ظاهرها وأن المدعو إليه هو العبادة لله لا أنها بمعناها، وقوله دون غيره ناظر إلى يدعي لا إلى يحق لأنه المناسب للحصر، وعلى نسخة أو بيان لأن الدعوة إما بمعنى العبادة أو بمعنى الدعوة إليها وعليه دون غيره تنازع فيه الفعلان، وقوله الذي يحق تفسير للاستحقاق المستفاد من اللام، وبيان لأن الحصر ناظر إلى المعنى الأول لا تفسير للحق، وفي هذه النسخة بحث فإن الوجوه حينئذ تكون ثلاثة لأن الدعاء إما بمعنى العبادة أو دعوة الخلق إلى العبادة أو بمعنى التضرع فالذي يناسب كلامه أن تجعل النسختان بمعنى، وأن دعوة الحق بمعنى الدعوة إلى عبادته، وإذا كانت الدعوة إلى عبادته حقا لزم كون عبادته حقا فإذا أريد أحدهما لزم الآخر فالعطف بأو ترديد في المراد أولا من اللفظ فتأمل. قوله:) أو له الدعوة المجابة الخ (هذا وجه آخر معطوف على ما قبله فيه الدعوة بمعنى التضرع، والطلب المشهور وقوله فإن من دعاه أجابه بيان لأن الدعوة دعاء الخلق دته، ومعنى أن دعاء الخلق له أن له إجابته دون غيره ولم يقل فإنه المجيب لمن دعاه دون غيره بيانا للحصر المستفاد من الكلام كما في الوجه الأول إما لظهوره بالقياس إليه، أو لأنه لا حاجة إلى استفادته

من التقديم لدلالة قوله بعده لا يستجيبون على حصر الإجابة فيه لكنه بالنسبة إلى آلهتهم فقط، والذي يفيده التقديم الحصر فيه مطلقا فلو ذكره كان أظهر، وقوله ويؤيده ما بعده فإن ذكر الاستجابة دليل على أن الدعاء بهذا المعنى، وان صح كونه بمعنى يعبدون، أو يدعون إلى." [(١)]

٤٧٠. "يبصر بها وقوله: فلا يحتاج إلى الأنباء هو على الوجهين وفيه شائبة من التجريد كما في شرح الكشاف، وقوله: على المجاز لما مر لا لأنه

للأعضاء كما توهم. قوله: (ولو جاء الخ (فشبه المجيء بالعذر بإلقاء الدلو في البئر للاستقاء به فيكون فيه تشبيه لذلك بالماء المروي للعطش، وقوله: على غير قياس لأن قياسه معاذر بغير ياء، وهو المراد من قول الزمخشري اسم جمع لأنه يطلقه على الجموع المخالفة للقياس كما مر غير مرة، ومن غفل عنه اعترض عليه بأنه ليس من أبنية اسم الجمع، وقوله: وذلك أولى أي كونه جمع معذار لجريه على القياس إلا أن في ثبوت المعذار بمعنى العذر نظر لأنه لم يسمع من الثقات أو سمع بمعنى الستر كما روي عن الضحاك، والجمع يحتمل أن يكون لمعذرة وأشبعت حركته فمد لذلك، والمعذرة مثلث الدال العذر وقيل معنى قوله وذلك أولى إن جمع معذرة على معاذير أولى من جمع منكر على مناكير لأن التغيير فيه أقل، وليس بشيء ولم يتعرضوا لجواب لو هنا فإم أن يكون معنى الشرطية منسلخا عنها كما قيل، أو يدل عليه ما قبله والظاهر الأول. قوله: (لتأخذه على عجلة) إشارة إلى أن الباء للتعدية وعن الشعبي عجل به من حبه إياه وهو لا ينافي ما ذكر، وقوله: وهو تعليل الخ يعني قوله: إن علينا جمعه، وهو ظاهر وقوله: بلسان جبريل عليك يشير إلى أن الإسناد مجازي هنا، وقوله: قراءته إشارة إلى أنه مصدر لا بمعنى

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٢٢٧/٥

المقروء، وقوله: وتكرر فيه فالاتباع عبارة عن قراءته كما قرأه جبريل والتكرار من المقام بقرينة السياق. قوله: (بيان ما أشكل عليك من معانيه الخ) التأخير من لفظ، ثم وأول من استدل بهذه الآية على ما ذكر القاضي أبو الطيب وهو إنما يتم إذا فسر البيان بتبيين المعنى، وقد قال الآمدفي يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمل، ويؤيده أن المراد جميع القرآن والمجمل بعضه وما ذكره الآمدي هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنه قال في تفسيره إن علينا أن نقرأه يريد ما ذكر. قوله: (اعتراض (يعني أن قوله: لا تحرك الخ كلام وقع معترضا في أثناء أمور الآخرة توبيخا على ما جبل عليه الإنسان.

والمرء مفتون بحب العاجل

حتى جعل مخلوقا من عجل ومن محبة العاجل وايثاره على الآجل تقديم الدنيا الحاضرة

على الآخرة الذي هو منشأ الكفر، والعناد المودي إلى إنكار الحشر والمعاد فالنهي عن العجلة في هذا يقتضي النهي فيما عداه على آكد وجه، وهذه مناسبة تامة بين ما اعترض فيه وبينه يندفع بها إنكار بعض الزنادقة للمناسبة فيه بوجه من الوجوه حتى تشبث به لأنه وقع في القرآن تغيير وتحريف ممن جمعه:

وما عليك إذا لم تفهم البقر

وقيل: قوله: بل يريد الإنسان ليفجر إمامه في معنى تحبون العاجلة فتظهر مناسبته لما قبله، وتوكيده له فلا حاجة إلى أن يقال: أراد بالاعتراض هنا الاستطراد كما قيل فإنه الوجه الآتي. قوله: (أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات) من عجلته لمجي! في تلقيها عن جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل له: لا تحرك الخ نهيا له عما صدر منه في ذلك الحين كما يقول المرء وهو يتكلم لمخاطبه إذا التفت لا تلتفت يمينا وشمالا، ثم يعود لما كان فيه من الكلام فالمناسبة لما وقع في الخارج لا لمعنى الموحى به فهو استطراد واعتراض بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي حتى يرد عليه إنه لم يفد ما اعترض فيه توكيد أو لا بد منه في الاعتراض. قوله: (وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور) في قوله: أيحسب الإنسان فهو المخاطب بقوله: لا تحرك الخ كما فصله المصنف رحمه الله ولبعده مرضه المصنف رحمه الله تعالى، وإن ارتضاه غيره وقدمه على الوجه السابق، وهو مخالف للمأثور في تفسير الآية وقوله: رح للرسول الخ لف ونشر على التفسيرين، ويحتمل عود كل منهما إلى الجميع وقوله: للمعنى لأنه مفرد لفظا مجموع معنى وقوله: ويؤيده الخ لأنه على الغيبة ظاهر في أن الضمير للإنسان وعلى ما قبله غلب فيه النبي على غيره فلا التفات فيه وقوله: بهية أي حسنة، وقوله: متهللة أي منيرة مثرقة كالهلال من المسرة. قوله: (ولذلك) أي لكون المعنى ما ذكر قدم متعلقه، وهو قوله: إلى ربها ليدل على الاختصاص وعدم النظر لما سواه، وقوله: وليس

هذا الخ رد على الزمخشري حيث ادعى نصرة لمذهبه في إنكار الرؤية أنه لو كان النظر بمعناه المعروف لم يصح الحصر لأن قصر النظر غير واقع كما لا يخفى على من له نظر بأنه في وقت ما لا في جميع

الأوقات لأنه لا يراه دائما مع أنه قد يجعل رؤية ما سواه عدما أو يقال: التقديم لرعاية الفاصلة، لا للحصر هنا أو للاهتمام لأنه المقصود." (١)

٤٧١. "الايمان والإسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب أفضل من شرف النسب والعلم الديني والأدب الشرعي هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل أن يتجلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين انواع المكارم والأخلاق الحسنة والأوصاف الشريفة المستحسنة يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم امر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة أصله اوقيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الإنسان لا النفس الامارة والمعنى احفظوا وبعدوا أنفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاى خود را ودور كنيد. يعنى بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بالنصح والتأديب والتعليم أصله أهلين جمع اهل حذفت النون بالاضافة وقد يجمع على اهالى **على غير قياس** وهو كل من فى عيال الرجل والنفقة من المرأة والولد والأخ والاخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالاصحاب ايضا ودلت الآية على وجوب الأمر بالمعروف للأقرب فالأقرب وفى الحديث (رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم فى الجنة) وفى الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعنى كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل ان كان وليا ومن عدم الخيانة ان كان موليا عليه وكلكم مسئول عما التزم حفظه يوم القيامة فالامام على الناس راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسئول وقيل أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وخص الأهلين بالنصيحة مع ان حكم الأجانب كحكمهم فى ذلك لان الأقارب اولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال تعالى وانذر عشيرتك الأقربين ولان شرائط الأمر والنهى قد لا توجد فى حق الأجانب بخلاف الأقارب لاسيما الأهل فان الرجل سلطان اهله وقال بعض اهل الاشارة فى الآية طهروا أنفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون أهاليكم صالحين بمتابعتكم فاذا رغبتم فى الدنيا فهم يشتغلون بها فان زلة الامام زلة المأمومين وقال القاشاني رحمه الله الأهل بالحقيقة هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحانى واتصال عشقى سوآء اتصل به اتصالا جسمانيا أم لا وكل ما تعلق به تعلقا عشقيا فبالضرورة يكون معه فى الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من الناري كوقاية نفسه فان زكى نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة ينجذب إليها فيكون معها فى الهاوية محجوبا بها سوآء كانت قواه لطبيعية الداخلة فى تركيبه أم نفوسا انسانية منتكسة فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الأصفياء والأولياء ليحشر معهم فان المرء يحشر مع من أحب نارا نوعا

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي ٢٨٢/٨

من النار وقودها ما يوقد به تلك النار يعنى حطبها وبالفارسية آتش انگيز وى.

فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرئ به بتقدير اسباب وقودها او بالحمل على المبالغة الناس كفار الانس والجن." (١)

٤٧٢. "بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) وغير ذلك وهو استئناف يخاطبون به من خزنة جهنم بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون يقال صلى اللحم كرمى يصليه صليا شواه وألقاه فى النار وصلى النار قاسى حرها وأصله اصليوها فاعل كاحشيوا وهو امر تنكيل واهانة كقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) والمعنى ادخلوها وقاسوا حرها وفنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا وفى ذكر اليوم ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم يعنى ان ايام لذاتكم قد مضت ومن هذا الوقت واليوم وقت عذابكم قال ابو هريرة رضى الله عنه أوقدت النار الف عام فابيضت ثم أوقدت الف عام فاحمرت ثم أوقدت الف عام فاسودت فهى سوداء كالليل المظلم وهى سجن الله تعالى لمجرمين قال النبي عليه السلام لجبرائيل (ما لى لم أر ميكائيل ضاحكا قط) قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار قال بعضهم ذكر النار شديد فكيف القطيعة والفضيحة فيها ولذا ورد فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وعن السرى السقطي رحمه الله اشتهى ان أموت ببلدة غير بغداد مخافة ان لا يقبلنى قبرى فافتضح عندهم وقال العطار رحمه الله لو ان نارا أوقدت فقيل من قبل الرحمن من القى نفسه فيها صار لاشيا لخشيت ان أموت من الفرح قبل ان اصل الى النار لخلاصى من العذاب الابدى فانظر الى انصاف هؤلاء السادات كيف أساءوا الظن بانفسهم مع انهم موحدون توحيدا حقيقيا عابدون عارفون وقد جعل دخول النار مسببا عن الكفر والشرك والأوزار

خدايا بعزت كه خوارم مكن ... بذل كنه شرمسارم مكن

مرا شرمسارى ز روى تو بس ... دكر شرمسارم مكن پيش كس

بلطفم بخوان يا بران از درم ... ندارد بجز آستانت سرم

بحقت كه چشمم ز باطل بدوز ... بنورت كه فردا بنازم مسوز

اليوم نختم على أفواههم الختم فى الأصل الطبع ثم استعير للمنع والأفواه جمع فم واصل فم فوه بالفتح وهو مذهب سيبويه والبصريين كثوب وأثواب حذفت الهاء حذفا **على غير قياس** لخفائها ثم الواو لاعتدالها ثم أبدل الواو المحذوفة ميما لتجانسهما لانهما من حروف الشفة فصار فم فلما أضيف رد الى أصله ذهابا به مذهب أخواته من الأسماء وقال الفراء جمع فوه بالضم كسوق وأسواق وفى الآية التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر أحوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم

(١) روح البيان، إسماعيل حقي ٥٨/١٠

مع ما فيه من الإيماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية والمعنى نمنع أفواههم من النطق ونفعل بها ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا فتصير أفواههم كأنها مختومة فتعترف جوارحهم بما صدر عنها من الذنوب وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم باستنطاقنا إياها بما كانوا يكسبون فتنطق الأربع بما كسبوه من السيئات والمراد جميع الجوارح لا ان كل عضو يعترف بما صدر منه [والكسب: حاصل." (١)

٤٧٣. "قلت: (كأين) : أصله: أي، دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) ، وأثبت التنوين نونا **على غير قياس**، وقرأ ابن كثير: (وكائن) ، على وزن فاعل، ووجهه: أنه قلب الياء قبل الهمزة فصار: كياء، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فصار كائن، وهما لغتان، وقد جمع الشاعر بينهما في بيت، فقال:

كأين أبدنا من عدو بعزنا ... وكائن أجرنا من ضعيف وخائف

و (الربيون) : جمع ربة، أي: الفرقة. أي: معه جموع كثيرة، وقيل: العلماء الأتقياء، وقيل: الولاة، وهو: إما مبتدأ فيوقف على (قتل) ، أو نائب فاعل (قتل) ، أو فاعل على من قرأ بالبناء له، و (كثير) : نعت له، كقوله:

والملائكة بعد ذلك ظهير لأن فعيلا يخبر به عن المفرد والجمع.

يقول الحق جل جلاله: وكأين وكم من نبي قاتل في المعركة ومعه جموع كثيرة، أو ربانيون علماء أتقياء، فلم يفشلوا ولم يضعفوا، بل ثبتوا على دينهم وجهاد عدوهم، أو يقول: كثير من الأنبياء قتل معهم ربانيون كثير، أي: ماتوا في الحرب فثبت الباقون، ولم يفتروا ولم يضعفوا عن عدوهم، ويترجح الأول بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدا قد مات، فضرب لهم المثل بقوله: وكأين من نبي قاتل، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل نبي قط في المحاربة.

أو: وكأين من نبي قاتل أي: جاهد معه ربيون كثير، وبعد ما قتل نبيهم أو جموعهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله أي: فما فتروا، ولم ينكسر جندهم لأجل ما أصابهم من قتل نبيهم أو بعضهم، وما ضعفوا عن جهاد عدوهم ولا عن دينهم، وما استكانوا أي: خضعوا لعدوهم، من السكون لأن الخاضع يسكن لعدوه يفعل به ما يريد، فالألف إشباع زائد، أي: فما سكنوا لعدوهم بل صبروا له، والله يحب الصابرين فينصرهم ويعزهم ويعظم قدرهم.

وما كان قولهم عند قتل نبيهم مع ثباتهم على دينه، إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر، وإسرافنا في أمرنا أي: ما تجاوزنا به الحد في أمر ذنوبنا، كالكبائر، وثبت أقدامنا في مداحض الحرب لئلا ننهزم، وانصرنا على القوم الكافرين من أعدائنا، فهلا فعلتم مثلهم، وقلتم ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) روح البيان، إسماعيل حقي ٤٢٤/٧

فآتاهم الله في ثواب الاستغفار واللجوء إلى الله ثواب الدنيا وهو النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر، وحسن ثواب الآخرة وهو النعيم الذي لا يفنى ولا يبيد، وخص ثواب الآخرة بالحسن إشعارا بفضله، وأنه المعتد به عنده، والله يحب المحسنين الثابتين على دينهم، لأنهم أحسنوا فيما بينهم وبين ربهم بحفظ دينه، فأحبهم الله وقربهم إلى حضرته.." (١)

٤٧٤. "للأنصار: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر، وكتموا صفته- عليه الصلاة والسلام- . ووضع الظاهر موضع المضمر وكأنه يقول: وأعتدنا لهم، إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى، ومن كفر بنعمة الله وأهانها استحق عذابا مهينا.

والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس طلبا لمدحهم وخوفا من ذمهم، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، يتحرون بإنفاقهم مراضية، فالشيطان قرينهم لا يفارقهم، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا، فلما كان الشيطان قرينهم زين لهم التهالك على الأموال والرياء في الأعمال، وإنما أشرك أهل الرياء مع البخلاء في الوعيد من حيث إنهما طرفا تفريط وإفراط، وهما سواء في القبح واستجلاب الذم.

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي: لا ملامة عليهم ولا تبعة تحيق بهم لو أخلصوا الإيمان وأنفقوا مما رزقهم الكريم المنان. قال البيضاوي: وفيه تنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا، فكيف إذا تضمن المنافع. وإنما قدم الإيمان هاهنا وأخره في الآية الأخرى: لأن القصد بذكره هنا التخصيص، وثم التقليل. هـ. وكان الله بهم عليما لا يخفى عليه شيء من أمورهم وقصدهم.

الإشارة: قال بعض الصوفية: (من أقبح كل قبيح صوفي شحيح) ، فالصوفية العارفون- رضى الله عنهم- الذين هم صفوة العباد متخلقون بأضداد ما وسم به الحق- تعالى- أهل العناد، فهم يجودون بأنفسهم وما خصهم الله بهم من العلوم اللدنية والأسرار القدسية، على من يستحقه من أهل التخلية والتحلية، ويأمرون الناس بالسخاء ومكارم الأخلاق، ويتحدثون بما منحهم الملك الخلاق، ويظهرون الغنى بالله والاكتفاء به عن كل ما سواه، وإذا بذلوا أموالهم أعطوها لله وبالله ومن الله وإلى الله وابتغاء مرضاة الله، هجم عليهم اليقين، وتمكنوا من شهود رب العالمين، فلا يقرب ساحتهم الشيطان، ولا يرون في الدارين إلا الملك الديان، تحبهم ملائكة الرحمن، ويحن إليهم الأنس والجان. نفعنا الله بمحبتهم، وخرطنا في مسلكهم، آمين.

ثم رغب الحق- تعالى- فى الإنفاق مع الإخلاص، الذي هو عنوان الدين الخاص، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ٤٠]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ٤١٧/١

إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (٤٠)
قلت: الذرة: النملة الصغيرة الحمراء. وتطلق على جزء من أجزاء الهباء. ومن نصب (حسنة) فخبر كان. وأنث الضمير باعتبار الخبر. أو لإضافة مثقال إلى ذرة، فاكتسب التأنيث، ومن رفع فهي تامة، وحذف نونها **على غير قياس**، تشبيها لها بحروف العلة. وضاعف وضعف بمعنى واحد.." [1]

٤٧٥. "في إخفائها تعرض من يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالي في طلبها، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى، واسمه الأعظم، وساعة الجمعة، ورضاه في الطاعات، وغضبه في المعاصي، وولايته في خلقه ليحسن الظن بالجميع.
وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير، أو لما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة القدر هي خير من عمل ذل الغازي. وقيل: أن النبي صلى الله عليه وسلم أري أعمار الأمم كافة، فاستقصر أعمار أمته، فخاف ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم، فأعطاه الله ليلة القدر، جعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم. وقيل: كان ملك سليمان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فجعل الله هذه الليلة لمن قامها خيرا من ملكيهما.
ثم بين وجه فضلها، فقال: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ ، والروح إما جبريل عليه السلام، أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، أو الرحمة. والمراد بتنزلهم: نزولهم إلى الأرض يسلمون على الناس ويؤمنون على دعائهم، كما في الأثر. وقيل: إلى سماء الدنيا. وقوله: ﴿بإذن ربهم﴾ يتعلق بـ " تنزل "، أو بمحذوف هو حال من فاعله، أي: ملتبسين بأمر ربهم، أو: ينزلون بإذنه، ﴿من كل أمر﴾ أي: من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل، روي أن الله تعالى يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام كله، وقيل: يبرز ذلك من علم الغيب ليلة النصف من شعبان، ويعطى الملائكة ليلة القدر، فلما كان أهم نزولهم هذا الأمر جعل نزولهم لأجله، فلا ينافي كون نزولهم للتسليم على الناس والتأمين، كما قال تعالى: ﴿سلام هي﴾ أي: ما هي إلا سلام على المؤمنين، جعلها نفس السلام لكثرة ما يسلمون على الناس، فقد روي أنهم يسلمومن على كل قائم وقاعد وقارىء ومصل، أو: ما هي إلا سلامة، أي: لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير، وأما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء، وقال ابن عباس: قوله: (هي) إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة.
ثم ذكر غايتها، فقال: ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي: تنتهي إلى طلوع الفجر، أو: تسلم الملائكة إلى مطلع الفجر، أو: تنزل الملائكة فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر. و " مطلع " بالفتح: اسم زمان، وبالكسر

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ١/٥٠٤

مصدر، أو اسم زمان **على غير قياس**؛ لأن ما يضم مضارعه أو يفتح يتحد فيه الزمان والمكان والمصدر، يعني " مفعل " في الجميع.

الإشارة: أهل القلوب من العارفين، الأوقات كلها عندهم ليلة القدر، والأماكن عندهم كلها عرفات، والأيام كلها جمعات، لأن المقصود من تعظيم الزمان والمكان هو باعتبار ما يقع فيه من التقريب والكشف والعيان، والأوقات والأماكن عند العارفين كلها سواء في هذا المعنى، كما قال شاعرهم:." [1]

٤٧٦. "بالبصيرة ذالحجة الملك الموكل وقال مقاتل والكلبي معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهو سمعه وبصره وجوارحه وحينئذ دخول الهاء فى البصيرة لان المراد الإنسان جوارحه ويحتمل ان يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة يعنى جوارحه فحذف حرف الجر كما فى قوله تعالى ان أردتم ان تسترضعوا أولادكم اى لاولادكم.

ولو ألقى

الإنسان معاذيره

ط قال الضحاك والسدى معناه ولو ارخى الستور واغلق الأبواب عند فعل المعصية ليخفى ما يعمل فلا ينفع فان نفسه عليه شاهد وكذا الموكل به والله على كل شيء شهيد واهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذيرة وقال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير معناه يشهد عليه الشاهد من الجوارح والملائكة ولو اعتذر وجادل عن نفسه كما قال لا ينفع الظالمين معذرتهم قال الفراء ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذبه ومعنى إلقاء القول كما قال الله تعالى والقوا إليهم القول انكم لكاذبون وعلى هذا معاذير جمع معذار بمعنى العذر وجمع معذرة **على غير قياس** كمناكير فى المنكر والظاهر انه اسم جمع وجمعها معاذر وكذا المناكير والله تعالى اعلم- اخرج الشيخان فى الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إذا نزل جبرئيل بالوحى يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف عنه يريد ان يحفظ ما انزل الله فانزل الله تعالى.

لا تحرك

يا محمد به

بالقران لسانك

قبل ان يتم وحيه لتعجل به

ط اى لتاخذه على عجلة فى الصحيحين عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يحرك شفتيه إذا نزل يخشى ان ينفلت-.

إن علينا جمعه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ٣٣٢/٧

فى صدرك وقرآنه

ج اثبات قرأته على لسانك تعليل للنهى.

فإذا قرأناه

اى القران بلسان جبرئيل أضاف قراءة جبريل الى نفسه مجازا لانه بامره ورسالته فاتبع قرآنه

ج قراءته يعنى فاقرأ بعد قراءة جبريل حتى يرسخك فى ذهنك كذلك لا بد للتلميذ ان يقرأ بعد قراءة الشيخ ولا يقرأ معه كيلا يقع المزاحمة والتشويش فى القراءة والحفظ.

ثم إن علينا بيانه ط اى القران اى اظهار المراد منه إذا أشكل شيء من معانيه قلت الاية على ان بيان القران محكمه ومتشابهه من الله تعالى للنبي صلى الله تعالى عليه واله وسلم لا يجوز ان يكون شيء منها غير مبين له عليه الصلاة والسلام والا يخلو الخطاب من الفائدة ويلزم الخلف فى الوعد كما ذكرنا هذه المسألة فى تفسير قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله وكلمة." (١)

٤٧٧. "ويحذركم الله نفسه بإظهار قهاريته يوم تجد- ولو كان الظرف متعلقا با ذكر جاز ان يكون هذه الجملة معطوفة على تجد اى اذكر يوم تجد ويوم يحذركم الله بإظهار قهاريته وهذه الجملة لبيان المعاملة مع الكفار وقوله تعالى والله رؤف بالعباد (٣٠) اى بعباده المؤمنين لبيان المعاملة مع المسلمين وجاز على التأويل الاول ان يكون هذه الجملة فى مقام التعليل للجملة الاولى يعنى انما يحذركم الله نفسه لانه رؤف بالعباد يريد إصلاحهم- اخرج ابن جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا قال قال أقوام على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يا محمد انا لنحب ربنا فانزل الله تعالى.

قل إن كنتم تحبون الله الاية- وروى ابن إسحاق وابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير انها نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقال البغوي نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال والله يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم وإسماعيل فقال قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الحب بضم الحاء وكسره وكذا الحباب بهما والمحبة مصادر من أحبه يحبه فهو محبوب **على غير قياس** ومحب قليل وحببته أحبه حبا من ضرب يضرب شاذ- وهو عبارة عن اشتغال قلب المحب بالمحبوب وأنسه به بحيث يمنعه عن الالتفات الى غيره ولا يكون له بد من دوام التوجه اليه والاشتغال به وهذا هو المعنى من قولهم العشق نار فى القلوب تحرق ما سوى المحبوب- يعنى يقطع عن قلبه التوجه الى غير المحبوب فيجعله نسيا منسيا كان لم يكن فى الوجود غير محبوبه حتى يسقط عن نظر بصيرته نفسه فلا يرى نفسه كما لا يرى غيره

(١) التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله ١٠/١٣٩

ومقتضى تلك الصفة ابتغاء مرضات المحبوب وكراهة ما يكرهه طبعا وبالذات بلا ملاحظة طمع فى ثوابه او خوف من عقابه وان اجتمع مع ذلك طمع وخوف ايضا- هذا تعريف المحبة من العبد واما محبة الله تعالى لعبده فالله سبحانه منزه عن القلب واشتغاله ولا يمنعه شأن عن شأن فهى فى حقه تعالى عبارة عن الانس الساذج المقتضى لجذب العبد الى جنابه وعدم إهماله وتركه الى غيره- ... ." (١)

٤٧٨. "فاحرقته- وقال سئل الحسن عن قوله تعالى ويرسل الصواعق الاية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوننى اليه مم هو من ذهب او فضة او حديد او نحاس- فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم- فقالوا يا رسول ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه- فرجعوا اليه فجعل يزيدهم على مثل مقالته الاولى وقال أجيب محمدا الى رب لا أراه ولا أعرفه- فانصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا الا على مقالته وأخبث فقال ارجعوا- فرجعوا اليه فبينماهم عنده ينازعونه وهو يقول هذه المقالة إذا ارتفعت سحابة فكانت فوق رءوسهم- فرعدت «١» وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس فجاءوا يسعون ليخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- وقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم فقالوا اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال (١٣) قال البغوي قال الحسن شديد الحقد وقال مجاهد شديد القوة- وقال ابو عبيدة شديد العقوبة- وقيل شديد المكر والمغالبة- قال فى القاموس المحال ككتاب الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والمكر والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة والقوة والشدة والهلاك والإهلاك وهذه المعاني أكثرها يصح هاهنا فهو فعال من المحل- وقيل هو مفعل من الحول او الحيلة او الحيلولة اعل على غير قياس- فعلى هذا ما قال ابن عباس معناه شديد الحول وقال على شديد الاخذ-.

له دعوة الحق اى الدعوة المجابة مختصة به تعالى دون غيره كما يدل عليه ما بعده- او المعنى له الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته ويسئل منه الحوائج دون غيره- او معناه له الدعاء بالإخلاص- والحق على هذه التأويلات ضد الباطل- والاضافة فى الظاهر اضافة والموصوف الى صفته- فيئول على طريقة مسجد الجامع- وجانب

---

(١) اخرج الترمذي وصححه واحمد والنسائي عن ابن عباس فقال أقبلت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا من الرعد ما هو قال ملك من ملائكة السحاب يسوقه حيث امره الله فقالوا فما هذا الصوت نسمع قال صوته واخرج ابن مردوية عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٣٦/١

وسلم قال ان ملكا مؤكل بالسحاب يلم العاصية ويلم الدامية فى يده مخراق فاذا رفع برقت وإذا زجرر عدت وإذا ضرب صعقت منه رحمه الله." (١)

٤٧٩. "الجزء الأول

التعريف بالمؤلف والكتاب

آ- التعريف بالمؤلف

١- اسمه ونسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني «١» .

والشوكاني: نسبة إلى «عدني شوكان» أو إلى «هجرة شوكان» «٢» ، وهما اسمان لقرية واحدة بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وإليها نسب والده، وهي نسبة **على غير قياس** لأن النسب إلى المضاف يكون إلى صدره، ونسبة غير حقيقية «٣» كما صرح به أحد تلاميذه.

والصنعاني: نسبة إلى صنعاء، إذ فيها نشأ، وفيها توفي ودفن، رحمه الله تعالى.

٢- مولده ونشأته:

ولد بهجرة شوكان «٤» في وسط نهار الإثنين ٢٨ من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣ هـ. ولا التفات إلى غير هذا التاريخ الذي وصلنا موثقا بخطه وخط ولده.

ونشأ في حجر والده بصنعاء، وكان أبوه قاضيا وعالما، ومعروفا بالطيبة والصلاح، فتربى الابن على العفاف والطهارة، والتفرغ لطلب العلم، مكفيا في بيت أبيه من جميع أسباب الحياة ووسائل الرزق.

---

(١) . الإمام الشوكاني من أعلام المسلمين الكبار، وكتابه «فتح القدير» أشهر من أن يعرف، ولكننا أردنا أن نضع بين يدي القارئ حقائق تاريخية ودقائق علمية تزيده معرفة وتبصرة، وتملؤه حماسة ونشاطا.

(٢) . قال عنها في البدر الطالع (١/ ٤٨١) : «وهذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الأزمان..» .

(٣) . يقول العلامة حسين بن محسن السبعي الأنصاري، وهو تلميذ الإمام الشوكاني ونسبة صاحب الترجمة إلى شوكان ليست حقيقية، لأن وطنه ووطن سلفه وقرابته، بمكان عدني شوكان، بينه وبينها جبل كبير مستطيل، يقال له «هجرة شوكان» فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شوكان. والله أعلم.

---

(١) التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله ٥/٢٢٥

(٤) . كانت ولادته أثناء رحلة قام بها الأبوان إلى موطنهما الأصلي، وكانا قد استوطنا صنعاء من قبل.." (١)

٤٨٠. "من نلته بالعطية. قال غيره: نلت أنول من العطية، ونلته أناله: أدركته، والضمير في (به) يعود إلى كل واحد من الأمور المذكورة، والعمل الصالح: الحسنة المقبولة، أي: إلا كتبه الله لهم حسنة مقبولة يجازيهم بها، وجملة إن الله لا يضيع أجر المحسنين في حكم التعليل لما سبق مع كونه يشمل كل محسن، ويصدق على المذكورين هنا صدقا أوليا. قوله: ولا ينفقون نفقة معطوف على ما قبله، أي: ولا يقع منهم الإنفاق في الحرب، وإن كان شيئا صغيرا يسيرا ولا يقطعون واديا وهو في الأصل كل منفرج بين جبال، وآكام يكون منفذا للسيل، والعرب تقول: واد وأودية **على غير قياس**. قال النحاس: ولا يعرف فيما علمت فاعل وأفعلة إلا كتب لهم أي: كتب لهم ذلك الذي عملوه من النفقة والسفر في الجهاد ليجزيهم الله به أحسن ما كانوا يعملون أي: أحسن جزاء ما كانوا يعملون من الأعمال، ويجوز أن يكون في قوله: إلا كتب لهم ضمير يرجع إلى عمل صالح. وقد ذهب جماعة إلى أن هذه الآية منسوخة بالآية المذكورة بعدها، وهي قوله: وما كان المؤمنون لينفروا كافة فإنها تدل على جواز التخلف من البعض مع القيام بالجهاد من البعض، وسيأتي.

وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق عمر بن مالك عن بعض الصحابة قال: لما نزلت: ما كان لأهل المدينة الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي بعثني بالحق لولا ضعفاء الناس ما كانت سرية إلا كنت فيها» . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: ما كان لأهل المدينة قال هذا حين كان الإسلام قليلا لم يكن لأحد أن يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كثر الإسلام، وفشا قال الله: وما كان المؤمنون لينفروا كافة. وأخرج ابن أبي حاتم عن الأوزاعي وعبد الله بن المبارك وإبراهيم بن محمد الفزاري وعيسى بن يونس السبيعي أنهم قالوا في قوله تعالى: ولا ينالون من عدو نيلا قالوا: هذه الآية للمسلمين إلى أن تقوم الساعة.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٢ الى ١٢٣]

وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢) يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين (١٢٣)

اختلف المفسرون في معنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة فذهب جماعة إلى أنه من بقية أحكام الجهاد، لأنه سبحانه لما بالغ في الأمر بالجهاد، والانتداب إلى الغزو كان المسلمون إذا بعث رسول الله صلى الله

(١) فتح القدير للشوكاني، الشوكاني ١/٥

عليه وسلم سرية من الكفار ينفرون جميعا، ويتركون المدينة خالية، فأخبرهم الله سبحانه بأنه ما كان لهم ذلك أي:

ما صح لهم، ولا استقام أن ينفروا جميعا، بل ينفر من كل فرقة منهم طائفة من تلك الفرقة، ويبقى من عدا هذه الطائفة النافرة. قالوا: ويكون الضمير في قوله: ليتفقهوا عائدا إلى الفرقة الباقية. والمعنى: أن الطائفة من هذه الفرقة تخرج إلى الغزو، ومن بقي من الفرقة يقفون لطلب العلم، ويعلمون الغزاة إذا رجعوا إليهم من الغزو، أو يذهبون في طلبه إلى المكان الذي يجدون فيه من يتعلمون منه ليأخذوا عنه الفقه في الدين،." (١)

٤٨١. "موافقة القراءات لرسم المصحف العثماني تحقيقا أو تقديرا

قال ابن الجزري، في النشر: موافقة الرسم قد تكون تحقيقا وهي الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديرا، وهي الموافقة احتمالا. فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعا نحو السماوات، والربوا ونحو لننظر كيف تعملون [يونس: ١٤] ، وجيء [الزمر: ٦٩] ، حيث كتب بنون واحدة، وبألف بعد الجيم في بعض المصاحف.

وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقا، وتوافق بعضها تقديرا نحو ملك يوم الدين [الفاتحة: ٤] ، فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف. فقراءة الحذف تحتمله تحقيقا كما كتب ملك الناس [الناس: ٢] ، وقراءة الألف تحتمله تقديرا كما كتب مالك الملك [آل عمران: ٢٦] ، فتكون الألف حذفت اختصارا. وكذلك النشأة [العنكبوت: ٢٠] ، حيث كتبت بالألف وافقت قراءة المد تحقيقا ووافقت قراءة القصر تقديرا، إذ يحتمل أن تكون الألف صورة الهمزة **على غير قياس**. وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقا نحو يغفر لكم [آل عمران: ٣١] ، وتعملون، وهيت لك [يوسف: ٢٣] . مما يدل تجرده عن النقط والشكل وحذفه وإثباته- على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة، وفهم ثاقب في تحقيق كل علم.

وقال أيضا بعد أوراق: ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن بينهم فيها إلا الخلاف اليسير المحفوظ بين القراء، ثم إنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين- شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين. فإن الصحابة، رضوان الله عليهم، تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن، لفظه ومعناه جميعا، ولم يكونوا ليسقطوا شيئا من القرآن الثابت عنه صلى الله عليه وسلم، ولا يمنعوا من

---

(١) فتح القدير للشوكاني، الشوكاني ٢/٤٧٣

القراءة به.

ما لا يعد مخالفا لصريح الرسم من القراءات الثابتة

قال في النشر بعد ما تقدم: على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا إذا ثبتت القراءة به ووردت." (١)

٤٨٢. "بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاتحة الكتاب

فاتحة الشيء: أوله وابتداؤه. ولما افتتح التنزيل الكريم بها، إما بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، أو باجتهاد من الصحابة- كما حكى القولين القاضي الباقلاني في ترتيب التنزيل- سميت بذلك قال السيد الجرجاني: فاتحة الكتاب صارت علما بالغلبة لسورة الحمد، وقد يطلق عليها «الفاتحة» وحدها، فإما أن يكون علما آخر بالغلبة أيضا، لكون اللام لازمة، وإما أن يكون اختصارا، واللام كالعوض عن الإضافة إلى الكتاب، مع لمح الوصفية الأصلية.

وقال ابن جرير: سميت «فاتحة الكتاب» : لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف، ويقرأ بها في الصلوات. فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة.

وتسمى «أم القرآن» : لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة تقدم الأم والأصل، أو لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله بما هو أهله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم، والاطلاع على معارج السعداء، ومنازل الأشقياء.

والعرب تسمي كل أمر جامع أمورا، وكل مقدم له توابع تتبعه «أما» - فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ «أم الرأس» وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها «أما» وتسمى «السبع المثاني» - جمع مثنى كمفعل اسم مكان، أو مثنى بالتشديد من التثنية **على غير قياس-** لأنها سبع آيات تثنى في الصلاة أي تكرر فيها.." (٢)

٤٨٣. "ثم أكد ما تقدم بقوله:

(تنزيل من رب العالمين) أي بل هو تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل، القاسمي ١٨٧/١

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل، القاسمي ٢٢٣/١

[سورة الحاقة (٦٩) : الآيات ٤٤ الى ٥٢]

ولو تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦) فما منكم من أحد عنه حاجزين (٤٧) وإنه لتذكرة للمتقين (٤٨)

وإنا لنعلم أن منكم مكذبين (٤٩) وإنه لحسرة على الكافرين (٥٠) وإنه لحق اليقين (٥١) فسبح باسم ربك العظيم (٥٢)

شرح المفردات

التقول: الافتراء، وسمى بذلك لأنه قول متكلف، والأقاويل: الأقوال المفتراة، واحدها قول **على غير قياس**، لأخذنا منه: أي لأمسكناه، باليمين: أي بيمينه، والوتين: عرق يخرج من القلب ويتصل بالرأس، حاجزين: أي ما نعين، حق اليقين: أي عين اليقين.

المعنى الجملي

بعد أن أثبت أن القرآن تنزيل من رب العالمين، وليس بشعر ولا كهانة- أكد هذا بأن محمدا لا يستطيع أن يفتعله، إذ لو فعل ذلك لأبطلنا حجته، وأمتنا دعوته، أو سلبناه قوة البيان فلا يتكلم بهذا الكذب، أو قتلناه فلم يستطع نشر الأكاذيب، وقد جرت سنتنا بأن كل متكلف للقول لا يقبل قوله، ولا يصغى." (١)

٤٨٤. "الثلاثية.

وجمع اللغتين قول نابغة ذبيان:

أسرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليها جامد البرد

فإنه قال: أسرت، رباعية في أشهر روايتي البيت، وقوله: سارية، اسم فاعل «سرى» الثلاثية، وجمعهما أيضا قول الآخر:

حتى النضيرة ربة الخدر ... أسرت إليك ولم تكن تسري

بفتح تاء «تسري» واللغتان كثيرتان جدا في كلام العرب، ومصدر الرباعية الإسراء على القياس، ومصدر الثلاثية السرى بالضم على وزن فعل بضم ففتح **على غير قياس**، ومنه قول عبد الله بن رواحة:

عند الصباح يحمد القوم السرى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

---

(١) تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى ٦٢/٢٩

قوله تعالى: إن موعدهم الصبح.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن موعد إهلاك قوم لوط وقت الصبح من تلك الليلة، وكذلك قال في «الحجر» في قوله: وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين [١٥ \ ٦٦] ، وزاد في «الحجر» أن صبيحة العذاب وقعت عليهم وقت الإشراق، وهو وقت طلوع الشمس بقوله: فأخذتهم الصيحة مشرقين.

قوله تعالى: وأمطرنا عليها حجارة من سجيل الآية.

اختلف العلماء في المراد بحجارة السجيل اختلافا كثيرا، والظاهر أنها حجارة من طين في غاية الشدة والقوة، والدليل على أن المراد بالسجيل: الطين، قوله تعالى في «الذاريات» في القصة بعينها: لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين [٥١ \ ٣٣، ٣٤] ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن. والدليل على قوتها وشدتها: أن الله ما عذبهم بها في حالة غضبه عليهم إلا لأن النكال بها بالغ شديد، وأيضا فإن بعض العلماء قالوا: السجيل والسجين: أختان، كلاهما الشديد من الحجارة والضرب.

ومنه قول ابن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ... ضربا تواصى به الأبطال سجينا

وعلى هذا، فمعنى من سجيل،: أي من طين شديد القوة، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: وما هي من الظالمين ببعيد.

في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه من التفسير للعلماء: اثنان منها كلاهما يشهد له القرآن، وواحد يظهر أنه ضعيف.

أما الذي." (١)

٤٨٥. "أي لا منار له أصلا حتى يهتدي به، وقوله:

لا تفزع الأرنب أهوالها ... ولا ترى الضب بها ينجحر

يعني: لا أرانب فيها ولا ضباب.

وعلى هذا فقوله: بغير عمد ترونها، أي: لا عمد لها حتى تروها، والعمد: جمع عمود **على غير قياس**،

ومنه قول نابغة ذبيان:

وخيس الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

والصفاح بالضم والتشديد: الحجر العريض.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ١٩٢/٢

قوله تعالى: ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات الآية.

المراد بالسيئة هنا: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة أي: قبل العافية، وقبل الإيمان، وقد بين تعالى في هذه الآية أن الكفار يطلبون منه صلى الله عليه وسلم أن يعجل لهم العذاب الذي يخوفهم به إن تمادوا على الكفر، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده [٢٢ \ ٤٧] ، وكقوله: ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون [٢٩ \ ٥٣] ، وكقوله: يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين [٢٩ \ ٥٤] ، وقوله: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين [٧٠ \ ١، ٢] ، وقوله: وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية [٨ \ ٣٢] .

وقوله: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق [٤٢ \ ١٨] ، وقوله: وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب [٣٨ \ ١٦] ، إلى غير ذلك من الآيات.

وسبب طلبهم لتعجيل العذاب هو العناد، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يخوفهم به من بأس الله وعقابه، كما قال تعالى: ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه [١١ \ ٨] ، وكقوله: فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين [٧ \ ٧٧] ، وقوله: قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين [١١ \ ٣٢] ، كما تقدمت الإشارة إلى هذا.

والمثلات: العقوبات، واحدتها مثلة.." (١)

٤٨٦. "وقوله تعالى: وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا، بين في هذه الآية الكريمة: أن القرى الماضية لما ظلمت بتكذيب الرسل والعناد واللجاج في الكفر والمعاصي أهلكهم الله بذنوبهم.

وهذا الإجمال في تعيين هذه القرى وأسباب هلاكها، وأنواع الهلاك التي وقعت بها جاء مفصلا في آيات أخر كثيرة، كما جاء في القرآن من قصة قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم موسى، كما تقدم بعض تفاصيله، والقرى: جمع قرية **على غير قياس** ؛ لأن جمع التكسير على «فعل» بضم ففتح لا ينقاس إلا في جمع «فعلة» بالضم اسما كغرفة وقربة، أو «فعلى» إذا كانت أنثى الأفعل خاصة، كالكبرى والكبر، كما أشار لذلك في الخلاصة بقوله:

وفعل جمعا لفعلة عرف ونحو كبرى. . . إلخ أي: وأما في غير ذلك فسماع يحفظ ولا يقاس عليه، وزاد في التسهيل نوعا ثالثا ينقاس فيه «فعل» بضم ففتح، وهو الفعلة بضمتين إن كان اسما كجمعة وجمع،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٢٢٢

واسم الإشارة في قوله: وتلك القرى [١٨ \ ٥٩] ، إنما أشير به لهم لأنهم يمرون عليها في أسفارهم، كقوله: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون [٣٧ \ ١٣٧ - ١٣٨] ، وقوله: وإنها لبسبيل مقيم [١٥ \ ٧٦] ، وقوله: وإنهما لبإمام مبين [١٥ \ ٧٩] ، ونحو ذلك من الآيات.

وقوله «وتلك» مبتدأ و «القرى» صفة له، أو عطف بيان، وقوله: «أهلكناهم» هو الخبر، ويجوز أن يكون الخبر هو «القرى» وجملة «أهلكناهم» في محل حال، كقوله: فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا [٢٧ \ ٥٢] ، ويجوز أن يكون قوله: «وتلك» في محل نصب بفعل محذوف يفسره العامل المشتغل بالضمير، على حد قوله في الخلاصة:

إن مضمر اسم سابق فعلا شغل ... عنه بنصب لفظه أو المحل

فالسابق انصبه بفعل أضمرا ... حتما موافق لما قد أظهرا

وقوله في هذه الآية الكريمة: لمهلكهم موعدا [١٨ \ ٥٩] ، قرأه عامة السبعة ما عدا عاصما بضم الميم وفتح اللام على صيغة اسم المفعول، وهو محتمل على هذه القراءة أن يكون مصدرا ميميا، أي: جعلنا لإهلاكهم موعدا، وأن يكون اسم زمان، أي:." (١)

٤٨٧. "وذكرنا طرفا من ذلك، في أول سورة سبأ، في الكلام على قوله تعالى: عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض الآية [٣٤ \ ٣] .

قوله تعالى: وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين. الإنذار، والإعلام المقترن بتهديد خاصة، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذارا.

وقد أوضحنا معنى الإنذار وأنواعه في أول سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به الآية [٧ \ ٢] .

والظاهر أن قوله هنا: يوم الآزفة هو المفعول الثاني للإنذار لا ظرف له ؛ لأن الإنذار والتخويف من يوم القيامة واقع في دار الدنيا. والآزفة القيامة. أي: أنذرهم يوم القيامة، بمعنى خوفهم إياه وهددهم بما فيه من الأهوال العظام ليستعدوا لذلك في الدنيا بالإيمان والطاعة.

وإنما عبر عن القيامة بـ الآزفة لأجل أزوفها أي: قربها، والعرب تقول: أزف الترحل بكسر الزاي، يأزف بفتحها، أزفا بفتحتين، على القياس، وأزوفا فهو آزف، **على غير قياس**، في المصدر الأخير، والوصف بمعنى قرب وقته وحان وقوعه، ومنه قول نابغة ذبيان:

أزف الترحل غير أن ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

ويروى أفد الترحل، ومعناهما واحد.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٣١٨

والمعنى: وأنذرهم يوم الآزفة أي: يوم القيامة القريب مجيؤها ووقوعها.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من اقتراب قيام الساعة، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة [٥٣ \ ٥٧ - ٥٨] ، وقوله تعالى: اقتربت الساعة الآية [٥٤ \ ١] . وقوله تعالى: اقترب للناس حسابهم الآية [٢١ \ ١] . وقوله تعالى في الأحزاب: وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا [٣٣ \ ٦٣] وقوله تعالى في الشورى: وما يدريك لعل الساعة قريب [٤٢ \ ١٧] .." (١)

٤٨٨. "ومثاله في الإشارة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك [٢ \ ٦٨] أي بين ذلك المذكور من فارض وبكر، وقول عبد الله بن الزبعرى السهمي:

إن للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل

أي كلا ذلك المذكور من الخير والشر.

وقول من قال، إن الضمير في قوله: (فيه) راجع إلى الرحم، وقول من قال: راجع إلى البطن، ومن قال: راجع إلى الجعل المفهوم من (جعل) وقول من قال: راجع إلى التدبير، ونحو ذلك من الأقوال خلاف الصواب.

والتحقيق - إن شاء الله - هو ما ذكرنا، والعلم عند الله - تعالى -.

قوله - تعالى -: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقد قدمنا الكلام عليه في سورة «الأعراف» في الكلام على قوله - تعالى -: ثم استوى على العرش [٧ \ ٥٤] .

قوله - تعالى -: له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

مقاليد السموات والأرض هي مفاتيحهما، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردها إقليد، وجمعها مقاليد **على غير قياس**، والإقليد المفتاح. وقيل: واحدها مقليد، وهو قول غير معروف في اللغة.

وكونه - جل وعلا - له مقاليد السماوات والأرض أي مفاتيحهما، كناية عن كونه - جل وعلا - هو وحده المالك لخزائن السماوات والأرض ؛ لأن ملك مفاتيحها يستلزم ملكها.

وقد ذكر - جل وعلا - مثل هذا في سورة «الزمر» في قوله - تعالى -: الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والأرض الآية [٣٩ \ ٦٢ - ٦٣] .

وما دلت عليه آية «الشورى» هذه وآية «الزمر» المذكورتان من أنه - جل وعلا - هو مالك خزائن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٣٨٠/٦

السماوات والأرض، جاء موضحا في آيات أخر، كقوله – تعالى –: ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون [٦٣ \ ٧] . وقوله – تعالى –: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم [١٥ \ ٢١] .." [١]

٤٨٩. "[٤٧ \ ١٧] . وقوله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [٦ \ ٩٠] . إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا في سورة «فصلت» أن معرفة إطلاق الهدى المذكورين، يزول بها الإشكال الواقع في آيات من كتاب الله.

والهدى مصدر هداه **على غير قياس**، وهو هنا من جنس النعت بالمصدر، وبينا فيما مضى مرارا أن تنزيل المصدر منزلة الوصف إما على حذف مضاف، وإما على المبالغة.

وعلى الأول فالمعنى: هذا القرآن ذو هدى، أي يحصل بسببه الهدى لمن اتبعه، كقوله: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم [١٧ \ ٩] .

وعلى الثاني فالمعنى أن المراد المبالغة في اتصاف القرآن بالهدى حتى أطلق عليه أنه هو نفس الهدى.

وقوله في هذه الآية الكريمة: «لهم عذاب من رجز أليم» أصح القولين فيه أن المراد بالرجز العذاب، ولا تكرار في الآية ؛ لأن العذاب أنواع متفاوتة، والمعنى: لهم عذاب من جنس العذاب الأليم، والأليم معناه المؤلم. أي: الموصوف بشدة الألم وفظاعته.

والتحقيق إن شاء الله: أن العرب تطلق الفعيل وصفا بمعنى المفعل، فما يذكر عن الأصمعي من أنه أنكر ذلك إن صح عنه فهو غلط منه ؛ لأن إطلاق الفعيل بمعنى المفعل معروف في القرآن العظيم وفي كلام العرب، ومن إطلاقه في القرآن العظيم قوله تعالى عذاب أليم [٢ \ ١٠٤] أي مؤلم، وقوله – تعالى – : بديع السماوات والأرض [٢ \ ١١٧] أي مبدعهما، وقوله – تعالى –: إن هو إلا نذير لكم الآية [٣٤ \ ٤٦] أي منذر لكم، ونظير ذلك من كلام العرب قول عمرو بن معد يكرب:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

فقوله: الداعي السميع، يعني الداعي المسمع. وقوله أيضا:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

أي موجع. وقول غيلان بن عقبة:." [٢]

٤٩٠. "للإيجاز لأن جواب الشرط في المعنى هو ما جيء بالشرط لأجله وهو مفاد قوله:

وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا [البقرة: ٢٣] ، فتقدير جواب قوله فإن لم تفعلوا أنه: فأيقنوا بأن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٧/٥٩

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين ٧/١٩٦

ما جاء به محمد منزل من عندنا وأنه صادق فيما أمركم به من وجوب عبادة الله وحده واحذروا إن لم تمتثلوا أمره عذاب النار، فوقع قوله: فاتقوا النار موقع الجواب لدلالته عليه وإيذانه به وهو إيجاز بديع وذلك أن اتقاء النار لم يكن مما يؤمنون به من قبل لتكذيبهم بالبعث فإذا تبين صدق الرسول لزمهم الإيمان بالبعث والجزاء.

وإنما عبر بلم تفعلوا ولن تفعلوا دون فإن لم تأتوا بذلك ولن تأتوا كما في قوله تعالى: ائتوني بأخ لكم من أبيكم إلى قوله: فإن لم تأتوني به [يوسف: ٥٩، ٦٠] إلخ لأن في لفظ تفعلوا هنا من الإيجاز ما ليس مثله في الآية الأخرى إذ الإتيان المتحدى به في هذه الآية إتيان مكيف بكيفية خاصة وهي كون المأتي به مثل هذا القرآن ومشهودا عليه ومستعانا عليه بشهدائهم فكان في لفظ تفعلوا من الإحاطة بتلك الصفات والقيود إيجاز لا يقتضيه الإتيان الذي في سورة يوسف.

والوقود بفتح الواو اسم لما يوقد به، وبالضم مصدر وقيل بالعكس، وقال ابن عطية حكي الضم والفتح في كل من الحطب والمصدر. وقياس فعول بفتح الفاء أنه اسم لما

يفعل به كالوضوء والحنوط والسعوط والوجور إلا سبعة ألفاظ وردت بالفتح للمصدر وهي الولوع والقبول والوضوء والطهور والوزوع واللغوب والوقود. والفتح هنا هو المتعين لأن المراد الاسم وقرىء بالضم في الشاذ وذلك على اعتبار الضم مصدرا أو على حذف مضاف أي ذوو وقودها الناس.

والناس أريد به صنف منهم وهم الكافرون فتعريفه تعريف الاستغراق العرفي ويجوز أن يكون تعريف العهد لأن كونهم المشركين قد علم من آيات أخرى كثيرة.

والحجارة جمع حجر **على غير قياس** وهو وزن نادر في كلامهم جمعوا حجرا عن أحجار وألحقوا به هاء التأنيث قال سيبويه كما ألحقوها بالبعولة والفحولة. وعن أبي الهيثم أن العرب تدخل الهاء في كل جمع على فعال أو فعول لأنه إذا وقف عليه اجتمع فيه عند الوقف ساكنان أحدهما الألف الساكنة والثاني الحرف الموقوف عليه أي استحسنوا أن يكون خفيفا إذا وقفوا عليه، وليس هو من اجتماع الساكنين الممنوع، ومن ذلك عظامة ونفارة وفحالة وحبالة وذكارة وفحولة وحمولة (جموعا) وبكارة جمع بكر (بفتح الباء) ومهارة جمع مهر.." (١)

٤٩١. "فعلة بالتحريك أيية أو أوية على الخلاف في أنها واوية أو يائية مشتقة من أي الاستفهامية أو من أوي (رَحِمَهُ اللَّهُ ١) فلما تحرك حرفا العلة فيها قلب أحدهما وقلب الأول تخفيفا **على غير قياس** لأن قياس اجتماع حرفي علة صالحين للإعلال أن يعل ثانيهما إلا ما قل من نحو آية وقاية وطاية وثاية وراية (رَحِمَهُ اللَّهُ ٢) .

فالمراد بآياتنا هنا آيات القرآن أي وكذبوا بالقرآن أي بأنه وحي من عند الله. والباء في قوله: وكذبوا

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٤٤/١

بآياتنا باء يكثر دخولها على متعلق مادة التكذيب مع أن التكذيب متعد بنفسه ولم أقف في كلام أئمة اللغة على خصائص لحاقها بهذه المادة والصيغة فيحتمل أنها لتأكيد اللصوق للمبالغة في التكذيب فتكون كالباء في قوله تعالى: وامسحوا برؤسكم [المائدة: ٦] وقول النابغة:

لك الخير أن وارت بك الأرض واحدا ويحتمل أن أصلها للسببية وأن الأصل أن يقال كذب فلانا بخبره ثم كثر ذلك فصار كذب به وكذب بمعنى واحد والأكثر أن يقال كذب فلانا، وكذب بالخبر الفلاني، فقوله:

بآياتنا يتنازعه فعلا كفروا وكذبوا. وقوله: هم فيها خالدون بيان لمضمون قوله:

أصحاب النار فإن الصاحب هنا بمعنى الملازم ولذلك فصلت جملة فيها خالدون لتنزلها من الأولى منزلة البيان فبينهما كمال الاتصال.

[٤٠]

رحمه الله____________

(رحمه الله١) وزن آية يقتضي أن يكون ألفها منقلبة عن أصل أو أن يكون هنا لك أصل محذوف وألفها زائدة لأن حالتها الظاهرة لا تساعد على وزن صرفي، ثم قيل إن أصلها مشتقة من أي الاستفهامية كما اشتق الكم من كم الخبرية واللو من كلمة لو التي للتمني، وقيل مشتقة من أوى. والحق أن المشتق منه آية غير معروف الأصل وإنما ذكروا هذه الاحتمالات على وجه التردد ثم قال سيبويه: وزنها فعلة أيية، أو أويه. وقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين أييه أو أوية وكان القياس حينئذ إدغام الياء في الياء أو قلب الواو ياء وإدغامها، لكنهم لما رأوا الحذف أخف عدلوا عن الإدغام لأن إدغام حرفي علة لا يخلو من ثقل ولئلا يشتبه بأية مؤنث أي نحو بأية سنة. وقال الكسائي أصله آيية بوزن فاعلة فقلبت الياء الأولى همزة لوقوعها إثر ألف فاعل ثم حذفت الهمزة. وفيها مذاهب أخر.

(رحمه الله٢) الطاية: السطح الذي يقام عليه. والطاية من الإبل: القطيع جمعه طايات وهو واوي. والثانية حجارة ترفع يجعلها الرعاة علامة على مواقعهم في الليل إذا رجعوا.." (١)

٤٩٢. "يلعنهم الله [البقرة: ١٥٩] ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك [البقرة: ١٤٥] الآية.

فإذا جاء الخطاب بأسلوب شامل لعلمائهم وعامتهم صرف إلى كل طائفة من الطائفتين ما هو لائق بها.

وبنون مما ألحق بجمع المذكر السالم وليس منه لأنه دخل التكسير بحذف لامه وزيادة همزة الوصل في أوله فحقه أن يجمع على أبناء.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٤٦/١

وقد اختلف في أصل ابن فقيل هو مشتق من بنى أي فهو مصدر بمعنى المفعول كالخلق فأصله بني أي مبني لأن أباه بناه وكونه فحذفت لامه للتخفيف وعوض عنها همزة الوصل ففيه مناسبة في معنى الاشتقاق إلا أن الحذف حينئذ على غير قياس لأن الياء لا موجب لحذفها إلا أن يتكلف له بأن الياء تحركت مع سكون ما قبلها فنقلت حركتها للساكن إجراء له مجرى عين الكلمة ثم لما انقلب ألفا على تلك القاعدة خيف التباسه بفعل بنى فحذفت اللام وعوض عنها همزة الوصل. وقيل أصله واو على وزن بنو أو بنو بسكون النون أو بالتحريك فحذفت الواو كما حذفت من نظائره نحو أخ وأب وفي هذا الوجه بعد عن الاشتقاق وبعد عن نظائره لأن نظائره لما حذفت لاماتها لم تعوض عنها همزة الوصل.

وإسرائيل لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام قال ابن عباس معناه عبد الله، لأن إسرا بمعنى عبد وإيل اسم الله أي مركب من كلمتين- إسرا- وإيل- اسم الله تعالى كما يقولون بيت إيل (اسم لقرية تسمى لوز من أرض كنعان نزلها يعقوب عليه السلام في مهاجره فرارا من أخيه عيسو وبنى فيها مذبحا ودعا اسمه بيت إيل) .

والذي في كتب اليهود أن سبب تسمية يعقوب إسرائيل أنه لما كان خائفا في مهاجره من أن يلحقه أخوه عيسو لينتقم منه (رَحِمَهُ اللَّهُ١) عرض له في إحدى الليالي شخص فعلم يعقوب أنه ربه

(أي ملك من ملائكة الله) فأمسكه وصارعه يعقوب كامل الليل إلى طلوع الفجر فقال له أطلقني فقد طلع الفجر فقال له يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني فقال له: ما اسمك؟

قال: يعقوب قال له: لا يدعى اسمك يعقوب بعد اليوم بل أنت

رَحِمَهُ اللَّهُ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) إن تاريخ اليهود يقول إن إسحاق لما كبر وضعف بصره أراد أن يبارك ابنه عيسو ليكون خليفته في النبوة بعد موته فأمره أن يصيد له صيدا ويجعل له طعاما ليأكل ويباركه فأشعرت أمهما رفقة ابنها يعقوب بذلك وكانت تحبه فتحيل وأوهم أباه أنه هو عيسو وذبح له جديين أو همه أنهما صيده فباركه، فلما رجع عيسو وعلم حيلة أخيه وكانت البركة تمت ليعقوب عزم عيسو على قتل أخيه يعقوب. (تكوين إصحاح ٢٧) .." (١)

٤٩٣. "ذلك مع قوله:

فكلوا منها حيث شئتم رغدا يشير إلى الثمار الكثيرة هناك. وقوله: فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم يتعين أنه إشارة إلى ما أشاعه الجواسيس العشرة من مذمة الأرض وصعوبتها وأنهم لم يقولوا مثل ما قال موسى حيث استنصت الشعب بلسان كالب بن بفنة ويوشع ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الأعراف [١٦٢] فبدل الذين ظلموا منهم قولا أي من الذين قيل لهم ادخلوا القرية وأن الرجز الذي

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١/٤٥٠

أصاب الذين ظلموا هو الوباء الذي أصاب العشرة الجواسيس، وينتظم ذلك أيضا مع قوله في آية المائدة [٢١، ٢٢] ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين إلخ وقوله: قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب [المائدة: ٢٣] فإن الباب يناسب القرية. وقوله: قال فإنها محرمة عليهم [المائدة:
٢٦] . فهذا هو التفسير الصحيح المنطبق على التاريخ الصريح.

فقوله: وإذ قلنا أي على لسان موسى فبلغه للقوم بواسطة استنصات كالب بن بفنة، وهذا هو الذي يوافق ما في سورة العقود في قوله تعالى: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم الآيات. وعلى هذا الوجه فقوله: ادخلوا إما أمر بدخول قرية قريبة منهم وهي «حبرون» لتكون مركزا أولا لهم، والأمر بالدخول أمر بما يتوقف الدخول عليه أعني القتال كما دلت عليه آية المائدة إذ قال: ادخلوا الأرض المقدسة إلى قوله ولا ترتدوا على أدباركم فإن الارتداد على الأدبار من الألفاظ المتعارفة في الحروب كما قال تعالى: فلا تولوهم الأدبار [الأنفال: ١٥] . ولعل في الإشارة بكلمة هذه المفيدة للقرب ما يرجح أن القرية هي حبرون التي طلع إليها جواسيسهم.

والقرية- بفتح القاف لا غير على الأصح- البلدة المشتملة على المساكن المبنية من
حجارة وهي مشتقة من القري- بفتح فسكون وبالياء- وهو الجمع يقال: قرى الشيء يقريه إذا جمعه وهي تطلق على البلدة الصغيرة وعلى المدينة الكبيرة ذات الأسوار والأبواب كما أريد بها هنا بدليل قوله: وادخلوا الباب سجدا. وجمع القرية قرى بضم القاف **على غير قياس** لأن قياس فعل أن يكون جمعا لفعلة بكسر الفاء مثل كسوة وكسى وقياس جمع قرية أن يكون على قراء بكسر القاف وبالمد كما قالوا: ركوة وركاء وشكوة وشكاء.

وقوله: وادخلوا الباب سجدا مراد به باب القرية لأن ال متعينة للعوضية عن." [١]

٤٩٤. "ومن العلماء من يقول إنهم يقولون بعدم الحاجة إلى بعثة الرسل وأنهم يعللون ذلك بأن مدعي الرسالة من البشر فلا يمكن لهم أن يكونوا واسطة بين الناس والخالق. ومن العلماء من ينقل عنهم أنهم يدعون أنهم على دين نوح. وهم يقولون إن المعلمين الأولين لدين الصابئة هما أغاثاديمون وهرمس وهما شيث بن آدم وإدريس، وهم يأخذون من كلام الحكماء ما فيه عون على الكمال فلذلك يكثر في كلامهم المماثلة لأقوال حكماء اليونان وخاصة سولون وأفلاطون وأرسطاطاليس، ولا يبعد عندي أن يكون أولئك الحكماء اقتبسوا بعض الآراء من قدماء الصابئة في العراق فإن ثمة تشابها بينهم في عبادة الكواكب وجعلها آلهة وفي إثبات إلاه الآلهة.

وقد بنوا هياكل للكواكب لتكون مهابط لأرواح الكواكب وحرصوا على تطهيرها وتطييبها لكي تألفها

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥١٤/١

الروحانيات وقد يجعلون للكواكب تماثيل من الصور يتوخون فيها محاكاة صور الروحانيات بحسب ظنهم. ومن دينهم صلوات ثلاث في كل يوم، وقبلتهم نحو مهب ريح الشمال ويتطهرون قبل الصلاة وقراءاتهم ودعواتهم تسمى الزمزمة بزايين كما ورد في ترجمة أبي إسحاق الصابىء. ولهم صيام ثلاثين يوما في السنة، موزعة على ثلاثة مواقيت من العام. ويجب غسل الجنابة وغسل المرأة الحائض. وتحرم العزوبة، ويجوز للرجل تزوج ما شاء من النساء ولا يتزوج إلا امرأة صابئة على دينه فإذا تزوج غير صابئة أو تزوجت الصابئة غير صابىء خرجا من الدين ولا تقبل منهما توبة. ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويدفنونهم في الأرض. ولهم رئيس للدين يسمونه الكمر– بكاف وميم وراء–.

وقد اشتهر هذا الدين في حران من بلاد الجزيرة، ولذلك تعرف الصابئة في كتب العقائد الإسلامية بالحرنانية (بنونين نسبة إلى حران **على غير قياس** كما في «القاموس») .

قال ابن حزم في كتاب «الفصل» : كان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث فبعث الله إبراهيم عليه السلام بالحنيفية اهـ.." (١)

٤٩٥. "الكلام المعطوف هو عليه خبرا وطلبا، فإذا كان كما هنا على طريق العرض علم إمضاء المتكلم له إياه، بإقراره كما في الآية أو التصريح به كما وقع في الحديث «إلا الإذخر» ، ثم هو في الإنشاء إذا عطف معمول الإنشاء يتضمن أن المعطوف له حكم المعطوف عليه، ولما كان المتكلم بالعطف في الإنشاء هو المخاطب بالإنشاء لزم تأويل عطف التلقين فيه بأنه على إرادة العطف على معمول لازم الإنشاء ففي الأمر إذا عطف المأمور مفعولا على مفعول الآمر كان المعنى زدني من الأمر فأنا بصدد الامتثال وكذا في المنهي. والمعطوف محذوف دل عليه المقام أي وبعض من ذريتي أو وجاعل بعض من ذريتي.

والذرية نسل الرجل وما توالد منه ومن أبنائه وبناته، وهي مشتقة إما من الذر اسما وهو صغار النمل، وإما من الذر مصدرا بمعنى التفريق، وإما من الذرى والذرو (بالياء والواو) وهو مصدر ذرت الريح إذا سفت، وإما من الذرء بالهمز وهو الخلق، فوزنها إما فعلية بوزن النسب إلى ذر وضم الذال في النسب **على غير قياس** كما قالوا في النسب إلى دهر دهري بضم الدال، وإما فعيلة أو فعولة من الذرى أو الذرو أو الذرء بإدغام اليائين أو الياء مع الواو أو الياء مع الهمزة بعد قلبها ياء وكل هذا تصريف لاشتقاق الواضع فليس قياس التصريف.

وإنما قال إبراهيم: ومن ذريتي ولم يقل وذريتي لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم فلم يسأل ما هو مستحيل عادة لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٣٥/١

وإنما سأل لذريته ولم يقصر السؤال على عقبه كما هو المتعارف في عصبية القائل

لأبناء دينه على الفطرة التي لا تقتضي تفاوتا فيرى أبناء الابن وأبناء البنت في القرب من الجد بل هما سواء في حكم القرابة، وأما مبنى القبلية فعلى اعتبارات عرفية ترجع إلى النصرة والاعتزاز فأما قول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فوهم جاهلي، وإلا فإن بني الأبناء أيضا بنوهم أبناء النساء الأباعد، وهل يتكون نسل إلا من أب وأم.

وكذا قول:." (١)

٤٩٦. "و (معه) في موضع الحال من الذين لتدل على أنهم أتباع له في كل حال وفي كل أمر، فإيمانهم معه لأنهم آمنوا به عند دعوته إياهم، وجهادهم بأموالهم وأنفسهم معه، وفيه إشارة إلى أن الخيرات المبثوثة لهم في الدنيا والآخرة تابعة لخيراته ومقاماته.

وعطفت جملة: وأولئك لهم الخيرات على جملة جاهدوا ولم تفصل مع جواز الفصل ليدل بالعطف على أنها خبر عن الذين آمنوا، أي على أنها من أوصافهم وأحوالهم لأن تلك أدل على تمكن مضمونها فيهم من أن يؤتى بها مستأنفة كأنها إخبار مستأنف.

والإتيان باسم الإشارة لإفادة أن استحقاقهم الخيرات والفلاح كان لأجل جهادهم.

والخيرات: جمع خير **على غير قياس**. فهو مما جاء على صيغة جمع التأنيث مع عدم التأنيث ولا علامته مثل سرادقات وحمامات.

وجعله كثير من اللغويين جمع (خيرة) بتخفيف الياء مخفف (خيرة) المشدد الياء التي هي أنثى (خير) ، أو هي مؤنث (خير) المخفف الياء الذي هو بمعنى أخير. وإنما أنثوا وصف المرأة منه لأنهم لم يريدوا به التفضيل، وعلى هذا كله يكون خيرات هنا مؤولا بالخصال الخيرة، وكل ذلك تكلف لا داعي إليه مع استقامة الحمل على الظاهر. والمراد منافع الدنيا والآخرة. فاللام فيه للاستغراق. والقول في وأولئك هم المفلحون كالقول في نظيره في أول سورة البقرة.

[٨٩]

[سورة التوبة (٩) : آية ٨٩]

أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩)

استئناف بياني لجواب سؤال ينشأ عن الإخبار ب وأولئك لهم الخيرات [التوبة: ٨٨] .

والإعداد: التهيئة. وفيه إشعار بالعناية والتهمم بشأنهم. وتقدم القول في نظير هذه الآية في قوله قبل

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧٠٥/١

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة [التوبة: ٧٢] الآية.." (١)

٤٩٧. "والرحمة: هنا مطلقة على أثر الرحمة، وهو النعمة والنفع، كقوله: وينشر رحمته [الشورى: ٢٨] .

والضراء: الضر. والمس: مستعمل في الإصابة. والمعنى إذا نالت الناس نعمة بعد الضر، كالمطر بعد القحط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض.

و (إذا) في قوله: إذا لهم مكر للمفاجأة، وهي رابطة لجواب (إذا) الشرطية لوقوعه جملة اسمية وهي لا تصلح للاتصال بإذا الشرطية التي تلازمها الأفعال إن وقعت ظرفا ثم إن وقعت شرطا فلا تصلح لأن تكون جوابا لها، فلذلك أدخل على جملة الجواب حرف (إذا) الفجائية، لأن حرف المفاجأة يدل على البدار والإسراع بمضمون الجملة، فيفيد مفاد فاء التعقيب التي يؤتى بها الربط جواب الشرط بشرطه، فإذا جاء حرف المفاجأة أغنى عنها.

والمكر: حقيقته إخفاء الإضرار وإبرازه في صورة المسألة، وقد تقدم عند قوله تعالى: ومكروا ومكر الله في سورة آل عمران [٥٤] .

و (في) من قوله: في آياتنا للظرفية المجازية المراد منها الملابسة، أي مكرهم

المصاحب لآياتنا. ومعنى مكرهم في الآيات أنهم يمكرون مكرا يتعلق بها، وذلك أنهم يوهمون أن آيات القرآن غير دالة على صدق الرسول ويزعمون أنه لو أنزلت عليه آية أخرى لآمنوا بها وهم كاذبون في ذلك وإنما هم يكذبونه عنادا ومكابرة وحفاظا على دينهم في الشرك.

ولما كان الكلام متضمنا التعريض بإنذارهم، أمر الرسول أن يعظهم بأن الله أسرع مكرا، أي منكم، فجعل مكر الله بهم أسرع من مكرهم بآيات الله.

ودل اسم التفضيل على أن مكر الكافرين سريع أيضا، وذلك لما دل عليه حرف المفاجأة من المبادرة وهي إسراع. والمعنى أن الله أعجل مكرا بكم منكم بمكركم بآيات الله.

وأسرع: مأخوذ من أسرع المزيد **على غير قياس**، أو من سرع المجرد بناء على وجوده في الكلام فيما حكاه الفارسي.." (٢)

٤٩٨. "ومعنى: لي عملي ولكم عملكم المتاركة. وهو مما أجري مجرى المثل، ولذلك بني على الاختصار ووفرة المعنى، فأفيد فيه معنى الحصر بتقديم المعمول وبالتعبير بالإضافة ب عملي وعملكم، ولم يعبر بنحو لي ما أعمل ولكم ما تعملون، كما عبر به بعد.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩١/١٠

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣٣/١١

والبريء: الخلي عن التلبس بشيء وعن مخالطته. وهو فعيل من برأ المضاعف **على غير قياس**. وفعل برأ مشتق من برىء- بكسر الراء- من كذا، إذا خلت عنه تبعته والمؤاخذة به.

وهذا التركيب لا يراد به صريحه وإنما يراد به الكناية عن المباعدة. وقد جاء هذا المكنى به مصرحا به في قوله تعالى: فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون [الشعراء:

٢١٦] ، ولذلك فجملة: أنتم بريئون مما أعمل إلى آخرها بيان لجملة: لي عملي ولكم عملكم ولذلك فصلت.

وإنما عدل عن الإتيان بالعمل مصدرا كما أتي به في قوله: لي عملي ولكم عملكم إلى الإتيان به فعلا صلة لما الموصولة للدلالة على البراءة من كل عمل يحدث في الحال والاستقبال، وأما العمل الماضي فلكونه قد انقضى لا يتعلق الغرض بذكر البراءة منه. ولو عبر بالعمل لربما توهم أن المراد عمل خاص لأن المصدر المضاف لا يعم، ولتجنب إعادة اللفظ بعينه في الكلام الواحد لأن جملة البيان من تمام المبين، ولأن هذا اللفظ أنسب بسلاسة النظم، لأن في (ما) في قوله: مما أعمل من المد ما يجعله أسعد بمد النفس في آخر الآية والتهيئة للوقف على قوله: مما تعملون، ولما في تعملون من المد أيضا، ولأنه يراعي الفاصلة.

وهذا من دقائق فصاحة القرآن الخارجة عن الفصاحة المتعارفة بين الفصحاء.." (١)

٤٩٩. "[سورة هود (١١) : آية ٩٢]

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢)

لما أرادوا بالكلام الذي وجهوه إليه تحذيره من الاستمرار على مخالفة دينهم، أجابهم بما يفيد أنه لم يكن قط معولا على عزة رهطه ولكنه متوكل على الله الذي هو أعز من كل عزيز، فالمقصود من الخبر لازمه وهو أنه يعلم مضمون هذا الخبر وليس غافلا عنه، أي لقد علمت ما رهطي أغلب لكم من الله فلا أحتاج إلى أن تعاملوني بأني غير عزيز عليكم ولا بأن قرابتي فئة قليلة لا تعجزكم لو شئتم رجمي.

وإعادة النداء للتنبيه لكلامه وأنه متبصر فيه. والاستفهام إنكاري، أي الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصره لأنه أرسله فعزته بعزة مرسله.

وجملة واتخذتموه وراءكم ظهريا في موضع الحال من اسم الجلالة، أي الله أعز في حال أنكم نسيتم ذلك.

والاتخاذ: الجعل، وتقدم في قوله: أتتخذ أصناما آلهة في سورة الأنعام [٧٤] .

والظهري- بكسر الظاء- نسبة إلى الظهر **على غير قياس**، والتغييرات في الكلم لأجل النسبة كثيرة. والمراد بالظهري الكناية عن النسيان، أو الاستعارة لأن الشيء الموضوع بالوراء ينسى لقلة مشاهدته،

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧٦/١١

فهو يشبه الشيء المجعول خلف الظهر في ذلك، فوقع ظهريا حالا مؤكدة للظرف في قوله: وراءكم إغراقا في معنى النسيان لأنهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته.

وجملة إن ربي بما تعملون محيط استئناف، أو تعليل لمفهوم جملة أرهطي أعز عليكم من الله الذي هو توكله عليه واستنصاره به.." (١)

٥٠٠. "والمجادلة إنما تكون في الشؤون والأحوال، فتعليق اسم الجلالة المجرور بفعل يجادلون يتعين أن يكون على تقدير مضاف تدل عليه القرينة، أي في توحيد الله أو في قدرته على البعث.

ومن جدلهم ما حكاه قوله: أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم. في سورة يس [٧٧، ٧٨] .

والمحال: بكسر الميم يحتمل هنا معنيين، لأنه إن كانت الميم فيه أصلية فهو فعال بمعنى الكيد وفعله محل، ومنه قولهم تمحل إذا تحيل. جعل جدالهم في الله جدال كيد لأنهم يبرزونه في صورة الاستفهام في نحو قولهم: من يحي العظام وهي رميم فقوبل ب شديد المحال على طريقة المشاكلة، أي وهو شديد المحال لا يغلبونه، ونظيره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين [سورة آل عمران: ٥٤] .

وقال نفطويه: هو من ماحل عن أمره، أي جادل. والمعنى: وهو شديد المجادلة، أي قوي الحجة.

وإن كانت الميم زائدة فهو مفعل من الحول بمعنى القوة، وعلى هذا فإبدال الواو ألفا **على غير قياس** لأنه لا موجب للقلب لأن ما قبل الواو ساكن سكونا حيا. فلعلهم

قلبوها ألفا للتفرقة بينه وبين محول بمعنى صبي ذي حول، أي سنة.

وذكر الواحدي والطبري أخبارا عن أنس وابن عباس- رضي الله عنهما- أن هذه الآية نزلت في قضية عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة حين وردا المدينة يشترطان لدخولهما في الإسلام شروطا لم يقبلها منهما النبيء صلى الله عليه وسلم. فهم أربد بقتل النبيء صلى الله عليه وسلم فصرفه الله، فخرج هو وعامر بن الطفيل قاصدين قومهما وتواعدا النبيء صلى الله عليه وسلم بأن يجلبا عليه خيل بني عامر. فأهلك الله أربد بصاعقة أصابته وأهلك عامرا بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول في طريقه إلى أرض قومه، فنزلت في أربد ويرسل الصواعق وفي عامر وهم يجادلون في الله

.." (٢)

٥٠١. "و (من) كل مكان بمعنى من أمكنة كثيرة. وكل تستعمل في معنى الكثرة، كما تقدم في قوله تعالى: وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها في سورة الأنعام [٢٥] .

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥١/١٢

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠٦/١٣

والأنعم: جمع نعمة **على غير قياس**.

ومعنى الكفر بأنعم الله: الكفر بالمنعم، لأنهم أشركوا غيره في عبادته فلم يشكروا المنعم الحق. وهذا يشير إلى قوله تعالى: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون [سورة النحل: ٨٣] .

واقتران فعل «كفرت» بفاء التعقيب بعد كانت آمنة مطمئنة باعتبار حصول الكفر عقب النعم التي كانوا فيها حين طرأ عليهم الكفر، وذلك عند بعثة الرسول إليهم.

وأما قرن فأذاقها الله لباس الجوع بفاء التعقيب فهو تعقيب عرفي في مثل ذلك

المعقب لأنه حصل بعد مضي زمن عليهم وهم مصرون على كفرهم والرسول يكرر الدعوة وإنذارهم به، فلما حصل عقب ذلك بمدة غير طويلة وكان جزاء على كفرهم جعل كالشيء المعقب به كفرهم.

والإذاقة: حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم. وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسا مكينا كتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه لا يجد له مدفعا، وقد تقدم في قوله تعالى: ليذوق وبال أمره في سورة العقود [٩٥] .

واللباس: حقيقته الشيء الذي يلبس. وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس لابسه، كقوله تعالى:

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن [سورة البقرة: ١٨٧] بجامع الإحاطة والملازمة.." (١)

٥٠٢. "[سورة الإسراء (١٧) : آية ٤٣]

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣)

إنشاء تنزيه لله تعالى عما ادعوه من وجود شركاء له في الإلهية.

وهذا من المقول اعتراض بين أجزاء المقول، وهو مستأنف لأنه نتيجة لبطلان قولهم: إن مع الله آلهة، بما نهضت به الحجة عليهم من قوله: إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا. وقد تقدم الكلام على نظيره في قوله تعالى: سبحانه وتعالى عما يصفون في سورة الأنعام [١٠٠] .

والمراد بما يقولون ما يقولونه مما ذكر آنفا كقوله تعالى: ونرثه ما يقول.

وعلوا مفعول مطلق عامله تعالى. جيء به **على غير قياس** فعله للدلالة على أن التعالي هو الاتصاف بالعلو بحق لا بمجرد الادعاء كقول سعدة أم الكميت بن معر:

تعاليت فوق الحق عن آل فقعس ... ولم تخش فيهم ردة اليوم أو غد

وقوله سبحانه: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم [المؤمنون: ٢٤] ، أي يدعي الفضل ولا فضل له. وهو منصوب على المفعولية المطلقة المبينة للنوع.

والمراد بالكبير الكامل في نوعه. وأصل الكبير صفة مشبهة: الموصوف بالكبر.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤/٣٠٦

والكبر: ضخامة جسم الشيء في متناول الناس، أي تعالى أكمل علو لا يشوبه شيء من جنس ما نسبوه إليه، لأن المنافاة بين استحقاق ذاته وبين نسبة الشريك له والصاحبة والولد بلغت في قوة الظهور إلى حيث لا تحتاج إلى زيادة لأن وجوب الوجود والبقاء ينافي آثار الاحتياج والعجز.
وقرأ الجمهور عما يقولون بياء الغيبة. وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف- بتاء الخطاب- على أنه التفات، أو هو من جملة المقول من قوله: قل لو كان معه آلهة [الإسراء: ٤٢] على هذه القراءة." (١)

٥٠٣. "والبعث: هنا الإيقاظ، أي أيقظناهم من نومتهم يقظة مفزوع. كما يبعث البعير من مبركه. وحسن هذه الاستعارة هنا أن المقصود من هذه القصة إثبات البعث بعد الموت فكان في ذكر لفظ البعث تنبيه على أن في هذه الإفاقة دليلا على إمكان البعث وكيفيته.
والحزب: الجماعة الذين توافقوا على شيء واحد، فالحزبان فريقان: أحدهما مصيب والآخر مخطئ في عد الأمد الذي مضى عليهم. فقيل: هما فريقان من أهل
الكهف أنفسهم على أنه المشار إليه بقوله تعالى: قال قائل منهم كم لبثتم [الكهف:
١٩] . وفي هذا بعد من لفظ حزب إذ كان القائل واحدا والآخرون شاكين، وبعيد أيضا من فعل أحصى لأن أهل الكهف ما قصدوا الإحصاء لمدة لبثهم عند إفاقتهم بل خالوها زمنا قليلا. فالوجه: أن المراد بالحزبين حزبان من الناس أهل بلدهم اختلفت أقوالهم في مدة لبثهم بعد أن علموا انبعاثهم من نومتهم، أحد الفريقين مصيب والآخر مخطئ، والله يعلم المصيب منهم والمخطئ، فهما فريقان في جانبي صواب وخطأ كما دل عليه قوله: أحصى.
ولا ينبغي تفسير الحزبين بأنهما حزبان من أهل الكهف الذين قال الله فيهم: قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم الآية [الكهف: ١٩] .
وجعل حصول علم الله بحال الحزبين علة لبعثه إياهم كناية عن حصول الاختلاف في تقدير مدتهم فإنهم إذا اختلفوا علم الله اختلافهم علم الواقعات، وهو تعلق للعلم يصح أن يطلق عليه تنجيزي وإن لم يقع ذلك عند علماء الكلام.
وقد تقدم عند قوله تعالى: لنبلوهم أيهم أحسن عملا في أول السورة الكهف [٧] .
وأحصى يحتمل أن يكون فعلا ماضيا، أن يكون اسم تفضيل مصوغا من الرباعي على خلاف القياس. واختار الزمخشري في «الكشاف» تبعا لأبي علي الفارسي الأول تجنبا لصوغ اسم التفضيل على غير قياس لقلته. واختار الزجاج." (٢)

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١٣/١٥
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦٩/١٥

٥٠٤. "وجملة يحلون في موضع الصفة «لجنات عدن» .

والتحلية: التزيين، والحلية: الزينة.

وأسند الفعل إلى المجهول، لأنهم يجدون أنفسهم محلين بتكوين الله تعالى.

والأساور: جمع سوار **على غير قياس**. وقيل: أصله جمع أسورة الذي هو جمع سوار. فصيغة جمع الجمع للإشارة إلى اختلاف أشكال ما يحلون به منها، فإن الحلية تكون مرصعة بأصناف اليواقيت.

و (من) في قوله: من أساور مزيدة للتأكيد على رأي الأخفش، وسيأتي وجهه في سورة الحج. ويجوز أن تكون للابتداء، وهو متعين عند الذين يمنعون زيادتها في الإثبات.

والسوار: حلي من ذهب أو فضة يحيط بموضع من الذراع، وهو اسم معرب عن الفارسية عند المحققين وهو في الفارسية (دستواره) بهاء في آخره كما في «كتاب الراغب» ، وكتب بدون هاء في «تاج العروس» .

وأما قوله: من ذهب فإن (من) فيه للبيان، وفي الكلام اكتفاء، أي من ذهب وفضة كما اكتفى في آية سورة الإنسان بذكر الفضة عن ذكر الذهب بقوله: وحلوا أساور

من فضة

[الإنسان: ٢١] ، ولكل من المعدنين جماله الخاص.

واللباس: ستر البدن بثوب من قميص أو إزار أو رداء، وجميع ذلك للوقاية من الحر والبرد وللتجمل.

والثياب: جمع ثوب، وهو الشقة من النسيج.

واللون الأخضر أعدل الألوان وأنفعها عند البصر، وكان من شعار الملوك. قال النابغة:

يصونون أجسادا قديما نعيمها ... بخالصة الأردان خضر المناكب." (١)

٥٠٥. "والاستفهام في قوله: أكفرت بالذي خلقك مستعمل في التعجب والإنكار، وليس على حقيقته، لأن الصاحب كان يعلم أن صاحبه مشرك بدليل قوله له: ولا أشرك بربي أحدا. فالمراد بالكفر هنا الإشراك الذي من جملة معتقداته إنكار البعث، ولذلك عرف بطريق الموصولية لأن مضمون الصلة من شأنه أن يصرف من يدركه عن الإشراك به، فإنهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق الناس فما كان غير الله مستحقا للعبادة.

ثم إن العلم بالخلق الأول من شأنه أن يصرف الإنسان عن إنكار الخلق الثاني، كما قال تعالى: أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد [ق: ١٥] ، وقال:

وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه [الروم: ٢٧] ، فكان مضمون الصلة تعريضا بجهل المخاطب.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٢/١٥

وقوله: من تراب إشارة إلى الأجزاء التي تتكون منها النطفة وهي أجزاء الأغذية المستخلصة من تراب الأرض، كما قال تعالى في الآية الأخرى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض [يس: ٣٦]
.

والنطفة: ماء الرجل، مشتقة من النطف وهو السيلان. وسواك عدل خلقك، أي جعله متناسبا في الشكل والعمل.

و (من) في قوله: من تراب ثم من نطفة ابتدائية، وقوله: لكنا هو الله ربي

كتب في المصحف بألف بعد النون. واتفق القراء العشرة على إثبات الألف في النطق في حال الوقف، وأما في حال الوصل فقرأه الجمهور بدون نطق بالألف، وقرأه ابن عامر وأبو جعفر ورويس عن يعقوب بإثبات النطق بالألف في حال الوصل، ورسم المصحف يسمح بكلتا الروايتين.

ولفظ لكنا مركب من (لكن) بسكون النون الذي هو حرف استدراك، ومن ضمير المتكلم (أنا) .

وأصله: لكن أنا، فحذفت الهمزة تخفيفا كما قال الزجاج، أي **على غير قياس** لا لعلة تصريفية، ولذلك لم يكن للهمزة حكم." (١)

٥٠٦. "وأبت

: أصله أبي، حذفوا ياء المتكلم وعوضوا عنها تاء تعويضا **على غير قياس**، وهو خاص بلفظ الأب والأم في النداء خاصة، ولعله صيغة باقية من العربية القديمة. ورأى سيبويه أن التاء تصير في الوقف هاء، وخالفه الفراء فقال: ببقائها في الوقف. والتاء مكسورة في الغالب لأنها عوض عن الياء والياء بنت الكسرة ولما كسروها فتحوا الياء وبذلك قرأ الجمهور. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: (يأبت) - بفتح التاء- دون ألف بعدها، بناء على أنهم يقولون (يا أبتا) بألف بعد التاء لأن ياء المتكلم إذا نودي يجوز فتحها وإشباع فتحتها فقرأه على اعتبار حذف الألف تخفيفا وبقاء الفتحة.

[٤٣]

[سورة مريم (١٩) : آية ٤٣]

يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣)

إعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيد لإحضار الذهن ولإمحاض النصيحة المستفاد من النداء الأول. قال في «الكشاف» : «ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم ليست معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه»

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٢٢/١٥

اه. ذلك أن أباه كان يرى نفسه على علم عظيم لأنه كان كبير ديانة قومه. وأراد إبراهيم علم الوحي والنبوءة.

وتفريع أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم دليل على أن أحقية العالم بأن يتبع مركوزة في غريزة العقول لم يزل." (١)

٥٠٧. "[سورة طه (٢٠) : الآيات ٩ إلى ١٠]

وهل أتاك حديث موسى (٩) إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى (١٠)

أعقب تثبيت الرسول على التبليغ والتنويه بشأن القرآن بالنسبة إلى من أنزله ومن أنزل عليه بذكر قصة موسى عليه السلام ليتأسى به في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ومقاساة المصاعب، وتسلية له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلفهم من المكذبين، ولذلك جاء في عقب قصة موسى قوله تعالى: وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه [طه: ٩٩- ١٠١] . وجاء بعد ذكر قصة آدم وأنه لم يكن له عزم فاصبر على ما يقولون [طه: ١٣٠] الآيات.

فجملة وهل أتاك حديث موسى عطف على جملة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى [طه: ٢] . الغرض هو مناسبة العطف كما تقدم قريبا. وهذه القصة تقدم بعضها في سورة الأعراف وسورة يونس.

والاستفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر مجازا وليس مستعملا في حقيقته سواء كانت هذه القصة قد قصت على النبيء صلى الله عليه وسلم من قبل أم كان هذا أول قصصها عليه. وفي قوله: إذ رأى نارا زيادة في التشويق كما يأتي قريبا.

وأوثر حرف (هل) في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق لأن (هل) في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار.

والحديث: الخبر، وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر حدث في الخارج، ويجمع على أحاديث **على غير قياس**. قال الفراء: «واحد." (٢)

٥٠٨. "ولم يأت بذلك مع قوله واحلل عقدة من لساني لأن ذلك سؤال يرجع إلى تبليغ رسالة الله إلى فرعون فليست فائدتها راجعة إليه حتى يأتي لها بلام التبيين.

وتنكير عقدة للتعظيم، أي عقدة شديدة.

ومن لساني صفة لعقدة. وعدل عن أن يقول: عقدة لساني، بالإضافة ليتأتى التنكير المشعر بأنها عقدة شديدة.

وفعل يفقهوا مجزوم في جواب الأمر على الطريقة المتبعة في القرآن من جعل الشيء المطلوب بمنزلة

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١٥/١٦

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩٣/١٦

الحاصل عقب الشرط كقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم [النور: ٣٠] أي أن نقل لهم غضوا يغضوا، أي شأنهم الامتثال. والفقه: الفهم.

والوزير: فعيل بمعنى فاعل، من وزار **على غير قياس**، مثل حكيم من أحكم، وهو مشتق من الأزر، وهو المعونة، والمؤازرة كذلك، والكل مشتق من الأزر، أي الظهر، كما سيأتي قريبا، فحقه أن يكون أزيرا بالهمزة إلا أنهم قلبوا همزته واوا حملا على موازر الذي هو بمعناه الذي قلبت همزته واوا لانضمام ما قبلها. فلما كثر في الكلام قولهم:

موازر ويوازر بالواو نطقوا بنظيره في المعنى بالواو بدون موجب للقلب إلا الحمل على النظير في النطق، أي اعتياد النطق بهمزته واوا، أي اجعل معينا من أهلي.

وخص هارون لفرط ثقته به ولأنه كان فصيح اللسان مقوالا، فكونه من أهله مظنة النصح له، وكونه أخاه أقوى في المناصحة، وكونه الأخ الخاص لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي.

وجملة اشدد به أزري على قراءة الجمهور بصيغة الأمر في فعلي اشدد، وأشركه بيان لجملة اجعل لي وزيرا. سأل الله." (١)

٥٠٩. "[سورة الحج (٢٢) : آية ٣٢]

ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)

ذلك تكرير لنظيره السابق.

الشعائر: جمع شعيرة: المعلم الواضح مشتقة من الشعور. وشعائر الله: لقب لمناسك الحج، جمع شعيرة بمعنى: مشعرة بصيغة اسم الفاعل أي معلمة بما عينه الله.

فمضمون جملة ومن يعظم شعائر الله إلخ ... أخص من مضمون جملة ومن يعظم حرمات الله [الحج: ٣٠] وذكر الأخص بعد الأعم للاهتمام. أو بمعنى مشعر بها فتكون شعيرة فعيلة بمعنى مفعولة لأنها تجعل ليشعر بها الرائي. وتقدم ذكرها في قوله تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر الله في [سورة البقرة: ١٥٨] . فكل ما أمر الله به بزيارته أو بفعل يوقع فيه فهو من شعائر الله، أي مما أشعر الله الناس وقرره وشهره. وهي معالم الحج: الكعبة، والصفا والمروة، وعرفة، والمشعر الحرام، ونحوها من معالم الحج.

وتطلق الشعيرة أيضا على بدنة الهدي. قال تعالى: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله [الحج: ٣٦] لأنهم يجعلون فيها شعارا، والشعار العلامة بأن يطعنوا في جلد جانبها الأيمن طعنا حتى يسيل منه الدم فتكون علامة على أنها نذرت للهدي، فهي فعلية بمعنى مفعولة مصوغة من أشعر **على غير قياس**.

فعلى التفسير الأول تكون جملة ومن يعظم شعائر الله إلى آخرها عطفا على

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١٢/١٦

جملة ومن يعظم حرمات الله [الحج: ٣٠] إلخ. وشعائر الله أخص من حرمات الله فعطف هذه الجملة للعناية بالشعائر.." (١)

٥١٠. "للتخلص من ثقل الياء بعد حرف المد، وفتحت الميم للتخفيف فقلبت الياء ألفا. وعند ابن مالك وجماعة: وزنه فعالى على غير قياس وهو ظاهر كلام سيبويه.

والأيامى صيغة عموم لأنه جمع معرف باللام فتشمل البغايا. أمر أولياؤهن بتزويجهن فكان هذا العموم ناسخا لقوله تعالى: والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك [النور: ٣] فقد قال جمهور الفقهاء: إن هذه ناسخة للآية التي تقدمت وهو قول مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد. ونقل القول بأن التي قبلها محكمة عن غير معين. وزوج أبو بكر امرأة من رجل زنى بها لما شكاه أبوها.

ومعنى التبعيض في قوله منكم أنهن من المسلمات لأن غير المسلمات لا يخلون عند المسلمين من أن يكن أزواجا لبعض المسلمين فلا علاقة للآية بهن، أو أن يكن مملوكات فهن داخلات في قوله: والصالحين من عبادكم وإمائكم على الاحتمالات الآتية في معنى الصالحين وأما غيرهن فولايتهن لأهل ملتهن.

والمقصود: الأيامى الحرائر، خصصه قوله بعده والصالحين من عبادكم وإمائكم. وظاهر وصف العبيد والإماء بالصالحين أن المراد اتصافهم بالصلاح الديني.

أي الأتقياء. والمعنى: لا يحملكم تحقق صلاحهم على إهمال إنكاحهم لأنكم آمنون من وقوعهم في الزنى بل عليكم أن تزوجوهم رفقا بهم ودفعا لمشقة العنت عنهم.

فيفيد أنهم إن لم يكونوا صالحين كان تزويجهم آكد أمرا. وهذا من دلالة الفحوى فيشمل غير الصالحين غير الإعفاء والعفائف من المماليك المسلمين، ويشمل المماليك غير المسلمين. وبهذا التفسير تنقشع الحيرة التي عرضت للمفسرين في التقييد بهذا الوصف. وقيل أريد بالصالحين الصلاح للتزوج بمعنى اللياقة لشؤون الزوج، أي إذا كانوا مظنة القيام بحقوق الزوجية.." (٢)

٥١١. "وضمير الجمع في قوله: ما ولاهم عائد إلى معلوم من المقام غير مذكور في اللفظ حكاية لقول السفهاء، وهم يريدون بالضمير أو بما يعبر عنه في كلامهم أنه عائد على المسلمين.

وفعل (ولاهم) أصله مضاعف ولى إذا دنا وقرب، فحقه أن يتعدى إلى مفعول واحد بسبب التضعيف فيقال ولاه من كذا أي قربه منه وولاه عن كذا أي صرفه عنه ومنه قوله تعالى هنا ما ولاهم عن قبلتهم، وشاع استعماله في الكلام فكثر أن يحذفوا حرف الجر الذي يعديه إلى متعلق ثان فبذلك عدوه إلى مفعول ثان كثيرا على التوسع فقالوا ولى فلانا وجهه مثلا دون أن يقولوا ولى فلان وجهه من فلان أو

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧/٢٥٦

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٨/٢١٦

عن فلان فأشبه أفعال كسا وأعطى ولذلك لم يعبأوا بتقديم أحد المفعولين على الآخر قال تعالى: فلا تولوهم الأدبار [الأنفال: ١٥] أصله فلا تولوا الأدبار منهم، فالأدبار هو الفاعل في المعنى لأنه لو رفع لقيل ولي دبره الكافرين، ومنه قوله تعالى: نوله ما تولى [النساء: ١١٥] أي نجعله واليا مما تولى أي قريبا له أي ملازما له فهذا تحقيق تصرفات هذا الفعل.

وجملة ما ولاهم إلخ هي مقول القول فضمائر الجمع كلها عائدة على معاد معلوم من المقام وهم المسلمون ولا يحتمل غير ذلك لئلا يلزم تشتيت الضمائر ومخالفة الظاهر في أصل حكاية الأقوال.

والاستفهام في قوله: ما ولاهم مستعمل في التعريض بالتخطئة واضطراب العقل.

والمراد بالقبلة في قوله: عن قبلتهم الجهة التي يولون إليها وجوههم عند الصلاة كما دل عليه السياق وأخبار سبب نزول هذه الآيات.

والقبلة في أصل الصيغة اسم على زنة فعلة بكسر الفاء وسكون العين، وهي زنة المصدر الدال على هيئة فعل الاستقبال أي التوجه اشتق **على غير قياس** بحذف السين والتاء ثم أطلقت على الشيء الذي يستقبله المستقبل مجازا وهو المراد هنا لأن الانصراف لا يكون عن الهيئة قال حسان في رثاء أبي بكر رضي الله عنه:

أليس أول من صلى لقبلتكم

والأظهر عندي أن تكون القبلة اسم مفعول على وزن فعل كالذبح والطحن وتأنيثه باعتبار الجهة كما قالوا: ما له في هذا الأمر قبلة ولا دبرة أي وجهة.

وإضافة القبلة إلى ضمير المسلمين للدلالة على مزيد اختصاصها بهم إذ لم يستقبلها غيرهم من الأمم لأن المشركين لم يكونوا من المصلين وأهل الكتاب لم يكونوا يستقبلون في صلاتهم." (١)

٥١٢. "وتقدم معنى الرحمة في سورة الفاتحة.

وتقديم (رءوف) ليقع لفظ رحيم فاصلة فيكون أنسب بفواصل هذه السورة لانبناء فواصلها على حرف صحيح ممدود يعقبه حرف صحيح ساكن ووصف رءوف معتمد ساكنه على الهمز والهمز شبيه بحروف العلة فالنطق به غير تام التمكن على اللسان وحرف الفاء لكونه يخرج من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا أشبه حرف اللين فلا يتمكن عليه سكون الوقف.

وتقديم بالناس على متعلقه وهو لرؤف رحيم للتنبيه على عنايته بهم إيقاظا لهم ليشكروه مع الرعاية على الفاصلة.

وقرأ الجمهور (لرءوف) بواو ساكنة بعد الهمزة وقرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بدون

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/٨

واو مع ضم الهمزة بوزن عضد وهو لغة **على غير قياس.**

[١٤٤]

[سورة البقرة (٢) : آية ١٤٤]

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون (١٤٤)

استئناف ابتدائي وإفضاء لشرع استقبال الكعبة ونسخ استقبال بيت المقدس فهذا هو المقصود من الكلام المفتتح بقوله: سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها [البقرة: ١٤٢] بعد أن مهد الله بما تقدم من أفانين التهيئة وإعداد الناس إلى ترقبه ابتداء من قوله: ولله المشرق والمغرب ثم قوله: ولن ترضى عنك اليهود [البقرة: ١٢٠] ثم قوله: وإذ جعلنا البيت [البقرة: ١٢٥] ثم قوله: سيقول السفهاء.

و (قد) في كلام العرب للتحقيق ألا ترى أهل المعاني نظروا هل في الاستفهام بقد في الخبر فقالوا من أجل ذلك إن هل لطلب التصديق فحرف قد يفيد تحقيق الفعل فهي مع الفعل بمنزلة إن مع الأسماء ولذلك قال الخليل إنها جواب لقوم ينتظرون الخبر ولو أخبروهم لا ينتظرونه لم يقل قد فعل كذا اهـ.

ولما كان علم الله بذلك مما لا يشك فيه النبيء صلى الله عليه وسلم حتى يحتاج لتحقيق الخبر به كان الخبر به مع تأكيده مستعملا في لازمه على وجه الكناية لدفع الاستبطاء عنه." (١)

٥١٣. "وضمير هو عائد للمضاف إليه (كل) المحذوف.

والمفعول الأول لموليها محذوف إذ التقدير هو موليها نفسه أو وجهه على نحو ما بيناه في قوله تعالى: ما ولاهم عن قبلتهم [البقرة: ١٤٢] والمعنى هو مقبل عليها وملازم لها.

وقراءة الجمهور «موليها» بياء بعد اللام وقرأه ابن عامر «هو مولاها» بألف بعد اللام بصيغة ما لم يسم فاعله أي يوليه إياها مول وهو دينه ونظره، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من الوجهة القبلة فاستبقوا أنتم إلى الخير وهو استقبال الكعبة، وقيل المراد لكل أمة قبلة فلا سبيل إلى اجتماعكم على قبلة واحدة فالزموا قبلتكم التي هي قبلة إبراهيم فإنكم على الخيرات، وقيل المراد هيكل قبلة فلا سبيل إلى اجتماعكم على قبلة واحدة فالزموا قبلتكم التي هي قبلة إبراهيم، فإنكم على الخيرات، وقيل المراد لكل قوم قبلة فلا يضركم خلافهم واتركوهم واستبقوا إلى الخيرات إلى الكعبة، وقيل المراد لكل طائفة من المسلمين جهة من الكعبة سيستقبلونها. ومعاني القرآن تحمل على أجمع الوجوه وأشملها.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/٢

وقوله: استبقوا الخيرات

تفريع للأمر على ما تقدم أي لما تعددت المقاصد.

فالمنافسة تكون في مصادفة الحق.

والاستباق افتعال والمراد به السبق وحقه التعدية باللام إلا أنه توسع فيه فعدي بنفسه كقوله تعالى: واستبقا الباب [يوسف: ٢٥] أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا. فالمراد من الاستباق هنا المعنى المجازي وهو الحرص على مصادفة الخير والإكثار منه والخيرات جمع خير **على غير قياس** كما قالوا سرادقات وحمامات. والمراد عموم الخيرات كلها فإن المبادرة إلى الخير محمودة ومن ذلك المبادرة بالتوبة خشية هاذم اللذات وفجأة الفوات قال تعالى: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم [آل عمران: ١٣٣] ، والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم [الواقعة: ١٠- ١٢] ومن ذلك فضيلة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قال تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا [الحديد: ١٠] وقال موسى: وعجلت إليك رب لترضى [طه: ٨٤] .

وقوله: ين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا

جملة في معنى العلة للأمر باستباق الخيرات ولذلك فصلت لأن العلة لا تعطف إذ هي بمنزلة المفعول لأجله، والمعنى فاستبقوا إلى الخير لتكونوا مع الذين يأتي بهم الله للرفيق الحسن لأن الله يأتي بالناس جميعا خيرهم وشرهم." (١)

٥١٤. "من نسبته إلى التقصير، فإذا سجل ذلك عليه قبل وجود دواعيه كان على حذر من وقوعه في المستقبل، كما يقول من يوصي غيره: افعل كذا وكذا وما أظنك تفعل.

وقرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين **على غير قياس**، وقرأه الجمهور بفتح السين وهما لغتان في عسى إذا اتصل بها ضمير المتكلم أو المخاطب، وكأنهم قصدوا من كسر السين التخفيف بإماتة سكون الياء.

وقوله: قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله جاءت واو العطف في حكاية قولهم إذ كان في كلامهم ما يفيد إرادة أن يكون جوابهم عن كلامه معطوفا على قولهم:

ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ما يؤدي مثله بواو العطف فأرادوا تأكيد رغبتهم، في تعيين ملك يدبر أمور القتال، بأنهم ينكرون كل خاطر يخطر في نفوسهم من التثبيط عن القتال، فجعلوا كلام نبيئهم بمنزلة كلام معترض في أثناء كلامهم الذي كملوه، فما يحصل به جوابهم عن شك نبيهم في ثباتهم، فكان نظم كلامهم على طريقة قوله تعالى حكاية عن الرسل: وعلى الله فليتوكل المؤمنون [آل عمران: ١٢٢] ، وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا [إبراهيم: ١٢] .

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٣/٢

و (ما) اسم استفهام بمعنى أي شيء واللام للاختصاص والاستفهام إنكاري وتعجبي من قول نبيهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا لأن شأن المتعجب منه أن يسأل عن سببه. واسم الاستفهام في موضع الابتداء، ولنا خبره، ومعناه ما حصل لنا
أو ما استقر لنا، فاللام في قوله: لنا لام الاختصاص و «أن» حرف مصدر واستقبال، ونقاتل منصوب بأن، ولما كان حرف المصدر يقتضي أن يكون الفعل بعده في تأويل المصدر، فالمصدر المنسبك من أن وفعلها إما أن يجعل مجرورا بحرف جر مقدر قبل أن مناسب لتعلق (لا نقاتل) بالخبر ما لنا في ألا نقاتل أي انتفاء قتالنا أو ما لنا لألا نقاتل أي لأجل انتفاء قتالنا، فيكون معنى الكلام إنكارهم أن يثبت لهم سبب يحملهم على تركهم القتال، أو سبب لأجل تركهم القتال، أي لا يكون لهم ذلك. وإما أن يجعل المصدر المنسبك بدلا من ضمير لنا: بدل اشتمال، والتقدير: ما لنا لتركنا القتال.
ومثل هذا النظم يجيء بأشكال خمسة: مثل ما لك لا تأمنا على يوسف [يوسف: ١١] وما لي لا أعبد الذي فطرني [يس: ٢٢] ما لكم كيف تحكمون [الصافات: ١٥٤] فمالك والتلدد حول نجد فما لكم في المنافقين فئتين [النساء: ٨٨] ، والأكثر أن يكون ما بعد الاستفهام في موضع حال، ولكن الإعراب يختلف ومآل المعنى متحد.." (١)

٥١٥. "[سورة لقمان (٣١) : الآيات ٢ إلى ٥]
تلك آيات الكتاب الحكيم (٢) هدى ورحمة للمحسنين (٣) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)
إذا كانت هذه السورة نزلت بسبب سؤال قريش عن لقمان وابنه فهذه الآيات إلى قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة [لقمان: ١٢] بمنزلة مقدمة لبيان أن مرمى القرآن من قص القصة ما فيها من علم وحكمة وهدى وأنها مسوقة للمؤمنين لا للذين سألوا عنها فكان سؤالهم نفعا للمؤمنين.
والإشارة ب تلك إلى ما سيذكر في هذه السورة، فالمشار إليه مقدر في الذهن مترقب الذكر على ما تقدم في قوله ذلك الكتاب في أول البقرة [٢] وفي أول سورة الشعراء [٢] والنمل [١] والقصص [٢]
.
وآيات الكتاب خبر عن اسم الإشارة. وفي الإشارة تنبيه على تعظيم قدر تلك الآيات بما دل عليه اسم الإشارة من البعد المستعمل في رفعة القدر، وبما دلت عليه
إضافة الآيات إلى الكتاب الموصوف بأنه الحكيم وأنه هدى ورحمة وسبب فلاح.
والحكيم: وصف للكتاب بمعنى ذي الحكمة، أي لاشتماله على الحكمة.
فوصف الكتاب ب الحكيم كوصف الرجل بالحكيم، ولذلك قيل: إن الحكيم استعارة مكنية، أو بعبارة

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٨٦/٢

أرشق تشبيه بليغ بالرجل الحكيم. ويجوز أن يكون الحكيم بمعنى المحكم بصيغة اسم المفعول وصفا على غير قياس كقولهم: عسل عقيد، لأنه أحكم وأتقن فليس فيه فضول ولا مالا يفيد كمالا نفسانيا. وفي وصف الكتاب بهذا الوصف براعة استهلال للغرض من ذكر حكمة لقمان. وتقدم وصف الكتاب ب الحكيم في أول سورة يونس [١] .

وانتصب هدى ورحمة على الحال من الكتاب وهي قراءة الجمهور. وإذ كان الكتاب مضافا إليه فمسوغ مجيء الحال من المضاف إليه أن الكتاب." (١)

٥١٦. "المعاشرة ولا تترتب عليها آثار الأخوة الجبلية لأن تلك آثار مرجعها إلى الخلقة فذلك معنى قوله «أنت أخي وهي لي حلال»

. والجوف: باطن الإنسان صدره وبطنه وهو مقر الأعضاء الرئيسية عدا الدماغ.

وفائدة ذكر هذا الظرف زيادة تصوير المدلول عليه بالقلب وتجليه للسامع فإذا سمع ذلك كان أسرع إلى الاقتناع بإنكار احتواء الجوف على قلبين، وذلك مثل قوله: ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [الحج: ٤٦] ونحوه من القيود المعلومة وإنما يكون التصريح بها تذكيرا بما هو معلوم وتجديدا لتصوره، ومنه قوله تعالى: وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه وقد تقدم في سورة الأنعام [٣٨] .

وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم.

عطف إبطال ثان لبعض مزاعمهم وهو ما كان في الجاهلية أن الرجل إذا أراد فراق زوجه فراقا لا رجعة فيه بحال يقول لها: «أنت علي كظهر أمي» هذه صيغته المعروفة عندهم، فهي موجبة طلاق المرأة وحرمة تزوجها من بعد لأنها صارت أما له، وليس المقصود هنا تشريع إبطال آثار التحريم به لأن ذلك أبطل في سورة المجادلة وهي مما نزل قبل نزول سورة الأحزاب كما سيأتي ولكن المقصود أن يكون تمهيدا لتشريع إبطال التبني تنظيرا بين هذه الأوهام إلا أن هذا التمهيد الثاني أقرب إلى المقصود لأنه من الأحكام التشريعية.

واللاء: اسم موصول لجماعة النساء فهو اسم جمع (التي) ، لأنه على غير قياس صيغ الجمع، وفيه لغات: اللاء- مكسور الهمزة أبدا- بوزن الباب، واللائي بوزن الداعي، واللاء بوزن باب داخلة عليه لام التعريف بدون ياء.

وقرأ قالون عن نافع وقنبل عن ابن كثير وأبو جعفر اللاء- بهمزة مكسورة- غير مشبعة وهو لغة. وقرأه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف واللائي- بياء بعد

الهمزة- بوزن الداعي، وقرأه أبو عمرو والبزي عن ابن كثير ويعقوب واللاي بياء ساكنة بعد الألف بدلا

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤٠/٢١

عن الهمزة وهو بدل سماعي، قيل: وهي لغة قريش. وقرأ ورش بتسهيل الهمزة بين الهمزة والياء مع المد والقصر. وروي ذلك عن أبي عمرو والبزي أيضا.." (١)

٥١٧. "والمتعدد المذكر والمؤنث، وهي فعل عند بني تميم فلذلك يلحقونها العلامات يقولون: هلم وهلمي

وهلما وهلموا وهلممن. وتقدم في قوله تعالى قل هلم شهداءكم في سورة الأنعام [١٥٠] . والمعنى: انخذلوا عن جيش المسلمين وأقبلوا إلينا.

وجملة ولا يأتون البأس إلا قليلا كلام مستقل فيجوز أن تكون الجملة حالا من القائلين لإخوانهم هلم إلينا. ويجوز أن تكون عطفا على المعوقين والقائلين لأن الفعل يعطف على المشتق كقوله تعالى فالمغيرات صبحا فأثرن [العاديات: ٣، ٤] وقوله: إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله [الحديد: ١٨] ، فالتقدير هنا: قد يعلم الله المعوقين والقائلين وغير الآتين البأس، أو والذين لا يأتون البأس. وليس في تعدية فعل العلم إلى لا يأتون إشكال لأنه على تأويل كما أن عمل الناسخ في قوله وأقرضوا [الحديد: ١٨] على تأويل، أي: يعلم الله أنهم لا يأتون البأس إلا قليلا، أي: يعلم أنهم لا يقصدون بجمع إخوانهم معهم الاعتضاد بهم في الحرب ولكن عزلهم عن القتال.

ومعنى إلا قليلا إلا زمانا قليلا، وهو زمان حضورهم مع المسلمين المرابطين، وهذا كقوله فلا يؤمنون إلا قليلا [النساء: ٤٦] ، أي: إيمانا ظاهرا، ومثل قوله تعالى:

أم بظاهر من القول [الرعد: ٣٣] . وقليلا صفة لمصدر محذوف، أي: إتيانا قليلا، وقلته تظهر في قلة زمانه وفي قلة غنائه.

والبأس: الحرب وتقدم في قوله تعالى ليحصنكم من بأسكم في سورة الأنبياء [٨٠] . وإتيان الحرب مراد به إتيان أهل الحرب أو موضعها. والمراد: البأس مع المسلمين، أي: مكرا بالمسلمين لا جبنا.

وأشحة جمع شحيح بوزن أفعلة **على غير قياس** وهو فصيح وقياسه أشحاء.

وضمير الخطاب في قوله عليكم للرسول عليه الصلاة والسلام وللمسلمين، وهو انتقال من القول الذي أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يقوله لهم إلى كشف أحوالهم للرسول والمسلمين بمناسبة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة في قوله ولا يأتون البأس.

وتقدم الشح عند قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح في سورة النساء." (٢)

٥١٨. "[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٧ إلى ٦٨]

وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٥٦/٢١

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩٥/٢١

كبيرا (٦٨)

عطف على جملة يقولون [الأحزاب: ٦٦] فهي حال. وجيء بها في صيغة الماضي لأن هذا القول كان متقدما على قولهم: يا ليتنا أطعنا الله [الأحزاب: ٦٦] ، فذلك التمني نشأ لهم وقت أن مسهم العذاب، وهذا التنصل والدعاء اعتذروا به حين مشاهدة العذاب وحشرهم مع رؤسائهم إلى جهنم، قال تعالى: حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون [الأعراف: ٣٨] . فدل على أن ذلك قبل أن يمسهم العذاب بل حين رصفوا ونسقوا قبل أن يصب عليهم العذاب ويطلق إليهم حر النار.

والابتداء بالنداء ووصف الربوبية إظهار للتضرع والابتهال.

والسادة: جمع سيد. قال أبو علي: وزنه فعلة، أي مثل كملة لكن **على غير قياس** لأن صيغة فعلة تطرد في جمع فاعل لا في جمع فيعل، فقلبت الواو ألفا لا نفتاحها وانفتاح ما قبلها. وأما السادات فهو جمع الجمع بزيادة ألف وتاء بزنة جمع المؤنث السالم.

والسادة: عظماء القوم والقبائل مثل الملوك.

وقرأ الجمهور سادتنا. وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا بألف بعد الدال وبكسر التاء لأنه جمع بألف وتاء مزيدتين على بناء مفرده. وهو جمع الجمع الذي هو سادة.

والكبراء: جمع كبير وهو عظيم العشيرة، وهم دون السادة فإن كبيرا يطلق على رأس العائلة فيقول المرء لأبيه: كبيري، ولذلك قوبل قولهم: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا [الأحزاب: ٦٦] بقولهم: أطعنا سادتنا وكبراءنا.

وجملة إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا خبر مستعمل في الشكاية والتذمر، وهو تمهيد لطلب الانتصاف من سادتهم وكبرائهم. فالمقصود الإفضاء إلى جملة ربنا آتهم ضعفين من العذاب. ومقصود من هذا الخبر أيضا الاعتذار والتنصل من تبعة ضلالهم بأنهم مغرورون مخدوعون، وهذا الاعتذار مردود عليهم بما أنطقهم الله به من الحقيقة إذ قالوا: إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا." (١)

٥١٩. "القصد وهو الوسط بين طرفين يبينه المقام، فلما ذكر هنا في مقابلة الظالم والسابق علم أنه مرتكب حالة بين تينك الحالتين فهو ليس بظالم لنفسه وليس بسابق.

والسابق أصله: الواصل إلى غاية معينة قبل غيره من الماشين إليها. وهو هنا مجاز لإحراز الفضل لأن السابق يحرز السبق (بفتح الباء) ، أو مجاز في بذل العناية لنوال رضى الله، وعلى الاعتبارين في المجاز فهو مكنى عن الإكثار من الخير لأن السبق يستلزم إسراع الخطوات، والإسراع إكثار. وفي هذا السبق تفاوت أيضا كخيل الحلبة.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١٧/٢٢

والخيرات: جمع خير **على غير قياس**، والخير: النافع. والمراد بها هنا الطاعات لأنها أعمال صالحة نافعة لعاملها وللناس بآثارها.

والباء للظرفية، أي في الخيرات كقوله: يسارعون في الإثم والعدوان [المائدة: ٦٢] .

وفي ذكر الخيرات في القسم الآخر دلالة على أنها مرادة في القسمين الأولين فيؤول إلى معنى ظالم لنفسه في الخيرات ومقتصد في الخيرات أيضا، ولك أن تجعل معنى ظالم لنفسه أنه ناقصها من الخيرات كقوله: كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص عن معتادها في الإثمار في سورة الكهف [٣٣] .

والإذن مستعمل في التيسير على سبيل المجاز، والباء للسببية متعلقة ب سابق، وليس المراد به الأمر لأن الله أمر الناس كلهم بفعل الخير سواء منهم من أتى به ومن قصر به.

ولك أن تجعل الباء للملابسة وتجعلها ظرفا مستقرا في موضع الحال من سابق أي متلبسا بإذن الله ويكون الإذن مصدرا بمعنى المفعول، أي سابق ملابس لما أذن الله به، أي لم يخالفه.

وعلى الوجه الأول هو تنويه بالسابقين بأن سبقهم كان بعون من الله وتيسير منه.

وفيما رأيت من تفسير هذه المراتب الثلاث في الآية المأخوذ من كلام الأئمة." (١)

٥٢٠. "أي بوجه قسم الحسن على أجزائه أقساما.

فمعانيه متشابهة في صحتها وأحكامها وابتنائها على الحق والصدق ومصادفة المحز من الحجة وتبكيت الخصوم وكونها صلاحا للناس وهدى. وألفاظه متماثلة في الشرف والفصاحة والإصابة للأغراض من المعاني بحيث تبلغ ألفاظه ومعانيه أقصى ما تحتمله أشرف لغة للبشر وهي اللغة العربية مفردات ونظما، وبذلك كان معجزا لكل بليغ عن أن يأتي بمثله، وفي هذا

إشارة إلى أن جميع آيات القرآن بالغ الطرف الأعلى من البلاغة وأنها متساوية في ذلك بحسب ما يقتضيه حال كل آية منها، وأما تفاوتها في كثرة الخصوصيات وقلتها فذلك تابع لاختلاف المقامات ومقتضيات الأحوال، فإن بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال، والطرف الأعلى من البلاغة هو مطابقة الكلام لجميع ما يقتضيه الحال، فآيات القرآن متماثلة متشابهة في الحسن لدى أهل الذوق من البلغاء بالسليقة أو بالعلم وهو في هذا مخالف لغيره من الكلام البليغ فإن ذلك لا يخلو عن تفاوت ربما بلغ بعضه مبلغ أن لا يشبه بقيته، وهذا المعنى مما يدخل في قوله تعالى: أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا [النساء: ٨٢] ، فالكاتب البليغ والشاعر المجيد لا يخلو كلام أحد منهما من ضعف في بعضه، وأيضا لا تتشابه أقوال أحد منهما بل تجد لكل منهما قطعا متفاوتة في

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/٣١٣

الحسن والبلاغة وصحة المعاني. وبما قررنا تعلم أن المتشابه هنا مراد به معنى غير المراد في قوله تعالى: وأخر متشابهات [آل عمران: ٧] لاختلاف ما فيه التشابه.

الصفة الرابعة: كونه مثاني، ومثاني: جمع مثنى بضم الميم وبتشديد النون جمعا **على غير قياس**، أو اسم جمع. ويجوز كونه جمع مثنى بفتح الميم وتخفيف النون وهو اسم لجعل المعدود أزواجا اثنين، اثنين، وكلا الاحتمالين يطلق على معنى التكرير. كني عن معنى التكرير بمادة التثنية لأن التثنية أول مراتب التكرير، كما كني بصيغة التثنية عن التكرير في قوله تعالى: ثم ارجع البصر كرتين [الملك: ٤] ، وقول العرب: لبيك وسعديك، أي إجابات كثيرة ومساعدات كثيرة.

وقد تقدم بيان معنى مثاني في قوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني في سورة [الحجر: ٨٧] ، فالقرآن مثاني لأنه مكرر الأغراض.." (١)

٥٢١. "فالجملة الأولى: الله خالق كل شيء وهذه الجملة أدخلت كل موجود في أنه مخلوق لله تعالى، فهو ولي التصرف فيه لا يخرج من ذلك إلا ذات الله تعالى وصفاته فهي مخصوصة من هذا العموم بدليل العقل وهو أنه خالق كل شيء فلو كان خالق نفسه أو صفاته لزم توقف الشيء على ما يتوقف هو عليه وهذا ما يسمى بالدور في الحكمة، واستحالته عقلية، فخص هذا العموم العقل. والمقصود من هذا إثبات حقيقة، وإلزام الناس بتوحيده لأنه خالقهم، وليس في هذا قصد ثناء ولا تعاظم، والمقصود من هذه المقدمة تذكير الناس بأنهم جميعا هم وما معهم عبيد لله وحده ليس لغيره منة عليهم بالإيجاد.

الجملة الثانية: وهو على كل شيء وكيل وجيء بها معطوفة لأن مدلولها مغاير لمدلول التي قبلها. والوكيل المتصرف في شيء بدون تعقب ولما لم يعلق بذلك الوصف شيء علم أنه موكول إليه جنس التصرف وحقيقته التي تعم جميع أفراد ما يتصرف فيه، فعم تصرفه أحوال جميع الموجودات من تقدير الأعمال والآجال والحركات، وهذه المقدمة تقتضي الاحتياج إليه بالإمداد فهم بعد أن أوجدهم لم يستغنوا عنه لمحة ما.

الجملة الثالثة: له مقاليد السماوات والأرض وجيء بها مفصولة لأنها تفيد بيان الجملة التي قبلها فإن الوكيل على شيء يكون هو المتصرف في العطاء والمنع.

والمقاليد: جمع إقليد بكسر الهمزة وسكون القاف وهذا جمع **على غير قياس**، وإقليد قيل معرب عن الفارسية، وأصله (كليد) قيل من الرومية وأصله (إقليدس) وقيل كلمة يمانية وهو مما تقاربت فيه اللغات وهي كناية عن حفظ ذخائرها، فذخائر الأرض عناصرها ومعادنها وكيفيات أجوائها وبحارها، وذخائر السماوات سير كواكبها وتصرفات أرواحها في عوالمها وعوالمنا وما لا يعلمه إلا الله تعالى. ولما كانت تلك العناصر والقوى شديدة النفع للناس وكان الناس في حاجة إليها شبهت بنفائس المخزونات فصح

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٨٦/٢٣

أيضا أن تكون المقاليد استعارة مكنية، وهي أيضا استعارة مصرحة للأمر الإلهي التكويني والتسخيري الذي يفيض به على الناس من تلك الذخائر المدخرة كقوله تعالى: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم [الحجر: ٢١] .." (١)

٥٢٢. "قريناكم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحونا

والإذاقة: تخييل من ملائمات الطعام المشبه به.

والخزي: الذل. وإضافة عذاب إلى الخزي من إضافة الموصوف إلى الصفة بدليل مقابلته بقوله: ولعذاب الآخرة أخزى، أي أشد إخزاء من إخزاء عذاب الدنيا، وذلك باعتبار أن الخزي وصف للعذاب من باب الوصف بالمصدر أو اسم المصدر للمبالغة في كون ذلك العذاب مخزيا للذي يعذب به. ومعنى كون العذاب مخزيا: أنه سبب خزي فوصف العذاب بأنه خزي بمعنى مخز من باب المجاز العقلي، ويقدر قبل الإضافة: لنذيقهم عذابا خزيا، أي مخزيا، فلما أريدت إضافة الموصوف إلى صفته قيل:

عذاب الخزي، للمبالغة أيضا لأن إضافة الموصوف إلى الصفة مبالغة في الاتصاف حتى جعلت الصفة بمنزلة شخص آخر يضاف إليه الموصوف وهو قريب من محسن التجريد

فحصلت مبالغتان في قوله: عذاب الخزي مبالغة الوصف بالمصدر، ومبالغة إضافة الموصوف إلى الصفة.

وجملة ولعذاب الآخرة أخزى احتراس لئلا يحسب السامعون أن حظ أولئك من العقاب هو عذاب الإهلاك بالريح فعطف عليه الإخبار بأن عذاب الآخرة أخزى، أي لهم ولكل من عذب عذابا في الدنيا لغضب الله عليه. وأخزى: اسم تفضيل جرى **على غير قياس**، وقياسه أن يقال: أشد إخزاء، لأنه لا يقال: خزاه، بمعنى أخزاه، أي أهانه، ومثل هذا في صوغ اسم التفضيل كثير في الاستعمال.

وجملة وهم لا ينصرون تذييل، أي لا ينصرهم من يدفع العذاب عنهم، ولا من يشفع لهم، ولا من يخرجهم منه بعد مهلة.." (٢)

٥٢٣. "التشبيه، إلا أن تأويل سلفنا كان تأويلا جمليا، وتأويل خلفهم كان تأويلا تفصيليا كتأويلهم اليد بالقدرة، والعين بالعلم، وبسط اليدين بالجود، والوجه بالذات، والنزول بتمثيل حال الإجابة والقبول بحال نزول المرتفع من مكانه الممتنع إلى حيث يكون سائلوه لينيلهم ما سألوه. ولهذا قالوا: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم.

ولما أفاد قوله: ليس كمثله شيء صفات السلوب أعقب بإثبات صفة العلم لله تعالى وهي من الصفات المعنوية وذلك بوصفه ب السميع البصير الدالين على تعلق علمه بالموجودات من المسموعات والمبصرات تنبيها على أن نفي مماثلة الأشياء لله تعالى لا يتوهم منه أن الله منزه عن الاتصاف بما اتصفت به

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٤/٢٤

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦١/٢٤

المخلوقات من أوصاف الكمال المعنوية كالحياة والعلم ولكن صفات المخلوقات لا تشبه صفاته تعالى في كمالها لأنها في المخلوقات عارضة، وهي واجبة لله تعالى في منتهى الكمال، فكونه تعالى سميعا وبصيرا من جملة الصفات الداخلة تحت ظلال التأويل بالحمل على عموم قوله تعالى: ليس كمثله شيء فلم يقتضيا جارحتين. ولقد كان تعقيب قوله ذلك بهما شبيها بتعقيب المسألة بمثالها.

[١٢]

[سورة الشورى (٤٢) : آية ١٢]

له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)

خبر رابع أو خامس عن الضمير في قوله: وهو على كل شيء قدير [الشورى: ٩] وموقع هذه الجملة كموقع التي قبلها تتنزل منزلة النتيجة لما تقدمها، لأنه إذا ثبت أن الله هو الولي وما تضمنته الجمل بعدها إلى قوله: يذرؤكم فيه [الشورى: ١١] من انفراده بالخلق، ثبت أنه المنفرد بالرزق.

والمقاليد: جمع إقليد **على غير قياس**، أو جمع مقلاد، وهو المفتاح، وتقدم عند قوله تعالى: له مقاليد السماوات والأرض في سورة الزمر." (١)

٥٢٤. "والمقام بضم الميم: مكان الإقامة. والمقام بفتح الميم: مكان القيام ويتناول المسكن وما يتبعه.

وقرأه نافع وابن عامر وأبو جعفر بضم الميم. وقرأه الباقون بفتح الميم.

والمراد بالمقام المكان فهو مجاز بعلاقة الخصوص والعموم.

والأمين بمعنى الآمن والمراد: الآمن ساكنه، فوصفه ب أمين مجاز عقلي كما قال تعالى: وهذا البلد الأمين [التين: ٣] . والأمن أكبر شروط حسن المكان لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن وهو السلامة من المكاره والمخاوف فإذا كان آمنا في منزله كان مطمئن البال شاعرا بالنعيم الذي يناله. وأبدل منه بأنهم ي جنات وعيون

وذلك من وسائل النزهة والطيب. وأعيد حرف ي

مع البدل للتأكيد.

والجنات: جمع جنة، وتقدم في أول البقرة. والعيون: جمع عين، وتقدم في قوله:

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في سورة البقرة [٦٠] ، فهذا نعيم مكانهم. ووصف نعيم أجسادهم بذكر لباسهم وهو لباس الترف والنعيم وفيه كناية عن توفر أسباب نعيم الأجساد لأنه لا يلبس هذا اللباس إلا من استكمل ما قبله من ملائمات الجسد باطنه وظاهره.

والسندس: الديباج الرقيق النفيس، والأكثر على أنه معرب من الفارسية وقيل عربي.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٨/٢٥

أصله: سندي، منسوب إلى السند على غير قياس. والسندس يلبس مما يلي الجسد.
والإستبرق: الديباج القوي يلبس فوق الثياب وهو معرب استبره فارسية، وهو الغليظ مطلقا ثم خص بغليظ الديباج، ثم عرب.
وتقدما في قوله يلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق في سورة الكهف [٣١] فارجع إليه. ومن لبيان الجنس، والمبين محذوف دل عليه يلبسون. والتقدير: ثيابا من سندس وإستبرق.." (١)

٥٢٥. "لما أراد المسير إلى العمرة استنفر من حول المدينة منهم ليخرجوا معه فيرهبه أهل مكة فلا يصدوه عن عمرته فتثاقل أكثرهم عن الخروج معه.
وكان من أهل البيعة زيد بن خالد الجهني من جهينة وخرج مع النبيء صلى الله عليه وسلم من أسلم مائة رجل منهم مرداس بن مالك الأسلمي والد عباس الشاعر وعبد الله بن أبي أوفى وزاهر بن الأسود، وأهبان- بضم الهمزة- بن أوس، وسلمة بن الأكوع الأسلمي، ومن غفار خفات- بضم الخاء المعجمة- بن أيماء- بفتح الهمزة- بعدها تحتية ساكنة، ومن مزينة عائذ بن عمرو. وتخلف عن الخروج معه معظمهم وكانوا يومئذ لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ولكنهم لم يكونوا منافقين، وأعدوا للمعذرة بعد رجوع النبيء صلى الله عليه وسلم أنهم شغلتهم أموالهم
وأهلوهم، فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما بيتوه في قلوبهم وفضح أمرهم من قبل أن يعتذروا.
وهذه من معجزات القرآن بالأخبار التي قبل وقوعه.
فالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا لمناسبة ذكر الإيفاء والنكث، فكمل بذكر من تخلفوا عن الداعي للعهد. والمعنى: أنهم يقولون ذلك عند مرجع النبيء صلى الله عليه وسلم إلى المدينة معتذرين كاذبين في اعتذارهم.
والمخلفون بفتح اللام هم الذين تخلفوا. وأطلق عليهم المخلفون أي غيرهم خلفهم وراءه، أي تركهم خلفه، وليس ذلك بمقتض أنهم مأذون لهم بل المخلف هو المتروك مطلقا. يقال: خلفنا فلانا، إذا مروا به وتركوه لأنهم اعتذروا من قبل خروج النبيء صلى الله عليه وسلم فعذرهم بخلاف الأعراب فإنهم تخلف أكثرهم بعد أن استنفروا ولم يعتذروا حينئذ.
والأموال: الإبل.
وأهلون: جمع أهل على غير قياس لأنه غير مستوفي لشروط الجمع بالواو والنون أو الياء والنون، فعد مما ألحق بجمع المذكر السالم.
ومعنى فاستغفر لنا: اسأل لنا المغفرة من الله إذ كانوا مؤمنين فهو طلب." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٧/٢٥
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦١/٢٦

٥٢٦. "وقرأ الجمهور فآزره. وقرأه ابن ذكوان عن ابن عامر فأزره بدون ألف بعد الهمزة والمعنى واحد.

ومعنى فاستغلظ غلظ غلظا شديدا في نوعه، فالسين والتاء للمبالغة مثل:

استجاب. والضميران المرفوعان في فاستغلظ واستوى عائدان إلى الزرع.

والسوق: جمع ساق **على غير قياس** لأن ساقا ليس بوصف وهو اسم على زنة فعل بفتحتين. وقراءة الجميع على سوقه بالواو بعد الضمة. وقال ابن عطية: قرأ ابن كثير سوقه بالهمزة أي همزة ساكنة بعد السين المضمومة وهي لغة ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة ومنه قول الشاعر (رحمه الله١) :

لحب المؤقدان إلي مؤسى وتنسب لقنبل عن ابن كثير ولم يذكرها المفسرون ولم يذكرها في «حرز الأماني» وذكرها النوري في كتاب «غيث النفع» وكلامه غير واضح في صحة نسبة هذه القراءة إلى قنبل.

وساق الزرع والشجرة: الأصل الذي تخرج فيه السنبل والأغصان. ومعنى هذا التمثيل تشبيه حال بده المسلمين ونمائهم حتى كثروا وذلك يتضمن تشبيه بدء دين الإسلام ضعيفا وتقويه يوما فيوما حتى استحكم أمره وتغلب على أعدائه. وهذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه بأن يشبه محمد صلى الله عليه وسلم بالزارع

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) هو جرير، وتمام البيت:

وجعدة إذا أضاءهما الوقود وتقدم عند قوله تعالى: وبالآخرة هم يوقنون في سورة البقرة [٤] . والبيت من قصيدة في مدح هشام بن عبد الملك.." (١)

٥٢٧. "الإلحاق مثل نض الثوب بمعنى نضى أو مشتقة من عباب الماء فالتضعيف في الباء أصلي) .

وفي رواية ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عمر «طاف رسول الله يوم فتح مكة ثم خطبهم في بطن المسيل فذكر الحديث وزاد فيه أن الله يقول: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى إلى إن الله عليم خبير.

وجملة إن أكرمكم عند الله أتقاكم مستأنفة استئنافا ابتدائيا وإنما أخرت في النظم عن جملة إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، لتكون تلك الجملة السابقة كالتوطئة لهذه وتتنزل منها منزلة المقدمة لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد وأم واحدة كان الشأن أن لا يفضل بعضهم بعضا إلا بالكمال النفساني وهو الكمال الذي يرضاه الله لهم والذي جعل التقوى وسيلته ولذلك ناط التفاضل في الكرم ب عند الله إذ لا اعتداد بكرم لا يعبأ الله به.

والمراد بالأكرم: الأنفس والأشرف، كما تقدم بيانه في قوله: إني ألقي إلي كتاب كريم في سورة النمل [٢٩] .

والأتقى: الأفضل في التقوى وهو اسم تفضيل صيغ من اتقى **على غير قياس**.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/٢٠٩

وجملة إن الله عليم خبير تعليل لمضمون إن أكرمكم عند الله أتقاكم أي إنما كان أكرمكم أتقاكم لأن الله عليم بالكرامة الحق وأنتم جعلتم المكارم فيما دون ذلك من البطش وإفناء الأموال في غير وجه وغير ذلك الكرامة التي هي التقوى خبير بمقدار حظوظ الناس من التقوى فهي عنده حظوظ الكرامة فلذلك الأكرم هو الأتقى، وهذا كقوله: فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى [النجم: ٣٢] أي هو أعلم بمراتبكم في التقوى، أي التي هي التزكية الحق. ومن هذا الباب قوله: الله أعلم حيث يجعل رسالاته [الأنعام: ١٢٤] .

علم أن قوله: إن أكرمكم عند الله أتقاكم لا ينافي أن تكون للناس مكارم أخرى في المرتبة الثانية بعد التقوى مما شأنه أن يكون له أثر تزكية في النفوس مثل حسن التربية ونقاء النسب والعرافة في العلم والحضارة وحسن السمعة في الأمم وفي." (١)

٥٢٨. "لأنها تلوح للأنظار دون تكلف لم يؤت في لفت أنظارهم إلى دلالتها باستفهام إنكاري تنزيلا لهم منزلة من نظر في أحوال الأرض فلم يكونوا بحاجة إلى إعادة الأخبار بأحوال الأرض تذكيرا لهم.

وانتصب الأرض ب مددناها على طريقة الاشتغال.

والمد: البسط، أي بسطنا الأرض فلم تكن مجموع نتوءات إذ لو كانت كذلك لكان المشي عليها مرهقا.

والمراد: بسط سطح الأرض وليس المراد وصف حجم الأرض لأن ذلك لا تدركه المشاهدة ولم ينظر فيه المخاطبون نظر التأمل فيستدل عليهم بما لا يعلمونه فلا يعتبر في سياق الاستدلال على القدرة على خلق الأمور العظيمة، ولا في سياق الامتنان بما في ذلك الدليل من نعمة فلا علاقة لهذه الآية بقضية كروية الأرض.

والإبقاء: تمثيل لتكوين أجسام بارزة على الأرض متباعد بعضها عن بعض لأن حقيقة الإلقاء: رمي شيء من اليد إلى الأرض، وهذا استدلال بخلقة الجبال كقوله:

وإلى الجبال كيف نصبت [الغاشية: ١٩] وفيها ظرف مستقر وصف ل رواسي قدم على موصوفه فصار حالا، ويجوز أن يكون ظرفا لغوا متعلقا ب ألقينا.

ورواسي: جمع راس على غير قياس مثل: فوارس وعواذل. والرسو: الثبات والقرار.

وفائدة هذا الوصف زيادة التنبيه إلى بديع خلق الله إذ جعل الجبال متداخلة مع الأرض ولم تكن موضوعة عليها وضعا كما توضع الخيمة لأنها لو كانت كذلك لتزلزلت وسقطت وأهلكت ما حواليها. وقد قال في سورة الأنبياء [٣١] وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم أي دفع أن تميد هي، أي الجبال بكم، أي ملصقة بكم في ميدها.

وهنالك وجه آخر مضى في سورة الأنبياء.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦٢/٢٦

والزوج: النوع من الحيوان والثمار والنبات، وتقدم في قوله تعالى: فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى في سورة طه." (١)

٥٢٩. "ويجوز أن يكون توعدون من الوعد، أي الإخبار بشيء يقع في المستقبل مثل قوله: إن وعد الله حق [لقمان: ٣٣] فوزنه تفعلون. والمراد بالوعد الوعد بالبعث.

ووصف لصادق مجاز عقلي إذ الصادق هو الموعد به على نحو فهو في عيشة راضية [الجاثية: ٢١] .

والدين: الجزاء. والمراد إثبات البعث الذي أنكروه.

ومعنى لواقع واقع في المستقبل بقرينة جعله مرتبا في الذكر على ما يوعدون وإنما يكون حصول الموعود به في الزمن المستقبل وفي ذكر الجزاء زيادة على الكناية به عن إثبات البعث تعريض بالوعيد على إنكار البعث.

وكتب في المصاحف إنما متصلة وهو **على غير قياس** الرسم المصطلح عليه من بعد لأنهما كلمتان لم تصيرا كلمة واحدة، بخلاف إنما التي هي للقصر. ولم يكن الرسم في زمن كتابة المصاحف في أيام الخليفة عثمان قد بلغ تمام ضبطه.

[٧- ٩]

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٧ إلى ٩]

والسماء ذات الحبك (٧) إنكم لفي قول مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩)

هذا قسم أيضا لتحقيق اضطراب أقوالهم في الطعن في الدين وهو كالتذييل للذي قبله، لأن ما قبله خاص بإثبات الجزاء. وهذا يعم إبطال أقوالهم الضالة فالقسم لتأكيد المقسم عليه لأنهم غير شاعرين بحالهم المقسم على وقوعه، ومتهالكون على الاستزادة منه، فهم منكرون لما في أقوالهم من اختلاف واضطراب جاهلون به جهلا مركبا والجهل المركب إنكار للعلم الصحيح. والقول في القسم ب السماء كالقول في القسم ب الذاريات [الذاريات: ١] .

ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه في وصف السماء بأنها ذات حبك، أي طرائق لأن المقسم عليه: إن قولهم مختلف طرائق قددا ولذلك وصف المقسم به ليكون إيماء إلى نوع جواب القسم.." (٢)

٥٣٠. "فيوقف عليه بالتاء ويكون مصروفا لأن تاء لات مثل باء باب، وأصله: مناوة بالتحريك وقد يمد فيقال:

منآة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. وقياس الوقف عليه أن يوقف عليه بالهاء، وبعضهم يقف

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/٢٨٨

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/٣٤٠

عليه بالتاء تبعا لخط المصحف، وكان صخرة وقد عبده جمهور العرب وكان موضعه في المشلل حذو قديد بين مكة والمدينة، وكان الأوس والخزرج يطوفون حوله في الحج عوضا عن الصفا والمروة فلما حج المسلمون وسعوا بين الصفا والمروة تحرج الأنصار من السعي لأنهم كانوا يسعون بين الصفا والمروة فنزل فيهم قوله تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما كما تقدم عن حديث عائشة في «الموطإ» في سورة البقرة [١٥٨] .

وقرأ الجمهور ومناة بتاء بعد الألف. وقرأه ابن كثير بهمزة بعد الألف على إحدى اللغتين. والجمهور يقفون عليه بالتاء تبعا لرسم المصحف فتكون التاء حرفا من الكلمة غير علامة تأنيث فهي مثل تاء اللات ويجعلون رسمها في المصحف على غير قياس.

ووصفها بالثالثة لأنها ثالثة في الذكر وهو صفة كاشفة، ووصفها بالأخرى أيضا صفة كاشفة لأن كونها ثالثة في الذكر غير المذكورتين قبلها معلوم للسامع، فالحاصل من الصفتين تأكيد ذكرها لأن اللات والعزى عند قريش وعند جمهور العرب أشهر من مناة لبعد مكان مناة عن بلادهم ولأن ترتيب مواقع بيوت هذه الأصنام كذلك، فاللات في أعلى تهامة بالطائف، والعزى في وسطها بنخلة بين مكة والطائف، ومناة بالمشلل بين مكة

والمدينة فهي ثالثة البقاع.

وقال ابن عطية: كانت مناة أعظم هذه الأوثان قدرا وأكثرها عابدا ولذلك قال تعالى: الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين.

والأحسن أن قوله: الثالثة الأخرى جرى على أسلوب العرب إذا أخبروا عن متعدد وكان فيه من يظن أنه غير داخل في الخبر لعظمة أو تباعد عن التلبس بمثل ما تلبس به نظراؤه أن يختموا الخبر فيقولوا: «وفلان هو الآخر» ووجهه هنا أن عباد مناة كثيرون في قبائل العرب فنبه على أن كثرة عبدتها لا يزيدها قوة على بقية الأصنام في مقام إبطال إلهيتها وكل ذلك جار مجرى التهكم والتسفيه.." [١]

٥٣١. "[سورة الواقعة (٥٦) : الآيات ٢٧ إلى ٣٤]

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩) وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١)

وفاكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤)

عود إلى نشر ما وقع لفه في قوله: وكنتم أزواجا ثلاثة [الواقعة: ٧] كما تقدم عند قوله: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة [الواقعة: ٨] .

وعبر عنهم هنا ب أصحاب اليمين وهنالك ب أصحاب الميمنة للتفنن.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠٥/٢٧

فجملة وأصحاب اليمين عطف على جملة أولئك المقربون [الواقعة: ٨] عطف القصة عل القصة.
وجملة ما أصحاب اليمين خبر عن أصحاب اليمين بإبهام يفيد التنويه بهم كما تقدم في قوله: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة [الواقعة: ٨] . وأتبع هذا الإبهام بما يبين بعضه بقوله: في سدر مخضود إلخ.
والسدر: شجر من شجر العضاه ذو ورق عريض مدور وهو صنفان: عبري بضم العين وسكون الموحدة وياء نسب نسبة إلى العبر بكسر العين وسكون الموحدة على غير قياس وهو عبر النهي، أي ضفته، له شوك ضعيف في غصونه لا يضير.
والصنف الثاني الضال (بضاد ساقطة ولام مخففة) وهو ذو شوك. وأجود السدر الذي ينبت على الماء وهو يشبه شجر العناب، وورقه كورق العناب وورقه يجعل غسولا ينظف به، يخرج مع الماء رغوة كالصابون.
وثمر هذا الصنف هو النبق- بفتح النون وكسر الموحدة وقاف- يشبه ثمر العناب إلا أنه أصفر مز (بالزاي) يفوح الفم ويفوح الثياب ويتفكه به، وأما الضال وهو السدر البري الذي لا ينبت على الماء فلا يصلح ورقه للغسول وثمره عفص لا يسوغ في الحلق ولا ينتفع به ويخبط الرعاة ورقه للراعية، وأجود ثمر السدر ثمر سدر هجر أشد نبق حلاوة
وأطيبه رائحة.." (١)

٥٣٢. "فالعلم المنفي في قوله: في ما لا تعلمون
[الواقعة: ٦١] ، هو العلم التفصيلي، والعلم المثبت في قوله: ولقد علمتم النشأة الأولى هو العلم الإجمالي، والإجمالي كاف في الدلالة على التفصيلي إذ لا أثر للتفصيل في الاعتقاد.
وفي المقابلة بين قوله: في ما لا تعلمون
[الواقعة: ٦١] بقوله: ولقد علمتم محسن الطباق.
ولما كان علمهم بالنشأة الأولى كافيا لهم في إبطال إحالتهم النشأة الثانية رتب عليه من التوبيخ ما لم يرتب مثله على قوله: وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون [الواقعة: ٦٠، ٦١] فقال: فلولا تذكرون، أي هلا تذكرتم بذلك فأمسكتم عن الجحد، وهذا تجهيل لهم في تركهم قياس الأشباه على أشباهها، ومثله قوله آنفا: نحن خلقناكم فلولا تصدقون [الواقعة: ٥٧] .
وجيء بالمضارع في قوله: تذكرون للتنبيه على أن باب التذكر مفتوح فإن فاتهم التذكر فيما مضى فليتداركوه الآن.
وقرأ الجمهور النشأة بسكون الشين تليها همزة مفتوحة مصدر نشأ على وزن المرة وهي مرة للجنس.
وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وحده بفتح الشين بعدها ألف تليها همزة، وهو مصدر على وزن الفعالة على

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩٨/٢٧

غير قياس، وقد تقدم في سورة العنكبوت.
[٦٣، ٦٤]

[سورة الواقعة (٥٦) : الآيات ٦٣ إلى ٦٤]
أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٤)
انتقال إلى دليل آخر على إمكان البعث وصلاحية قدرة الله له بضرب آخر من ضروب الإنشاء بعد العدم.
فالفاء لتفريع ما بعدها على جملة: نحن خلقناكم فلولا تصدقون [الواقعة: ٥٧] كما فرع عليه قوله: أفرأيتم ما تمنون [الواقعة: ٥٨] ليكون الغرض من هذه الجمل متحدا وهو الاستدلال على إمكان البعث، فقصد تكرير الاستدلال وتعداده بإعادة جملة." (١)

٥٣٣. "آخر رسل إسرائيل وبين عيسى فإن آخر رسل إسرائيل كان يونس بن متى أرسل إلى أهل نينوى أول القرن الثامن قبل المسيح فلذلك لم يكن عيسى مرسلا على آثار من قبله من الرسل.
والإنجيل: هو الوحي الذي أنزله الله على عيسى وكتبه الحواريون في أثناء ذكر سيرته.
والإنجيل: بكسر الهمزة وفتحها معرب تقدم بيانه أول سورة آل عمران. ومعنى جعل الرأفة والرحمة في قلوب الذين اتبعوه أن تعاليم الإنجيل الذي آتاه الله عيسى أمرتهم بالتخلق بالرأفة والرحمة فعملوا بها، أو أن ارتياضهم بسيرة عيسى عليه السلام أرسخ ذلك في قلوبهم وذلك بجعل الله تعالى لأنه أمرهم به ويسره عليهم.
ذلك أن عيسى بعث لتهذيب نفوس اليهود واقتلاع القسوة من قلوبهم التي تخلقوا بها في أجيال طويلة قال تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة في سورة البقرة [٧٤] .
والرأفة: الرحمة المتعلقة بدفع الأذى والضر فهي رحمة خاصة، وتقدمت في قوله
تعالى: إن الله بالناس لرؤف رحيم في سورة البقرة [١٤٣] وفي قوله: ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله في سورة النور [٢] .
والرحمة: العطف والملاينة، وتقدمت في أول سورة الفاتحة.
فعطف الرحمة على الرأفة من عطف العام على الخاص لاستيعاب أنواعه بعد أن اهتم ببعضها.
والرهبانية: اسم للحالة التي يكون الراهب متصفا بها في غالب شؤون دينه، والياء فيها ياء النسبة إلى

---
(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٩/٢٧

الراهب **على غير قياس** لأن قياس النسب إلى الراهب الراهبية، والنون فيها مزيدة للمبالغة في النسبة كما زيدت في قولهم: شعراني، لكثير الشعر، ولحياني لعظيم اللحية، وروحاني، ونصراني.." (١)

٥٣٤. "القيد، أي لا يجتمعون على قتالكم اجتماع الجيوش، أي لا يهاجمونكم ولكن يقاتلون قتال دفاع في قراهم.

واستثناء إلا في قرى على الوجه الأول في جميعا استثناء حقيقي من عموم الأحوال، أي لا يقاتلونكم كلهم في حال من الأحوال إلا في حال الكون في قرى محصنة

إلخ. وهو على الوجه الثاني في جميعا استثناء منقطع لأن القتال في القرى ووراء الجدر ليس من أحوال قتال الجيوش المتساندين.

وعلى كلا الاحتمالين فالكلام يفيد أنهم لا يقاتلون إلا متفرقين كل فريق في قريتهم، وإلا خائفين متترسين.

والمعنى: لا يهاجمونكم، وإن هاجمتموهم لا يبرزون إليكم ولكنهم يدافعونكم في قرى محصنة أو يقاتلونكم من وراء جدر، أي في الحصون والمعاقل ومن وراء الأسوار، وهذا كناية عن مصيرهم إلى الهزيمة إذ ما حورب قوم في عقر دارهم إلا ذلوا كما قال علي رضي الله عنه: وهذا إطلاع لهم على تطمين للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ودخائل الأعداء.

و «الجدر» بضمتين في قراءة الجمهور جمع جدار. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو جدار على الإفراد، والمراد الجنس تساوي الجمع.

ومحصنة ممنوعة ممن يريد أخذها بأسوار أو خنادق.

وقرى بالقصر جمع قرية، ووزنه وقصره **على غير قياس** لأن ما كان على زنة فعلة معتل اللام مثل قرية يجمع على فعال بكسر الفاء ممدودا مثل: ركوة وركاء، وشكوة وشكاء. ولم يسمع القصر إلا في كوة بفتح الكاف لغة وكوى، وقرية وقرى ولذلك قال الفراء: قرى شاذ، يريد خارج عن القياس.

بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون استئناف بياني لأن الإخبار عن أهل الكتاب وأنصارهم بأنهم لا يقاتلون." (٢)

٥٣٥. "[سورة التحريم (٦٦) : آية ٦]

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)

كانت موعظة نساء النبيء صلى الله عليه وسلم مناسبة لتنبيه المؤمنين لعدم الغفلة عن موعظة أنفسهم

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٢١/٢٧

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠٥/٢٨

وموعظة أهليهم وأن لا يصدهم استبقاء الود بينهم عن إسداء النصح لهم وإن كان في ذلك بعض الأذى.

وهذا نداء ثان موجه إلى المؤمنين بعد استيفاء المقصود من النداء الأول نداء النبيء صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك [التحريم: ١] .

وجه الخطاب إلى المؤمنين ليأتنسوا بالنبيء صلى الله عليه وسلم في موعظة أهليهم.

وعبر عن الموعظة والتحذير بالوقاية من النار على سبيل المجاز لأن الموعظة سبب في تجنب ما يفضي إلى عذاب النار أو على سبيل الاستعارة بتشبيه الموعظة بالوقاية من النار على وجه المبالغة في الموعظة.

وتنكير «نارا» للتعظيم وأجري عليها وصف بجملة وقودها الناس والحجارة زيادة في التحذير لئلا يكونوا من وقود النار. وتذكيرا بحال المشركين الذي في قوله تعالى:

إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم في سورة الأنبياء [٩٨] . وتفظيعا للنار إذ يكون الحجر عوضا لها عن الحطب.

ووصفت النار بهذه الجملة لأن مضمون هذه الجملة قد تقرر في علم المسلمين من قبل نزول هذه الآية بما تقدم في سورة البقرة [٢٤] من قوله تعالى: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وبما تقدمهما معا من قوله: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم في سورة الأنبياء [٩٨] .

والحجارة: جمع الحجر **على غير قياس** فإن قياسه أحجار فجمعوه على حجار بوزن فعال وألحقوا به هاء التأنيث كما قالوا: بكارة جمع بكر، ومهارة جمع مهر.

وزيد في تهويل النار بأن عليها ملائكة غلاظا شدادا وجملة عليها ملائكة إلى آخرها صفة ثانية.." (١)

٥٣٦. "وباتصال (كل) بحرف (ما) المصدرية الظرفية اكتسب التركيب معنى الشرط وشابه أدوات الشرط في الاحتياج إلى جملتين مرتبة إحداهما على الأخرى.

وجيء بفعلي ألقي وسألهم ماضيين لأن أكثر ما يقع الفعل بعد كلما أن يكون بصيغة المضي لأنها لما شابهت الشرط استوى الماضي والمضارع معها لظهور أنه للزمن المستقبل فأوثر فعل المضي لأنه أخف.

والفوج: الجماعة أي جماعة ممن حق عليهم الخلود، وتقدم عند قوله تعالى:

ويوم نحشر من كل أمة فوجا في سورة النمل [٨٣] .

وجيء بالضمائر العائدة إلى الفوج ضمائر جمع في قوله: سألهم إلخ. لتأويل الفوج بجماعة أفراده كما في قوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا [الحجرات: ٩] .

وخزنة النار: الملائكة الموكل إليهم أمر جهنم وهو جمع خازن للموكل بالحفظ وأصل الخازن: الذي يخزن

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٦٥/٢٨

شيئا، أي يحفظه في مكان حصين، فإطلاقه على الموكلين مجاز مرسل.

وجملة ألم يأتكم نذير بيان لجملة سألهم كقوله: فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد [طه: ١٢٠] .

والاستفهام في ألم يأتكم نذير للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة.

والنذير: المنذر، أي رسول منذر بعقاب الله وهو مصوغ **على غير قياس** كما صيغ بمعنى المسمع السميع في قول عمرو بن معد يكرب:

أمن رياحنة الداعي السميع والمراد أفواج أهل النار من جميع الأمم التي أرسلت إليهم الرسل فتكون جملة: كلما ألقي فيها فوج إلخ بمعنى التذييل.

وجملة: قالوا بلى قد جاءنا نذير معترضة بين كلام خزنة جهنم اعتراضا يشير إلى أن الفوج قاطع كلام الخزنة بتعجيل الاعتراف بما وبخوهم عليه وذلك من شدة الخوف.

وفصلت الجملة لوجهين لأنها اعتراض، ولوقوعها في سياق المحاورة كما تقدم غير مرة كقوله تعالى: قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها في سورة البقرة [٣٠] . وكان." (١)

٥٣٧. "والسؤال مستعمل في معنيي الاستفهام عن شيء والدعاء، على أن استفهامهم مستعمل في التهكم والتعجيز. ويجوز أن يكون سأل سائل بمعنى استعجل وألح.

وقرأ الجمهور سأل بإظهار الهمزة. وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر سأل بتخفيف الهمزة ألفا. قال في «الكشاف» : وهي لغة قريش وهو يريد أن قريشا قد يخففون المهموز في مقام الثقل وليس ذلك قياسا في لغتهم بل لغتهم تحقيق الهمز ولذلك قال سيبويه: وليس ذا بقياس متلئب (أي مطرد مستقيم) وإنما يحفظ عن العرب قال: ويكون قياسا متلئبا، إذا اضطر الشاعر، قال الفرزدق:

راحت بمسلمة البغال عشية ... فارعي فزازة لا هناك المرتع

يريد لا هنأك بالهمز. وقال حسان:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

يريد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إباحة الزنا. وقال القرشي زيد بن عمرو بن نفيل (يذكر زوجيه) :

سألتاني الطلاق أن رأتاني ... قل مالي قد جيتماني بنكر

فهؤلاء ليس لغتهم سال ولا يسال وبلغنا أن سلت تسال لغة اهـ. فجعل إبدال الهمز ألفا للضرورة مطردا ولغير الضرورة يسمع ولا يقاس عليه فتكون قراءة التخفيف سماعا. وذكر الطيبي عن أبي علي في الحجة: أن من قرأ سأل غير مهموز جعل الألف منقلبة عن الواو التي هي عين الكلمة مثل: قال وخاف.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/٢٥

وحكى أبو عثمان عن أبي زيد أنه سمع من يقول: هما متساولان. وقال في «الكشاف» : يقولون (أي أهل الحجاز) :

سلت تسال وهما يتسايلان، أي فهو أجوف يائي مثل هاب يهاب. وكل هذه تلتقي في أن نطق أهل الحجاز سأل غير مهموز سماعي، وليس بقياس عندهم وأنه إما تخفيف للهمزة **على غير قياس** مطرد وهو رأي سيبويه، وإما لغة لهم في هذا الفعل وأفعال أخرى جاء هذا الفعل أجوف واويا كما هو رأي أبي علي أو أجوف يائيا كما هو رأي الزمخشري. وبذلك يندحض تردد أبي حيان جعل الزمخشري قراءة سأل لغة أهل الحجاز إذ قد يكون لبعض القبائل لغتان في فعل واحد.." [١]

٥٣٨. "والتعريف في اليمين والشمال تعريف الجنس أو الألف واللام عوض عن المضاف إليه.

والمقصود من ذكر اليمين والشمال: الإحاطة بالجهات فاكتفي بذكر اليمين والشمال، لأنهما الجهتان اللتان يغلب حلولهما، ومثله قول قطري بن الفجاءة:

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرة وأمامي

يريد: من كل جهة.

وعزين حال من الذين كفروا. وعزين: جمع عزة بتخفيف الزاي، وهي الفرقة من الناس، اسم بوزن فعلة. وأصله عزوة بوزن كسوة، وليست بوزن عدة. وجرى جمع عزة على الإلحاق بجمع المذكر السالم **على غير قياس** وهو من باب سنة من كل اسم ثلاثي حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر مثل عضة (للقطعة) .

وهذا التركيب في قوله تعالى: فمال الذين كفروا قبلك مهطعين إلى قوله جنة نعيم يجوز أن يكون استعارة تمثيلية شبه حالهم في إسراعهم إلى النبيء صلى الله عليه وسلم بحال من يظن بهم الاجتماع لطلب الهدى والتحصيل على المغفرة ليدخلوا الجنة لأن الشأن أن لا يلتف حول النبيء صلى الله عليه وسلم إلا طالبوا الاهتداء بهديه.

والاستفهام على هذا مستعمل في أصل معناه لأن التمثيلية تجري في مجموع الكلام مع بقاء كلماته على حقائقها.

ويجوز أن يكون الكلام استفهاما مستعملا في التعجيب من حال إسراعهم ثم تكذيبهم واستهزائهم.

وجملة أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بدل اشتمال عن جملة فمال الذين كفروا قبلك مهطعين الآية، لأن التفافهم حول النبيء صلى الله عليه وسلم شأنه أن يكون لطلب الهدى والنجاة

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥٤/٢٩

فشبه حالهم بحال طالبي النجاة والهدى فأورد استفهام عليه.
وحكى المفسرون أن المشركين قالوا مستهزئين: نحن ندخل الجنة قبل المسلمين، فجاز أن يكون الاستفهام إنكارا لتظاهرهم بالطمع في الجنة بحمل استهزائهم على خلاف مرادهم على طريقة الأسلوب الحكيم، أو بالتعبير بفعل." (١)

٥٣٩. "المستقبلة من إدبار الليل بعد نزول الآية، على وزان إذا أسفر في قراءة الجميع، وكل ذلك مستقيم فقد حصل في قراءة نافع وموافقيه تفنن في القسم.
والكبر: جمع الكبرى في نوعها، جمعوه هذا الجمع **على غير قياس** بابه لأن فعلى حقها أن تجمع جمع سلامة على كبريات، وأما بنية فعل فإنها جمع تكسير لفعلة كغرفة وغرف، لكنهم حملوا المؤنث بالألف على المؤنث بالهاء لأنهم تأولوه بمنزلة اسم للمصيبة العظيمة ولم يعتبروه الخصلة الموصوفة بالكبر، أي أنثى الأكبر فلذلك جعلوا ألف التأنيث التي فيه بمنزلة هاء التأنيث فجمعوه كجمع المؤنث بالهاء من وزن فعلة ولم يفعلوا ذلك في أخواته مثل عظمى.
وانتصب نذيرا على الحال من ضمير إنها، أي إنها لعظمى العظائم في حال إنذارها للبشر وكفى بها نذيرا.
والنذير: المنذر، وأصله وصف بالمصدر لأن نذيرا جاء في المصادر كما جاء النكير، والمصدر إذا وصف به أو أخبر به يلزم الإفراد والتذكير، وقد كثر الوصف ب (النذير) حتى صار بمنزلة الاسم للمنذر.
وقوله: لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بدل مفصل من مجمل من قوله للبشر، وأعيد حرف الجر مع البدل للتأكيد كقوله تعالى: قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم [الأعراف: ٧٥] ، وقوله: إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم [التكوير: ٢٧، ٢٨] وقوله تعالى: تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا [المائدة: ١١٤] . والمعنى: إنها نذير لمن شاء أن يتقدم إلى الإيمان والخير لينتذر بها، ولمن شاء أن يتأخر عن الإيمان والخير فلا يرعوي بنذارتها لأن التقدم مشي إلى جهة الأمام فكأن المخاطب يمشي إلى جهة الداعي إلى الإيمان وهو كناية عن قبول ما يدعو
إليه، وبعكسه التأخر، فحذف متعلق يتقدم ويتأخر لظهوره من السياق.
ويجوز أن يقدر: لمن شاء أن يتقدم إليها، أي إلى سقر بالإقدام على الأعمال التي تقدمه إليها، أو يتأخر عنها بتجنب ما من شأنه أن يقربه منها.
وتعليق نذيرا بفعل المشيئة إنذار لمن لا يتذكر بأن عدم تذكره ناشىء عن عدم مشيئته فتبعته عليه لتفريطه

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧٧/٢٩

على نحو قول المثل «يداك أوكتا وفوك نفخ» ، وقد تقدم في سورة المزمل [١٩] قوله: إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا." (١)

٥٤٠. "و (سلسبيل) : وصف قيل مشتق من السلاسة وهي السهولة واللين فيقال: ماء سلسل، أي عذب بارد. قيل: زيدت فيه الباء والياء (أي زيدتا في أصل الوضع **على غير قياس**) .

قال التبريزي في «شرح الحماسة» في قول البعيث بن حريث:

خيال لأم السلسبيل ودونها ... مسيرة شهر للبريد المذبذب

قال أبو العلاء: السلسبيل الماء السهل المساغ. وعندي أن هذا الوصف ركب من مادتي السلاسة والسبالة، يقال: سبلت السماء، إذا أمطرت، فسبيل فعيل بمعنى مفعول، ركب من كلمتي السلاسة والسبيل لإرادة سهولة شربه ووفرة جريه. وهذا من الاشتقاق الأكبر وليس باشتقاق تصريفي.

فهذا وصف من لغة العرب عند محققي أهل اللغة. وقال ابن الأعرابي: لم أسمع هذه اللفظة إلا في القرآن، فهو عنده من مبتكرات القرآن الجارية على أساليب الكلام العربي، وفي «حاشية الهمذاني على الكشاف» نسبة بيت البعث المذكور آنفا مع بيتين بعده إلى أمية بن أبي الصلت وهو عزو غريب لم يقله غيره.

ومعنى تسمى على هذا الوجه، أنها توصف بهذا الوصف حتى صار كالعلم لها كما قال تعالى: ليسمون الملائكة تسمية الأنثى [النجم: ٢٧] أي يصفونهم بأنهم إناث، ومنه قوله تعالى: هل تعلم له سميا [مريم: ٦٥] أي لا مثيل له. فليس المراد أنه علم.

ومن المفسرين من جعل التسمية على ظاهرها وجعل سلسبيلا علما على هذه العين، وهو أنسب بقوله تعالى: تسمى. وعلى قول ابن الأعرابي والجمهور: لا

إشكال في تنوين سلسبيلا. وأما الجواليقي: إنه أعجمي سمي به، يكون تنوينه للمزاوجة مثل تنوين سلاسلا [الإنسان: ٤] .

وهذا الوصف ينحل في السمع إلى كلمتين: سل، سبيلا، أي اطلب طريقا. وقد فسره بذلك بعض المفسرين وذكر أنه جعل علما لهذه العين من قبيل العلم المنقول عن جملة مثل: تأبط شرا، وذرى حبا. وفي «الكشاف» أن هذا تكلف وابتداع.." (٢)

٥٤١. "جعلت مقالتهم مقتضية أن عيسى أمرهم بأن يكونوا عبادا له دون الله، والمعنى أن لآمر بأن يكون الناس عبادا له هو آمر بانصرافهم عن عبادة الله. ولكن كونوا ربانيين أي ولكن يقول كونوا ربانيين أي كونوا منسوبين للرب، وهو الله تعالى، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٢٣/٢٩

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٩٦/٢٩

بالمنسوب إليه.

ومعنى ذلك أن يكونوا مخلصين لله دون غيره.

والرباني نسبة إلى الرب على غير قياس كما يقال اللحياني لعظيم اللحية، والشعراني لكثير الشعر.

وقوله: بما كنتم تعلمون الكتاب أي لأن علمكم الكتاب من شأنه أن يصدكم عن إشراك العبادة، فإن فائدة العلم العمل.

وقرأ الجمهور: بما كنتم تعلمون- بفتح المثناة الفوقية وسكون العين وفتح اللام- مضارع علم. وقرأه ابن عامر، وحمزة، وعاصم، والكسائي، وخلف: بضم ففتح فلام مشددة مكسورة مضارع علم المضاعف.

وتدرسون معناه تقرءون أي قراءة بإعادة وتكرير: لأن مادة درس في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يعمل في أمثاله، فمنه قولهم: درست الريح رسم الدار إذا عفته وأبلته، فهو دارس، يقال منزل دارس، والطريق الدارس العافي الذي لا يتبين. وثوب دارس خلق، وقالوا: درس الكتاب إذا قرأه بتمهل لحفظه، أو للتدبر،

وفي الحديث: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة

إلخ» رواه الترمذي فعطف التدارس على القراءة فعلم أن الدراسة أخص من القراءة. وسموا بيت قراءة اليهود مدراسا كما في الحديث: إن النبيء صلى الله عليه وسلم خرج

في طائفة من أصحابه حتى أتى مدراس اليهود فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلخ. ومادة درس تستلزم التمكن من المفعول فلذلك صار درس الكتاب مجازا في فهمه وإتقانه ولذلك عطف في هذه الآية وبما كنتم تدرسون على بما كنتم تعلمون الكتاب.." (١)

٥٤٢. "والمعاش: يطلق مصدر عاش إذا حيي، فالمعاش: الحياة ويطلق اسما لما به عيش الإنسان من طعام وشراب على غير قياس.

والمعنيان صالحان للآية إذ يكون المعنى: وجعلنا النهار حياة لكم، شبهت اليقظة فيه الحياة، أو يكون المعنى وجعلنا النهار معيشة لكم، والإخبار عنه بأنه معيشة مجاز أيضا بعلاقة السببية لأن النهار سبب للعمل الذي هو سبب لحصول المعيشة وذلك يقابل جعل الليل سباتا بمعنى الانقطاع عن العمل، قال تعالى: ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله [القصص: ٧٣] .

ففي مقابلة السبات بالمعاش على هذين الاعتبارين مطابقتان من المحسنات.

[١٢]

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/٢٩٥

[سورة النبإ (٧٨) : آية ١٢]

وبنينا فوقكم سبعا شدادا (١٢)

ناسب بعد ذكر الليل والنهار وهما من مظاهر الأفق المسمى سماء أن يتبع ذلك وما سبقه من خلق العالم السفلي بذكر خلق العوالم العلوية.

والبناء: جعل الجاعل أو صنع الصانع بيتا أو قصرا من حجارة وطين أو من أثواب، أو من أدم على وجه الأرض، وهو مصدر بنى، فبيت المدر مبني، والخيمة مبنية، والطراف والقبة من الأدم مبنيان. والبناء يستلزم الإعلاء على الأرض فليس الحفر بناء ولا نقر الصخور في الجبال بناء. قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

فذكر الدعائم وهي من أجزاء الخيمة.

واستعير فعل بنينا في هذه الآية لمعنى: خلقنا ما هو عال فوق الناس، لأن تكوينه عاليا يشبه البناء.

ولذلك كان قوله: فوقكم إيماء إلى وجه الشبه في إطلاق فعل بنينا وليس

ذلك تجريدا للاستعارة لأن الفوقية لا تختص بالمبنيات، مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار والنظر في تلك السبع الشداد.

والمراد بالسبع الشداد: السماوات، فهو من ذكر الصفة وحذف الموصوف." (١)

٥٤٣. "وقد ذكر في هذه الآيات اثنا عشر حدثا فستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة.

وكانت الجمل التي جعلت شروطا ل إذا في هذه الآية مفتتحة بالمسند إليه المخبر عنه بمسند فعلي دون كونها جملا فعلية ودون تقدير أفعال محذوفة تفسرها الأفعال المذكورة وذلك يؤيد قول نحاة الكوفة بجواز وقوع شرط إذا جملة غير فعلية وهو الراجع لأن إذا غير عريقة في الشرط. وهذا الأسلوب لقصد الاهتمام بذكر ما أسندت إليه الأفعال التي يغلب أن تكون شروطا ل إذا لأن الابتداء بها أدخل في التهويل والتشويق وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تقوي الحكم وتأكيده في جميع تلك الجمل ردا على إنكار منكريه فلذلك قيل: إذا الشمس كورت ولم يقل: إذا كورت الشمس، وهكذا نظائره.

وجواب الشروط الاثني عشر هو قوله: علمت نفس ما أحضرت وتتعلق به الظروف المشربة معنى الشرط.

وصيغة الماضي في الجمل الثنتي عشرة الواردة شروطا ل إذا مستعملة في معنى الاستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط.

وتكوير الشمس: فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل لاختلاله نظام

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/٣٠

سيرها، من قولهم: كور العمامة، إذا أدخل بعضها في بعض ولفها، وقريب من هذا الإطلاق إطلاق الطي في قوله تعالى: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب [الأنبياء: ١٠٤] .

وفسر كورت بمعنى غورت. رواه الطبري عن ابن جبير وقال: هي كلمة معربة عن الفارسية وأن أصلها بالفارسية كور بكر (بضم الكاف الأولى وسكون الراء الأخيرة) وعلى ذلك عدت هذه الكلمة مما وقع في القرآن من المعرب. وقد عدها ابن السبكي في نظمه الكلمات المعربة في القرآن.

وإذا زال ضوء الشمس انكدرت النجوم لأن معظمها يستنير من انعكاس نور الشمس عليها.

والانكدار: مطاوع كدره المضاعف **على غير قياس**، أي حصل للنجوم." (١)

٥٤٤. "مضمونها قسيما لمضمون شبيهها فتحصل مقابلة وعيد الفجار بوعد الأبرار ومن عادة القرآن تعقيب الإنذار بالتبشير والعكس لأن الناس راهب وراغب فالتعرض لنعيم الأبرار إدماج اقتضته المناسبة وإن كان المقام من أول السورة مقام إنذار.

ويكون المتكلم بالوعد والوعيد واحدا وجه كلامه للفجار الذين لا يظنون أنهم مبعوثون، وأعقبه بتوجيه كلام للأبرار الذين هم بضد ذلك، فتكون هذه الآيات معترضة متصلة بحرف الردع على أوضح الوجهين المتقدمين فيه.

ويجوز أن تكون من المحكي بالقول في: ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون [المطففين: ١٧] فتكون محكية بالقول المذكور متصلة بالجملة التي قبلها وبحرف الإبطال على أن يكون القائلون لهم: هذا الذي كنتم به تكذبون على وجه التوبيخ، أعقبوا توبيخهم بوصف نعيم المؤمنين بالبعث تنديما للذين أنكروه وتحسيرا لهم على ما أفاتوه من الخير.

والأبرار: جمع بر بفتح الباء، وهو الذي يعمل البر، وتقدم في السورة التي قبل هذه.

والقول في الكتاب ومظروفيته في عليين، كالقول في إن كتاب الفجار لفي سجين [المطففين: ٧] .

وعليون: جمع علي، وعلي على وزن فعيل من العلو، وهو زنة مبالغة في الوصف جاء على صورة جمع المذكر السالم وهو من الأسماء التي ألحقت بجمع المذكر السالم **على غير قياس**.

وعن الفراء أن عليين لا واحد له. يريد: أن عليين ليس جمع (علي) ولكنه علم على مكان الأبرار في الجنة إذ لم يسمع عن العرب (علي) وإنما قالوا: علية للغرفة، وعليون علم بالغلبة لمحلة الأبرار.

واشتق هذا الاسم من العلو، وهو علو اعتباري، أي رفعة في مراتب الشرف والفضل، وصيغ على صيغة جمع المذكر لأن أصل تلك الصيغة أن تجمع بها أسماء العقلاء وصفاتهم، فاستكمل له صيغة جمع العقلاء الذكور إتماما لشرف المعنى باستعارة العلو وشرف النوع بإعطائه صيغة التذكير.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤١/٣٠

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠٣/٣٠

٥٤٥. "والإشارة بكلمة هذا إلى مجموع قوله قد أفلح من تزكى إلى قوله وأبقى [الأعلى: ١٤- ١٧] فإن ما قبل ذلك من أول السورة إلى قوله: قد أفلح من تزكى [الأعلى: ١٤] ، ليس مما ثبت معناه في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

روى ابن مردويه والآجري عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى

[الأعلى: ١٤- ١٧] . ولم أقف على مرتبة هذا الحديث.

ومعنى الظرفية من قوله: لفي الصحف أن مماثله في المعنى مكتوب في الصحف الأولى، فأطلقت الصحف على ما هو مكتوب فيها على وجه المجاز المرسل كما في قوله تعالى: وقالوا ربنا عجل لنا قطنا [ص: ١٦] ، أي ما في قطنا وهو صك الأعمال.

والصحف: جمع صحيفة على غير قياس لأن قياس جمعه صحائف، ولكنه مع كونه غير مقيس هو الأفصح كما قالوا: سفن في جمع سفينة، ووجه جمع الصحف أن إبراهيم كانت له صحف وأن موسى كانت له صحف كثيرة وهي مجموع صحف أسفار التوراة.

وجاء نظم الكلام على أسلوب الإجمال والتفصيل ليكون لهذا الخبر مزيد تقرير في أذهان الناس فقوله: صحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف الأولى والأولى: وصف لصحف الذي هو جمع تكسير فله حكم التأنيث. والأولى صيغة تفضيل. واختلف في الحروف الأصلية للفظ أول فقيل: حروفه الأصول همزة فواو (مكررة) فلام ذكره في «للسان» فيكون وزن أول: أأول، فقلبت الهمزة الثانية واوا وأدغمت في الواو. وقيل: أصوله: واوان ولام وأن الهمزة التي في أوله مزيدة فوزن أول: أفعل وإدغام إحدى الواوين ظاهر.

وقيل: حروفه الأصلية واو وهمزة ولام فأصل أول أو أل بوزن أفعل قلبت الهمزة التي بعد الواو واوا وأدغما. والأولى: مؤنث أفعل من هذه المادة فإما أن نقول: أصلها أولى." (١)

٥٤٦. "والكسائي وأبو جعفر وخلف تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها مضارع حاض بعضهم بعضا، وأصله تتحاضون فحذفت إحدى التاءين اختصارا للتخفيف أي تتمالؤون على ترك الحض على الإطعام.

والتراث: المال الموروث، أي الذي يخلفه الرجل بعد موته لوارثه وأصله:

وراث بواو في أوله بوزن فعال من مادة ورث بمعنى مفعول مثل الدقاق، والحطام، أبدلت واوه تاء على

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩١/٣٠

غير قياس كما فعلوا في تجاه، وتخمة، وتهمة، وتقاة وأشباهها.

والأكل: مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعا لا يبقي منه شيئا. وأحسب أن هذه الاستعارة من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثلها في كلام العرب.

وتعريف التراث عوض عن المضاف إليه، أي تراث اليتامى وكذلك كان أهل الجاهلية يمنعون النساء والصبيان من أموال مورثيهم.

وأشعر قوله: تأكلون بأن المراد التراث الذي لا حق لهم فيه، ومنه يظهر وجه إيثار لفظ التراث دون أن يقال: وتأكلون المال لأن التراث مال مات صاحبه وأكله يقتضي أن يستحق ذلك المال عاجز عن الذب عن ماله لصغر أو أنوثة.

واللم: الجمع، ووصف الأكل به وصف بالمصدر للمبالغة، أي أكلا جامعا مال الوارثين إلى مال الآكل كقوله تعالى: ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم [النساء: ٢] .

والجم: الكثير، يقال: جم الماء في الحوض، إذا كثر، وبئر جموم بفتح الجيم:

كثيرة الماء، أي حبا كثيرا، ووصف الحب بالكثرة مراد به الشدة لأن الحب معنى من المعاني النفسية لا يوصف بالكثرة التي هي وفرة عدد أفراد الجنس.

فالجم مستعار لمعنى القوي الشديد، أي حبا مفرطا، وذلك محل ذم حب المال، لأن إفراد حبه يوقع في الحرص على اكتسابه بالوسائل غير الحق كالغصب والاختلاس

والسرقة وأكل الأمانات." (١)

٥٤٧. "ابن عرفة عنه في «تفسيره» وذكر الفخر ذلك في «مفاتيح الغيب» ولا بد من المزج بين كلاميه.

وحاصلهما قوله: قل هو الله أحد فيه ثلاثة أسماء لله تعالى تنبيها على ثلاثة مقامات.

الأول: مقام السابقين المقربين الناظرين إلى حقائق الأشياء من حيث هي هي، فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لأنه هو الذي لأجله يجب وجوده فما سوى الله عندهم معدوم، فقوله: هو إشارة مطلقة. ولما كان المشار إليه معينا انصرف ذلك المطلق إلى ذلك المعين فكان قوله: هو إشارة من هؤلاء المقربين إلى الله فلم يفتقروا في تلك الإشارة إلى مميز فكانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء.

المقام الثاني: مقام أصحاب اليمين المقتصدين فهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الممكنات موجودة فحصلت كثرة في الموجودات فلم تكن لفظة هو تامة الإفادة في

حقهم فافتقروا معها إلى مميز فقيل لأجلهم هو الله والمقام الثالث: مقام أصحاب الشمال وهم الذين يجوزون تعدد الإله فقرن لفظ أحد بقوله: هو الله إبطالا لمقالتهم اهـ.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/٣٣٤

فاسمه تعالى العلم ابتدئ به قبل إجراء الأخبار عليه ليكون ذلك طريق استحضار صفاته كلها عند التخاطب بين المسلمين وعند المحاجة بينهم وبين المشركين، فإن هذا الاسم معروف عند جميع العرب فمسماه لا نزاع في وجوده ولكنهم كانوا يصفونه بصفات تنزه عنها.

أما أحد فاسم بمعنى (واحد) . وأصل همزته الواو، فيقال: وحد كما يقال:

أحد، قلبت الواو همزة **على غير قياس** لأنها مفتوحة (بخلاف قلب واو وجوه) ومعناه منفرد، قال النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجليل على مستأنس وحد

أي كأني وضعت الرجل على ثور وحش أحس بإنسي وهو منفرد عن قطيعه.

وهو صفة مشبهة مثل حسن، يقال: وحد مثل كرم، ووحد مثل فرح.." (١)

٥٤٨. "فيكون بينه وبين الهدى عموم وخصوص مطلق، فالنور أعم، والعطف لأجل تلك المغايرة بالعموم.

والمراد بالنبيين فيجوز أنهم أنبياء بني إسرائيل، موسى والأنبياء الذين جاءوا من بعده. فالمراد بالذين أسلموا الذين كان شرعهم الخاص بهم كشرع الإسلام سواء، لأنهم كانوا مخصوصين بأحكام غير أحكام عموم أمتهم بل هي مماثلة للإسلام، وهي الحنيفية الحق، إذ لا شك أن الأنبياء كانوا على أكمل حال من العبادة والمعاملة، ألا ترى أن الخمر ما كانت محرمة في شريعة قبل الإسلام ومع ذلك ما شربها الأنبياء قط، بل حرمتها التوراة على كاهن بني إسرائيل فما ظنك بالنبيء. ولعل هذا هو المراد من وصية إبراهيم لبنيه بقوله: فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون [البقرة: ١٣٢] كما تقدم هنالك. وقد قال يوسف- عليه السلام- في دعائه: توفني مسلما وألحقني بالصالحين [يوسف: ١٠١] . والمقصود من الوصف بقوله: الذين أسلموا على هذا الوجه الإشارة إلى شرف الإسلام وفضله إذ كان دين الأنبياء. ويجوز أن يراد بالنبيئين محمد صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بصيغة الجمع تعظيما له.

واللام في قوله: للذين هادوا للأجل وليست لتعدية فعل يحكم إذ الحكم في الحقيقة لهم وعليهم. والذين هادوا هم اليهود، وهو اسم يرادف معنى الإسرائيليين، إلا أن أصله يختص ببني يهوذا منهم، فغلب عليهم من بعد، كما قدمناه عند قوله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين الآية في سورة البقرة [٦٢] .

والربانيون جمع رباني، وهو العالم المنسوب إلى الرب، أي إلى الله تعالى. فعلى هذا يكون الرباني نسبا للرب **على غير قياس**، كما قالوا: شعراني لكثير الشعر، ولحياني لعظيم اللحية. وقيل: الرباني العالم المربي، وهو الذي يبتدىء." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٦١٣/٣٠

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠٨/٦

٥٤٩. "وجود (من) كالعدم، وقد قال الحريري في «المقامة النحوية» (ما منصوب على الظرف لا يخفضه سوى حرف: «فهي هنا زائدة ويجوز اعتبارها ابتدائية.

والأيمان جمع يمين، واليمين هنا جانب من جسم الإنسان يكون من جهة القطب الجنوبي إذا استقبل المرء مشرق الشمس، تعارفه الناس، فشاعت معرفته ولا يشعرون بتطبيق الضابط الذي ذكرناه، فاليمين جهة يتعرف بها مواقع الأعضاء من البدن يقال العين اليمنى واليد اليمنى ونحو ذلك. وتتعرف بها مواقع من غيرها قال تعالى: قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين [الصافات: ٢٨] . وقال امرؤ القيس:

على قطن بالشيم أيمن صوبه لذلك قال أئمة اللغة سميت بلاد اليمن يمنا لأنه عن يمين الكعبة، فاعتبروا الكعبة كشخص مستقبل مشرق الشمس فالركن اليماني منها وهو زاوية الجدار الذي فيه الحجر الأسود باعتبار اليد اليمنى من الإنسان، ولا يدرى أصل اشتقاق كلمة (يمين) ، ولا أن اليمن أصل لها أو فرع عنها، والأيمان جمع قياسي.

والشمائل جمع شمال وهي الجهة التي تكون شمالا لمستقبل مشرق الشمس، وهو جمع **على غير قياس**.

وقوله: ولا تجد أكثرهم شاكرين زيادة في بيان قوة إضلاله بحيث لا يفلت من الوقوع في حبائله إلا القليل من الناس، وقد علم ذلك بعلم الحدس وترتيب المسببات.

وكني بنفي الشكر عن الكفر إذ لا واسطة بينهما كما قال تعالى: واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة: ١٥٢] ووجه هذه الكناية، إن كانت محكية كما صدرت من كلام إبليس، أنه أراد الأدب مع الله تعالى فلم يصرح بين يديه بكفر أتباعه المقتضي أنه يأمرهم بالكفر، وإن كانت من كلام الله." (١)

٥٥٠. "الحصول، لأنه مستقبل ولكن لا يخلو حالهم عن أحدهما.

وفصلت جملة قالوا لوقوعها في سياق المحاورة، كما تقدم غير مرة أي قال المخاطبون ب لم تعظون قوما إلخ.

والمعذرة- بفتح الميم وكسر الذال- مصدر ميمي لفعل (اعتذر) **على غير قياس**،

ومعنى اعتذر أظهر العذر- بضم العين وسكون الذال- والعذر السبب الذي تبطل به المؤاخذة بذنب أو تقصير، فهو بمنزلة الحجة التي يبديها المؤاخذ بذنب ليظهر أنه بريء مما نسب إليه، أو متأول فيه، ويقال: عذره إذا قبل عذره وتحقق براءته، ويعدى فعل الاعتذار بإلى لما فيه من معنى الإنهاء والإبلاغ.

وارتفع معذرة على أنه خبر لمبتدأ محذوف دل عليه قول السائلين لم تعظون والتقدير موعظتنا معذرة منا إلى الله.

وبالرفع قرأه الجمهور، وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على المفعول لأجله أي وعظناهم لأجل المعذرة.

وقوله: ولعلهم يتقون علة ثانية للاستمرار على الموعظة أي رجاء لتأثير الموعظة فيهم بتكرارها.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨-ب/٥٠

فالمعنى: أن صلحاء القوم كانوا فريقين. فريق منهم أيس من نجاح الموعظة وتحقق حلول الوعيد بالقوم، لتوغلهم في المعاصي، وفريق لم ينقطع رجاؤهم من حصول أثر الموعظة بزيادة التكرار، فأنكر الفريق الأول على الفريق الثاني استمرارهم على كلفة الموعظة. واعتذر الفريق الثاني بقولهم: معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فالفريق الأول أخذوا بالطرف الراجح الموجب للظن. والفريق الثاني أخذوا بالطرف المرجوح جمعيا بينه وبين الراجح لقصد الاحتياط، ليكون لهم عذرا عند الله إن سألهم لماذا أقلعتم عن الموعظة ولما عسى أن يحصل من تقوى الموعوظين بزيادة الموعظة، فاستعمال حرف الرجاء في موقعه، لأن الرجاء يقال على جنسه بالتشكيك فمنه قوي ومنه ضعيف.

وضمير نسوا عائد إلى قوما والنسيان مستعمل في الإعراض المفضي إلى النسيان كما تقدم عند قوله تعالى: فلما نسوا ما ذكروا به في سورة الأنعام." (١)

٥٥١. "من الهول والفزع. وتكرير الزاي واللام إشعار بتكرير الإزعاج مرة بعد مرة. وقد ألمع ابن جني في كتاب الخصائص الى هذا الباب وسماه قوة اللفظ لقوة المعنى، كما ذكره ابن الأثير في كتاب المثل السائر.

وخلاصة ما قرراه أن اللفظ إذا كان على وزن ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر من الذي تضمنه، فاخشوشن تدل على زيادة الخشونة أكثر من خشن، واعذوذب الماء تدل على زيادة العذوبة أكثر من عذب، وسيأتي الكثير من الأمثلة في هذا الكتاب.

(حسبتم) حسبت زيدا قائما أحسبه من باب تعب، أي بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع، في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فانهم يكسرون سين المضارع مع كسر سين الماضي أيضا على غير قياس، حسبانا بالكسر، بمعنى ظننته. وحسبت المال حسبا من باب قتل، أي بفتح السين في الماضي وضمها في المضارع، أحصيته عددا وفي المصدر أيضا، وحسبانا بالضم.

الإعراب:

(أم) عاطفة منقطعة مقدرة ببل، وهمزة الاستفهام محذوفة، والمعنى: بل أحسبتم، والاستفهام للتوبيخ والإنكار (حسبتم) فعل وفاعل (أن تدخلوا) أن حرف مصدري ونصب وتدخلوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (الجنة) مفعول به على السعة، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي حسبتم (ولما) الواو حالية ولما حرف نفي جازم (يأتكم) فعل مضارع مجزوم بلما وعلامة جزمه حذف حرف العلة والكاف مفعول." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥٢/٩

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٣١٦/١

٥٥٢.	"يجوز فيها أن تكون خبرا للإنسان وهو الأرجح والمعنى بل الإنسان بصيرة على نفسه وعلى هذا يرد السؤال الآتي: لماذا أنث الخبر؟ وقد اختلف النحاة في الإجابة فقال بعضهم الهاء فيه ليست للتأنيث بل للمبالغة وقال الأخفش: هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل: المراد بالإنسان الجوارح فكأنه قال: بل جوارحه بصيرة أي شاهدة ويجوز أن تكون بصيرة مبتدأ مؤخرا وعلى نفسه خبرا مقدما والجملة خبر عن الإنسان وعلى هذا تكون بصيرة صفة لمحذوف أي عين بصيرة أو جوارح والتاء على هذا الوجه للتأنيث وإلى هذا ذهب الزمخشري فقال: «بصيرة: حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: فلما جاءتهم آياتنا مبصرة، أو لأعين بصيرة» ويجوز أن يكون على نفسه خبرا وبصيرة فاعل به والأصل في الإخبار الإفراد والأوجه الثلاثة متساوية في القوة والأرجحية.

(ولو ألقى معاذيره)

الواو حالية من الفاعل المستكن في بصيرة ولو شرطية وألقى فعل ماض وهو فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ومعاذيره مفعول به وجواب الشرط محذوف أي ما ساغت وما قبلت والمعاذير جمع معذرة على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر، وللنحويين في هذا ونحوه قولان: أحدهما أنه جمع للملفوظ به وهو لقحة والثاني أنه جمع لغير بملفوظ به بل مقدر أي ملقحة ومذكار قال الزمخشري: «فإن قلت أليس قياس المعذرة أن يجمع على معاذر معاذير؟ قلت المعاذير ليست جمع معذرة بل اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر» وقال أبو حيان معقبا: «وليس هذا البناء من أبنية اسم الجموع وإنما هو من أبنية جمع التكسير فهو كمذاكير وملاميح والمفرد منهما لمحة وذكر ولم يذهب أحد إلى أنهما من أسماء الجموع وقيل هما جمع للمحة وذكر على غير قياس أو هما جمع لمفرد لم ينطق به وهو مذكار وملمحة» (لا تحرك به لسانك لتعجل." [1]

٥٥٣.	"[سورة المائدة (٥) : آية ١٠٣]

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣)

اللغة:

(بحيرة) : بفتح الباء وكسر الحاء، فعيلة بمعنى مفعولة، ولحقتها التاء على غير قياس، لأنها جردت من الوصفية وأصبحت بمعنى الجوامد. وقد اختلف أهل اللغة فيها اختلافا كثيرا، وأقوى الأقوال فيها أن أهل الجاهلية كانوا إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن، آخرها ذكر، شقوا أذنها وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعيي لم يركبها، وهي تختلف باختلاف عادات العرب.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٢٩٩/١٠

(سائبة) : كان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدا قال: هو سائبة. فهي اسم فاعل من ساب يسيب أي: سرح، كسيب الماء فهو مطاوع سيبته، يقال: سيبه فساب وانساب.

(وصيلة) وقد اختلفوا في معناها اختلافا شديدا لا يتسع له المقام، وأقرب ما قيل فيها أن الجاهلية كانوا إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم، فهي فعيلة بمعنى فاعلة، فتاؤها على القياس.

(حام) : اسم فاعل من حمى يحمي إذا منع، والخلاف شديد حولها فقد كانوا يقولون: إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قد حمى ظهره، فلا يركب، ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء، ولا مرعى. وكلها عادات لم يأمر الله بشيء منها، وما شرعها.." (١)

٥٥٤. "«البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث الى العشر وأسند ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: «وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين» وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب، والمشركون يميلون الى أهل فارس لأنهم أهل أوثان فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيغلبون سر المسلمون ثم ان أبا بكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم فقال أمية بن خلف خاطراني على ذلك فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع فقال ما بين الثلاثة الى العشرة فأخبره بخطاره مع ابن خلف فقال له: ما حملك على تقريب المدة؟ قال الثقة بالله ورسوله فقال له: عد إليهم فزدهم في الخطر وازدد في الأجل فزادهم قلوصين وزادوه سنتين فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقا لتقدير أبي بكر رضي الله عنه.

(سمان) : جمع سمينة ويجمع سمين أيضا عليه يقال رجال سمان كما يقال نساء سمان والسمن مصدر سمن يسمن فهو سمين فالمصدر والاسم جاءا **على غير قياس** إذ قياسهما سمنا بالفتح فهو سمن نحو فرح فرحا فهو فرح وفي المصباح: «سمن يسمن من باب تعب وفي لغة من باب قرب إذا كثر لحمه وشحمه ويتعدى بالهمزة وبالتضعيف» ومن المجاز كلام غث وسمين، وقد أسمنت القدر، ودار سمينة: كثيرة الأهل، وسمنوا لفلان: أعطوه عطاء كثيرا، وسمنت في الحمد أعطيت فيه الكثير، قال ابن مقبل:

تركت الخنا لست من أهله ... وسمنت في الحمد حتى سمن

وسمع أعرابي يقول لآخر: جعلت لك الدار بغير ثمن ليكون." (٢)

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٣١/٣

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٤٩٩/٤

٥٥٥. "أسمن لخطي عندك، وانقلب بلدهم سمنة وعسلة إذا كثرتا فيه وفي مثل «سمنكم هريق في أديمكم» أي ما لكم ينفق عليكم.

(عجاف) : جمع عجفاء على غير قياس والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض والقياس عجف نحو حمراء وحمر.

(رءياي) : فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا: الرؤيا مصدر رأى الحلمية والرؤية مصدر رأى العينية وغلطوا أبا الطيب في قوله:

مضى الليل والفضل الذي لك لم يمض ... ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

وقال أبو البقاء في شرحه لديوان المتنبي: «والرؤيا تستعمل في المنام خاصة ومنه قوله تعالى «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» و «لا تقصص رؤياك على إخوتك» و «إن كنتم للرؤيا تعبرون» و «قد صدقت الرؤيا» وهذا كله في المنام ولو قال «لقياك» لكان أحسن إلا أنه ذهب بالرؤيا الى الرؤية كقوله تعالى «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك» فإنه لم يرد بها رؤيا المنام وانما أريد اليقظة وكان ذلك ليلا في ليلة الاسراء» .

وقال أبو الفتح بن جني: «الرؤيا في المنام وأما في العين فلا أعرفها وإن جاءت فهي شاذة» .

وقال ابن هشام في أوضح المسالك: «ولا تختص الرؤيا بمصدر." (١)

٥٥٦. "اللغة:

(عمد) بفتحتين وقد اضطربت أقوال علماء اللغة فقال بعضهم هو جمع عماد على غير قياس والقياس أن يجمع على عمد بضم العين والميم وقيل إن عمدا جمع عماد في المعنى أي انه اسم جمع لا جمع صناعي والذي في القاموس والتاج: «العمود ما يقوم عليه البيت وغيره وقضيب الحديد وجمعه أعمدة وعمد وعمد» وقال بعضهم:

والعمد جمع عمود ولم يأت في كلام العرب على هذا الوزن إلا أحرف أربعة: أديم وأدم وعمود وعمد وأفيق وأفق وإهاب وأهب، وزاد الفراء خامسا: قضيم وقضم يعني الصكاك والجلود.

(صنوان) : الصنو بكسر الصاد وفتحها وضمها نخلة لها رأسان وأصلهما واحد والاثنان صنوان والجمع صنوان بكسر الصاد فيهما وفي المختار «إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو والاثنتان صنوان والجمع صنوان» أي فهو معرب وفي الأساس: «شجر صنوان: من أصل واحد وكل واحد صنو ومن المجاز: هو شقيقه وصنوه قال:

أتتركني وأنت أخي وصنوي ... فيا للناس للأمر العجيب

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٤/٥٠٠

وركيتان صنوان متقاربتان وتصغيره: صني قالت ليلى الاخيلية:

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا ... وكنت صنيا بين صدين مجهلا

أي ركيا مجهولا بين جبلين، وقال بعض اللغويين: «والصنو الفرع يجمعه وفرعا آخر أصل واحد والمثل» وفي الحديث «عم الرجل." (١)

٥٥٧. "اللغة:

(السحاب) : الغيم المنسحب في الهواء والسحاب اسم جنس واحده سحابة فلذلك وصف بالجمع وهو الثقال جمع ثقيلة، ويفهم من كلام صاحب القاموس انه جمع سحابة قال: والسحابة: الغيم والجمع سحاب وسحائب وسحب.

(المحال) : المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تحمل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث «ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا» وقال الأعشى:

فرع نبع يهش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل: فعال من المحل بمعنى القوة فالميم أصلية وقيل أصله مفعل من الحول أو الحيلة أعل **على غير قياس** وفي القاموس: «والمحال ككتاب الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة والمعاداة كالمماحلة والقوة والشدة والهلاك والإهلاك، ومحل به مثلث الحاء محلا ومحالا كاده بسعاية الى السلطان وماحله مماحلة ومحالا قاواه حتى يتبين أيهما أشد» وفي الأساس: وماحله كايده، وهو شديد المحال ورجل متماحل فاحش الطول وبلد متماحل: بعيد، قال يصف فرسا:

من المسبطرات الجياد طمرة ... لجوج هواها السبسب المتماحل." (٢)

٥٥٨. "وبجانبي واه كأن خفوقه ... لما تلفت جهشة المتباكي

د- المصير: وكما أن مصير النار بعد أن تفعل أفاعيلها وتبلغ غايتها الخمود والانطفاء فالرماد كذلك مصير الإنسان وناهيك بهذا المصير إيلاما للنفس وارتماضا للقلب فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به فتأمل هذا الفصل، فله على سائر الفصول الفضل.

هذا وقد أوجزنا القول في عدم إضافة الرأس بالاكتفاء بعلم المخاطب ولا بد من إيضاحه الآن فنقول أن للاستعارة مطلوبات ثلاثة:

المبالغة في التشبيه والظهور والإيجاز وكل استعارة تتناول واحدا من هذه المطلوبات أما هذه الاستعارة فقد تناولت المطلوبات الثلاثة بكاملها فإن الكلام أن يقال: شيب الرأس ولو جاء الكلام كذلك لأفاد

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٨١/٥

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٩٦/٥

الظهور فقط دون المبالغة واللفظ الأول يعطى عموم الشيب جميع نواحي الرأس كما انك إذا قلت: اشتعلت نار البيت صدق ذلك على اشتعال النار في بعض نواحيه دون بقيته بخلاف ما إذا قلت اشتعل البيت نارا فإن مفهوم ذلك اشتمال النار على كل البيت بجميع أجزائه فتنبه لهذا الفصل وإن طال بعض الطول فإنه كالحسن غير مملول.

هذا وقد اقتبس ابن دريد اشتعال الرأس شيبا فقال في مقصورته:

واشتعل المبيض في مسوده ... مثل اشتعال النار في جزل الغضا

هذا ولما كان الشيب عندهم عيبا قالوا: هو أشيب أي وصفا **على غير قياس** لأن الوصف على أفعل انما يكون من فعل كفرح وشرطه." (١)

٥٥٩. "فمتخوفا حال من أحد لأنه مسبوق بالنهي.

٨- أن يكون صاحبها مسبوقا باستفهام كقول أحد الطائيين:

يا صاح هل حم عيش باقيا فترى ... لنفسك العذر في إبعادها الأملا

فباقيا حال من عيش لكونه مسبوقا بالاستفهام بهل، وصاح منادى مرخم صاحب **على غير قياس** وحم بالحاء المهملة بمعنى قدر والإبعاد مصدر أبعد والأمل مفعوله.

هذا وقد يقع صاحب الحال نكرة بلا مسوغ كقولهم عليه مائة بيضا، فبيضا بلفظ الجمع حال من مائة وليس تمييزا خلافا للمبرد لأن تمييز المائة لا يكون جمعا منصوبا ولا مجرورا وهو من أمثلة سيبويه، وفي الحديث: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا ووراءه رجال قياما، فقياما حال من رجال وهو نكرة بلا مسوغ.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٩٩ الى ١٠٤]

كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا (٩٩) من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا (١٠١) يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (١٠٢) يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا (١٠٣)

نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما (١٠٤)." (٢)

٥٦٠. "بمعنى «على» في قوله «ونصرناه من القوم» ، وأو حرف عطف وما عطف على أزواجهم وجملة ملكت أيمانهم صلة وعبر بما دون «من» وان كان المقام لها لنقصهن لأنهن السراري والسرية: الأمة التي بوأتها بيتا وهي فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع أو الإخفاء لأن الإنسان كثيرا ما يسرها ويسترها

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٦١/٦

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٢٤٢/٦

عن حرته، وضمت السين لأن الأبنية قد تغير في النسب كما قالوا في النسب الى الدهر دهري والى الأرض السهلة سهلي بضم أولهما والجمع سراري وقال الأخفش هي مشتقة من السرور لأن الإنسان يسر بها، وعبارة المصباح: «والسرية فعلية قيل مأخوذة من السر بالكسر وهو النكاح فالضم **على غير قياس** فرقا بينها وبين الحرة إذا نكحت سرا فإنه يقال لها سرية بالكسر على القياس وقيل من السر بالضم بمعنى السرور لأن مالكها يسر بها فهو على القياس» .

(فإنهم غير ملومين) الجملة تعليل للاستثناء وان واسمها وغير ملومين خبرها. (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وابتغى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ووراء الظرف متعلق بمحذوف صفة وهذا المحذوف مفعول ابتغى أي ابتغى شيئا كائنا وراء ذلك ولك أن تجعل وراء بمعنى خلاف فتنصبه على أنه مفعول به وذلك مضاف اليه والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والعادون خبر أولئك أو هم ضمير فصل والعادون خبر والجملة خبر أولئك. (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وراعون خبره ولأماناتهم متعلقان براعون وعهدهم عطف على أماناتهم.

(والذين هم على صلواتهم يحافظون) تقدم اعرابها وهي عطف على ما تقدم. (أولئك هم الوارثون) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والوارثون خبر وقد تقدم انه يجوز اعراب هم مبتدأ ثانيا ولكن." (١)

٥٦١. "«الحواميم سور في القرآن **على غير قياس**» قال «والأولى أن تجمع بذوات حم» ويتلخص من هذا أن هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم فلها جموع ثلاثة خلافا للجوهري الذي أنكر الأول وقال الكميت يمدح آل البيت:

وجدنا لكم في آل حم آية ... تأولها منا تقي ومعرب

فهو بمعنى ذوات أي في السور المنسوبة إلى هذا اللفظ ومن المعلوم أن لفظ آل كما يطلق على الأهل يطلق بمعنى ذو فيذكر قبل ما لا يصح تثنيته وجمعه من الأسماء المركبة ونحوها كتأبط شرا، فإذا أرادوا تثنيته وجمعه وهو جملة لا يتأتى فيها ذلك ولم يعهد مثله في كلام العرب زادوا قبله لفظ آل أو ذو فقالوا: جاءني آل تأبط شرا أو ذو تأبط شرا أي الرجلان أو الرجال المسمون بذلك ومنه آل حم بمعنى الحواميم في قول الكميت الآنف الذكر.

(التوب) : في المختار: «التوب الرجوع عن الذنب وبابه قال وتوبة أيضا وقال الأخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة» .

(الطول) : الفضل والزيادة والانعام الواسع في الصحاح:

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٤٩٦/٦

«والطول بالفتح: المن يقال منه طال يطول من باب قال إذا امتن عليه» وقال الماوردي: «الفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب والتفضل إحسان غير مستحق» .

الإعراب:

(حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) تقدم القول في." [١]

٥٦٢. "مجرورا لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ ويومئذ الظرف متعلق بمحذوف حال وما لكم من نكير عطف على ما لكم من ملجإ، واختلف في معنى النكير فقيل هو بمعنى الإنكار كأنه مصدر أنكر **على غير قياس**، واكتفى في الأساس بقوله: «وشتم فلان فما كان عنده نكير» وجاء في القاموس ما يلي: «ونكر فلان الأمر كفرح نكرا محركة ونكرا ونكورا بضمهما ونكيرا» فأورده مصدرا لنكر وفي التهذيب «النكير اسم الإنكار الذي معناه التغير» ولذلك لفق الزمخشري المعنى من كل المعاني فقال:
«والنكير: الإنكار أي ما لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم» وقال الزجاج: «معناه أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها» (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) الفاء استئنافية وإن شرطية وأعرضوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والفاء رابطة وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به وعليهم متعلقان بحفيظا وحفيظا حال والمعنى وأرسلناك لتقسرهم على اتباع ما جئتهم، والأولى أن يكون جواب الشرط محذوفا والفاء عاطفة على الجواب المحذوف المقدر بما يناسب المقام أي فلا تبتئس ولا تحاول اقتسارهم (إن عليك إلا البلاغ) إن نافية وعليك خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر. قيل هذا منسوخ بآيات الأمر بالجهاد (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها) الواو عاطفة وإن واسمها وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أذقناه في محل جر بإضافة الظرف إليها والإنسان مفعول به ومنا حال لأنه كان في الأصل صفة لرحمة وتقدمت ورحمة مفعول به أي نعمة وجملة فرح بها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة الشرط خبر إن (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) عطف على ما تقدم وإن شرطية وتصبهم فعل الشرط والضمير يعود على الإنسان." [٢]

٥٦٣. "وقيل: هو أيضا مصدر، خرج عن الأصل، كالمطلع.

«آية جنتان» : جنتان، بدل من «آية» ، وهو اسم «كان» .

ويجوز أن يكون رفع «جنتان» ، على إضمار مبتدأ أي: هى جنتان، وتكون الجملة فى موضع نصب على التفسير.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٨/٤٥٥

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٩/٥٠

«بلدة» : رفع على إضمار مبتدأ أي: هذه بلدة.

وكذلك: «ورب غفور» أي: وهذا رب غفور.

١٦- فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل «ذواتى أكل خمط» : من أضاف «الأكل» ، إلى «الخمط» جعل «الأكل» : هو الثمر و «الخمط» : شجرا، فأضاف الثمر إلى شجره، كما تقول: هذا تمر نخل، وعنب كرم.

وقيل: لما لم يحسن أن يكون «الخمط» نعتا ل «الأكل» ، لأن «الخمط» أصل شجر بعينه، ولم يحسن أن يكون بدلا لأنه ليس هو الأول ولا هو بعضه، وكان الجنى والثمر من الشجر، أضيف على تقدير: «من» فى قولك: هذا ثوب خز.

فأما من نونه فإنه جعل «الخمط» عطف بيان على «الأكل» ، فبين أن «الأكل» لهذا الشجر الذي هو «الخمط» ، إذ لم يمكن أن يكون وصفا ولا بدلا، فبين به أكل أي شجر هو؟

١٧- ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور «ذلك جزيناهم» : ذلك، فى موضع نصب ب «جزينا» .

١٨- وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين «ليالى وأياما» : هما ظرفان للسير والليالى: جمع ليلة، وهو **على غير قياس**، كأن أصل واحده: ليلاة، فجمع على غير لفظ واحده مثل: ملاقح: جمع ملقحة وكذلك: مشابه: جمع مشبهة ولم يستعمل.

٢٠- ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين من خفف «صدق» نصب «ظنه» انتصاب الظرف، أي: فى ظنه.." (١)

٥٦٤. "٢٣- ... ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ...

أصل «أب» : أبو، على فعل، دليله قولهم: أبوان، فى التثنية، وحذفت الواو منه لكثرة الاستعمال، ولو جرى على أصول الاعتلال لقلت: أباك، فى الرفع والنصب والخفض، بمنزله: عصا، وعصاك.

وبعض العرب يفعل فيه ذلك، ولكن جرى **على غير قياس** الاعتدال فى أكثر اللغات، وحسن ذلك فيه لكثرة استعماله ولصرفه.

فأما «ابن» ، فالساقط فيه ياء، وأصله: بنى، مشتق من: «بنا يبنى» ، والعلة فيه كالعلة فى «أب» .

وقد قيل: إن الساقط منه «واو» ، لقولهم: البنوة، وهو غلط، لأن «البنوة» فى وزنها: الفعولة، وأصلها: البنوية، فأدغمت الياء فى الواو، وغلبت الواو للضمتين قبلها، ولو كانت ضمة واحدة لصرت إلى الكسر وغلبت «الياء» ، ولكن لو أتى ب «الياء» فى هذا لوجب تغيير ضمتين، فتستحيل الكلمة.

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٣٥٦/٤

- ٥٩- سورة الحشر

٦- ... فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ...

«ولا ركاب» ، يجوز فى الكلام: ولا ركابا، بالنصب، تعطفه على موضع «من خيل» ، لأن «من» زائدة، و «خيل» : مفعول به.

٧- ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء ...

«دولة» : خبر «كان» ، والفيء: اسمها تقديره: كيلا يكون الفيء دولة.

ومن قرأ «تكون» بالتاء، ورفع «دولة» جعلها اسم «كان» ، و «كان» بمعنى: وقع، ولا تحتاج إلى خبر، و «لا» ، فى القراءتين: غير زائدة.

٨- للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ...

«يبتغون» : فى موضع نصب، على الحال من «الفقراء» ، أو: الضمير فى «أخرجوا» .

٩- والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ...

«الذين» : فى موضع خفض، عطف على «الفقراء» ، و «يحبون» : فى موضع نصب، على الحال من «الذين» ، ومثله: ولا «يجدون» ، و «يؤثرون» أو فى موضع رفع على الابتداء، والخبر: «يحبون»." (١)

٥٦٥. "ولا يجوز أن تجعل «ما» والفعل مصدرا وتنصب «قليلا» بما بعد «ما» ، لأن فيه تقديم الصلة على الموصول، لأن ما عمل فيه المصدر فى صلة المصدر ابتداء، فلا يتقدم عليه.

٤٣- تنزيل من رب العالمين «تنزيل» : خبر ابتداء محذوف أي: هو تنزيل.

٤٧- فما منكم من أحد عنه حاجزين «حاجزين» : نعت ل «أحد» ، لأنه بمعنى الجماعة، فحمل على النعت على المعنى فجمع.

- ٧٠- سورة المعارج

١- سأل سائل بعذاب واقع من همز «سأل» ، احتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون من «السؤال» ، لكن أبدل من الهمزة ألفا، وهذا بدل **على غير قياس**، لكنه جائز، حكاه سيبويه وغيره.

والثاني: أن تكون الألف بدلا من واو، حكى سيبويه وغيره: سلت تسال، لغة، بمنزلة: خفت تخاف.

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٤/٤٤٦

والوجه الثالث: أن تكون الألف بدلا من ياء، من سال يسيل، بمنزلة: كال يكيل.

وأصل «سال» ، إذا كان من «السؤال» ، أن يتعدى إلى مفعولين، نحو قوله: «فلا تسئلن ما ليس» ١١: ٤٦، ويجوز أن تقتصر على واحد، كأعطيت، نحو قوله: «وسئلوا ما أنفقتم» ٦٠: ١ فإذا اقتصرت على واحد جاز أن يتعدى بحرف جر إلى ذلك الواحد، نحو قوله: «سأل سائل بعذاب واقع» تقديره: سأل سائل الشيء بعذاب، و «الباء» ، بمعنى: «عن» .

وإذا جعلت «سال» ، من «السيل» ، لم تكن «الباء» بمعنى «عن» ، وكانت على بابها، وأصلها للتعدى.

فأما الهمزة فى «سائل» فتحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون أصلية، من «السؤال» .." [1]

٥٦٦. "٩- فذلك يومئذ يوم عسير «ذلك» : مبتدأ، و «يومئذ» : بدل منه، و «يوم عسير» : خبر الابتداء، و «عسير» : نعت ل «يوم» ، وكذلك «غير يسير» : نعت ل «يوم» أيضا.

وقيل: «يومئذ» ، نصب على: «أعنى» .

١١- ذرني ومن خلقت وحيدا «من» : فى موضع نصب، على العطف على النون والياء من «ذرنى» ، أو: مفعول معه.

«وحيدا» : حال من الهاء المضمرة مع «خلقت» أي: خلقته.

١٢- وجعلت له مالا ممدودا «له» : فى موضع المفعول الثاني ل «جعلت» ، لأنها بمعنى: صيرت، يتعدى إلى مفعولين.

١٣- وبنين شهودا «بنين» : واحده: ابن، ولما حذفت ألف الوصل فى الجمع تحركت الياء، لأن الجمع يرد الشيء إلى أصله، وأصله «بنى» على «فعل» ، فلما جمع رد إلى أصله، فقالوا: بنين، فلما تحركت الياء، التي هى لام الفعل، وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، وحذفت لسكونها وسكون ياء الجمع بعدها، وكسر ما قبل الياء على أصل ياء الجمع، وكان حقها أن يبقى ما قبلها مفتوحا، ليدل على الألف الذاهبة، كما قالوا: مصطفين، لكن «ابن» أجرى فى علته فى الواحد **على غير قياس**، وكان حقه أن يكون بمنزلة: عصى، ورحى، وأن لا تدخله ألف وصل، ولا يسكن أوله، فلما خرج عن أصله فى الواحد خرج فى الجمع أيضا عن أصول العلل، لأن الجمع فرع بعد الواحد، وقد قالوا فى النسب إليه: بنوى، فرد إلى أصله، وأصل هذه الواو ألف منقلبة عن ياء، هى لام الفعل.

وقد أجاز سيبويه النسب إليه على لفظه، فأجاز: ابني.

٢٧- وما أدراك ما سقر قد تقدم القول فيه لأنه، مثل: «وما أدراك ما الحاقة» ٦٩: ٣ «سقر» ، لم

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٤/٤٦٦

تنصرف، لأنها معرفة مؤنث.

٢٨- لا تبقي ولا تذر حذفت الواو من «تذر» ، لأنه حمل على نظيره فى الاستعمال، والمعنى، وهو «يدع» ، لأنهما جميعا." (١)

٥٦٧. "شيئا:

وقرىء:

شيا، بالتشديد وامرأتان:

وقرىء:

بهمزة ساكنة **على غير قياس**، وهى قراءة شاذة.

أن:

قرىء:

١- بكسر الهمزة، وهى قراءة الأعمش، وحمزة، على جعلها حرف شرط و «فتذكر» بالتشديد ورفع الراء، جواب الشرط.

٢- بفتح الهمزة، وهى قراءة الباقين، وهى الناصبة، وتفتح راء «فتذكر» عطفا على «أن تضل» .

تضل:

وقرىء:

بضم التاء وفتح الضاد، مبنيا للمفعول، بمعنى: تنسى، وهى قراءة الجحدري.

فتذكر:

قرىء:

١- بتسكين الذال وتخفيف الكاف، وهى قراءة ابن كثير، وأبى عمرو.

٢- بفتح الذال وتشديد الكاف، وهى قراءة باقى السبعة.

٣- بتخفيف الكاف المكسورة، ورفع الراء أي: فهى تذكر، وهى قراءة حميد ابن عبد الرحمن، ومجاهد.

٤- فتذاكر، من المذاكرة، وهى قراءة زيد بن أسلم.

ولا تسأموا أن تكتبوه:

وقرىء:

ولا يسأموا أن يكتبوه، بالياء، وهى قراءة السلمى، ويكون الضمير الفاعل عائدا على «الشهداء» .." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٤/٤٧٧

(٢) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٥/١٢٤

٥٦٨. "٤١- (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) فيسقى:

١- فيسقى، من «سقى» ، وهى قراءة الجمهور.

وقرىء:

٢- فيسقى، من «أسقى» ، وهى قراءة فرقة.

٣- فيسقى، بضم الياء وفتح القاف، على البناء للمفعول، وهى قراءة عكرمة، والجحدري.

٤٥- (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) ادكر:

١- بدال مشددة، وأصله، ادتكر، أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال فيها فصار: ادكر، وهى قراءة الجمهور.

وقرىء:

٢- اذكر، بذال مشددة، بإبدال التاء ذالا وإدغام الذال فيها، وهى قراءة الحسن.

أمة:

وقرىء:

١- إمة، بكسر الهمزة أي: بعد نعمة أي بعد أن أنعم عليه بالنجاة من القتل، وهى قراءة الأشهب العقيلي.

٢- أمه، بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء، وهى قراءة ابن عباس، وزيد بن على، والضحاك، وقتادة، وأبى رجاء، وشبيل بن عزرة الضبعي، وربيعة بن عمرو.

٣- أمه، بفتح الهمزة وسكون الميم وهاء، مصدر «أمه» **على غير قياس**، وهى قراءة عكرمة، ومجاهد.

أنبئكم:

وقرىء:

آتيكم، من «الإتيان» ، وهى قراءة الحسن.

٤٧- (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون) دأبا قرىء:." (١)

٥٦٩. "٦- ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ونمكن:

١- بالنصب، عطفا على «نمن» ، الآية: ٥، وهى قراءة الجمهور.

قرئ:

٢- ولنمكن، بلام «كى» ، وهى قراءة الأعمش.

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ٥/٣٣٥

ونرى:

١- مضارع «أرينا» ، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- مضارع «رأى» ، ورفع ما بعده، وهى قراءة عبد الله، وحمزة، والكسائي.

٧- وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين أن أرضعيه:

وقرئ:

بكسر نون «أن» ، بعد حذف الهمزة، **على غير قياس**، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة، وهى الفتحة، إلى النون، كقراءة ورش.

٨- فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين حزنا:

١- بفتح الحاء والزاى، وهى لغة قريش، وبها قرأ الجمهور.

وقرئ:

٢- بضم الحاء وإسكان الزاى، وهى قراءة ابن وثاب، وطلحة، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وابن سعدان.

١٠- وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فؤاد:

وقرئ:

فواد، بالواو، وهى قراءة أحمد بن موسى.." (١)

٥٧٠. "الرعاء:

١- بكسر الراء، جمع تكسير، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بضم الراء، وهو اسم جمع.

٣- بفتح الراء، مصدر أقيم مقام الصفة، فاستوى فيه لفظ الواحد والجماعة، وهى قراءة عياش، عن أبي عمرو.

٢٥- فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فجاءته:

وقرئ:

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ١١٩/٦

بحذف الهمزة، تخفيفا، **على غير قياس**، وهى قراءة ابن محيصن.

٢٧- قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين أنكحك إحدى:

وقرئ:

بحذف الهمزة، وهى قراءة ورش، وأحمد بن موسى، عن أبي عمرو.

٢٨- قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل أيما:

وقرئ:

١- بحذف الياء الثانية، وهى قراءة الحسن، والعباس، عن أبي عمرو.

٢- أي الأجلين ما قضيت، زيادة «ما» بين «الأجلين» و «قضيت» وهى قراءة عبد الله.." (١)

٥٧١. "٥٦- إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وملائكته:

١- نصب، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- رفعا، عطفا على موضع اسم «إن» ، وهى قراءة ابن عباس، وعبد الوارث، عن أبي عمرو.

٦١- ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقتلوا:

١- بالتشديد، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بالتخفيف، فيكون «تقتيلا» مصدر، **على غير قياس**، وهى قراءة فرقة.

٦٦- يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا تقلب:

١- مبنيا للمفعول، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بفتح التاء، أي: تتقلب، وهى قراءة الحسن، وعيسى، وأبي جعفر الرؤاسي.

٣- تتقلب، بتاءين، وهى قراءة ابن أبي عبلة.

٦٧- وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا سادتنا:

١- جمعا، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

١- ساداتنا، على الجمع بالألف والتاء، وهو لا ينقاس، وهى قراءة الحسن، وأبي رجاء، وقتادة،

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ١٢٢/٦

والسلمى، وابن عامر.

٦٨- ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا كبيرا:

١- بالياء، وهى قراءة حذيفة بن اليمان، وابن عامر، وعاصم والأعرج، بخلاف عنه.." (١)

٥٧٢. "يريد الحق تبارك وتعالى أن يلفتنا إليه؟ نقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما هاجر إلى المدينة إنتقل من دار شرك إلى دار إيمان. . ومعنى دار إيمان أن هناك مؤمنين سبقوا. . فهناك من آمن من أهل المدينة. . لقد هاجر المسلمون قبل ذلك إلى الحبشة ولكنها كانت هجرة إلى دار أمن وليست دار إيمان. . ولكن حين حدثت بيعة العقبة وجاء جماعة من المدينة وعاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به. . أرسل معهم الرسول مصعب بن عمير ليعلمهم دينهم. . وجاءت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام على خميرة إيمانية موجودة. . لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أفسد على اليهود خطة حياتهم. . فاليهود كانوا ممثلين في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة. . وكان هناك في المدينة الأوس والخزرج. . وبينهما حروب دائمة قبل أن يأتي الإسلام. . فاليهود قسموا أنفسهم إلى قوم مع الأوس وقوم مع الخزرج حتى يضمنوا استمرار العداوة. . فكلما هدأ القتال أهاجوا أحد المعسكرين على الآخر ليعود القتال من جديد.

. وهم كذلك حتى الآن وهذه طبيعتهم.

إن الذي صنع الشيوعية يهودي، والذي صنع الرأسمالية يهودي. . والذي يحرك العداوة بين المعسكرين يهودي. . وكان بنو النضير وبنو قينقاع مع الخزرج وبنو قريظة مع الأوس. . فإذا إشتبك الأوس والخزرج كان مع كل منهم حلفاؤه من اليهود. عندما تنتهي المعركة ماذا كان يحدث؟ إن المأسورين من بني النضير وبني قينقاع يقوم بنو قريظة بالمساعدة في فك أسرهم. . مع أنهم هم المتسببون في هذا الأسر. . فإذا إنتصرت الأوس وأخذوا أسرى من الخرج ومن حلفائهم اليهود. . يأتي اليهود ويعملون على إطلاق سراح الأسرى اليهود. . لأن عندهم نصا أنه إذا وجد أسير من بني إسرائيل فلابد من فك أسره.

والحق سبحانه وتعالى يقول لهم إن أعمالكم في أن يحارب بعضكم بعضا وأن تسفكوا دماءكم. . لا تتفق مع الميثاق الذي أخذه الله عليكم بل هي مصالح دنيوية. . تقتلون أنفسكم والله نهاكم عن هذا: ﴿وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾ والله نهاكم عن هذا: ﴿تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ . . وهذا ما كان يحدث في المدينة في الحروب بين الأوس والخزرج كما بينا. . والأسارى جمع أسير وهي **على غير قياسها**، لأن القياس فيها أسرى. . ولذلك نرى في آية أخرى أنه يأتي قول الله." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري ١٦٠/٦

(٢) تفسير الشعراوي، الشعراوي ٤٣٧/١

٥٧٣. "صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» . وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء» «١» .

ثانيا: عدد آياتها: وهي سبع آيات لقوله- تعالى-: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم. قال العلماء: السبع المثاني هي الفاتحة.

وقال ابن كثير: هي سبع آيات بلا خلاف. وقال عمرو بن عبيد: هي ثماني آيات لأنه جعل إياك نعبد آية. وقال حسين الجعفي: هي ست آيات وهذان القولان شاذان» «٢» .

ثالثا: اسماؤها: لسورة الفاتحة أسماء كثيرة من أشهرها:

١- «الفاتحة أو فاتحة الكتاب، وسميت بذلك لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظا. وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطا، وتفتتح بها الصلوات، وإن لم تكن هي أول ما نزل من القرآن. وقد اشتهرت بهذا الاسم في أيام النبوة.

وقد أصبح هذا الاسم علما بالغلبة لتلك الطائفة من الآيات التي مبدؤها الحمد لله..

ونهايتها.. ولا الضالين.

٢- «أم القرآن أو الكتاب» وسميت بذلك لاشتمالها إجمالا على المقاصد التي ذكرت فيه تفصيلا، أو لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله بما هو أهله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء.

قال ابن جرير: «والعرب تسمى كل أمر جامع أما، وكل مقدم له توابع تتبعه «أما» فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: «أم الرأس» . وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها «أما» «٣» .

٣- «السبع المثاني» جمع مثنى كفعلى اسم مكان. أو مثنى- بالتشديد- من التثنية **على غير قياس**. وسميت بذلك لأنها سبع آيات في الصلاة، أى تكرر فيها أخرج الإمام أحمد، عن أبى هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم» «٤» .

٤- وتسمى- أيضا- سورة «الحمد» . ٥- و «الكنز» . ٦- و «الواقية» .

---

(١) تفسير القرطبي. ج ١ ص ١١٥ طبعة دار الكاتب العربي.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨ طبعه عيسى الحلبي.

(٣) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٠٧ طبعة دار المعارف. [.....]

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٩.." (١)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي، محمد سيد طنطاوي ١٢/١

٥٧٤. "قالوا: والإنجيل كلمة يونانية من النجل وهو الأصل، يقال: رحم الله ناجليه، أى: والديه، وقيل: الإنجيل مأخوذ من نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته. ويقال للماء الذي يخرج من البئر: نجل. وقيل هو من النجل الذي هو سعة العين، ومنه قولهم: طعنة نجلاء، أى: واسعة.

وسمى الإنجيل بهذا الاسم، لأنه سعة ونور وضياء، أنزله الله- تعالى- على نبيه عيسى، ليكون بشارة وهداية لقومه «١» .

وأعاد- سبحانه- مع عيسى- عليه السلام- كلمة وقفينا للإشعار بأن المسافة التي كانت بين عيسى- عليه السلام- وبين آخر رسول من بنى إسرائيل كانت مسافة طويلة.

ثم بين- سبحانه- بعض السمات التي كانت واضحة في أتباع عيسى فقال: وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله.

والرأفة: اللين وخفض الجناح، والرحمة. العطف والشفقة.

قالوا: وعطف الرحمة على الرأفة من باب عطف العام على الخاص، لأن الرأفة، رحمة خاصة، تتعلق بدفع الأذى والضر. أما الرحمة فهي أشمل وأعم، لأنها عطف وشفقة على كل من كان في حاجة إليها.

و «الرهبانية» معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان. وهم النصارى المبالغون في الرهبة والخوف من الله- تعالى- والزهد في متاع الحياة الدنيا.

قال بعض العلماء: والرهبانية: اسم للحالة التي يكون عليها الراهب متصفا بها في غالب شئون دينه، والياء فيها ياء النسبة إلى الراهب **على غير قياس**، لأن قياس النسب إلى الراهب: الراهبية، والنون فيها مزيدة للمبالغة في النسبة، كما زيدت في قولهم: شعرانى، لكثير الشعر، ولحياني لعظيم اللحية «٢» .

وقوله- تعالى-: ورهبانية ابتدعوها.. منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر.

أى: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، فهو من باب الاشتغال.

ويصح أن يكون معطوفا على قوله: رأفة ورحمة وقوله: ابتدعوها في موضع

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ١٧١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٧ ص ٢٤١ للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. - رحمه الله-.." [1]

٥٧٥. "الإعراب:

سأل سائل قرئ بالهمز على الأصل، وقرئ بترك الهمزة بإبدال الهمزة ألفا **على غير قياس**.

كان مقداره خمسين ألف سنة خمسين: خبر كان، وألف: منصوب على التمييز، وجملة كان مع اسمها وخبرها في موضع جر صفة يوم.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي، محمد سيد طنطاوي ١٤/٢٣١

ولا يسئل حميم حميما، يبصرونهم.. يسئل وحميم: فعل وفاعل، وحميما: مفعول به، وقرئ يسئل بالضم: فعل مبني للمجهول، تقديره: ولا يسأل حميم عن حميمه. ويبصرونهم: أي يبصر الحميم حميمه، وأراد بالحميم الجمع، والضمير المرفوع في يبصرونهم يعود على المؤمنين، والهاء والميم تعود على الكافرين. والمعنى: يبصر المؤمنون الكافرين يوم القيامة، أي ينظرون إليهم في النار.

إنها لظى، نزاعة للشوى لظى بالرفع: خبر «إن» ، ونزاعة: خبر ثان، أو لظى: خبر «إن» ، ونزاعة: بدل من لظى، أو أن هاء إنها ضمير القصة، ولظى: مبتدأ، ونزاعة: خبره، والجملة: خبر «إن» . ويصح كون لظى بالنصب بدلا من هاء إنها، ونزاعة بالرفع خبر «إن» . ونصب نزاعة على الحال المؤكدة، والعامل فيها معنى الجملة، مثل وهو الحق مصدقا [البقرة ٢/ ٩١] ، وتدعوا من أدبر: خبر ثالث، أو مستأنف.

البلاغة:

بعيدا وقريبا بينهما طباق.

سأل سائل جناس اشتقاق، وكذا بين المعارج وتعرج.

تعرج الملائكة والروح أي جبريل: عطف خاص على عام تنبيها على شرفه وفضله.

يوم تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن تشبيه مرسل مجمل، لحذف وجه الشبه.." (١)

٥٧٦. "المفر الفرار. كلا ردع عن طلب الفرار. لا وزر لا ملجأ يتحصن به.

المستقر

أي استقرار أمر الخلائق، فيحاسبون ويجازون. ينبؤا

يخبر. بما قدم وأخر

بما قدم من عمله وبما أخر منه، فلم يعلمه، أي أول عمله وآخره. بصيرة

حجة شاهدة ناطقة بعمله فلا بد من جزائه. ولو ألقى معاذيره

ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به وهو جمع معذرة **على غير قياس**، كالمناكير جمع منكر، فقياسه معاذر، وذلك أولى.

سبب النزول: نزول الآية (٣- ٤) :

أيحسب الإنسان..:

روي أن عدي بن ربيعة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) التفسير المنير للزحيلي، وهبة الزحيلي ١١١/٢٩

يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون أمره؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك، ولم أومن به، أو يجمع الله هذه العظام بعد بلاها؟! فنزلت.

وقيل: نزلت في أبي جهل كان يقول: أيزعم محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرقها، فيعيدها خلقا جديدا «١» ؟!

التفسير والبيان:

لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة أي أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوامة وهي التي تلوم صاحبها على تقصيره، لتبعثن، وقد حذف جواب القسم، لدلالة ما بعده عليه، وهو قوله تعالى: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه. وهي نفس المؤمن، تلوم على ما فات وتندم، فتلوم على الشر لم تعمله، وعلى الخير لماذا لم تستكثر منه.

والقسم بشيء لتعظيمه وتفخيمه، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وفي الإقسام بيوم القيامة على وقوع يوم القيامة مزيد تقرير وتأكيد لوقوعه، فإن

---

(١) البحر المحيط: ٨/ ٣٨٤- ٣٨٥، تفسير القرطبي: ١٩/ ٦٣." [١]

٥٧٧. "﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١١٤) ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم (١١٥) ﴾

شرح الكلمات:

﴿ومن أظلم﴾ : الاستفهام للإنكار والنفي، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقا.

﴿وسعى١ في خرابها﴾ : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو يمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن التعبد فيها إذ هذا من خرابها أيضا.

الخزي: الذل والهوان٢.

﴿فثم وجه الله﴾ : هناك الله تعالى إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقا أو غربا شمالا أو جنوبا وجد الله تعالى، إذ الكائنات كلها بين يديه وكيف لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها. ويقرر هذا قوله: ﴿إن الله واسع عليم﴾ ، إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء لأنه محيط بكل شيء.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي، وهبة الزحيلي ٢٥٣/٢٩

شرح الآيتين:

ففي الآية الأولى (١١٤) ينفي تعالى أن يكون هناك من هو أكثر ظلما ممن منع مساجد٣ الله تعالى أن يعبد الله تعالى فيها، لأن العبادة هي علة الحياة فمن منعها كان كمن أفسد

---

١ أصل السعي: المشي، ومنه السعي بين الصفا والمروة، وهو المشي بينهما ثم أطلق على التسبب مطلقا يقال: سعى فلان في مصلحتك وسعى فلان في الإفساد بين فلان وفلان.

٢ وقد نال صناديد قريش حيث أزلهم وأخزاهم يوم الفتح على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم.

٣ المساجد: جمع مسجد بكسر الجيم **على غير قياس** إذ فعل بالفتح، يفعل بالضم، الاسم منه كالمصدر مفعل بالفتح، ونظير المسجد المطلع والمشرق والمسكن والمرفق. والمسجد بالفتح: جبهة المرء وأعضاء سجوده السبعة.." (١)

٥٧٨. "طلحة الحجبي١، حيث كان مفتاح الكعبة عنده بوصفه سادنا٢، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه صبيحة يوم الفتح، فصلى في البيت ركعتين وخرج، فقال العباس رضي الله عنه أعطينيه يا رسول الله، ليجمع بين السقاية والسدانة، فانزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية على الناس، ودعا عثمان بن طلحة وأعطاه المفتاح. غير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا فالآية في كل أمانة فعلى كل مؤتمن على شيء أن يحفظه ويرعاه حتى يؤديه٣ إلى صاحبه، والآية تتناول حكام المسلمين أولا بقرينة ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ الذي هو القسط، وضد الجور ومعناه: إيصال الحقوق إلى مستحقيها من أفراد الرعايا. وقوله تعالى: ﴿إن الله نعما يعظكم٤ به﴾ يريد أن أمره تعالى أمة الإسلام حكاما ومحكومين بأداء الأمانات والحكم بالعدل هو شيء حسن، وهو كذلك إذ قوام الحياة الكريمة هو النهوض بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقوله تعالى: ﴿إن الله كان سميعا بصيرا﴾ فيه الحث على المأمور به بإيجاد ملكة مراقبة الله تعالى في النفس، فإن من ذكر أن الله تعالى يسمع أقواله ويبصر أعماله استقام في قوله فلم يكذب وفي عمله فلم يفرط. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٨) .

أما الآية الثانية (٥٩) ، فإن الله تعالى لما أمر ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانات التي هي حقوق الرعية، وبالحكم بينهم بالعدل أمر المؤمنين المولي عليهم بطاعته وطاعة رسوله أولا، ثم بطاعة ولاة الأمور ثانيا، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ، والطاعة لأولي الأمر مقيد بما كان معروفا للشرع، أما في غير المعروف فلا طاعة في الاختيار لحديث: "إنما الطاعة في المعروف، ولا

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ١٠٢/١

طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

وقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ فهو خطاب عام للولاة والرعية، فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك إلى كتاب الله٥ وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكما فيه وجب قبوله حلوا كان أو مرا، وقوله تعالى: ﴿إن كنتم تؤمنون

---

١ المؤتمن إذا لم يفرط وضاعت الأمانة منه فلا ضمان عليه إجماعا لقوله صلى الله عليه وسلم: " لا ضمان على مؤتمن" رواه الدارقطني. والعارية مؤداة أيضا. لحديث خطبة الوداع: "العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم" أي: ضامن.

٢ أصل: نعما: نعم وكتبت معها ما بعد كسر عين نعم وتسكين ميمها وإدغامها في ما: هي إما موصولة أو نكرة موصوفة أو نكرة تامة وأما الجملة بعد نعم فهي تجري حسب ما يناسب معنى "ما".

٣ الحجبي: نسبة إلى حجابة البيت على غير قياس.

٤ السادن: الخادم للبيت، وتسمى هذه المهنة: السدانة.

٥ وذلك يستلزم الرد إلى العلماء الفقهاء إذ هم الذين يعرفون الأحكام ويحسنون استنباطها من الكتاب والسنة.." (١)

٥٧٩. "معصية وتحذرهم من مغبة الاعتداء على شرع الله تعالى قالت ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا﴾ وهذا القول من هذه الطائفة دال على يأسهم من رجوع إخوانهم عن فسقهم وباطلهم، فأجابتهم الطائفة الواعظة ﴿معذرة١ إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾ أي وعظنا لهم هو معذرة لنا عند الله تعالى من جهة ومن جهة أخرى ﴿لعلهم يتقون﴾ فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء، قال تعالى ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ وخوفوا منه وهو تحريم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت، ومعنى نسوا تركوا ولم يلتفتوا إلى وعظ إخوانهم لهم وواصلوا اعتداءهم وفسقهم، قال تعالى ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهم الواعظون لهم من ملوا ويئسوا فتركوا وعظهم، وممن واصلوا نهيهم ووعظهم ﴿وأخذنا الذين ظلموا٢ بعذاب بئيس﴾ أي شديد البأس ﴿بما كانوا يفسقون﴾ عن طاعة الله ربهم، إذ قال تعالى لهم ﴿كونوا قردة خاسئين٣﴾ فكانوا قردة خاسئين ذليلين صاغرين حقيرين، ثم لم يلبثوا (مسخا) ٤ إلا ثلاثة أيام وماتوا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير الوحي والنبوة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذا القصص الذي يذكر لبني

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٤٩٧/١

إسرائيل لن يتم إلا عن طريق الوحي، وإلا فكيف علمه وذكر به اليهود أصحابه وأهله، وقد مضى عليه زمن طويل.

٢- إذا أنعم الله على أمة نعمة ثم أعرضت عن شكرها تعرضت للبلاء أولا ثم العذاب ثانيا.

٣- جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نجى الله تعالى الناهين عن المنكر وأهلك الذين باشروه ولم ينتهوا منه دون غيرهم.

---

١ المعذرة: مصدر ميمي فعله اعتذر **على غير قياس**، والعذر: السبب الذي تبطل به المؤاخذة بسبب ذنب أو تقصير.

٢ اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظونا قوما.. الخ نجت من العذاب أولا؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرى أنها لم تنج حتى أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها مع الفرقة الناهية، لأن ترك النهي من الفرقة التي لم تنه كان ليأسهم من استجابة الظالمين.

٣ يقال: خسأته فخسا أي، باعدته وطردته، وفي هذا دليل على أن المعاصي سبب النقم كما أن الطاعات سبب النعم.

٤ أي لم يلبثوا ممسوخين حتى هلكوا والعياذ بالله.." (١)

٥٨٠. "والآخرة قال تعالى ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ ١ أي في الدنيا بالانتصارات والغنائم وفي الآخرة بالجنة ونعيمها ورضوان الله فيها. وقال ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بالسلامة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب وفسر تعالى تلك الخيرات وذلك الفلاح بقوله في الآية (٨٩) فقال ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ وأخبر عما أعد لهم من ذلك النعيم المقيم بأنه الفوز فقال ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ . هذا ما دلت عليه الآيات الأربع أما الآية الخامسة (٩٠) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن منافقي الأعراب أي البادية، فقال تعالى ﴿وجاء المعذرون٢﴾ أي المعتذرون أدغمت التاء في الذال فصارت المعذرون من الأعراب أي من سكان البادية كأسد وغطفان ورهط عامر بن الطفيل جاءوا يطلبون الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف بدعوى الجهد والمخمصة، وقد يكونون معذورين حقا وقد لا يكونون كذلك. وقوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في دعوى الإيمان بالله ورسوله وما هم بمؤمنين بل هم كافرون منافقون، فلذا مال تعالى فيهم ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ في الدنيا وفي الآخرة، إن ماتوا على كفرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٢/٢٥٥

١- القرآن هو مصدر التشريع الإلهي الأول والسنة الثاني.

٢- مشروعية الاستئذان للحاجة الملحة.

٣- حرمة الاستئذان للتخلف عن الجهاد مع القدرة عليه.

٤- حرمة التخلف عن الجهاد بدون إذن من الإمام.

٥- فضل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

٦- بيان عظم الأجر وعظيم الجزاء لأهل الإيمان والجهاد.

---

١ الخيرات: جمع خير على غير قياس كسرادقات، وحمامات جمع سرادق وحمام.

٢ ﴿المعذرون﴾ هذا اللفظ صالح لأن يكون المراد به المعتذرون لعلل قامت بهم وصالح لأن يكون المراد به المعذرون وهم الذين لا عذر لهم ويعتذرون بغير حق موجب للعذر يقال: عذر فلان: إدا قصر في الواجب واعتذر بدون عذر قام به. وهذا من بلاغة القرآن، اللفظ الواحد منه يحتمل وجهين وكلاهما حق ومراد.." (١)

٥٨١. "من فضله: أي من فضل الله تعالى بالتجارة.

أن تميد بكم: أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها ويسقط.

لا تحصوها: أي عدا فتضبطوها فضلا عن شكرها للمنعم بها عز وجل.

ما تسرون وما تعلنون: من المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولا ثم اللفظ عام فالله يعلم كل سر وعلانية في أي أحد.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته تلك المظاهر الموجبة لتوحيده وعبادته وشكره وذكره قال تعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر﴾ وهو كل ماء غمر كثير عذبا كان أو ملحا وتسخيره تيسير الغوص فيه وجرى السفن عليه. وقوله ﴿لتأكلوا منه لحما١ طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ بيان لعلة تسخير البحر وهي ليصيد الناس منه السمك يأكلونه، ويستخرجون اللؤلؤ والمرجان حلية لنسائهم٢. وقوله: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ أي وترى أيها الناظر إلى البحر ترى السفن تمخر الماء أي تشقه ذاهبة وجائية. وقوله: ﴿ولتبتغوا﴾ أي سخر البحر والفلك لتطلبوا الرزق بالتجارة بنقل البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وذلك كله من فضل الله وقوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي كي تشكروا الله تعالى. أي سخر لكم ذلك لتحصلوا على الرزق من فضل الله فتأكلوا وتشكروا الله على ذلك والشكر يكون بحمد الله والاعتراف بنعمته وصرفها في مرضاته وقوله: ﴿وألقى في الأرض

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٢/٤١٠

رواسي٣﴾ أي ألقى في الأرض جبالا ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ كي لا تميد بكم، وميدانها ميلها وحركتها إذ لو كانت تتحرك لما استقام العيش عليها والحياة فيها. وقوله: ﴿وأنهارا﴾ أي وأجرى لكم أنهارا في الأرض كالنيل والفرات

---

١ قسم مالك اللحم ثلاثة أقسام وهي: لحم ذوات الأربع، ولحم ذوات الريش، ولحم ذوات الماء، ومنع بيع الجنس الواحد بجنسه متفاضلا أو نسيئة.

٢ الإجماع على جواز تختم الرجل بخاتم الفضة للأحاديث الثابتة وذلك منها حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله" ولذا جاز للقضاة وغيرهم أن ينقشوا أسماءهم على خواتمهم.

٣ في هذه الآية دليل على استعمال الأسباب إذ كان الله قادرا على سكونها دون الجبال، ومع هذا أرساها، وسكنها بالجبال تعليما لعباده للأخذ بالأسباب، و ﴿رواسي﴾ جمع راس، **على غير قياس**، كفوارس، وعواذل جمع فارس وعاذل.." (١)

٥٨٢. "بما تسعى: أي سعيها في الخير أو في الشر.

فتردى: أي تهلك.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (٨) كان قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تقريرا للتوحيد وإثباتا له وفي هذه الآية (٩) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان إخباره بأنه لا إله إلا هو أي لا معبود غيره وأمره بعبادته. فقال تعالى: ﴿وهل أتاك١﴾ أي يا نبينا ﴿حديث موسى٢ إذ رأى نارا﴾ ، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له نارا ﴿فقال لأهله﴾ أي زوجته ومن معها وقد ضلوا طريقهم لظلمة الليل، ﴿امكثوا﴾ أي ابقوا هنا فقد آنست نارا أي أبصرتها ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ فنوقد به نارا تصطلون بها أي تستدفئون بها، ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد حولها ما يهدينا طريقنا الذي ضللناه.

وقوله تعالى: ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة٣ تتلألؤ نورا ﴿نودي يا موسى﴾ أي ناداه ربه تعالى قائلا يا موسى ﴿إني٤ أنا ربك﴾ أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه. وقوله تعالى ﴿وأنا أخترتك﴾ أي لحمل رسالتي إلى من أرسلك إليهم. ﴿فاستمع لما يوحى٥﴾ أي إليك وهو: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ أي أنا الله المعبود بحق ولا معبود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي، ﴿وأقم الصلاة

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ١٠٥/٣

لذكري٦﴾ ، أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها. فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافرا لربه تعالى. وقوله ﴿إن الساعة آتية٧﴾ أي ان الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء

---

١ هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق هي كما في قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ أي قد أتى.

٢ الحديث: الخبر، ويجمع على غير قياس: أحاديث، وقيل: واحده أحدوثة واستغنوا به عن جمع فعلاء لأن فعيل يجمع على فعلاء. كرحيم ورحماء وسعيد وسعداء وهو اسم للكلام الذي يحكى به أمر قد حدث في الخارج.

٣ قيل: هي شجرة عناب.

٤ قرأ حمزة وحده، وانا اخترناك بضمير العظمة.

٥ في هذه الآية إشارة إلى أن التعارف بين المتلاقين حسن فقد عرفه تعالى بنفسه في أول لقاء معه، روى أنه وقف على حجر واستند على حجر ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره وهذه حالة الاستماع المطلوبة من صاحبها.

٦ استدل مالك على أن من نام عن صلاة أو نسيها فإنه يصليها مستدلا بقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي: لأول وقت ذكرك لها والسنة صريحة في هذا إذ قال صلى الله عليه وسلم "من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فلا كفارة لها إلا ذاك"

٧ الساعة علم بالغلبة على ساعة البعث والحساب.." (١)

٥٨٣. "وقوله تعالى: ﴿أليس (١) في جهنم مثوى للمتكبرين (٢) ﴾ أي بلى في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين الذين تكبروا عن الإيمان والعبادة. وقوله تعالى: ﴿وينجي الله﴾ أي تلك حال وهذه أخرى وهي أن الله تعالى ينجي يوم القيامة الذين اتقوا الشرك والمعاصي بالإيمان والطاعة هؤلاء بفوزهم بالجنة لا يمسهم السوء في عرصات القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لأن ما نالهم من نعيم الجنة أنساهم ما تركوا وراءهم وقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ أي ما من كائن سوى الله تعالى إلا وهو مخلوق والله خالقه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي قيم حافظ، فسبحانه ما أعظم قدرته وما أوسع علمه فلذا وجبت له العبادة ولم تجز فضلا عن أن تجب لسواه.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السماوات والأرض (٣) ﴾ أي له ملكا حقا مفاتيح خزائن الرحمات والخيرات والبركات فهو يفتح ما يشاء ويمسك ما يشاء فلا يصح الطلب إلا منه ولا تجوز الرغبة إلا فيه وما عبد

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٣/ ٣٤١

الناس الأوثان والأصنام إلا رغبة ورهبة فلو علموا أن رهبتهم لا تكون إلا من الذي يقدر على كل شيء وأن رغبتهم لا تكون إلا في الذي بيده كل شيء لو علموا هذا ما عبدوا غير الله تعالى بحال.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ الحاوية لإيمانه وصفاته وبيان محابه ومكارهه وحدوده وشرائعه ولذا من كفر بآيات الله فلم يؤمن بها ولم يعمل بما فيها خسر خسرانا مبينا بحيث يخسر يوم القيامة نفسه وأهله، وذلك هو الخسران المبين.

وقوله تعالى: ﴿قل أفغير الله﴾ الآية هذا رد على المشركين الذين طلبوا من الرسول أن يعترف بآلهتهم ويرضى بها مقابل أن يعترفوا له بما جاء به ويدعو إليه فأمر تعالى أن يفاصلهم بقوله: ﴿قل أفغير (٤) الله تأمروني (٥) أعبد أيها الجاهلون﴾ لن يكون هذا مني أبدا كيف أعبد غير الله وهو

---

١ – الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا والاستفهام للتقرير.

٢ – التكبر شدة الكبر وهو إظهار المرء التعاظم على غيره لأنه يعد نفسه عظيما وفي التنديد به من حديث مسلم "إن الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر"

٣ – المقاليد جمع إقليد وجمع **على غير قياس** والمراد مفاتيح خزائن السماء والأرض حيث أرزاق العباد وما به تقوم حياتهم، من أمطار وزروع وضروع ومعادن وغيرها.

٤ – غير منصوب بأعبد، وأعبد مرفوع لحذف أن مع حرف الجر إذ الأصل بأن أعبد فلما حذف الناصب ارتفع الفعل. هذا على رأي كثير من النحاة والجمهور يقولون لا حذف وأعبد هو المستفهم عنه، وتأمروني اعتراض أو حال وتقدير الكلام أأعبد غير الله لكونكم تأمروني بذلك.

٥ – قرأ نافع تأمرون بنون واحدة مخففة بحذف إحدى النونين، وقرأ حفص والجمهور تأمروني بتشديد النون إدغاما لإحدى النونين في الأخرى وفي جملة أيها الجاهلون تقريع لهم ووصف لهم بالجهل وهو وصف مذموم.." (١)

٥٨٤. "مثل ولا مثله شيء هو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو السميع لكل الأصوات العليم بكل الكائنات.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السماوات والأرض (١) ﴾ أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالى يبسط الرزق لمن يشاء امتحانا ويضيق ابتلاء، لأنه بكل شيء عليم فلا يطلب الرزق إلا منه، ولا يلجأ فيه إلا إليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٤/٥٠٤

١- وجوب رد ما اختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم (٢) فيه وهو الرد إلى الكتاب والسنة.

٢- وجوب التوكل عليه والإنابة إليه في كل الأمور.

٣- تنزيه الرب تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٤- وجوب الإيمان بأن الله هو الرزاق بيده مفاتيح خزائن الأرزاق فمن شاء وسع عليه، ومن شاء ضيق، وأنه يوسع لحكمة ويضيق لأخرى.

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)

١- المقاليد جمع إقليد أو مقلاد **على غير قياس** وهو المفتاح، والمقاليد للخزائن وهي ما أودع الله تعالى من أرزاق السموات والأرض لعباده، فلذا هو يبسط الرزق ويقدر حسب علمه وحكمته.

٢- شاهده قوله تعالى: ﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ "الآية من سورة النساء"." [١]

٥٨٥. "بن مريم كل ذلك لهداية العباد إلى ما يكملهم ويسعدهم وقوله ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ أي آتينا عيسى بن مريم الإنجيل وجعلنا في١قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة والرأفة أشد الرحمة. وقوله تعالى ﴿ورهبانية٢ ابتدعوها﴾ أي ابتدعها الذين اتبعوا عيسى ﴿ما كتبناها عليهم٣﴾ أي لم يكتبها الله عليهم لما فيها من التشديد ولكن ما ابتدعوها إلا طلبا لرضوان الله ومرضاته فما رعوها حق رعايتها حيث لم يوفوا بما التزموا به من ترك الدنيا والإقبال على الآخرة حيث تركوا النساء ولبسوا الخشن من الثياب وأكلوا الخشن من الطعام ونزلوا الصوامع والأديرة.

ولهذه الرهبانية سبب مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما نذكره باختصار للفظه ومعناه قال كان بعد عيسى ملوك بدلوا التوراة وحرفوا الإنجيل وألزموا العامة بذلك، وكان بينهم جماعة رفضوا ذلك التحريف للدين ولم يقبلوه ففروا بدينهم، والتحقوا بالجبال وانقطعوا عن الناس مخافة قتلهم أو تعذيبهم لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية، وهاش أولئك المؤمنون وماتوا وجاء جيل من أبناء الدين المحرف فذكروا سيرة الصالحين الأولين فأرادوا أن يفعلوا فعلهم فانقطعوا إلى الصوامع والأديرة، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدل فاسد فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله. وهو ما دل عليه قوا الله تعالى: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ وهم الأولون المؤمنون الذين فروا من الكفر والتعذيب وعبدوا الله تعالى بما شرع، وقوله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين أتوا من

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٤/٥٩٨

بعدهم إلى يومنا هذا إذ هم يعبدون الله بدين محرف باطل ولم يلتزموا بالرهبنة الصادقة بالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١- بيان منة الله على عباده بإرسال الرسل.

٢- بيان سنة الله في الناس وهي أنه إذا أرسل الرسل لهداية الناس يهتدي بعض ويضل بعض فيفسق.

---

١ وذلك لأن عيسى عليه السلام بعث لتهذيب نفوس بني إسرائيل واقتلاع جذور القسوة من قلوبهم تلك القسوة التي أثمرها حب الدنيا والإقبال على الشهوات والملاذ الفانية.

٢ الرهبانية: نسبة إلى الرهبنة والراهب هو الخائف من الله تعالى، والأصل أن يقال الراهبية، فزيدت فيها النون كما زيدت في شعراني ولحياني ورباني وكذا نصراني **على غير قياس.**

٣ جملة: (ما كتبناها عليهم) مبنية لجملة (ابتدعوها) .." [(١)]

٥٨٦. "هذا هو طبعكم أيها الناس إلا من ذكر الله فصلى بعد أن آمن واهتدى في حين أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى خير نوعا وأبقى مدة حتى قال الحكماء١ لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف.. طين لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية وقوله تعالى ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾ أي إن قوله تعالى قد أفلح من تزكى إلى قوله خير وأبقى مذكور في كل من صحف إبراهيم وكانت له عشر صحف ولموسى٢، التوراة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الترغيب في الزكاة والذكر والصلاة، ويحصل هذا للمسلم كل عيد فطر إذ يخرج زكاة الفطر أولا ثم يأتي المسجد يكبر، ثم يصلي حتى أن بعضهم يرى أن هذه الآية نزلت في ذلك.

٢- التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة لفناء الدنيا وبقاء الآخرة.

٣- توافق الكتب السماوية دليل أنها وحي الله وكتبه أنزلها على رسله عليهم السلام.

---

١ قال مالك بن دينار ونص كلمته كالتالي: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى. قال فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى؟

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٥/٢٧٩

٢ لقد كان لموسى صحف كثيرة إذ هي مجموع صحف أسفار التوراة والصحف جمع صحيفة **على غير قياس** إذ القياس صحائف وصار صحف أشهر وأفصح من صحائف كما قالوا في جمع سفينة سفن فكان أفصح من سفائن.." [١]

٥٨٧. "ويظهر الرسول في فرق عن معنى النبي لأن بينهما عموما وخصوصا ((١)) .

القراءات القرآنية

١. ﴿أن أرضعيه﴾

قرأ عمرو بن عبد الواحد، وعمر بن عبد العزيز (أن ارضعيه) بكسر النون بعد حذف الهمزة **على غير قياس**، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة وهي الفتحة إلى النون كقراءة ورش (أن ارضعيه) ((٢)) .

وقد حذف عمرو بن عبد الواحد الهمزة من نون (أن) ووصلها بالراء من (أرضعيه) بعد تسهيل همزة الأمر، وهذه من سنن العرب في كلامها أن تسهل الهمزة ليستقيم النطق عندهم ((٣)) .

القضايا البلاغية

١. في هذه الآية من الدلائل على الإعجاز القرآني حيث اشتملت على أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، فذكر القرطبي أن الأصمعي قال:

" سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

استغفر الله لذنبي كله قبلت إنسانا بغير حله

مثل الغزال ناعما في دله وانتصف الليل ولم أحله

---

(١) التعريفات (الجرجاني) : ص ١٦٧.

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. عثمان ابن جني أبو الفتح. ت ٣٩٢ هـ. تحقيق: علي النجدي ناصف. وآخرون. لجنة أحياء التراث الإسلامي. القاهرة. ط١. ١٩٦٦ م.: ٢/ ١٤٧. البحر المحيط: ٧ /١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٤٩٦٦.

(٣) ينظر القراءات القرآنية والدلالات البيانية. د. محمد عبد العزيز. الطبعة الأولى. مطبعة جامعة عبد العزيز آل سعود. الرياض. ١٤١١ هـ.: ص ١١٧ -١١٨.." [٢]

٥٨٨. "الجزاء المكافأة على الشيء جزاء به وعليه جزاء جازاه مجازاة وجزاء. قال أبو الهيثم: الجزاء يكون ثوابا ويكون عقابا ((١)) .

٣. ﴿حجج﴾ :

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، أبو بكر الجزائري ٥/٥٥٩

(٢) سورة القصص دراسة تحليلية، محمد مطني ٢٦٧/١

الحج: القصد حج إلينا فلان، أي: قدم. وحجه يحجه حجا قصده يقرا بفتح الحاء وكسرها والفتح الأصل. والحج اسم العمل والحج والحج ليس عند الكسائي بينها فرقان وغيره يقول: الحج حج البيت. والحج عمل السنة. والحجة السنة والجمع حجج ((٢)) .

وقال ابن عاشور: الحجج جمع حجة بكسر الحاء، وهي السنة مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية

((٣)) .

القراءات القرآنية

١. ﴿فسقى﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة.

٢. ﴿تولى﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة ((٤)) .

٣. ﴿فجاءته إحداهما﴾ :

قرأ ابن محيصن: (فجاءته احداهما) بحذف الهمزة **على غير قياس** كقولهم يا أبا فلان ((٥)) .

٤. ﴿يا أبت﴾ :

قرأ ابن عامر (يا أبت) .

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وأبو جعفر (يا أبه) وقفا ((٦))

٥. ﴿أن أنكحك إحدى﴾ :

---

(١) ينظر لسان العرب: مادة (جزى) ١٤/ ١٤٣.

(٢) لسان العرب: مادة (حجج) ٢/ ٢٧٧.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٠٧.

(٤) غيث النفع: ص ٣١٦. معجم القراءات القرآنية: ٥/ ١٤.

(٥) المحتسب: ٢/١٥٠. البحر المحيط: ١١٤/٧. الدر المصون: ٥/ ٣٣٨.

(٦) النشر في القراءات العشر: ٢/ ١٣١. التيسير في القراءات السبع. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني. ت ٤٤٤ هـ. تحقيق: أوتو برتزل. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٦.: ص ١٢٧. إتحاف فضلاء البشر: ص ٣٤٢.." [1]

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية، محمد مطني ٣٥١/١

٥٨٩. "وسميت التكاليف الشاقة إصرا لأنها تثقل كاهل صاحبها كما يسمى العهد إصرا لأنه ثقيل.
﴿طاقة﴾ الطاقة: القدرة على الشيء من أطاق الشيء وهو مصدر جاء على غير قياس الفعل ﴿واعف عنا﴾ العفو: الصفح عن الذنب ﴿واغفر لنا﴾ الغفران: ستر الذنب ومحوه.
سبب النزول: لما نزل قوله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله فقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال صلى الله عليه وسلم : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ﴿سمعنا وعصينا﴾ [البقرة: ٩٣] قولوا ﴿سمعنا وأطعنا﴾ «فلما قرأها القوم وجرت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى ﴿آمن الرسول بمآ أنزل إليه من ربه﴾ ونسخها الله تعالى فأنزل ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ الآية»
التفسير: ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي هو سبحانه المالك لما في السماوات والأرض المطلع على ما فيهن ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ أي إن أظهرتم ما في أنفسكم من السوء أو أسررتموه فإن الله يعلمه ويحاسبكم عليه ﴿فيغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء والله على كل شيء قدير﴾ أي يعفو عمن يشاء ويعاقب من يشاء وهو القادر على كل شيء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿آمن الرسول بمآ أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ أي صدق محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله إليه من القرآن والوحي وكذلك المؤمنون ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ أي الجميع من النبي والأتباع صدق بوحدانية الله، وآمن بملائكته وكتبه ورسله ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ أي لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض كما فعل اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسل الله دون تفريق ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ أي أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك فنسألك يا ألله المغفرة لمن اقترفناه من الذنوب وإليك وحدك يا ألله المرجع والمآب.
﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ أي لا يكلف المولى تعالى أحدا فوق طاقته ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ أي لكل نفس جزاء ما قدمت من خير، وجزاء ما اقترفت من شر ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينآ أو أخطأنا﴾ أي قولوا ذلك في دعائكم والمعنى لا تعذبنا يا ألله بما يصدر عنا بسبب النسيان أو الخطأ ﴿ربنا ولا تحمل علينآ إصرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾ أي ولا تكلفنا بالتكاليف الشاقة التي نعجز عنها كما كلفت بها من قبلنا من الأمم كقتل النفس في التوبة وفرض موضع النجاسة ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ أي لا تحملنا ما لا قدرة لنا عليه من التكاليف والبلاء ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنآ﴾ أي امح عنا ذنوبنا واستر سيئاتنا فلا تفضحنا يوم الحشر الأكبر وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ أي أنت يا ألله ناصرنا ومتولي أمورنا فلا تخذلنا، وانصرنا على أعدائنا وأعداء دينك من القوم الكافرين، الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك وكذبوا

برسالة نبيك صلى الله عليه وسلم . روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة: قد فعلت.

البلاغة: ١ - تضمنت الآية من أنواع الفصاحة وضروب البلاغة أشياء منها «الطباق» في قوله ﴿."
(١)

٥٩٠. "المناسبة: لما بين سبحانه وتعالى حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث، بين حكم الحدود فيهن إذا ارتكبن الحرام، ثم أعقبه بالتحدير عن عادات الجاهلية من ظلم النساء، وأكل مهورهن، وعدم معاملتهن المعاملة الإنسانية الشريفة.

اللغة: ﴿واللاتي﴾ جمع التي **على غير قياس** ﴿الفاحشة﴾ الفعلة القبيحة والمراد بها هنا الزنا ﴿واللذان﴾ تثنية الذي ﴿التوبة﴾ أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على فعل القبيح ﴿كرها﴾ بفتح الكاف بمعنى الإكراه وبضمها بمعنى المشقة ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴿حملته أمه كرها﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿تعضلوهن﴾ تمنعوهن يقال عضل المرأة إذا منعها الزواج ﴿بهتانا﴾ ظلما وأصله الكذب الذي يتحير منه صاحبه ﴿أفضى﴾ وصل إليها، وأصله من الفضاء وهو السعة ﴿ميثاقا غليظا﴾ عهدا شديدا مؤكدا وهو عقد النكاح.

سبب النزول: روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليه فورث امرأته كما يرث ماله وألقى عليها ثوبا، فإن شاء تزوجها بالصداق الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النسآء كرها. .﴾ .

التفسير: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسآئكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ أي اللواتي يزنين من أزواجكم فاطلبوا أن يشهد على اقترافهن الزنا أربعة رجال من المسلمين الأحرار ﴿فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت﴾ أي فإن ثبتت بالشهود جريمتهن فاحبسوهن في البيوت ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ أي احبسوهن فيها إلى الموت ﴿أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ أي يجعل الله لهن مخلصا بما يشرعه من الأحكام قال ابن كثير: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ أي واللذان يفعلان الفاحشة والمراد به الزاني والزانية بطريق التغليب ﴿فآذوهما﴾ أي بالتوبيخ والتقريع والضرب بالنعال ﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهمآ﴾ أي فإن تابا عن الفاحشة وأصلحا سيرتهما فكفوا عن الإيذاء لهما ﴿إن الله كان توابا رحيما﴾ أي مبالغا في قبول التوبة واسع الرحمة. قال

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١٦٣/١

الفخر الرازي: «خص الحبس في البيت بالمرأة وخص الإيذاء بالرجل لأن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبروز فإذا حبست في البيت انقطعت مادة هذه المعصية، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبسه في البيت لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فلا جرخ جعلت عقوبتهما مختلفة» ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السواء بجهالة﴾ أي إنما التوبة التي كتب الله على نفسه قبولها هي توبة من فعل المعصية سفها وجهالة مقدرا قبح المعصية وسوء عاقبتها ثم ندم وأناب ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ أي يتوبون سريعا قبل مفاجأة الموت ﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ أي يتقبل الله توبتهم ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ أي عليما بخلقه حكيما في شرعه ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ أي وليس قبول التوبة ممن ارتكب المعاصي واستمر عليها حتى إذا فاجأه الموت تاب وأناب فهذه توبة المضطر." (١)

٥٩١. "المناسبة: لما ذكر تعالى صفات المؤمنين وما نالوه من الدرجات الرفعية، أعقبها ببيان أن طاعة الرسول من طاعة الله، وأمر الرسول من أمر الله، ثم ذكرهم تعالى بالنعمة العظمى وهي بعثة السراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم .

اللغة: ﴿الخيرة﴾ مصدر بمعنى الاختيار من تخير **على غير قياس** مثل الطيرة من تطير. ﴿مبديه﴾ أبدى الشيء: أظهره. ﴿وطرا﴾ الوطر: الحاجة التي هي في النفس، قال الزجاج: الوطر الحاجة التي لك فيها همة فإذا بلغها الإنسان يقال: قضى وطره، وقال المبرد: الوطر الشهوة ياقلأ:." (٢)

٥٩٢. "اللغة: ﴿يتفطرن﴾ يتشققن، والفطور: الشقوق ومنه ﴿هل ترى من فطور﴾ [الملك: ٣] ﴿فاطر﴾ خالد ومبدع ومخترع ﴿يوم الجمع﴾ يقوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه ﴿أم القرى﴾ مكة المكرمة ﴿يذرؤكم﴾ ينشئكم وكثركم ﴿مقاليد﴾ مفاتيح جمع إقليد **على غير قياس** ﴿شرع﴾ بين وسن وأوضح ﴿كبر﴾ عظم وشق ﴿ينيب﴾ يرجع ويتوب من ذنبه ﴿مريب﴾ موقع في الريبة والقلق ﴿داحضة﴾ باطلة وزائلة يقال: دحضت حجته أي بطلت، ودحضت رجله أي زلقت.

التفسير: ﴿حم عسق﴾ الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن، وإثارة انتباه الإنسان بحروف أولية، وبدء غير مألوف ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ أي مثل ما أوحى إليك ربك يا محمد هذا القرآن، أوحى إلى الرسل من قبلك في الكتب المنزلة، الله العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي ما له ما في الكون مالكا وخلقا وعبيدا ﴿وهو العلي العظيم﴾ أي هو المتعالي فوق خلقه، المنفرد بالكبرياء والعظمة ﴿تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن﴾ أي تكاد السموات يتشققن من عظمة الله وجلاله، ومن شناعة ما يقوله المشركون من اتخاذ

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ٢٤٣/١

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ٤٨٣/٢

الله الولد ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي والملائكة الأبرار دائبون في تسبيح الله، ينزهونه عما لا يليق به ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي ويطلبون المغفرة لذنوب من في الأرض من المؤمنين قال في التسهيل: والآية عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله تعالى ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر: ٧] ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ أي ألا فانتبهوا أيها القوم إن الله هو الغفور لذنوب عباده، الرحيم بها حيث لا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وعصيانهم قال القرطبي: هيب وعظم جل وعلا في الابتداء، وألطف وبشر في الانتهاء ﴿والذين اتخذوا من دونه أوليآء﴾ أي جعلوا له شركاء وأندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أي الله تعالى رقيب على أحوالهم وأعمالهم، لا يفوقه منها شيء، وهو محاسبهم عليها ﴿ومآ أنت عليهم بوكيل﴾ أي وما أنت يا محمد بموكل على أعمالهم حتى تقسرهم على الإيمان، إنما أنت منذر فحسب ﴿وكذلك أوحينآ إليك قرآنا عربيا﴾ أي وكما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك يا محمد قرآنا عربيا معجزا، بلسان العرب لا لبس فيه ولا غموض ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ أي لتنذر بهذا القرآن أهل مكة ومن حولها من البلدان قال الإمام الفخر: وأم القرى أصل القرى وهي مكة، وسميت بهذا الاسم إجلالا لها، لأن فيها البيت ومقام إبراهيم، والعرب تسمي أصل كل شيء أمه، حتى يقال: هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أي وتخوف الناس ذلك اليوم الرهيب، يوم اجتماع الخلائق للحساب في صعيد واحد ﴿لا ريب فيه﴾ أي لاشك في وقوعه، ولا محالة من حدوثه ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ أي فريق منهم في جنات النعيم وهو المؤمنون، وفريق منهم في دركات الجحيم وهم الكافرون، حيث ينقسمون بعد الحساب إلى أشيقاء وسعداء كقوله تعالى

﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ [هود: ١٠٥] ﴿ولو شآء الله لجعلهم." (١)

٥٩٣. "لطيفة: إنّ في استحضار الذات العليّة بوصف ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ دون اسمه العلم لما تتضمّنه الإضافة إلى العرش من الشأن الجليل الذي هو مطمع الآلهة في ابتغاء القربة والزلفى من سعة ما عنده تعالى على المعنى الأول، أو الذي هو مثار حسد الآلهة إياه وطمعهم في انتزاع ملكه تعالى على المعنى الثاني١.

مطلب: في بيان آية التسبيح وغايته:

- لمّا أقام الله - عزّ وجلّ - الدليل القاطع على كونه منزهاً عن الشركاء؛ وعلى أنّ القول بإثبات الآلهةقول باطل، أتبعه بما يدلّ ويؤكّد على تنزيهه عن هذا القول وتلكم الفرية والبهتان فقال منزهاً ذاته وممجّدها ومقدّسها عمّا لا يليق بها ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ ٢.

- ولم يقتصر التنزيه على لفظة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ وإن كانت تؤدي إلى المعنى المراد؛ ولكنّما جيء بعدها

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١٢٣/٣

بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً٣ كَبِيراً﴾ ، وذلك لمزيد التأكيد لمعنى تنزيه الله عزّ وجلّ عن قولتهم الشنيعة في حقِّه العظيم وشأنه الجليل.

---

١ انظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥ ص١١٢.

٢ انظر: تفسير الطبري ج١٥ ص٦٥؛ تفسير القرطبي ج١٠ ص٢٦٦؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ ص٢١٧؛ تفسير ابن كثير ج٣ ص٤١؛ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٥ ص١١٣.

(علواً) مفعول مطلق عامله (تعالى) جيء به **على غير قياس** فعله للدلالة على أنّ التعالي هو الاتصاف بالعلوّ بحقّ لا بمجرد الادّعاء (التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٥ ص١١٣) .." [(١)]

---

(١) تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية، عماد بن زهير حافظ ص/٣٤